

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية
Faculté des sciences humaines et des sciences islamiques

قسم التاريخ وعلم الآثار

رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الوسيط بعنوان:

النباتات النفعية ومجالات استخداماتها ببلاد الأندلس خلال العصر الوسيط

إعداد الطالبة:

فتيحة تريكي

إشراف :

أ.د عبد القادر بوباية

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة
أ. دة جهيدة بوجمعة	أستاذة	رئيسا	جامعة وهران1 أحمد بن بلة
أ.د عبد القادر بوباية	أستاذ	مشرفا ومقررا	جامعة وهران 1 أحمد بن بلة
د. قـــادة سبـــع	أستاذ محاضر"أ"	عضوا مناقشا	جامعة وهران 1 أحمد بن بلة
أ.د عبيد بوداود	أستاذ	عضوا مناقشا	جامعة ابن خلدون- تيارت
أ.د أمحمد بوشريط	أستاذ	عضوا مناقشا	جامعة مصطفى إسطنبولي- معسكر
أ.د مصطفى مغزاوي	أستاذ	عضوا مناقشا	جامعة حسيبة بن بوعلي- شلف

السنة الجامعية: 1442هـ/2020-2021م


بسم الله الرحمن الرحیم

ترحم وإهداء خاص

تمضي الأيام... ويتسارع الزمن... ويزداد الاشتياق... وتبقى ذكرى الأحباب...

زرعوا فينا بذور البحث والصبر على مشاقه والإخلاص فيه.

إلى روح والدي الغالي تغمّده الله برحمته الواسعة، وأسكنه فسيح جنانه.

أهدي باكورة عملي، وأجعله صدقة جارية على روحه الطاهرة.

إلى والدتي الكريمة التي أنعم الله عليّ بوجودها بجانبي؛ داعية لي بالتوفيق طوال هذه السنوات؛ أسأل الله أن يرزقها الصحة والعافية، ويُجازيها عنّي خير الجزاء.

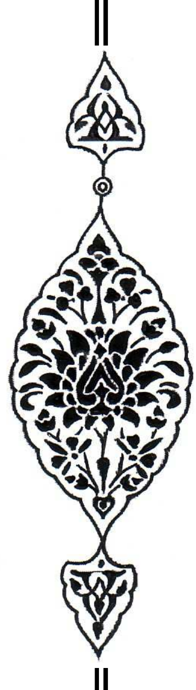
إليها أهدي باكورة عملي امتنانا واعتزازا.

شُكر وعِرفان

الحمد لله تعالى الذي وفقني ومنَّ عليَّ باستكمال رسالتي؛ فهو الموفق والهادي إلى كل خير.

بداية أتقدّم بخالص الشكر والتقدير والامتنان إلى أستاذي الفاضل الدكتور عبد القادر بوباية لما قدّمه لي من النّصح والإرشاد بكل صدر رحب، ومنحني من وقته الثمين بتتبع هذا العمل في كلّ أطواره ومراحله، من خلال قراءته المتكررة لرسالتي، وملاحظاته السديدة في بلورة تفاصيل البحث من الناحية العلمية والمنهجية، ولم يَأْلُ جهدا في جلب مصادر قيّمة من خارج الوطن عجزت عن توفيرها. وليقبل منّي خالص الامتنان والشكر وجزاه الله عنّي خير جزاء.

أتوجه بخالص الشكر والتقدير إلى أساتذتي الأفاضل في لجنة المناقشة الموقرة على تفضلهم بالموافقة على مناقشة الأطروحة، وتجشمهم عناء قراءتها وتقويمها؛ داعية الله عزّوجل أن يُجازيهم عني خير الجزاء.



أخُصّ بالشكر وفائق الاحترام أستاذتي الفاضلة الدكتورة فاطمة بلهواري على تشجيعها المتواصل لي للخوض في مثل هذه المواضيع الخاصة بتاريخ العلوم، ولا يفوتني أن أقدم شكرا خاصا للأستاذتين الفاضلتين الدكتورة عيساوي سعاد لملاحظاتها السديدة في تصويب ترجمة النصوص الإسبانية، والأستاذة الفاضلة عمارة فاطمة الزهراء التي كان لها الفضل في تقديم ملاحظات مفيدة في رسالتي، وأتمنى لها صبرا جميلا، وكلّ التوفيق في استكمال أطروحة الدكتوراه الخاصة بتاريخ الثروة الحيوانية في الأندلس.

أتقدّم بالشكر إلى الأستاذة الباحثة المتخصصة في تاريخ النبات الدكتورة إكسبيراثيون غارسيا سانشيث (Experacion Garcia Sanchez) من جامعة غرناطة، التي منحتني من وقتها، وأفادتني بخبرتها في تذليل صعوبات البحث في الموضوع، كما أقدّم شكرا خاصا للقائمين على دور المكتبات؛ وبخاصة مكتبة آل سعود بالدار البيضاء؛ ومكتبة السليمانية باسطنبول؛ وإلى كل الأساتذة الباحثين الذين ساعدوني في توفير المادة العلمية سواء من الجزائر أو خارجها؛ وخصوصا من سوريا والعراق ومصر وتركيا.

وببالغ المحبة والسرور أتقدم بشكر خاص لابنة أختي نور الضحى على بصمتها الخاصة في رسم المخططات التي وردت في هذه الأطروحة متمنية لها مستقبلا حافلا وزاهرا في مشوارها الدراسي.

وبكلّ إخلاص وتقدير أتقدّم إلى زملائي بالعمل من جامعة ابن خلدون وزميلاتي الأستاذات الفضليات: نوارة شرقي- نعيمة طيب بوجمعة- خيرة روابحي- عتيقة مصطفى- عربية بورملة- ياقوت كلاخي- فاطمة حباش وليلى حمري؛ كيوس شهرزاد وحجاج نجاة،كما لا يفوتني أنّ أقدم شكرا خاصا للأستاذتين باية تريكي وفتيحة بن حليمة على دعمهن المعنوي لي.



مقدمـــة

مقدمة:

إنَّ الناظر إلى المساهمات القديرة التي قدَّمتها الحضارة الإسلامية للعلم والإنسانية كافة، يزيد لدى الباحث إيمانا وثقة بقدرة المسلمين على العطاء، وذلك عن طريق ربط الماضي بالحاضر؛ إنّها قضية أساسية تتبلور في ضرورة إحياء الحقل العلمي التراثي، وذلك بالاعتماد على الدراسة التحليلية، والكشف عن مؤلفات علمية تختزنها مكتبات وخزائن العالم، سُطرت بأنامل علماء مسلمين في كافة ميادين العلم.

يعدٌّ علم النبات أحد اهتمامات الحضارة الإنسانية؛ فهو قديم قِدم الإنسان، لارتباط بالحاجة الفطرية والبيولوجية، ممَّا أدى إلى تراكم الخَبرات والمعارف النباتية في الذاكرة الإنسانية حوله، وتنوعت بتنوع إدراكاته واكتشافاته ومجرّباته لهذا النبات؛ وبانتقال التراث النباتي القديم إلى الحضارة الإسلامية تغيرت وتطورت مؤلفاتهم نحو هذا الاختصاص، وأضحت نظرياتهم العلمية رهينة التجارب والاختبار والملاحظة، واكتسب علم النبات التطور بالممارسة والتأقلم مع عالم الطبيعة؛ حيث برع المسلمون في دراسة النباتات وتحسينها، وطرق نموها وتكاثرها، واهتموا بالنباتات كونها مادة أولية في الصناعة الطبية والصيدلانية من حيث منفعتها ومضرّتها، ووضعوا شبه إرهاصات في التهجين والتطعيم في النبات وردت في كتب اللغويين.

شكلّ دخول كتاب "**الحشائش**" أو ما يُعرف "**بالمقالات الخمس**" في القرن الرابع للهجري/العاشر الميلادي إلى بلاد الأندلس إثر السفارة المتبادلة بين قسطنطين السابع ملك القسطنطينية، والخليفة الأموي لبلاد الأندلس عبد الرحمان الناصر نقطة تحول في مجال علم العقاقير، أو ما عُرف في الأندلس بالأدوية المفردة على مستوى التأليف والممارسة؛ بعد أنْ كان يُنظر إلى النبات من قبل المؤلفين العرب من الجانب اللغوي مع بعض الإضافات الخجولة في مجال التطبيب.

استهوى علماء الأندلس النظر في كتاب ديسقوريدس في الجانب النفعي والدوائي للنبات بنزعة نقدية ورؤية حقيقية ومُباشِرة ممارسة وتأليفًا، لِما عاينوه واختبروه من غطاء نباتي نتج عنه إرثا

صيدلانيا ليس بالهيّن، انصبّ هذا التراكم المعرفي في مختلف المجالات النفعية للنبات، وعلاج أمراض الإنسان، ويُشيد التاريخ بدور المستشرقين الألمان الذين كانت لهم عناية واحتفاء بالدراسات العربية الطبية والصيدلانية؛ فإليهم يعود الفضل في الكشف عن التراث الطبي الصيدلاني، ونذكر من بين هؤلاء الألمان: الصيدلاني إرنست زيكنبرجر Ernst Sickenberger (ت1895)، وأويجن ميتفوخ Eugen Mittwoch(ت 1932).

والعالم الطبيب الذي خدم العلوم الطبية العربية بشكل أقلّ ما يقال عنه بالرائع والنبيل، ونقصد به طبيب العيون ماكس مايرهوف Max Meyerhof (ت 1945)، الذي ألفّ ما يقارب 300 مؤلف حول العلوم الطبية للعرب والمسلمين، وكان للمكتبة الأندلسية نصيب وافر منها في الكشف عن مخطوطاتها النباتية والطبية الصيدلانية؛ ولا ننسى فضل العالم المتميز هلموت ريتر Helmut Ritter (ت 1971)؛ فهو أول من اكتشف مخطوط الإدريسي الخاص بالنبات الموسوم بـ"الجامع لصفات أشتات النبات" سنة 1928م بمكتبة أحمد الفاتح باسطنبول[1]، وعلى دأب خُطاهم سار العالم التركي الألماني فؤاد سزكين (المتوفي سنة 2018) الذي كشف عن أنفس المخطوطات الأندلسية ذات الصلة بموضوع التراث الطبي الصيدلاني في طبعاتها النادرة في سلسلة تحت عنوان "عيون التراث"؛ التي لا يتجاوز عدد نسخها حول العالم 200 نسخة؛ والباحث المغربي القدير محمد العربي الخطابي الذي نشر ثمانية نصوص طبية صيدلانية في كتابه "الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية"؛ غير أنّ الجرد التاريخي الذي قام به المستشرقون الألمان وحتى العرب في الكشف عن التراث الطبي الصيدلاني والنباتي لم يبلغ المُنتهى، بل يستدعي همم أقلام جادة من الباحثين الجدد في إحياء التراث العلمي الإسلامي.

1- اشتهر صلاح الدين منجد بتتبع والتعريف بالمستشرقين الذين كان لهم الفضل في كشف مؤلفات المسلمين في العلوم، وهو صاحب العبارة المشهورة "إنّ الإستشراق الألماني مقصر في التعريف بنفسه، والمثقفون العرب بحاجة إلى معرفة ما توصلّ إليه المستشرقون في دراساتهم في مختلف ميادين الثقافة الإسلامية"، للمزيد من التفصيل حول التعريف بشخصيات المستشرقين الألمان يمكن مراجعة: صلاح الدين المنجد، المستشرقون الألمان تراجمهموما أسهموا به في الدراسات العربية، دار الكتاب الجديد، ط1، 1978، ج1، ص 13.

إنّ التذكير بقيمة ما كتبه العلماء العرب والمسلمون في مجال التراث العلمي ليس الغرض منه نفض الغبار، والاستئناس بتاريخ الماضين والتمجيد لهم فحسب، وإنّمَا هو البحث والكشف عن معارف ومكتسبات حيَّة ظلت في طيّ النسيان، ولاسيما أنّها تختزن معلومات تراثية علمية قيّمة تضاهي المعلومات العلمية المعمول بها في وقتنا الراهن، ومن هنا تجلت رغبتنا في دراسة هذا الموضوع الذي وسمناه بـ"**النباتات النفعية ومجالات استخداماتها ببلاد الأندلس خلال العصر الوسيط**".

تُشكلّ فترة الحكم الإسلامي بالأندلس مجالا رحبا لهذه الدراسة؛ حيث أنّ هذا الإطار الزمني طويل الأمد سَيكفل استيعاب البعد التاريخي للحياة العلمية في شقّه النباتي، وذلك بمساءلة الزمن الذي رافق طيّات هذا البحث ليُسهم بدوره في فهم "آليات التطور" الذي مسّ الوسط الطبيعي من تاريخ الإنسان الأندلسي.

ومن المفيد أن نُبيِّن أهمية الموضوع لدراسات علمية أخرى، وهو أنَّ بعض العقاقير النباتية التي استخدمها أطباء الأندلس، وأجمعوا على منفعتها الطبية بعد ملاحظتهم و تجربتهم الدؤوبة، لا تستخدم في وقتنا الراهن، وعفا الزمن عن ذكرها، ممّا يفتح المجال أمام العديد من الأبحاث العلمية لدراسة مدى فعاليتها في هذا المجال، وبالتالي تمنح الكتب الطبية والنباتية قاعدة بيانات علمية للعديد من الدراسات الصيدلانية الحديثة التي يغيب فيها التأصيل لتاريخ التراث العلمي، وهو ما يؤاخذ على الدراسات العربية الأكاديمية في هذا المضمار؛ فعلينا كدارسين اليوم هو تأصيل الجهد العلمي الإسلامي في مجال علم العقاقير.

إنّ نشر وتحقيق مصادر التراث الطبي الصيدلاني ساهم بشكل كبير في وضع قاعدة صلبة لتاريخ العلوم الطبيعية، كما تجدر الإشارة إلى أنّه لا ينبغي تقديم دراستنا هذه دون الإقرار بدور الأعمال العلمية ذات الصلة بالموضوع في مساهمتها الجادّة في بلورة أطر البحث، والكشف عن مصادره؛ ظهرت دراسة موسومة بـ"تاريخ النبات عند العرب" للطبيب المؤرخ أحمد عيسى (ت 1946) التي كان لها الفضل في ملء الفراغ الذي كان يسود تاريخ العلوم في شقّه النباتي حيث تناول بالدرس علماء النبات

في مختلف الأقطار الإسلامية، ودراسة فؤاد سزكين في موسوعته الضخمة الموسومة بـ"تاريخ التراث العربي" التي عرّفنا فيها بأسباب النهوض والتطور والتقدم والإبداع عند العرب والمسلمين، ومعرفة الطرق التي سار عليها الأقدمون في مسيرة بنائهم الحضاري، كما خصّص الجزء الرابع من موسوعته لتاريخ النبات في الحضارات الإنسانية مُحاولا تأصيل هذا العلم لليونانيين،ثم ليتفرغ بعد ذلك للعلماء المسلمين مُسهما في الكشف عن مؤلفاتهم المغمورة، ونشر الكثير منها رغم قلة طبعاتها.

وتتصدّر الباحثة الإسبانية(Experacion Garcia Sanchez) قائمة الباحثين الأجانب الذين أولوا أهمية بالغة لتاريخ العلوم عند العرب والمسلمين، واستطاعت أنْ تسدَّ فراغا كبيرا في مجال التراث الصيدلاني والفلاحي بالأندلس من خلال تحقيقاتها في هذا الشأن لنصوص عربية مستوفاة بدراسات إسبانية، كان لهذه الباحثة الأثر الإيجابي في الترجمة والتعريف بأهم إسهامات العلماء الأندلسيين في المجال النباتي والصيدلاني والفلاحي، وتعد دراستها المعنونة بـ"Flora Agricola y Forestal de Al-Andalus »، مؤكدة فيها من خلال إخضاع بعض النباتات بالدرس إلى قيمة الغطاء النباتي في بلورة خصوصية ثقافة المجتمع الأندلسي، وبالتالي فهي تمنح مُسوّغات مشروعة لمواصلة البحث في جوانب وتفاصيل مسكوت عنها في هذا العلم.

إضافة إلى دراسات قيّمة أخرى أثْرَت تصوّر الموضوع لعلّ أبرزها الندوة العالمية الثالثة لتاريخ العلوم عند العرب التي عقدت بدولة الكويت سنة 1983م في عددها الخاص المتعلق بـ"إسهامات العرب في علم النبات"، التي تطرّق فيها الدارسون إلى المنهج العلمي الذي اتبعه العلماء الأقدمون في تقصّي النباتات من حيث وصفها وتصنيفها واستنباتها...، مع تبيان الإنجازات الأصيلة، والإضافات المبتكرة في تطور علم النبات.

كما وددت أن أنوّه برسالة ماجستير نوقشت سنة 2007م بالعراق معنونة بـ"الصيادلة والعشابون في الأندلس" من اعداد الباحثة آمنة حميد حمزة، وعلى الرغم من أن عنوان الدراسة يمتّ بصلة كبيرة بعنوان دراستي؛ إلاّ أنّ الباحثة ارتأت أن تسلط جلّ اهتمامها على تتبع أخبار الأندلسيين

الذين اهتموا بعلم العقاقير من الكتب التراثية؛ فأحصت واحدا وستين عالما قسّمتهم على حسب القرون، ويبدو أنّ هذا العدد شَمِل الطبيب والصيدلي والعشّاب وعالم النبات، كما أحصت سبعا وثلاثين مؤلفا في مجال الطب والصيدلة؛ لتخضع أربعة نماذج منها فقط للبحث، وعليه فإنّ مضمون دراستي سيعالج مسائل أخرى لم تتناولها الباحثة من حيث الاهتمام بالنبات، ومدى تأثيره في الفعل التاريخي، وهذا ما سنكشفه في خطة البحث لاحقا.

إنّ هذه الدراسات كانت لنا بمثابة الحافز الأساسي لدراسة تاريخ النباتات في البيئة الأندلسية، والنظر فيها، ومعرفة ما عليهامن مضار و ما لها من منافع وفق نظرة المجتمع والعلم معا.

ولا سبيل إلى دراسة النباتات في صبغتها العلمية التي وُضعت فيها دون تحريكها في الفعل التاريخي، والخروج بمادة خبرية تُفيدنا في الحدث التاريخي، ومن هذا المنظور تمحورت إشكالية بحثنا حول مكانة النباتات في ثقافة المجتمع الأندلسي خلال الفترة الوسيطية؛ مُعالجين إيّاها في جملة تساؤولات جاءت على الشكل التالي:

- كيف تعاملت النخبة الأندلسية مع التراث النباتي علما وعملا؟ وكيف تجاوزت حلّ أزمة المصطلح النباتي في الكتب اليونانية؟

- ما مدى تفاعل المجتمع الأندلسي مع العالم النباتي من خلال استغلاله في مختلف مجالات حياته الاجتماعية والاقتصادية والصحية، وإخضاعه للتجربة العلمية؟

- كيف كانت طبيعة العلاقة بين النباتات الأندلسية وبين المستويات الذهنية محاولين اختراق ذهنية المجتمع في الكشف عن سلوكياته السوية والمضطربة تُجاه النبات باعتباره المقدس في حلّ أزماته؟

انتظمت الدراسة في أربعة فصول؛ فجاء التمهيد مُسلّطا الضوء على المؤثرات الجغرافية والطبيعية لبلاد الأندلس، مع ذكر ما تزخر به من التنوع البيولوجي المُتمثل في الأشجار الغابية والخضروات والفواكه المزروعة في أراضيها، علاوة عن التوابل الطبية والعطرية التي اختصت بها الأندلس بشهادة الجغرافيين والمؤرخين، ومدى التفاضل بين هذه الثروات من منطقة إلى أخرى نتيجة التنوع المناخي

ومصادر المياه ودور التربة والأسمدة في تحسين المُخصبات الزراعية؛ إنَّ إبراز هذه الثروة ما هو في الحقيقة إلاَّ إرساء قاعدة بيانات للوسط الطبيعي، ومعطيات تاريخية يستند عليها البحث في الفصول المُقبلة.

الفصل الأول: عالجنا فيه مسار تطور علم النبات في الحضارات الإنسانية بصفة عامة والأندلس بصفة خاصة، وحتى نضع صورة واضحة للموضوع سلّطنا الضوء على مفاهيم لغوية واصطلاحات علمية للنبات، كما تناولنا أيضا دلالات ذكر ألفاظ النبات في القرآن الكريم والسنّة النبوية، لننبّه على أهمية الأبعاد الدينية في ذكر القيمة العلمية لهذا الكائن الحيّ في حياة الإنسان والمجتمع، وضرورة استعمال العقل والعلم في الكشف عن أسراره. وأملت ضرورة البحث أن نتناول بالدراسة مسار تطور النبات في الحضارات الإنسانية؛ ناهيك على أنّنا أولينا الاهتمام بالمُصنَّفات اللغوية الإسلامية التي من شأنها أنْ تضبط لنا المصطلح النباتي في سياقه الصحيح والمناسب له، لنستوعب مراحل تطور هذا العلم عبر الزمن حتى يصير علما قائما بذاته، وخَصَصْنا الأندلس بمباحث مستقلة في هذا الفصل لكونها محور الدراسة؛ فوقفنا على السفارة الديبلوماسية التي جمعت دولة الأندلس والدولة البيزنطية، وما نجم عنها من توطيد العلاقات السياسية والعلمية كشفت عن دخول كتاب الحشائش أو ما يُعرف بالمقالات الخمس في نسخة فاخرة نادرة مُزيَّنة برسومات أصيلة في لغتها اليونانية الأصيلة؛ ليشكل هذا الكتاب منعطفا حاسما في تخصّص علماء الأندلس في علم الأدوية المفردة.

كما بسطنا على طاولة النقاش جدلية ترجمة ثانية لكتاب ديسقوريدس من عَدَمِها في بلاد الأندلس على عهد الخليفة عبد الرحمان الناصر، وربطنا نتائج هذا الطرح بدراسة مسار تطور المؤلفات النباتية والصيدلانية من خلال مؤلفيها امتدت من القرن الرابع الهجري إلى منتصف القرن السابع الهجري (10- 13م)، التي توجت بأشمل موسوعة علمية في مجال الأدوية المفردة التي عُنيت بشرح معظم مفردات ديسقوريدس من اليونانية إلى اللغة العربية، وما يقابلها في اللغات الأخرى واللهجات المحلية لبلاد الأندلس.

الفصل الثاني: الموسوم بـ"خبرة المجتمع الأندلسي بالنباتات النفعية في الممارسة العلمية والعملية"، وسنتطرق فيه إلى بيان مدى احترام الأندلسيين لعالم النبات بصدق وأمانة عن طريق وضع هوية موثقة لنباتات وفدت عليهم، وأصبحت جزءا لا يتجزأ من تاريخ الحضارة الإسلامية في الأندلس التي ساهمت بشكل كبير في الكشف عن نفعيتها، والاستفادة منها في مختلف المجالات.

يتضمن هذا الفصل أيضا دلالات تحكّم علماء الأندلس في المعارف الحدائقية، ومدى سيطرتهم ووعيهم بالعمل العلمي، بخاصية النباتات المتجانسة والمتنافرة، وعلى أقلمة نباتات جديدة أو ما يُعرف بالنباتات الوافدة مع نواميس الطبيعة الأندلسية، وإخضاعها للمُعاينة والتجريب، كما أسدلنا الستار على الحدائق السلطانية التي سيكون لها الفضل في الكشف عن الطرق العلمية والتقنية في تطور وتنوع النباتات من حيث تهجينها وتطعيمها، ومعرفة أمراضها وعلاجها.

كما عَمِدنا في هذا الفصل أيضا إلى استغلال ثراء الغطاء النباتي الذي تختص به الأندلس بمختلف أنواعه، محاولين تسليط الضوء إلى أي مدى يمكن لهذه الخامات النباتية أن تُستغل في مختلف الصنائع، وكيف أبدع أهل المدن والبوادي في مختلف الحرف والمنتجات النباتية ما بين التقليد والتقنية في جودة منتوجاتها؛ حيث طغت النباتات والحبوب في الصناعة الغذائية، واستغلت الخضر والفواكه في الطهي والمعجنات والأحساء والحلويات؛ فضلا عن سائر الأشربة والعصائر، كما انصبّ اهتمامنا كذلك على بعض النباتات الحيوية كالقطن والكتان والقنب في دعم الصناعة الورقية والنسيجية، وما يَتبعها من صناعة في الأصباغ والألوان؛ فضلا عن رصدنا للنباتات العطرية، ودورها في صناعة أنواع الصابون ومواد التنظيف والعطور. ونظرا للاضطرابات والتحولات السياسية التي عرفتها الأندلس عبر تاريخها، عَمِلت السلطات المتعاقبة لحكم الأندلس على إكثار دور صناعة الأساطيل البحرية والمراكب الخشبية على طول شريطها الساحلي باستغلال الثروة الغابية لذات الغرض.

إنَّ أهمية هذه الصنائع ستكشف بعمق عن الخبرة العملية والعلمية للأندلسيين، وعن فعالية هذه النباتات كمقوّم أساسي في اقتصاد الأندلس.

الفصل الثالث: يتضمن هذا الفصل المعرفة النباتية للعلاج الطبي في بلاد الأندلس، ولكون هذا العنوان يستوعب كمّا وزخَمًا من الأمراض والنباتات العلاجية يَصعب استيفاؤها؛ اخترنا علاجها وفق نظرية الأخلاط الأربعة اليونانية الأصل التي ترتكز على توازن الجسم كمًّا وكيفًا، وأضحت هذه النظرية أساس الطب الإسلامي بعد تهذيبها وتشذيبها وفق قواعد الفكر الإسلامي.

تناولنا بالدرس عناصر هذه النظرية في جسم الإنسان التي تتكون من **الدم والبلغم والمرّة الصفراء والمرّة السوداء**، وأنَّ اختلال أي عنصر من هذه العناصر في جسمه يُفرز خِلطا يغلب على جسمه؛ فينجم عنه مجموعة من الأمراض، ووقع اهتمامنا على أشهر الأمراض التي شهدتها بلاد الأندلس حيث تتبعنا أثرها من خلال بعض الأخبار التاريخية وكتب التراجم التي سيقت فيها، وقمنا بتصنيفها وفق أخلاطها (الخلط الدموي والخِلط البلغمي والخلط الصفراوي والخلط السوداوي)، وعَمِدنا إلى تتبع طريقة العلاج النباتي المعتمدة في الطب الأندلسي التي تعتمد على استفراغ الخلط الزائد في جسم الإنسان، وإعادة توازنه وفق مجموعة من النباتات الطبية التي لقيت استحسانا طيبا ومقبولا وسط أطباء الأندلس بعد إخضاعها للملاحظة والتجربة.

وفي ذات السياق طرقنا موضوع المعرفة الصيدلانية للعقاقير النباتية ببلاد الأندلس من خلال التعرف على طريقة حفظ العقار النباتي، من حيث الوسط الذي جُمع منه، والمدة الزمنية وطريقة تخزينه، كما وقفنا بالبحث أيضا على مسألة فحص قوة الدواء من حيث الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، ومدى تأثيره على جسم المريض لنكشف عن العمل الموكل للصيدلاني الحذق، وهي الكشف عن المواد النشطة (الأكال، المغري، المقيئ، المسهل...) في العقار النباتي، واستجابة الجسم له، مُوظِّفين في ذلك تجارب شفاء استقيناها من المجتمع الأندلسي.

أمَّا الشق الثاني من هذا الفصل فتطرقنا فيه إلى موضوع الأمراض الوبائية بالأندلس، وطرق الوقاية والعلاج النباتي لها، التي قدّمنا فيها لمحة تاريخية عن ظهور الأوبئة، ومدى ارتباطها بالمستنقعات الملوثة والراكدة التي شكلت بؤرة الوباء فيها، وعلاقة بعض الحشرات الناقلة للمرض،

وتفشّيه في المجتمعات؛ لنفصّل بالبحث بعد ذلك في طاعون سنة 749هـ/1348م الذي ألّم بالعالم الإسلامي آنذاك، وكانت غرناطة أنموذجا لهذه الدراسة؛ فبعد أنّ قدّمنا دلالات اصطلاحية لهذا المرض كالتعريف به ومسمياته التي عرف بها وأنواعه، وسلّطنا الضوء على التفسير العلمي لظهور هذا الطاعون، والعوامل التي أدت إلى انتشاره وتفشيه بسرعة، وآراء الكتابات التاريخية فيه.

لنَلج بالموضوع بعد ذلك في مناقشة عدوى الطاعون؛ مُسلّطين الضوء على قلة الوعي، ومفهوم العدوى وعلاقتها بالتفشي الفتاك لهذا الوباء، مُبرزين بالشرح والتحليل والبراهين العلمية التي أوجدها أطباء الأندلس لهذه العدوى، ونخصّ بالذكر العلامة الفذّ ابن الخطيب لسان الدين الذي كشف للعالم أجمع أنَّ طاعون 749هـ/ 1348م ينتقل من شخص إلى آخر عن طريق العدوى رغم افتقار ما يعرف في ذلك الوقت لمفهوم الفيروسات والميكروبات التي لا تُرى بالعين المجردة، وعلى ضرورة التزام وتطبيق العزل والحجر الصحي. كما تعرضنا لموقف السلطة الغرناطية من هذا الوباء، وتعاملها السلبي في مواجهة هذا المرض، وترك العامة لمصيرها؛ ليترك لنا انطباعا عن الحصاد البشري الذي أحدثه هذا الطاعون إذ وقفنا عنده ببعض الإحصائيات المتناثرة في كتب التراجم. وفي الأخير عرضنا العلاج النباتي المستخدم آنذاك وفق جدول ضبطنا فيه أسماء النباتات، وطريقة استخدامها، مُوضِّحين بالتعليل والأدلة العلمية الطرق العملية المستخدمة في العلاج، وعن مدى نجاعة هذه النباتات في احتواء الأمراض الوبائية.

الفصل الرابع: يتعلق هذا الفصل الأخير من هذه الدراسة بالسموم النباتية ومجالات استخداماتها، سنحاول فيه بسط معلوماته على قدر المادة العلمية والخبرية المتاحة. إنَّ هذا الفصل يسعى إلى استنطاق جانب التاريخ الأندلسي المسكوت عنه بزاوية علمية محضة عن طريق توظيف النبات الفاعل في تحريك مجرى أحداثه.

تناولنا في عُجالة لمحة عن السموم عبر التاريخ؛ فعرّجنا على تعريف السم (لغة واصطلاحا)، ووقفنا على تبيان خطورة السموم النباتية عن غيرها من السموم الحيوانية والمعدنية، وذلك بضبطها

في شكل جدول إحصائي وفرّته لنا المصادر الأندلسية عن طريق ذكر اسم النبتة السامة والاسم العلمي لها، وأعراض التسمم، وطريقة العلاج أو ما يُعرف بالتدخل السريع في إبطال المادة السامة في جسم المُصاب؛ مُستخلِصين في ذلك نتائج مهمة اعتمدناها في نسج البناء التاريخي لأحداث هذا الفصل، كما طرحنا مجموعة من الأحداث التاريخية تعرضّت شخصياتها لمختلف أنواع السموم؛ منها العمدية أو ما تعرف بالجنائية التي اختصّت بها طبقة الأعيان والسلطة الحاكمة، وغير العمدية التي خصّت طبقة العامة للمجتمع الأندلسي، والتسميم الحربي الذي كان إحدى السبل الفتاكة في القضاء على العدو، كما سلطنا الضوء على جانب مخفي من حياة الجواري، ودورهنّ في استعمال النباتات السامة المُسقطة للأجنّة.

إنّ التعرّف على بعض أعراض التسمّم لدى بعض الحالات التي ورد ذكرها في المصادر التاريخية بصورة عفوية أو مؤكدة سيسمح لنا بمحاولة الكشف عن بعض النباتات التي استخدمت في ذلك بناء على شروط توفرت، وفصّلنا تحليل أحداثها في ثنايا البحث، وبالمقابل أيضا تطرقنا إلى النباتات السامة التي تستهدف الحيوان، ولاسيما التي استعملها الأندلسي كطعم للقضاء على الحيوانات المفترسة وللحفاظ على حياته وزرعه ودوابه...، فضلا عن أنواع السموم الحيوانية التي تعرض لها أهل الأندلس مثل عضّة الكلب الكَلِب والأفاعي والعقارب؛ مُحاولين إبراز قيمة الطب الأندلسي في إبطال المادة السامة باستخدام نباتات تعدّدت مزاياها في إيقاف مفعول السم.

أمّا الشق الثاني من هذا الفصل فعالجنا فيه مسألة "نباتات السموم وعلاقتها بالسحر بين العلم والوهم"، مهّدنا بالتحليل قدر الإمكان العلاقة الجدلية التي تربط بين وقوع الأزمات وركون العامة من ذوي النفوس الضعيفة إلى حلول لا نفعية كان السحر أحد استخداماتها لحلّ أزماتها،

وانصبّ اهتمامنا على ذكر بعض النباتات التي استعملت بالأندلس في مجال السحر للكشف عن مزايا وخصائص اختصّت بكل نبات استغلّها السحرة في تحقيق أغراضهم.

لم نعمد من خلال دراستنا هذه إلى استعمال منهج موحد لاستيعاب جميع جوانبه؛ وإنّما اقتضى جمع شتات الموضوع في إطاره التاريخي العلمي بتوظيف أدوات علمية تُساهم في بناء هيكل الدراسة، وتنوعت مناهج البحث بتنوع المتون الأصيلة والمصنفات العلمية المتنوعة، فوظفنا المنهج الاستقرائي في تتبع المادة النباتية وقراءتها وفق المتغيرات التاريخية والاقتصادية والاجتماعية؛ مُحاولين نقل بيئة النبات من صورتها الخامة التجريدية، وتفعيلها على مستوى الممارسات والذهنيات عِلميا وعَمليّا.

واقتضى تفكيك وتحليل المادة النباتية وما يندرج في سياقها من نصوص برصد فعالية مجال البيئة الأندلسية والإنسان نحو الثروة النباتية، وتفعيل عنصر النبات ككائن حيّ في الفعل التاريخي مع توسيع نطاق التحليل لصياغة المقاربات العلمية، وعلاقتها بالتحولات الحضارية بالأندلس في العصر الوسيط.

وللمقاربة العلمية بين النبات ومحيطه الصحّي والوبائي عَمدنا إلى جدولة المعطيات العلمية النباتية وفق المعايير الطبية والمتغيرات البيئية والاجتماعية مع تحديد اختلاف الرؤى في استغلال الثروة النباتية، كما وظفنا آلية الإحصاء لضبط التطور الحاصل على مستوى أدبيات الطب والنبات لاستيعاب حدود الطرح العلمي الكمّي لموضوعنا؛ فضلا عن إحصاء نسب التراجع الديموغرافي الناجم عن المجاعات والأمراض الوبائية.

1. عرض وتحليل لمصادر البحث:

كتب النبات والصيدلة: تعتبر هذه الكتب أصل الدراسة للقيمة العلمية التي تختزنها بين صفحاتها، تنوعت بين المخطوطة والمطبوعة؛ حيث زودتنا بمعطيات علمية صلبة استندنا عليها في بناء الشق التاريخي لهذه الدراسة و لأهمية هذه الكتب أرجأنا الحديث عنها بشكل مفصل في الفصل الأول

ومنها ومنها نذكر كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري، وكتاب عمدة الطبيب في معرفة النبات لأبي الخير الإشبيلي وكتاب الجامع لصفات أشتات النبات للإدريسي...إلخ، فضلا عن مصادر مغربية لا تقل أهمية عنها ككتاب حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار

كتب الطب: تَحمِل كتب الطب في طيّات صفاحاتها مختلف أنواع تدابير العلاج للحفاظ على الصحة رغبة منها في خدمة الإنسانية، ولذا عَمدنا إلى استغلال المادة المتوفرة فيها بناء على الأهمية والتخصّص والتميّز في طرحها لموضوع الألم والدواء، نذكر منها:

***زاد المسافر وقوت الحاضر لابن الجزار القيرواني** (ت 369هـ/979م): ينتمي ابن الجزار إلى عائلة لها صلة وطيدة بالعلم، أخذ الطب عن أبيه إبراهيم وعمّه أبي بكر؛ تفوق ابن الجزار في مجال الطب، وألّف مجموعة من المؤلفات في مختلف الميادين: كالتاريخ والأدب والطب فاقت أربعين كتابا؛ يُعدّ كتاب "زاد المسافر وقوت الحاضر" من أهم مؤلفاته المشهورة والمتبقية. ذاع صيت هذا الكتاب بالأندلس في القرن الرابع للهجري(10م)، أدخله إليها تلميذه الأندلسي عمر بن حفص بن برتق طبيب الخليفة عبد الرحمن الناصر (300-350هـ/912-961م)، وقد أشار ابن الجزار إلى شهرة هذا الكتاب في مقدمة كتابه طب المشايخ بقوله: "شاع في البلدان خبره، وحسن عند الحكماء أثره"؛ جاء كتاب زاد المسافر في شكل موسوعة طبية مختصرة شاملة، مُمَنهجة ومُقسّمة تقسيما علميا لمختلف الأمراض من الرأس إلى القدم؛ فاهتمّ بأسباب الأمراض وعلاماتها وأعراضها، وطرق علاجها؛ مُلمًّا بأنواع العلاجات للأدوية المفردة والمركبة. استغل ابن الجزار مهارته في ميدان التعشيب والبحث عن الأدوية والنباتات المعروفة والمشهورة مُعينا بذلك لكل طبيب وطالب علم، فضلا عمّن ليس بطبيب؛ مُسافرا كان أو مقيما.

لقد أمدّ كتاب زاد المسافر لهذه الدراسة نفسا علميا أكاديميا بروح ذلك العصر من حيث فصله بين الطب والصيدلة، وإعانته لنا في التعريف بماهية الأمراض ومسبباتها بشكل مُبسّط، ومختلف علاجاتها، ووقوفه على الخصائص العلاجية للنباتات، ممّا ساعدنا بشكل كبير في إلحاق كل مرض بالدواء الذي يناسبه وفق قواعد علمية.

***التصريف لمن عجز عن التأليف:** لأبي القاسم خلف بن عباس الزهراوي (ت404هـ/1013م)، نشأ في مدينة الزهراء، وقضى معظم حياته في ممارسة الطب والصيدلة في مدينة قرطبة، كانت له شهرة عالية بين أوساط المجتمع الأندلسي، تفوق على أقرانه من الأطباء؛ فهو أول من أسس علم الجراحة، واعتبرها فرعا من علوم الطب، كما نبغ في الأدوية المفردة والمركبة؛ فجعله الخليفة الحكم المستنصر بالله (350-366هـ/961- 976م) طبيبا خاصا به. اختصّ الزهراوي بتأليف كتاب التصريف بما أودعه من تجاربه وخبراته الخاصة في الممارسة الطبية والجراحية؛ فهو أكثر الكتب غزارة من حيث المادة الطبية العلمية المتخصصة التي كتبها على مدار خمسين عاما؛ يقع كتاب التصريف في ثلاثة أجزاء موزعة على ثلاثين بابا وهي كالآتي:

الجزء الأول: للأمراض والتشريح.

الجزء الثاني: للأدوية والعقاقير مع مقالة للموازين والمكاييل ومقالة للتغذية والزينة.

الجزء الثالث: للجراحة والكسور والأسنان.

رغم أهمية الكتاب إلاّ أنّه لم يُحقّق تحقيقا كاملا ما عدا بعض المقالات، وأشهرها المقالة الثلاثين الخاصة بالجراحة، غير أننّا استفدنا من المقالة الأولى والثانية من هذا الكتاب اللتين حققهما الباحث صبحي حمامي، وترجمهما إلى اللغة الفرنسية؛ خصّص الزهراوي في المقالة الثانية من كتاب التصريف فصلا مهما يتحدث فيه عن الدواء السمومي، وقسّمه إلى ثلاث فئات: الأدوية المعدنية، وبلغ عددها 16 مفردة، والأدوية الحيوانية وبلغ عددها 33 مفردة، والأدوية النباتية وبلغ عددها 47 مفردة كالبنج والأفيون والشوكران واليبروح...، وتكمن أهمية هذه المقالة في أنَّ الزهراوي صرَّح فيها بأعراض التسمّم لكل نبات الذي هو موضوع الدراسة، واهتم بتقديم العلاجات المناسبة لكل سمّ، فكانت استفادة البحث كبيرة في الفصل الرابع من حيث هذا التقسيم الذي قدمه الزهراوي، ومن التجارب التي شاهدها بنفسه، وعالجها ببلاد الأندلس؛ ممّا كشف لنا أنَّ موضوع السموم كان إشكالا قائما أرقّ طبقات المجتمع بمختلف أطيافها من أهل علم وأساطينه وحتى العامة.

ولا يمكن أيضا تجاهل قيمة المقالة الأولى من كتاب الزهراوي في مجال تحديد هوية الأمراض؛ فهو أول من كشف عن مرض السرطان في الطب العربي، وتسميته له لشبهه بالسرطان البحري؛ فاستفدنا من شروحاته بالنسبة لآلية نشوء هذا المرض في وقت غابت فيه التقنيات الحديثة في ذلك العصر للكشف عن وجوده من عدمه؛ فضلا عن استفادتنا من المقالة التاسعة عشر الخاصة بالأدوية المفردة الخاصة بالزينة فجاء توظيفها مهما في مجال الصحة التجميلية.

***المجالس في الطب لأبي الهاشمي (كان حيا 470هـ/1077م):** يتأسف الهاشمي عن الوضع المُتدني الذي آلت إليه صناعة الطب في عهده بعدما كانت أسمى الصنائع، بِحسب رأيه فإنّ الطب مقسم في ثلاث طبقات : إما خدعة ونصب لأخذ أموال الناس دون علم بهذه الصنعة؛ وإمّا من باب اكتساب الشهرة لوصفات ورثت عن الآباء والأجداد دون أن يُجهدوا أنفسهم في تعلم أصول هذه الصنعة، أمّا الطبقة الأخيرة وهم أصحاب العلم الذين سلكوا مسلك أشياخهم في العلم، وتعلّموا صناعة الطب، وأتقنوا أصولها وأسرارها، وابتعدوا عن إتيان الملوك.

قسمَّ الهاشمي كتابه إلى ثلاث مقالات؛ تناول في المقالة الأولى 52 مجلسا أخذها من شيخه الطبيب أبي محمد التميمي ومن منصور بن محمد طبيب مدينة طلبيرة، وعددها 40 مجلسا، أما المقالة الثانية فتناول فيها الأدوية الطبية التي يُنتفع بها، ولا يعرفها العطارون والمتطفلون على مهنة الطب لأنها من اختصاص حذّاق الأطباء، في حين عالجت المقالة الثالثة مسائل طبية تَخاطب فيها شيوخ مختلف مدن الأندلس.

كانت استفادتنا كبيرة من هذا الكتاب خصوصا في الفصل الثالث: حيث استقينا من المقالة الأولى تعريف بعض الأمراض وعلاجها بالأدوية النباتية، كما استقينا منه تجارب حيّة لمرضى أندلسيين تعرضوا لإصابات وجروح أثناء الحروب التي كانت تحدث في الأندلس إثر مواجهة النصارى، وإصابتهم بسهام في مواضع يصعب التعامل معها؛ فكانت العقاقير النباتية خير مُعين في إخراج هذه السِهام، ومداواة تلك الجروح، وتجنبها العفن والفساد؛ كما أنَّ الكتاب يُعنى أيضا ببعض الوصفات

التجميلية، وحرص المرأة الأندلسية في الاعتناء بصحتها وجمالها ونظارة بشرتها؛ إنَّ كتاب المجالس في الطب يُعد من المصادر المهمة التي يُعوّل عليها الباحث في تاريخ الطب الأندلسي.

***التيسير في المداواة والتدبير لأبي مروان بن عبد الملك بن زهر (ت557هـ/1162م):** يُعدّ كتاب التيسير أشهر مؤلفات ابن زهر، وأعلاها مرتبة في تاريخ الطب لتوفره على معلومات وحقائق طبية موثوقة؛ بقي هذا الكتاب يُدّرس في مراكز الطب المعروفة بأوروبا حتى أواخر القرن الثامن عشر في ترجمته اللاتينية؛ ألفّ ابن زهر كتابه هذا استجابة لصديقه الفيلسوف ابن رشد حتى يكون متمّما لكتاب الكليات؛ تضمّن كتاب التيسير تجارب المرضى السريرية، ومشاهدات ابن زهر في علم الأمراض وأساليب المعالجة، وبذلك أعطى دراسة حقيقية للخصائص التشريحية لجسم الإنسان؛ فهو يعطينا تفصيلا لأعضاء جسم الإنسان والأمراض التي تُصيبه، شارحا إيّاها بعمق من حيث طبيعتها وأعراضها، وتشابهما مع أمراض أخرى، والطريقة المثلى لعلاجها سواء كانت عن طريق الجراحة أو الغذاء أو العلاج الدوائي؛ إنّ كتاب التيسير يستمد أهميته من حيث أنّ مؤلفه استطاع أن يجمع بين علم الأمراض ومداوتها، كما يوثق لنا أحداثًا تاريخية للحالات التي عاينها بنفسه، وكذلك نقل لنا حالات إكلينكية عالجها جده وأبوه من باب التجارب الطبية، يكون قد أعطى صورة واضحة عن الوضع الصحي في بلاد الأندلس خصوصا خلال فترتي المرابطين والموحدين.

***الكليات في الطب لابن رشد (ت 595هـ/1198م):** عالج ابن رشد في كتاب الكليات أصولَ علم الطبّ منتقدا ومناقشا آراء سابقيه في كثير من النظريات؛ حيث سار على منهج ضرورة حفظ الصحة، وعلاج المرض من خلال الإلمام بعلم التشريح وعلوم وظائف الأعضاء، قسم ابن رشد كتابه إلى سبعة أقسام تتمثل في: تشريح الأعضاء، الصحة، المرض، العلامات، الأدوية والأغذية، حفظ الصحة، شفاء الأمراض، وتطرّق إلى وصف الأمراض المعروفة في زمانه بشكل عام، ولم يطرق تفاصيل المعالجة السريرية كطبيب ممتهن لها فترك هذا الأمر لصديقه الطبيب ابن زهر الذي تمّ التعريف به أعلاه.

تكمن القيمة العلمية للكتاب في أنّه أعاننا في تشخيص بعض الأمراض من خلال الدلالات التي تظهر عليها كقِوام البول والدم ولونهما، وشدة الحرارة وسرعة النبض، وتعرّق الجسم، فضلا عن أنّه تطرّق إلى نظرية الأخلاط الأربعة التي كانت عِماد الطب الإسلامي، وعلى وفقها يتم تشخيص المرض؛ مُحدّدا نوعية الأدوية التي تُحدِثُ تغييرا في جسم الإنسان من حرارة أو برودة أو رطوبة أو يبوسة، ولاسيما النباتية منها المعروفة والمشهورة في بلاد الأندلس؛ كما أنّه أعطى لنا شرحا قيّما لطبيعة عمل الدواء النباتي في جسم الإنسان؛ فعرّفنا بذلك على الأدوية المُنضِجة والمليّنة والمُصلبة والمُنبِتة للحم والمقيئة والمسهلة والقابضة والمسكنة للأوجاع.....

***السموم والتحرز من الأدوية القتالة لابن ميمون القرطبي (ت 603هـ/1204م):** هو أبو عمران بن عبد الله المعروف بابن ميمون القرطبي أو الأندلسي أو المغربي أو الإسرائيلي، ولد في قرطبة سنة 529هـ/1134م، تتلمذ على يد والده الذي كان عالما في الإسرائيليات. هاجر ابن ميمون من قرطبة إلى مراكش وفاس بعد استيلاء الموحدين عليها سنة 542هـ/ 1148م، ولما اشتدت وطأة الظروف القاسية في مراكش استأنفت عائلة ابن ميمون الترحال، وانتهى بها المقام في مصر حيث كان اليهود يتمتعون حينذاك بحرية كبيرة أيام الخليفة العبيدي العاضد. ألف ابن ميمون مؤلفات كثيرة في الطب، وتعدّ "الرسالة الفاضلية" التي ألفها سنة 595هـ/1199م بطلب من القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني أهم كتاب تأسينا به في استقصاء مادته للفصل الرابع، نشر هذه الرسالة المحقق ولفنسون باسم "السموم والتحرّز من الأدوية القتالة"، رغم أنَّ هذه الرسالة ألّفت لتقديم علاجات بسيطة لعامة وضعفاء مصر نتيجة تأثر مرضاهم بسموم الحيّات والعقارب، وبذلك فهي تعكس الواقع الصحي لعامة مصر آنذاك، إلاّ أنّ ابن ميمون قدمّ لنا رواية فريدة تعكس بشكل جلي الوضع الصحي الأندلسي، وعن موت الكثير من الضحايا نتيجة تعرضهم للسموم الحيوانية، ولاسيما الكلاب المسعورة منها، كما كشف عن بعض النباتات السامة التي يتم تناولها عمدا أو عن طريق الخطأ التي تنمو بشكل

كبير في البيئة الأندلسية، وعن التغيرات التي تطرأ على فساد الطعام بسبب احتوائه على مواد سامة مختلفة.

***كتاب النصيحة لأبي الله محمد بن علي اللخمي الشقوري (كان على قيد الحياة في 766هـ/1364م):** يُعدّ الشقوري من بين الأطباء المشهورين في الدولة النصرية، وقد ترجمه ابن الخطيب في كتاب الإحاطة ووصفه بقوله: "صاحبنا طبيب دار الإمارة".ألّف الشقوري عدّة كتب في الطب، وتعدّ "رسالة "النبأ في أمر الوباء" من الرسائل المفقودة في أمر طاعون سنة 749هـ/ 1348م، لم يبق منها إلاّ مختصر سمّاه "النصيحة" عالج فيه المؤلف مسألتين تخصّان إصلاح فساد الهواء مع إصلاح الأبدان بالغذاء والدواء، رغم الاقتضاب والاختصار الشديد الذي يميز رسالة الشقوري إلاّ أنّ الدراسة استفادت منه في النباتات الطبية التي استعملها أهل الأندلس كتنظيف الهواء من تبخير وتشميم ورش، ونوع الغذاء المُعتمد في أوقات الوباء التي من شأنه تقوية جهاز مناعة الجسم، وتفتح شهية المريض كتركيزه على القمح الكامل والفواكه، وأكل الحمضيات، وتجنب الأطعمة المملحة والحلوة.

***تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد لابن خاتمة الأنصاري (ت 770هـ/1368م):** ألّف ابن خاتمة كتابه سنة 749هـ/1348م، وجعله في عشر مسائل: تطرّق فيها إلى خمس مسائل أولاها حقيقة الوباء وأسباب وقوعه. وناقش مسألة لماذا اختص الوباء قوما دون قوم رغم قرب المسافة، وما ظهر من عدواه، وكيفية الوقاة والاحْتِراز منه، أمّا المسائل الخمس الأخيرة فتناول فيها ابن خاتمة المنظور الديني للوباء؛ فتطرّق إلى ما جاء من حكم الشرع فيه، وعن أحاديث النبي ﷺ، وخصّص المسألة الثامنة لمعنى حديث النهي عن القدوم على أرضه أو الخروج منها، أما المسألة التاسعة فجاءت تشرح حديث النبي ﷺ ﴿لَا عَدْوَى ولاَ طِيْرَة﴾، وجاءت المسألة الأخيرة تجمع بين الحديثين، وتزيل اللبس عن الفهم الخاطئ في فهم الحديثين.

أفادنا هذا الكتاب بالكثير من المعلومات التاريخية المتعلقة بالطاعون؛ فقد استفدنا منه في معرفة مسار انتشار الطاعون في العالم، ودخوله إلى بلاد الأندلس، وأنّ بلاد الصين هي البؤرة الأولى التي انتشر منها الطاعون إلى بلدان أخرى، قدّم لنا المؤلف معلومات دقيقة حول خارطة انتشار الطاعون في مدينة المرية التي كانت مركز انطلاق الطاعون الذي بدأها في شهر جوان من سنة 749هـ / 1348م من الركن الشمالي من المدينة في حارة الخواتيم؛ لينتقل الطاعون من حارة إلى أخرى حتى عمَّ بلاد الأندلس، يتميز كتاب ابن خاتمة بأنّه ينفرد بمعلومات علمية عن الطاعون قلّ ما نجدها في مصادر أخرى خصوصا أنّه تتبع المنحى التصاعدي والتنازلي للطاعون الذي بدأ في الظهور بشكل بطيء في فصل الصيف ليبلغ ذروته من بداية فصل الخريف، وتحديدا في شهر سبتمبر إلى غاية فصل الشتاء تحديدا حتى شهر فيفري، ليبدأ في التراجع بداية هذا الشهر.

كما أفادنا ابن خاتمة ببعض الأرقام حول موتى الطاعون التي بدأت بسبعين نسمة، ووصفها بالضعيفة مقارنة مع حواضر وبلدان أخرى كتونس وتلمسان التي كان فيها موتى الطاعون يفوق الألف في اليوم الواحد؛ ممّا ساعدنا في وضع إحصاء نسبي لمرضى الطاعون؛ لا يخلو الكتاب من بعض العلاجات الطبية في احتواء وباء الطاعون؛ حيث ركّز المؤلف على التبخير وحرق ملابس المطعون، والابتعاد عن الشخص المصاب قدر المستطاع كما اهتم أيضا ببعض الأغذية النباتية التي لها الفضل في تقوية مناعة المريض كمرحلة للقضاء عى الطاعون

***مُقنِعة السائل عن المرض الهائل لابن الخطيب الأندلسي (ت 776هـ/1374م):** اختصّت هذه الرسالة بالطاعون الذي حلَّ بالعالم سنة 749هـ/ 1348م. وتتميز بالتدبير والنضج العلمي والعقلانية فيما أورده من حقائق علمية حول عدوى الطاعون؛ مُحاولا إقناع القارئ أو السائل بثبوت عدوى الطاعون من شخص إلى آخر في وقت أنكرها عليه معاصروه؛ أثبت ابن الخطيب صحّة نظريته ببراهين علمية وأدلة تاريخية مستوحاة من الواقع الأندلسي، وهو بذلك قد انفرد بتسجيل وتوثيق أخبار تاريخية حول هذا الموضوع لا تتوفر في أي مصدر آخر: كاستشهاده بمدينة إشبيلية التي فتك بها

الطاعون باستثناء السجن الذي كان يتواجد به أسرى المسلمين لم تمسسه العدوى لتغافل النصارى عنهم، وبذلك برهن صحّة العزل في هذا الوباء؛ كما سبق ابن الخطيب عصره حينما ردّ على سائليه الذين قالوا إن الكثير من المُباشرين للمرضى لم تنتقل إليهم العدوى، وسَلِموا من الطاعون؛ فردّ عليهم بطرح علمي سليم يقبله العلم المعاصر اليوم المتعلق بقوة الجهاز المناعي عبرّ عنها ابن الخطيب بفكرة الاستعداد للمرض من عدمه. هكذا إذن يُعتبر كتاب مُقنعة السائل سبقا علميا أندلسيا بامتياز في موضوع العدوى، وعلى ضرورة التزام الحجر المنزلي عند حلول الأمراض الوبائية في تلك الفترة؛ كما يعتبر أيضا سبقا علميا في نظري فيما يخص مجال علم المناعة الذي يستحق دراسات جديدة حوله.

***عمل من طبّ لمن حبّ المنسوب لابن الخطيب:** يهتم ابن الخطيب في مقدمة كتابه بعلو مكانة الطب بين الصناعات الأخرى، وعلى ضرورة التداوي، وحفظ صحة الإنسان من الأسقام، تكمن أهمية هذا الكتاب في كونه جاء مختصرا ومنظما وممنهجا لماهية الأمراض، وقول الأطباء فيها، والعلامات التي تظهر عن كل مرض، وقوانين تدبيره مع ذكر علاج كل مرض من الأدوية المركبة الجمهورية التي يقصد بها المعروفة لدى جميع الناس، وغير الجمهورية التي لا يتادولها أو يعرفها العامة كمعاجين وأشربة وأدهان أو أدوية مفردة لا سيما النباتية منها، ويختصّ بذكر التنبيهات والإنذارات التي يجب توخيها في كل مرض.

ينقسم هذا الكتاب إلى جزأين: القسم الأول يتكون من عشرين بابا خصّه بتعداد الأمراض من الرأس إلى القدم؛ في حين خصّص القسم الثاني لذكر الأمراض التي لا تخصّ عضوا دون غيره؛ مع ذكر أمراض الزينة والسّموم؛ وكان هذا الكتاب خير معين لنا في الباب الثاني عشر الذي تحدّث فيه عن أنواع السموم التي تصيب جسم الإنسان؛ فأفادنا في الكشف عن علامات و أعراض تظهر على المريض نتيجة تعرّضه لبعض النباتات السامة وطريقة العلاج.

كتب التاريخ العام: إنّ مصادر التاريخ العام يطغى عليها التأريخ السياسي؛ فلا ننتظر منها أنّ تقدم لنا الكثير في موضوع دراستنا، إلاّ أنّ تناثر المادة الخبرية المُتاحة في طيّات صفحات هذه المصادر تُسعف

الباحث في استغلال المادة الخام للنبات المتوفّر لنا، وتوظيفه في سياق البحث التاريخي الذي يلائمه، من هذه المصادر نذكر:

***المقتبس في أخبار الأندلس لابن حيّان (469هـ/1076م):** الذي عاصر مؤلفه أحداث القرنين الرابع والخامس الهجريين(10-11م)، إذ قدّم لنا مادة خبرية اتصفت بدقة المعلومات، وتأصيل الأحداث بذكر مصادرها المتعدّدة، وأعطانا صورة عامة عن الاقتصاد الأندلسي، وتنوع الأسواق في قرطبة، وتنوّع مُنتجاتها، كما أنّه من الناحية الاجتماعية كشف لنا عن الوضع الصحّي لأمراء وخلفاء بني أمية، وبذلك تعرّفنا على الأمراض التي تصيب الملوك؛ فضلا عن كشفه لدسائس البيت الأموي، والتصفيات التي كانت تحدث بينهم؛ بذلك أفادنا كثيرا في تغطية بعض الأحداث التاريخية التي كان السّم فيها أحد الوسائل المستخدمة في ذلك؛ كما اعتنى ابن حيّان بالتأريخ لاختطاط المدن، وإنشاء الحصون والموانئ والقناطر والأسوار مُعرّجا بذلك على جبالها وهضابها وأنهارها.

***البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذاري المراكشي (على قيد الحياة سنة 712هـ/ 1313م):** يستوعب هذا الكتاب فترة مهمة من التاريخ الأندلسي تمتد من الفتح الإسلامي لهذه البلاد إلى منصف القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي؛ اتبع طريقة التأريخ بالسنين في عرض أحداثه ممّا قدم لنا صورة شاملة عن الوضع السياسي والاجتماعي والاقتصادي للعدوة الأندلسية؛ فكان من المصادر التي لا يمكن أن يُستغنى عنها في بحثنا خصوصا أنّه زوّدنا بمعلومات قيّمة رغم اختصارها عن دورات الأوبئة والمجاعات التي حلّت بهذا البلد؛ وبالتالي كان كفيلا بنسج خيوط الموضوع في التوثيق الزمني، والكشف عن بعض السلوكيات التي عكست ذهنية العامة، وبالتالي رؤية التجاوزات التي فرضت نفسها أثناء وقوع الأزمات.

***الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب السابق الذكر:** خلفَّ لنا ابن الخطيب إرثا موسوعيا متنوعا شَمِل مختلف فنون العلم التي بلغت نحو ستين مؤلفا، يعدُّ كتاب الإحاطة من أهم وأشهر مؤلفاته؛ تناول فيه أخبار الأندلس على عهد بني الأحمر الذي انحصر ملكهم في مملكة غرناطة. أرخّ لنا

ابن الخطيب أخبار هذه المدينة من الفتح الإسلامي حتى عصره وانتهى منه على عهد السلطان محمد الغني بالله ثامن ملوك بني الأحمر.

أمدّنا الكتاب بأخبار حافلة عن هذه المدينة؛ ففصّل في جغرافيتها وتاريخها الاقتصادي والاجتماعي، ونشاط الحركة العلمية فيها من خلال تقديم تراجم وافية لوجهاء وعلماء غرناطة؛ كما وفرّ لنا كتاب الإحاطة العديد من التفاصيل عن أهل غرناطة، وأبرز لنا عاداتهم وتقاليدهم في تلك الفترة، إذ سمح لنا توفر هذه المعطيات بتقديم صورة عن دور المرأة في المجتمع الأندلسي، والكشف عن قيمة الجمال الذي تميزت به المرأة الغرناطية، وعمّا تستعمله من أدوات ومساحيق من أجل إبراز جمالها.

تضمّن الكتاب أيضا معلومات هامة عن تنوع مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية التي طَبعت حياة الأندلسيين؛ كما أمدّنا بإشارات ومعطيات تاريخية مهمة ساهمت في سدّ جوانب مهمة من هذه الرسالة، لعلّ أبرزها تسليطه الضوء على جنّات وحدائق السلاطين، وما تزخر به من ثروات.

***نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، لأبي العباس أحمد المقري التلمساني (ت 1041هـ/1631م)**: قدّم المؤلف في كتابه مادة غزيرة ومتنوعة عن تاريخ وجغرافية الأندلس، وأسْدى لنا خدمة جليلة في كتابة من خلال التفاصيل التي أوردها عن تاريخ الأندلس لاعتماده في ذلك على روايات واقتباسات كثيرة مستمدة من مصنفات تاريخية موجودة وأخرى عفى عنها الزمن التي منها: تاريخ عبد الملك بن حبيب (ت 238هـ/852م)، أحمد الرازي (ت 344هـ/955م)، عيسى الرازي (379هـ/989م)، ابن حيان (ت 469هـ/1076م)، وجغرافيين أندلسيين: كقاسم بن أصبغ البياني (ت 340هـ/951م)، وابن غالب الأندلسي؛ أفادنا الكتاب في تفاصيل محطات عديدة لعلّ أبرزها تقديمه وصفا مفصلا لجغرافية بلاد الأندلس (الجبال والسهول والأنهار والنباتات الموجودة بها، والأرض التي تناسبها، وموقعها في الإقليم الرابع، تكمن أهمية المقري في كونه احتفظ لنا برواية الرازي الفريدة من نوعها التي قسمّ فيها الأندلس إلى إقليمين مناخيين متباينين: أندلس غربي

وأندلس شرقي، وبذلك صحّح أخطاء الإغريق، وتجاوزها إلى ما يعرف بالجغرافية الإقليمية؛ كما أمدنا المؤلف بمختلف الأنشطة الاقتصادية في مختلف بقاع أرض الأندلس، وبالتالي مكنّنا من التعرّف على المواد الخام النباتية الداعمة لمختلف الصناعات، والطرق المستحدثة في أنظمة الري التي أمكنتنا من التعرف على مختلف المحاصيل و المزروعات الجديدة التي أدخلت إلى بلاد الأندلس بفعل تقنيات الري المتطورة آنذاك؛ وعليه يمكن القول إنّ كتاب نفح الطيب رافقنا في مختلف فصول هذه الدراسة لكونه أطلعنا عن الفعل الحضاري ببلاد الأندلس.

كتب الفلاحة: تُعدّ كتب الفلاحة رافدا مهما في موضوع دراستنا كونها أساس المعرفة الطبية الصيدلانية في صناعة العقاقير؛ فازدهار فنّ الفلاحة بالأندلس جعل من المعرفة الطبية الصيدلانية في أوج تطورها وازدهارها العلمي بفضل التجربة الدؤوبة في صناعة العقار نتيجة تنوع الغطاء النباتي ببلاد الأندلس، ولهذا أفدنا من عدة مصادر أندلسية نذكر منها:

***تقويم قرطبة لمؤلفه عُريب بن سعيد القرطبي (ت 369هـ/980م)**: كان المؤلف طبيبا للخليفة الأموي الحكم المستنصر بالله الذي حكم بين(350-366هـ/ 961_976م). ألف كتابه سنة 349هـ/960م، يعرف كتابه أيضا بأوقات السنة. تضمَّن الكتاب مواعيد الزراعة حسب الشهور وأوقات الأنواء، وما يحدث على المستويات الفلكية والمناخية وعلاقتها المباشرة بحياة ومعاش الإنسان؛ فرصد لنا الاحتفالات الزراعية المتنوعة الأجناس والأعراق، وبذلك عكس لنا الثقافة الزراعية للأندلسيين، تكمن أهمية الكتاب في أنّه قدّم لنا أخبارًا عن رعاية السلطة الأموية لبعض المحاصيل، والكتب والمراسيم السلطانية التي كانت تصدر في حق بعض المزروعات حتى يتولى العامة زرعها أو حصادها خصوصا ما تعلّق الأمر بالمزروعات الصناعية (قصب السكر، الحناء، الفوة، الزعفران، الكتان...)، ممّا يعطينا تصورًا عن نباتات الصباغة والنسيج التي كانت تحظى برعاية خاصة من قبل السلطة الأموية آنذاك.

***ترتيب أوقات الغراسة والمغروسات لمؤلف مجهول**: على قيد بقيد الحياة خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر ميلادي، يبدو من خلال عنوان الكتاب أنّه نحا منحى عريب بن سعيد في كتابه؛ فاهتم

مؤلف الكتاب بذكر معظم مواعيد الخضر والفواكه والنباتات العطرية التي كانت تزرع في بلاد الأندلس، ومواسم الحصاد والتخزين؛ كما تناول أنواع التركيب والتقليم التي كانت معروفة آنذاك، وقدّم لنا بعض الطرق المستخدمة في مكافحة أمراض النبات، وينفرد الكتاب بذكر بعض الحيل التي تُسرّع في عملية إنضاج المنتوج قبل أوانه، أو الحصول على أشكال غريبة عُرفت باسم المستملح والمستظرف من الغرس، إنَّ توفر مثل هذه المادة كان له دور كبير في الكشف عن أهم المحاصيل الزراعية الموجودة آنذاك، وإبداعات الفلاح الأندلسي في استعمال تقنيات علمية فنية في جماليات الحديقة الأندلسية تعود إلى بواكير القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، إنّ التجارب الفلاحية الموجودة في هذا الكتاب العائد تاريخها للقرن الرابع الهجري تفند قطعيا نظرية رواد الثورة العلمية لعلمي الفلاحة والنبات القائلة بأنّها ظهرت في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي.

***كتاب القصد والبيان أو ما يعرف بكتاب الفلاحة، لابن بّصال الأندلسي أبو عبد الله محمد بن إبراهيم ابن بصّال الطليطلي (ت 499هـ/1105م)**: سُمي بابن بصّال لاشتغال أبيه بزراعة البصل، ولد ونشأ بطليطلة خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر ميلادي، تولى زراعة حديقة جنّة السلطان مع ابن وافد، وأجرى مختلف تجاربه العلمية في هذه الحديقة؛ فبرع في مختلف طرق التطعيم والتهجين، بعد سقوط طليطلة رحل إلى إشبيلية، ودخل في خدمة المعتمد بن عبّاد، حيث أنشأ له حديقة تُعرف بمعرس السلطان. تكمن أهمية كتاب الفلاحة لابن بصّال في أنّه كان عُمدة للناقلين عنه كالطغنري وابن العوام، إذ يُعدُّ رائد التجريب في علم الفلاحة الأندلسية. يتكون كتاب ابن بصّال من ستة عشر بابا تمحورت بشكل عام حول: المياه والأرض ومختلف أنواع التربة الصالحة للثمار وأنواع السماد وضروب الغراسات؛ فضلا عن طرق التطعيم والتركيب، وكيفية تخزين الثمار.

إنّ التنظيم المحكم لمواضيع أبواب الكتاب تكشف عن القيمة العلمية له في هذه الدراسة؛ فقد عولنا عليه في جوانب عدة منها: معرفة النباتات الوافدة التي كان تجلب من مختلف الأقطار، وزرعها وأقلمتها مع البيئة الأندلسية، والإفصاح عن أساليب زراعتها، وخصائصها الطبية والنفعية في مختلف

المجالات، والتعرف على تجارب الأندلسيين في غريب المزروعات والثمار نتيجة إتقانهم فنّ التركيب والتقليم.

***زهرة البستان في نزهة الأذهان، لمؤلفه أبي عبد الله بن محمد بن مالك الطغنري المعروف بالحاج الغرناطي (كان على قيد الحياة سنة 494هـ/1103م)**: من أهل غرناطة، أهدى كتابه إلى الأمير اللمتوني أبي الطاهر تميم بن يوسف بن تاشفين حاكم غرناطة؛ تكمن أهمية كتاب الطغنري في أنّه أبدى اهتماما بالغا بالدور الحيوي الذي يؤديه الماء، ونوعية التربة إلى جانب السماد في الحصول على المحاصيل ذات النوعية الجيدة، وبالتالي قدّم لنا خدمة جليلة في مسألة توزيع المزروعات في المجال الأندلسي، كما احتفظ لنا المؤلف ببعض الزراعات التي كان يقوم بزرعها، وتجاربه في محاولة أقلمة النباتات الوافدة والغريبة عن بلاد الأندلس، ولاسيما المزروعات الهندية منها؛يعد الطغنري من بين المهندسين الزراعيين الأكثر أمانة؛ فهو نقل معظم تجارب الزراعيين الذين سبقوه سواء كانوا أندلسيين مثل ابن بصّال، أو يونانيين وشرقيين كصاحب الفلاحة النبطية، ورّد على بعضهم رغم مكانتهم في حقل الزراعة (رد على ابن بصال وابن وحشية...). إنَّ كتاب الطغنري يمثل أصالة العلم الفلاحي الأندلسي المبني على التجريب والواقعية والبعد عن الفكر الخرافي.

***كتاب الفلاحة الأندلسية** لمؤلفه أبي زكريا يحى بن محمد بن أحمد بن العوام الإشبيلي الأندلسي (ت في حدود 580هـ/1185م)، هو عالم في الزراعة والنبات، ورغم التأخر الزمني للكتاب مقارنة بسابقيه، إلاَّ أنّه أكثر غزارة من حيث المادة الفلاحية، وأكثر الكتب تفصيلا في التقنيات الفلاحية؛ فشمل المعارف المتعلقة بفلاحة الأرض والبستنة وتربية الحيوانات.

إنَّ كتاب ابن العوام حفظ لنا العديد من الأسماء ونقولات لنصوص أصيلة تعدُّ اليوم في حكم المفقود، وأبان عن منهجه في مقدمة كتابه بقوله: "قسمت هذا التأليف على سفرين: ضمّنت الأول منهما معرفة اختيار الأرضين والذبول والمياه، وصفة العمل في الغراسة والتركيب...، وضمّنت السفر الثاني في الزراعة وما إليها، وفلاحة الحيوان، ثم يذكر أبواب الكتاب؛ فالقسم الأول يتكون من 16

فصلا، والقسم الثاني يتكون من 18 فصلا، وما يلاحظ على الكتاب أنّ ثلاثين فصلا كلها اختصّت بالزراعة ومختلف شؤونها، في حين خصّص الأبواب الأربعة الأخيرة لفلاحة الحيوان من تربية المواشي والدواجن والأطعمة، والأعلاف التي توافقها، والأمراض التي تصيبها، وبيطرتها ومُداواتها؛ أفادنا هذا الكتاب كثيرا في دراستنا هذه من خلال الكشف عن الجانب التقني والعلمي للحديقة الأندلسية؛ من حيث اختيار الموضع الذي يناسبها، ونوعية النباتات التي تزرع فيها من حيث قيمتها الجمالية والطبية، والكشف عن المتشابه والمتنافر منها؛ كما لا يخلو الكتاب من إشارات مهمة انفرد بها ابن العوام في إصلاح بعض المزروعات والنباتات، وجعلها غذاء مناسبًا أوقات الأزمات والمجاعات.

كتب الطبيخ والأغذية: إنّ الثراء البيئي لبلاد الأندلس سواء على مستوى الغطاء النباتي أو وفرة الثروة الحيوانية؛ علاوة على التنوع الاثني الذي تميزت به بلاد الأندلس أفرز لنا خصوصية المائدة الأندلسية؛ نتذوقها من خلال وصفات أكلات سُجّلت في كتب الطبيخ الأندلسي وصلنا منها مصدران: "**كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس**"، لمؤلف مجهول ينتمي للقرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي استوعب 512 لونا من الطعام؛ تنوعت بين الحلو والمالح، أمّا الكتاب الثاني فهو الموسوم بـ**"فضالة الخِوان في طيبات الطعام"** لابن رزين التجبيبي المُرسي، وألفَّه ما بين سنتي 636- 640هـ/1238-1242م، تنوعت ألوان أطعمته بين وصفات مُعقّدة مكلّفة ملوكية، ووصفات بسيطة سهلة التحضير.

أفادانا الكتابان ليس فقط في تنوّع ألوان الأطعمة فحسب، وإنّما سمحت لنا هذه الوصفات بالكشف عن تنوّع النمط الغذائي الأندلسي الذي يغلب عليه الطابع النباتي؛ كما أوضحت لنا قيمة الذوق الأندلسي الذي يضع بدوره الفواصل الجغرافية لغذاء البحر الأبيض المتوسط.

كتب الجغرافية: تكمن أهمية كتب الجغرافية في أنّها تُشكّل رافدا مهما لعلم التاريخ، من حيث اهتمامها بوصف الطبيعة والبيئة، ورصد عادات وتقاليد الشعوب، من أبرزها وأكثرها إفادة للبحث:

***ترصيع الأخبار وتنويع الأثار والبستان في ذكر غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، لمؤلفه أحمد بن عمر بن أنس العذري المعروف بابن الدلائي (ت 478هـ/1085م)**: تضمن كتاب العذري

بين دفتيه ثروة علمية مُتميزة غير أنّه لم يصل إلينا منه إلاَّ شذرات متفرقة، يبدو من خلالها أنّ العذري اعتنى في كتابه بالتقسيم الإداري لبلاد الأندلس؛ مُبرزًا المدن التابعة لكلّ إقليم مع ذكر مسالكها ومسافاتها؛ كما قدّم المؤلف وصفا علميا للمحاصيل الحقلية مُبرزا بذلك مكانة الحديقة الأندلسية في ثقافة المجتمع الأندلسي.

***نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، لأبي عبد الله الشريف الإدريسي (ت حوالي 558ھ/1163م): يعدُّ** كتاب الإدريسي من أجود كتب الجغرافية العالمية عامة والإسلامية خاصة، لكونه جمع أحدث وأجود ما كُتب عن جغرافية الأرض والبلدان الإسلامية والمناطق القاصية؛ كما أنّه اتبّع نهج الجغرافيين الأقدمين في تقسيم الأرض إلى سبعة أقاليم، إذ خَصّ الأندلس بالإقليم الرابع من هذه الأقاليم، مُلحقا كلّ إقليم منها بتفاصيل وصفية تجمع بين الأوصاف الطبيعية والبشرية والاقتصادية والحضرية، تكمن أهمية هذا الكتاب في أنّه زودنا بمعلومات قيّمة تخصّ القرنين الخامس والسادس الهجريين. وظّفنا معلومات الكتاب في جوانب متنوعة من هذه الدراسة؛ حيث وفرّ لنا مادة قيّمة عن الطبيعة الأندلسية، وتوزيع الثروة النباتية بها، وتمركز الصناعات القائمة بها كصناعة زيت الزيتون والسكر والنبيذ والصناعة الحربية؛ فضلا عن أنّه أول جغرافي أشار إلى صناعة الورق الذي اختصّت به مدينة شاطبة، وتزداد قيمة الورق الشاطبي الذي تحدّث عنه الإدريسي ضمن ذخائر الدفاتر والأوراق الشاطبية التي تحتضنها مكتبة الإسكوريال اليوم.

كتب النوازل والأحكام وآداب الحسبة: اتفق الدارسون على أهمية كتب النوازل في الكشف عن مادة تاريخية من شأنها سدّ ثغرات كبيرة في مجال التاريخ الاجتماعي والاقتصادي في منطقة المغرب الإسلامي من أشهرها :نوازل ابن سهل (ت 482ھ/1089م) ونوازل ابن رشد الجد (ت 520ھ/1126م)، غير أنّنا ارتينا التنويه بمصدرين مهمين لموسوعيتهما في الفقه المالكي، وجمعهما لما سبق من نوازل:

***نوازل ابن الحاج، للقاضي الشهيد أبي عبد الله محمد بن أحمد بن الحاج التجيبي القرطبي (ت 529ھ/1134م)**: عُرف بعلو كعبه في الإفتاء، تقلّدَ منصب القضاء من سنة 518ھ/1124م إلى غاية

وفاته. يكتنز كتاب ابن الحاج إشارات تاريخية تُفيد الباحث التاريخي في شتى مجالات البحث السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والدينية بالأندلس؛ حيث عرض لنا مختلف المسائل التي وقعت خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين، وتخصُّ ملكية الأرض والنشاط الفلاحي بها، والمعاملات التجارية، ونظام السوق، وقضايا النزاع حول المياه والرعي، ومعاملات الزواج والطلاق، أفَادنا في جوانب عِدّة أبرزها العيوب المخفية في السلع، وما ينجم عنها من خصام بين البائع والمشتري جرّاء الحِيل والأساليب المستعملة في توريتها، كما أنّ نصوص ابن الحاج تسدُّ ثغرات في التاريخ الطبي بالأندلس، إذ يكشف عن علاقة تناول السمّ بظهور مرض الجُذام. إنّ ظهور مثل هذه الحقيقة في فقه النوازل يفسر لنا أحد أسباب تفشي هذا المرض بالأندلس.

***المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، لمؤلفه أبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي (ت 914هـ/1508م)**: يتميز الكتاب كونه أكبر موسوعة علمية في الفقه المالكي وصلتنا إلى يومنا هذا؛ فالكتاب يستوعب بين دفّتيه فتاوى فقهاء المغرب الإسلامي من مطلع القرون الإسلامية الأولى إلى زمن المؤلف، تناول المؤلف فيها مختلف وقائع الأحداث التي نزلت بمجتمع العدوتين، وكانت محلّ نقاش الفقهاء والقضاة. شكلت هذه النوازل مادة دسمة للباحث في التاريخ الاجتماعي والاقتصادي، استفدنا من كتاب الوانشريسي في عدة مواضع؛ لاسيما أنّه يطرح قضايا حَرجة للغاية تدل على مُجانبة الواقع الاجتماعي لنصوص الشريعة الإسلامية كقضايا الإجهاض والإجرام، والتسميم العمدي وغير العمدي، والسحر والشعوذة، والفساد الأخلاقي، ومسائل الأرض، وما يتعلق بها من نزاعات حول المياه والبذر والزرع... إنّ ظهور مثل هذه المسائل في كتب النوازل كان لها أثر في إحداث تكامل بين الخطاب التاريخي المُجرّد من تفاصيل الأحداث والجزئيات الخاصة بحياة الأفراد والمجتمع، والخطاب الفقهي الغني بمثل هذه التفصيلات التي ستثري البحث التاريخي.

أمَّا كتب الحسبة الأندلسية التي وصلتنا فيمكن حصرها في خمس رسائل مهمة منها "كتاب أحكام السوق" ليحيى بن عمر الكناني الأندلسي (ت 289هـ/901م)، ورسالة ابن عبدون في "القضاء

والحسبة"، ورسالة ابن عبد الرؤوف القرطبي (ت 424هـ/1032م) في "آداب الحسبة والمحتسب"، ورسالة الجرسيفي في "الحسبة"، والسقطي المالقي (ت ق6هـ/12م) في "آداب الحسبة".

إنّ من المهام الأولى التي أُوكلت للمحتسب ومعاونيه مراقبة السوق، والحرص على سلامة المنظومة البيئية بشكل عام، كانت استفادتنا من كتب الحسبة كبيرة من خلال الضوابط والمعايير التي سنتّها على أصحاب الحرف والصنائع، وتنظيم الأسواق، وكشفها لأساليب الغشّ والتدليس التي تخفى عن العوام في مجال أنواع الصناعات كالصناعة الغذائية والدوائية والعطرية...، والكشف عن مغشوش العقاقير والنباتات التي غالبا ما كانت تُدّلس بعقاقير مُشابهة لها ورخيصة الثمن، كما استفدنا من الشروط الصارمة التي وضعها المحتسبون على حفاري القبور لتفادي رائحة الموتى، إنّ تدابير حفاظ المحتسب على حرمة الإنسان بعد موته سيسمح لنا بدراسة الصحة البيئية لدى الأندلسيين في شتى مجالات حياتهم.

من الصعوبات التي واجهتني في إنجاز هذا العمل صعوبة التعامل مع الوسط الطبيعي في شكله النظري؛ إذ من المعروف أنَّ النباتات تتشابه في الماهية والخواص والاسم لدرجة أن يُصبح التمييز بينها أمرا عسيرا، ممَّا أوقع كبار العلماء القدماء في أغلاط وتناقضات علمية تركت آثارها على الدراسات الحديثة، وعليه يمكن عَرْض عقبات البحث في النقاط التالية:

1- الاضطراب والتردّد العلمي الحاصل بين علماء النبات عبر العصور في التعرف على ماهية نبات معين كان ينمو بأشكال مختلفة نتيجة اختلاف الوسط الطبيعي من حيث المناخ والتربة... ممّا شكل صعوبة منهجية في إحصاء ثابت للنباتات عبر العصور.

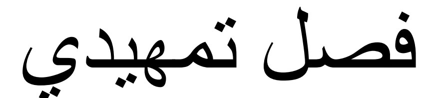
2- إنَّ الباحث في ماهية النبات يجد صعوبات جمّة لعلّ أبرزها الاختلاف في مُسمَّيات النبات من عالم إلى آخر، ومن عصر إلى آخر، ومن منطقة إلى أخرى، ومن طائفة إثنية إلى أخرى؛ بل نجد مسميات عديدة لنبة واحدة عند طائفة إثنية معينة.

3- عدم اتفاق الأطباء على الخصائص النفعية الدوائية لبعض النباتات؛ حيث نجد أن إلحاق نبات معين بما ليس له من الخصائص العلاجية يُكثر الشكوك والاتهامات بين الأطباء؛ ممّا اضطرّنا إلى مراجعة كل ما وقع تحت أيدينا من المصادر الصيدلانية والنباتية والطبية، ورأي أصحابها في الموضوع.

4- إنّ الكثير من المؤلفات التي تخصّ الموضوع غير محققة تحقيقا علميا؛ فهي منشورة بأغلاطها وتصحيفاتها، حافلة بالأخطاء ولاسيما في ما يخصّ المادة النباتية؛ فكانت معاناة البحث شاقة من حيث مقارنة مختلف النصوص من منشورات مختلفة، وأحيانا العودة إلى مصادر أصيلة بالموضوع من أجل الظفر بالنسخة السليمة من الأخطاء إلى حدَّ ما.

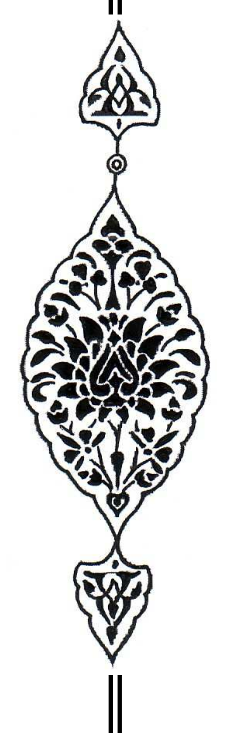
وفي الأخير أقول إنَّني لا أدّعي في موضوع دراستي استيعاب جميع نباتات الأندلس، وإنّما تأسينا في بحثنا هذا بقول الرازي: "إنَّ العمر يقصر عن الوقوف على فعل كل نبات الأرض؛ فعليك بالأشهر ممّا أُجْمِع عليه، ودع الشاذ، واقتصر على مَا جَرّبت"[2]، والله وليّ التوفيق.

2- الرازي أبو بكر بن محمد بن زكريا، الحاوي في الطب، تحقيق محمد إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000،ج1، ص ز.



فصل تمهيدي

المؤثرات الجغرافية والطبيعية على الغطاء النباتي ببلاد الأندلس



أولا: جغرافية وطبيعة بلاد الأندلس

ثانيا: الثروة النباتية ومناطق توزيعها

أولا: جغرافية وطبيعة بلاد الأندلس:

حظيت جغرافية الأندلس في كتابات الجغرافيين المشرقيين، مثل ابن خرداذبة والمسعودي والإصطخري وابن حوقل بإشارات لا تتعدى نتفا ونبذا مقتضبة عند وصفهم للأقاليم السبعة[1]؛ إزاء قلة المعلومات وندرتها التي وصلتهم عن هذا القطر. ولهذا كانت العناية فائقة بجغرافية الأندلس من أهل المغرب الإسلامي من حيث التعريف بأدق تفاصيله. يُعدُّ أحمد بن محمد بن موسى الرازي (ت 344هـ/955م) أول مؤرخ أندلسي اعتنى بالجغرافية الإقليمية في المغرب الإسلامي على عهد عبد الرحمن الناصر (300-350هـ)[2]، ويليه في الأهمية المؤرخ الجغرافي العذري الذي قدَّم معطيات دقيقة عن خارطة الأندلس من حيث بنيتها الداخلية، حيث يقول حسين مؤنس في هذا الصدد: "لقد سار العذري بعلم الجغرافيا في الأندلس خطوة واسعة إلى الأمام، وإذا كان الرازي قد وضع الأساس السليم الذي حَدَّدَ مفهوم الجغرافية الطبيعية والبشرية في أذهان الناس؛ فقد بدأ العذري من حيث انتهى الرازي؛ فحاول أنْ يُضيف تفاصيل جديدة إلى وصف هيئة شبه الجزيرة الإيبيرية وتقسيمها الجغرافي العام، والتوسع في الجغرافية البشرية[3].

1– الموقع الجغرافي: تقع شبه الجزيرة الإيبيرية جنوب غرب أوروبا، يحدها من الشرق البحر الأبيض المتوسط، ومن الغرب المحيط الأطلسي[4]، وتفصلها عن فرنسا شمالا جبال البُرْتَات (Pirineos)، وهي

1- هذا الربع المسكون من الأرض قسمه العلماء إلى سبعة أقاليم، كلّ إقليم منها مار من المغرب إلى المشرق على خط الاستواء، وليست هذه الأقاليم بخطوط طبيعية لكنها خطوط وهمية محددة بالعلم النجومي. الإدريسي أبوعبد الله الشريف، نزهة المشتاق واختراق الأفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002، ص9/بينما يرى أهل اللغة أنّ الإقليم سُمِّي إقليما لأنّه مقلوم من الأرض أي مقطوع، وقيل مأخوذ من قُلامة الظفر، لأنّه قطعة من الأرض، وأهل الحساب يَرَوْن أنَّ الدنيا سبعة أقاليم، وأمَّا في العرف فالإقليم ما يختص باسم ويتميز عن غيره، فيعتبرون مصر إقليما والشام إقليما واليمن إقليما والأندلس إقليما. الفيومي أحمد بن محمد بن علي المصباح الفيومي، المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، المكتبة العلمية، بيروت، د.ت، ج2، ص 515/ابن منظور محمد بن مكرم الأفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ت، ج12، ص490.

2- عبد الرحمن حميدة، أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم، دار الفكر، دمشق، ط1، 1995، ص 303.

3- حسين مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1986، ص93-94.

4- ابن عذاري المراكشي أبو عبد الله محمد، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج. س . كولان وليفي بروفنصال، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2009، ج2، ص1.

بمثابة حاجز طبيعي يفصل بين فرنسا وإسبانيا؛ فقد أشار البكري إلى أنَّ جبال البرت هي الحاجز بين بلاد الإسلام وبلاد جليقية[1]، والتي تتخللها ممرات ومضايق تصل بين البلدين، ممّا جعل إسبانيا في شبه عزلة عن أوروبا نتيجة هذه الجبال[2]، بينما لا يفصلها عن السواحل الشمالية للمغرب سوى بحر الزقاق، أو مضيق جبل طارق (Gibraltar)، وهو الاسم الذي غلب عليه منذ الفتح الإسلامي لها. ومن الإشارات المشرقية التي تدل على القرب الجغرافي، ما ورد عند ابن حوقل في قوله: "...وهي أكبر المدن التي يتعدى إليها الأندلسيون بمراكبهم، ويقصدونها بمتاجرهم، وينهضون منها إلى ما سواها"[3]. ممّا يعني أنَّ الأندلس أكثر قربا وانفتاحا على بلاد المغرب منها على فرنسا وبقية الدول الأوروبية.

اقترن اسمها بالجزيرة، لأنها أخذت "شكل مثلث يحيط بها البحر من ثلاث جهات؛ فجنوبها يُحيط به البحر الشامي الذي يعرف اليوم بالبحر الأبيض المتوسط، وجوفيُّها يحيط به البحر المُظلم (المحيط الأطلسي)، وشماليُّها يحيط به بحر الأنقليشيّين من الروم[4]؛ فتضيق من ناحية الشرق حتى يكون رأسها بين البحر الشامي والمحيط مسيرة خمسة أيام، وإلى رأسها العريض نحو من سبعة عشر يوما، وهذا الرأس هو في أقصى المغرب، في نهاية انتهاء المعمورة من الأرض محصور في البحر المظلم، ولا يعلم أحد ما خلف هذا البحر المظلم، ولا وقف بشر على خبر صحيح لصعوبة عبوره"[5].

"تقع سواحلها الشمالية والشمالية الغربية على المحيط الأطلسي عند محيط بسقاية (Viscaya)، الذي عليه تقع مدينة خيخون (Gijon)، تقع سواحلها الغربية على المحيط الأطلسي"[6]، والذي يعرف

1- البكري أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد، المسالك و الممالك، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003، مج2، ص384.

2- عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، د.ت، ص 43.

3- ابن حوقل النصيبي أبو القاسم ، كتاب صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1996، ص 78.

4- الحميري أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، نشر وتعليق ليفي بروفنصال، دار الجيل، بيروت، ط2، 1988، ص2.

5- الحميري، نفس المصدر، ص6.

6- عبد الرحمن علي الحجي، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة(92_897هـ/ 711_1492م)، دار القلم، دمشق، ط2، 2008، ص31.

عند المؤرخين ببحر الظُّلمات أو أُقيَانُس[1]، بينما تقع شواطئها الشرقية والجنوبية على البحر الأبيض المتوسط، والذي يُطلق عليه عدة تسميات: البحر الشامي أو البحر الرومي أو بحر تيران[2].

2- التضاريس: تتميَّز طوبوغرافية بلاد الأندلس عن غيرها من الأقطار بأنّها شديدة التّضَرُّسْ من حيث تواجد السلاسل الجبلية والمرتفعات العالية والأخاديد الضيقة، ومن أبرز السلاسل الجبلية التي احتفظت بها المصادر الجغرافية، وعرفت بأسمائها الأعجمية نذكر:

الجبال: تحتل السلاسل الجبلية أهمية كبرى في الطوبوغرافية الجغرافية لبلاد الأندلس؛ فقد أحصى أهل الجغرافيا أنّ بها سبعة وثمانين جبلا[3]، ومن أهم هذه السلاسل نذكر:

أ- **سلسلة جبال قرطبة (Sierra de Córdoba):** مبتدؤها في شرق الأندلس عند ساحل البحر الذي يتوسط الأرض ليمر ببلنسية وباجة وإقليم الجوف، ومنتهاه البحر الغربي الكبير أي المحيط الأطلسي[4].

ب- **سلسلة جبال البرتات (Sierra de Pirineos):** بدايته عند ساحل البحر الشرقي عند مدينة أربونة حيث أنّه يفصل بلاد الأندلس عن بقية الأقطار الأوروبية، ويشير حسين مؤنس إلى أنَّ هذا الجبل يسمى عند الفرنجة بجبل رنشفالة (Roncesvalles)، ويسير موازيا لبلد بشقاية (Viscaya) وبلد اشتريس، ومنتهاه عند البحر في جليقية في أقصى الشمال[5].

ج- **سلسلة جبال سييرا نيفادا (Sierra Nevada):** عرفت بجبال الثلج، لأنَّ الثلج يكسوها صيفا وشتاء[6]، تمتد هذه السلسلة من البحر المتوسط شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، وهي تطلُّ على مدينة غرناطة، وقد ذكر لنا الزهري مسميات بعض الجبال في هذه السلسلة بقوله: "وتتصل جبال مالقة

1- الحميري، المصدر السابق، ص1.

2- المقري التلمساني أحمد بن محمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط5، 2008، ج1، ص131.

3- مجهول، تاريخ الأندلس، تحقيق عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2007، ص45.

4- نفسه، ص46.

5- مؤنس، الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، ص64.

6- الزهري أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، كتاب الجعرافية، تحقيق محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، د. ت ص93.

بجبال العِنب، وهي جبال السَّكب إلى أنْ تختلط بالجبل المسمى شُلير"[1]، يبدو أنّ جبل شُلير أشهر جبال سييرا نيفادا؛ فقال المقري فيه: "جبل لا يفارقه الثلج صيفا وشتاء، فيه سائر النبات الهندي، لكن ليس فيه خصائصه"[2]؛ كما تنتمي لهذه السلسلة جبال أخرى وردت عند المؤرخين كقول الرازي: "ومن جبال الأندلس غير هذا جبل الثلج، ومبتدؤه عند البيرة، وينتهي عند البحر المتوسط عند الجزيرة الخضراء، والجبل الذي يسمونه بجبل رية (Malaga Sierra de)[3]. كما ورد اسم جبل آخر عند صاحب تاريخ الأندلس بجبل بشقير، بقوله: "ومبدؤه من ساحل المنكب من كورة البيرة، ومنتهاه آخر البحر القبلي ممّا يلي الخضراء"[4].

د- **جبل الشارات** (Sierra Morena): ذكر صاحب تاريخ الأندلس أنَّ مبدأه ممّا يلي طرطوشة، وينتهي عند مدينة أشبونة، وهو بذلك يعتبر حاجزا بين الثغر الغربي وبلاد جليقيية[5]، في حين يذكر الإدريسي أنَّ هذا الجبل يقع في الجهة الشمالية من طليطلة حيث قال: وهو "يأخذ من ظهر مدينة سالم إلى أن يأتي قرب مدينة قلمرية في آخر المغرب"[6]،ينفرد هذا الجبل بكثرة الأغنام والأبقار التي تتميز بالسمنة عن باقيها بالمناطق الأخرى حيث قال: "ولا يوجد شيء من أغنامه و أبقاره مهزولا، بل في نهاية السمن، ويضرب بها المثل في جميع أقطار الأندلس"[7]، حتى أنّ الزهري ينعتها بجبال الصوف لوفرة أغنامها[8].

1- الزهري، الجعرافية، ص93.

2- المقري، نفح الطيب، ج1، ص148.

3- حسين مؤنس، الجغرافية والجغرافيين، ص64.

4- مجهول، تاريخ الأندلس، ص 46.

5- المصدر نفسه، ص46.

6- الإدريسي أبو عبد الله بن محمد ، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس مقتبس من كتاب نزهة المشتاق، تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص276.

7- الإدريسي، نفس المصدر، ص 276.

8- الزهري، كتاب الجعرافية، ص 79.

هـ- **جبل تاج العروس**: يُعرف أيضا بجبل قرطبة أو جبل العروس، ويشير الزهري إلى أنّه الجبل الوحيد الذي عُرِف باسمه العربي بقوله: "وليس في الأندلس جبل يسمّى باسم عربيّ غير هذا الجبل"[1]، ومبدؤه عند صاحب الأندلس من ساحل البحر المتوسط القبلي بساحل بلنسية، ومنتهاه البحر المحيط الغربي بإزاء مدينة باجة ومدينة أكشونبة[2].

الهضاب: يمكن تمييز هضبة واحدة ببلاد الأندلس تعرف بهضبة الميستا (Meseta) التي تمتاز بالاتساع وكبر المساحة، وتمتد من مرتفعات كنتابريان من الشمال إلى جبال سيرا مورينا جنوبا[3]، وهي تشغل نصف مساحة شبه الجزيرة الإيبيرية بمتوسط ارتفاع يبلغ 1935 قدما، وهي أرض مكونة من صخور رسوبية صلبة تكونت بفعل التكوين الجيولوجي وعوامل التعرية أظهرتها على شكل هضاب[4]، تنحدر تدريجيا من الشرق إلى الغرب، ومن الشمال إلى الجنوب[5].وتنقسم إلى هضبة الميستا الشمالية وهضبة وسطى وهضبة جنوبية، تتميز هضبة الميسيتا بشكل عام بقلة الحشائش والنباتات لندرة الأمطار فيها خصوصا أنّ المؤثرات البحرية لا تؤثر فيها لأنّ المرتفعات الجبلية الأعلى منها تُحيط بها[6].

السهول: تنقسم سهول بلاد الأندلس إلى قسمين رئيسيين: سهول ساحلية وسهول داخلية:

أ_ **السهول الساحلية:** وهي أراض منبسطة منخفضة؛ منها الواقعة على الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، تتسم بالضيق حتى تكاد تنعدم لاقتراب هضبة الميسيتا صوب البحر في كثير من المواقع،

1- نفسه، ص87.

2- أكشونبة: مدينة بالأندلس يتصل عملها بعمل أشبونة، تقع غرب قرطبة، وهي مدينة كثيرة الخيرات برية وبحرية، مشهورة بالعنبر. ياقوت الحموي شهاب الدين أبو عبد الله الرومي، معجم الأندلس والمغرب من كتاب معجم البلدان، جمع وتحقيق محمد حقي، مطبعة عين أسردون، بني ملال، 2011م، ص39/مجهول، تاريخ الأندلس، ص44-46.

3- يسري الجوهري، جغرافية البحر المتوسط، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1984، ص82.

4- حسن سيد أحمد أبو العينين، جغرافية العالم الإقليمية، دار النهضة العربية، بيروت، 1967، ص51.

5- كولان، ج، س، الأندلس، ترجمة إبراهيم خورشيد وآخرون، دار الكتاب اللبناني ودار الكتاب المصري، بيروت والقاهرة، ط1، 1980، ص 62.

6- محمود حسين شبيب هياجنة، الوضع الزراعي في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط دولة المرابطين، رسالة ماجستير، كلية الآداب، الجامعة الأردنية، 1989، ص32.

تمتد من أربونة في الشمال إلى قرطاجنة في الجنوب[1]، ومن أهم هذه السهول سهل طركونة[2]، وسهل مرسية، وسهول بلنسية ومالقة[3]. ومنها السهول الساحلية الغربية التي تطل على ساحل المحيط الأطلسي، والتي تتسم بالاتساع مقارنة بالسهول الجنوبية، لبعدها عن السلاسل الجبلية عنها، باستثناء جبال الشارات التي تمتد إلى الجنوب الغربي ممّا يتسبب في تضييق بعض المناطق، ومن أشهر السهول الغربية التي تُشرف على المحيط الأطلسي: وسهل قُلُمْرية[4]، وسهل لشبونة الذي يتميز بوفرة خيراته ومحارثه ومزراعه[5]، وفي الأخير السهول الجنوبية التي تطل على ساحل البحر المتوسط والمحيط الأطلسي من الجهة الغربية، إنّها تمتد من مدينة قرطاجنة في الشرق إلى مدينة شنتمرية في الغرب[6]؛ أشهر سهولها سهل المرية، وسهل لبلة التي تبعد عن المحيط الأطلسي بستة أميال فقط[7].

ب_ السهول الداخلية: أشهرها سهل الأندلس الذي يشمل حوض الوادي الكبير، الذي بدوره يقع بين جبال سييرا نيفادا وجبال سييرا مورينا[8].

3- المناخ وموارد المناخ: قبل أنْ نتعرَّف على مناخ الأندلس، حَريٌّ بنا أنْ نَسْتذكِرَ ماهيته عند أهل الجغرافية؛ فالمناخ يُقصد به جميع الإحصائيات التي تعبر عن معدل حالة الجو لفترة زمنية، ليشمل الإشعاع الحراري وكمية التساقط ودرجة الحرارة، والرياح والرطوبة[9]. وإنْ كان هذا المصطلح غائبا في المصنفات الإسلامية؛ فهو حاضر في بعض عناصره بشكل متفاوت؛ فقد عبرَّ العرب عن حضوره

1- فاضل الأنصاري، الجغرافية الاجتماعية، جامعة دمشق، ط1، 1978،ص 34.

2- مجهول، تاريخ الأندلس، ص 131، 136.

3- الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص 47، 177/ العذري، ص 18.

4- قُلُمْرِيَّة: مدينة بالأندلس من بلاد بُرتُّقال(يعني البرتغال)، بينها وبين قورية أربعة أيام/ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص 164.

5- الحميري، نفس المصدر، ص 164 / مجهول، تاريخ الأندلس، ص 97.

6- محمود حسين شبيب هجيانة، الوضع الزراعي في الأندلس، المرجع السابق، ص 35.

7- الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، ص 265.

8- هجانبة، الوضع الزراعي في الأندلس، ص 35.

9- ابراهيم بن سليمان الأحيدب، المدخل إلى الطقس والمناخ الجغرافية المناخية، هجر للطباعة والنشر التوزيع والإعلان، الرياض، ط1، 2003، ص 14-18.

بمصطلح الأنواء؛ كما ارتبط أسلوب معيشتهم بالجو وتقلباته ممّا جعلهم يخصّونه بمؤلفات مبكّرة في هذا المجال[1]، وبما أنّ المناخ له علاقة وطيدة بتوزيع الثروة النباتية والحيوانية فإننا سنحاول أنْ نستجلي بعض عناصره على حسب ما توفر لنا من مادة.

اتفق الدارسون على إمكانية التعرف على مناخ المغرب الإسلامي رغم غياب المصادر المُباشرة التي تفسّر ذلك[2]، وبمَا أنَّ جنوب الأندلس يتشابه في بعض خصائصه الطبيعية مع بلدان سواحل شمال إفريقيا، بل يشتركان حتى في إنتاج نفس المحاصيل الزراعية كالحبوب والكروم والزيتون... إلخ، وعليه يُمكن أن نستعين بالقاعدة التي عَمل بها قولفان (Golvin) في دراسته لمناخ شمال إفريقيا في الفترة الزيرية حين قال: "إنّ المناخ في أي بلد لا يتغير تغييرا محسوسا في ألفية واحدة"[3].

تختصّ شبه الجزيرة الإيبيرية من حيث المناخ بالتنوع، وذلك نظرا لموقعها الجغرافي، وتأثرها بالمسطحات المائية التي تحيط بها من ثلاث جهات باستثناء الشمال الشرقي؛ حيث تحدها جبال البرانس الفاصلة بينها وبين فرنسا كما ذكرنا سلفا.

وإنْ كانت غالبية المصادر الوسيطية تجنح إلى تعميم مناخ واحد على بلاد الأندلس ألا وهو المناخ الشامي أي المتوسطي؛ فقد قال المقري ناقلا عن أبي عامر السالمي[4] في كتابه المسمى "درر القلائد وغرر

1- من أهم المؤلفات التي تحدثت عن شرح بعض الظواهر البيئية والمناخية كعلاقة السحب بالأمطار، والاستدلال بالبرق والحمرة على نزول الغيث، وأثر الهواء في الكائنات الحية كالإنسان والحيوان والنبات. الدينوري أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قُتيبة، الأنواء في مواسم العرب، دار الشؤون الدينية الثقافية العامة ووزارة الثقافة والإعلام العراقية، بغداد، 1988/المسعودي الحسن بن علي بن عبد الله العذلي، التنبيه والإشراف، مكتبة الشرق الإسلامية، القاهرة، 1938.

2- يمكن مراجعة الدراسات التي تناولت مناخ العدوة المغربية نذكر منها: محمد بن عميرة، الموارد المائية وطرق استغلالها ببلاد المغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة الموحدين، رسالة دكتوراه مرقونة، جامعة الجزائر، 2004- 2005، ص90- 100/موسى الهواري، تقنيات الزراعة ببلاد المغرب الإسلامي إلى سقوط دولة الموحدين (من القرن 1- 7هـ/7- 13م)، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، جامعة الجزائر2، 2015- 2016، صص135- 147.

3- Lucien Golvin, le Magreb central a l'époque des Zirides, Arts et Métiers Graphiques, Paris, 1957, p 77.

4- أبو عامر السالمي (ت 559هـ): هو محمد بن أحمد بن عامر البلوي ، قطن مدينة مُرسية، عُرف بالسالمي لانَّ أصله من مدينة سالم ويكنى أبا عمر، كان من اهل الأدب و التاريخ، اشتهر بكتابه " درر القلائد وغرر الفوائد" في اخبار الأندلس وأمرائها و طبقات علمائها وشعرائها وقف منه ابن عبد الملك على السفرين الأول و الثاني منه، وله مُؤَلِّف حسن في اللغة و الآخر في الطب سماه الشفاء، و كتاب

الفوائد": "الأندلس من الإقليم الشامي، وهو خير الأقاليم، وأعدلها هواء وترابا، وأعذبها ماء، وأطيبها هواء وحيواناً ونباتاً، وهو أوسط الأقاليم، وخير الأمور أوسطها"[1].

إنَّ تشبيه الأندلس بمناخ الشام أمرٌ مبالغ فيه؛ فقد أعوزه أحد الباحثين إلى الحنين العاطفي لبلاد الشام الموطن الأصلي للكثير من القبائل العربية[2]؛ فلا يشبه مناخ الشام إلاَّ المنطقة الجنوبية الشرقية فقط؛ حيث يسود مناخ البحر المتوسط الذي يميل إلى الجفاف في فصل الصيف، والاعتدال والأمطار في فصل الشتاء[3]، ولمناخ البحر الأبيض المتوسط أثر واضح في تمركز السكان في المنطقة الجنوبية مقارنة مع باقي مناطق بلاد الأندلس ممّا لاقى استحسان المؤرخين له، نظرا لبعده عن هضبة الميسيتا الكبرى، وتأثّره بالرياح القادمة من المحيط الأطلسي والبحر المتوسط[4].

لقد تفطن الرازي إلى التغير المناخي لبلاده، وقدمّ لنا وصفا لبلاد الأندلس يتسم بالدقة الجغرافية لمَّا قسم بلاد الأندلس إلى إقليمين مناخيين متباينين بقوله: "والأندلس أندلسيان في اختلاف هبوب رياحها ومواقع أمطارها وجريان أنهارها: أندلس غربي، وأندلس شرقي"[5]، وينقل لنا المقري تفاصيل تباين هذين الإقليمين عن أحد الجغرافيين بقوله: "ومتى استحكمت الريح الغربية كثُر مطر الأندلس الغربي وقحط الأندلس الشرقي، ومتى استحكمت الريح الشرقية مُطِر الأندلس الشرقي وقَحِط الغربي"[6]؛ حيث أنّ القسم الغربي للأندلس هو الذي تصب أوديته في البحر المحيط (الأطلسي) مثل نهر

التشبيهات./ ابن الآبار القضاعي، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبد السلام هراس، دار الفكر ، بيروت، ج2، ص 26-27/ المقري، نفح الطيب، ج1، ص 126.

1- المقري، نفس المصدر، ج1، ص 126./ مجهول، تاريخ الأندلس، ص 42.

2- حسن محمد قرني، المجتمع الريفي في الأندلس في عصر بني أمية (138-422 هـ / 756-1031م)، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2012، ص 43.

3- حسن عبد العزيز أحمد، جغرافية أوروبا دراسة موضوعية، دار المرية، الرياض، ، ص 55.

4- محمد عبده حتاملة، إيبريا قبل مجيء العرب المسلمين، وزارة الثقافة، ط2، 1996، ص 62.

5- المقري، نفح الطيب، ج1، ص 131.

6- المقري، نفس المصدر، ج1، ص 132.

تاجُة (Tago) ونهر دويرُه (Duero) ونهر وادي آنه (Guadiana)[1]، بينما القسم الشرقي هو الذي تصب أنهاره في البحر المتوسط[2]، مثل نهر قرطبة الذي يعرف بنهر بيطي (Baetis) ونهر إبرُو(Ebre) ونهر مُرسية[3]؛ لقد كان لهذه الأنهار دور كبير في سقي آلاف الهكتارات من الأراضي الزراعية بواسطة قنوات الري، وسقي البساتين الواقعة على ضفاف الأنهار.

استطاع الرازي أنْ يميز بين نوعين من المناخ: أحدهما رطب والآخر معتدل، أمّا بقية مناطق الأندلس التي تقع ضمن الهضبة الكبرى (Meseta) فيسود بها المناخ القاري الذي يتميز بشدة هبوب الرياح الجافة والأمطار القليلة، وشدة الحرارة نهارًا وصيفا، وانخفاضها ليلا وشتاء مع هواء حار في فصل الصيف[4]، بسبب بعده عن المدّ البحري نظرا لسلسلة الجبال المحيطة بوسط الهضبة؛ وغالبا ما تتعرّض الأندلس كغيرها من بلدان جنوب أوروبا إلى الرياح الجافة أو ريح السّموم التي تعرف بالسيروكو- وهي كلمة من أصل إغريقي وتعني الجاف- التي تهب بين الفينة والأخرى خصوصا في فترة الصيف، وتأثيرها يتسبّب في وهن الكائنات الحيّة، ويُبْس النباتات، ويُخشى منها بالخصوص على أشجار الكروم[5].

إنّ الموقع الجغرافي لشبه جزيرة الأندلس بين المحيط الأطلسي والبحر الأبيض المتوسط ترك أثرا كبيرا على نوعية الأمطار التي تسقط بهذه البلاد؛ وقد ميّزت الدراسات الحديثة بين نوعين من الأمطار التي تسقط ببلاد الأندلس.

1- الأمطار الإعصارية: وهي التي تتكون بمرور الأعاصير التي تدفعها الرياح الغربية القادمة من البحر، وتزيد حدةّ تلك الأعاصير في فصل الشتاء، وبخاصة في مناطق المنخفضات الجوية حيث تلتقي جبهات

1- مجهول، تاريخ الأندلس، ص48/ ابن سعيد المغربي أبو الحسن علي بن موسى ، الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1970، ص166.

2- المقري، نفس المصدر، ج1، ص132.

3- مجهول، تاريخ الأندلس، ص48/ أبو الحسن علي بن موسى ابن سعيد المغربي ، الجغرافيا، ص 46.

4- حتاملة محمد عبده، المرجع السابق، ص62.

5- اصطفان كزيل، تاريخ شمال إفريقيا القديم، ترجمة محمد التازي سعود،مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 2007، ج1، ص59.

هوائية باردة بأخرى دافئة، مثل ما هو الحال في حوض البحر المتوسط من شبه جزيرة الأندلس الواقع على المحيط الأطلسي[1].

2- **الأمطار التضارسية**: تحدث عندما تعترض الجبال هبوب الرياح المحملة بالرطوبة، فيرتفع الهواء إلى أعلى؛ فيبرد ويتكاثف، ويسقط على شكل أمطار غزيرة، وتوزعت هذه الأمطار على حسب الأقاليم المناخية التي تنتمي إليها أراضي الأندلس[2].

لقد ناقش وتتبع حسين مؤنس أقوال الرازي في نظرية الدراسات الحديثة الإسبانية لما ذهب بالقول: "إنَّ حقيقة انقسام إسبانيا إلى إسبانيتين: إسبانيا متوسطية (la Espana Mediterranea) وإسبانيا أطلسية (la Espana Atlantica) في دراسة رامون مندذ، لينتهي بالقول عن مكانة الرازي أنَّ ملاحظته تدل على صدق تصوره الجغرافي، وعلى فهمه العميق لطبيعة البلد الذي انتهى إليه، وعاش فيه وتصدى للكتابة في جغرافته[3]، ومن هنا جعل الدارسون المُحْدَثون[4] يقسمونها إلى ثلاثة أقاليم مناخية: مناخ غرب أوروبا الذي يسود المناطق الشمالية والشمالية الغربية المتميز بغزارة أمطاره على مدار السنة، ومناخ شبه قاري في منطقة الوسط يسود هضبة الميسيتا المتميزة بقلة حشائشها ونباتاتها غير أنّها ملائمة للرعي، ومناخ البحر الأبيض المتوسط الذي يسود في منطقة الجنوب والشرق المتميز باعتداله، وهو ممطر في فصل الشتاء وحار جاف صيفا.

1- علي موسى ومحمد الحمادي، جغرافية القارات، دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت، 2001، ص31/محمود حسين شبيب هياجنة، الوضع الزراعي، المرجع السابق، ص43.

2- الحمادي، جغرافية القارات، المرجع السابق، ص43.

3- مؤنس، الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، ص61.

4- ليفي بروفنصال، الحضارة العربية في إسبانيا، ترجمة الطاهر مكي، دار المعارف، القاهرة، ص15/عبادة كحيلة، الخصوصية الأندلسية وأصولها الجغرافية،عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الجيزة، ط1، 1995، ص36/ قرني، المجتمع الريفي، ص43/ حتاملة، نفس المرجع، ص62.

4- دور التربة في تصنيف المحاصيل الزراعية: اتفق الدارسون على أنّ خصوبة التربة[1] هي المسؤول الأول عن الإمكانيات الزراعية في إقليم معين؛ فهي المقوم الأساسي والفعّال في الإنتاج الزراعي؛ حيث خصصت المؤلفات الفلاحية أبوابا في معرفة أنواع الأرض، حيث يقول ابن العوّام الإشبيلي: "إنَّ أَوَّلُ مَراتب عِلْم الفلاحة هو معرفة الأرض وَمَيْزُها، وعِلْمُ جَيّدها مِنْ دَنّيِهَا، ومَنْ لا يَعلَمُ ذلك فقد أضاع الأصْل، واستحق في هذه الصناعة اسم الجهل"[2]، ممّا يعني أنّ العلم بخصائص التربة من أوليات العمل الزراعي.

ما يمُيز موضوع التربة في مصنفات الفلاحة الخاصة بالمغرب الإسلامي أنّها تناولته بكلّ علمية، وجنحت نحو العقل والأدلة والتجربة؛ كما اهتمت بتسجيل أهم الآفات التي أصابتها وطرق تحسينها[3]؛ فقد تعددت المناهج العلمية في معرفة خواص التربة؛ فابن بصال اعتمد على الطبائع الأربعة المستخلصة من تأثيرات التقلبات المناخية، وهي: الليونة والرطوبة واليبوسة والحروشة[4]، في حين ذهب ابن حجاج الإشبيلي وأبو الخير في معرفة خواص التربة على وظيفة الحواس المتمثلة في الذوق والشم واللمس[5]، كما اعتمد أبو الخير الإشبيلي على أدلة حيّة يتم كشفها من خلال نوعية وكثافة ما ينمو فوق سطح التربة من نباتات؛ فالأرض الجيدة هي التي تنمو فيها أشجار برية لم يغرسها أحد[6].

1- التربة في الإصطلاح العلمي: هي الطبقة العليا السطحية المفككة من القشرة الأرضية التي تمتزج معها الكائنات الحية ونواتج المواد المحللّة التي توجد على عمق يترواح بين نصف متر إلى متر واحد؛ فهي المحصلة النهائية لتفاعل عوامل مختلفة من المناخ والغطاء النباتي والتضاريس والمادة الصلبة الأصلية للصخور والفترة الزمنية التي تكونت خلالها. علي حسين الشلش، جغرافية التربة، مطبعة جامعة البصرة، البصرة، ط2، 1985، ص13/كاظم شنته سعد، جغرافية التربة، نشر جامعة ميسان، العراق، 2016، ص9.

2- ابن العوام الإشبيلي أبو زكرياء يحي بن محمد بن أحمد ، كتاب الفلاحة الأندلسية، تحقيق أنور أبو سويلم وآخرون، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، عمان، ط1، 2012، ج1، ص321.

3- موسى الهوراي، تقنيات الزراعة بالمغرب الإسلامي، المرجع السابق ص24.

4- ابن بصال الطليطلي أبو عبد الله محمد بن إبراهيم ، الفلاحة، تحقيق: خوسي ماريا بيروسكا ومحمد غريمان، معهد مولاي حسن، تطوان، 1955، ص42-44.

5- ابن حجاج الإشبيلي أبو عمر بن محمد، المقنع في الفلاحة، تحقيق صلاح جرار وجاسر أبو صفية، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، عمان، 1983، ص8/أبو الخير الإشبيلي، الفلاحة، نشر العلامة التهامي الناصري الجعفري، المطبعة الجديدة، فاس، ط1، 1939م، ص4.

6- نفسه، ص4.

ويمكن حصر أنواع التربة في عشرة أنواع من خلال كتب الفلاحة وهي: اللينة والغليظة والحمراء والسوداء والبيضاء والحرشاء والجبلية والرملية والصفراء والمكَدِنة الحمراء[1]، ولكلّ نوع من هذه الترب نبات يجود فيها دون غيره؛ فالتربة اللينة يُطبعها البرودة والرطوبة، ولهذا تصلح فيها جميع أنواع الثمار والنبات لاعتدال الرطوبة البرودة فيها[2]، بالمقابل تحتاج التربة الغليظة إلى العمل الكثير حتى ترقّ حبيباتها، ويغلب عليها الحرارة والرطوبة، ولهذا فهي لا تحتاج إلى الزبل الكثير[3]. كما أنّ أشجار الكروم والتين والتفاح والإجاص والتوت والخوخ والورد تجود في التربة الحمراء؛ فهي متوسطة من حيث الجودة لأنها تحتاج إلى خدمة أكثر من حيث تقليب أعلاها أسفلها وأسفلها أعلاها حتى يرق ترابها، وماء قليل لرطوبتها وتكتفي بالزبل القليل[4]؛ في حين أنّ التربة السوداء اللطيفة الأجزاء السريعة التفتت يُنجب فيها كل أصناف الحبوب؛ فهي أجود أنواع التربة لأنها تتحمل الماء والحر[5]، ويبدو أنّ لونها الأسود اكتسبته من وفرة المواد العضوية فيها، أما إذا احترق سطحها أصبحت مدمنة سوداء؛ فيتغير طبعها إلى الحرارة واليبوسة والمملوحة، ولهذا تحتاج إلى الماء الكثير ليغسل ملوحتها التي تضر بالنبات؛ فيُنجِب فيها الفول والخردل والحرف (يقصد به حبّ الرشاد) والكزبر وجميع أنواع الخضر[6].

أمّا التربة البيضاء فهي التي تحتاج إلى سماد كثير وكثرة الخدمة غير أنّها لا تتحمل الماء الكثير لبرودتها، ومن أهم المزروعات التي توافقها الثوم والزيتون وشجر اللوز وخاصة التين[7]. في حين أن كلّ من التربة الجبلية والحرشاء يتوافقان في الطبع من حيث البرودة واليبوسة؛ فتجود فيهما كل أشجار

1- ابن بصال، الفلاحة، صص41- 48.

2- ابن بصال، نفسه، ص41/مجموعة من المؤلفين، الفلاحة والتقنيات الفلاحية بالعالم الإسلامي في العصر الوسيط، مؤسسة الملك عبد العزيز، منشورات عكاظ، الدار البيضاء، 2011، ص234.

3- ابن العوام الإشبيلي ، كتاب الفلاحة الأندلسية،ج3، ص225/ ابن بصال، الفلاحة، ص42.

4- الطغنري محمد بن مالك، زهرة البستان ونزهة الأذهان، تحقيق إكسبيراثيون غارثيا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد، 2006، ص63/ابن بصال، المصدر نفسه، ص47.

5- الطُغنري، زهرة البستان، ص62/أبو الخير الإشبيلي، الفلاحة، ص4.

6- ابن بصال، الفلاحة، ص 44- 45/ مجموعة من المؤلفين، الفلاحة والتقنيات الفلاحية، المرجع السابق، ص 235

7- ابن بصال، نفس المصدر، ص 46.

اللوز والفستق والبلوط والقسطل والصنوبر[1]، وهذه الأشجار من ذوات الأدهان التي لا تُغرس بالقرب من المياه ولا في الأراضي الرطبة لكي لا يفرّ الدهن منها إلى الماء[2].

أمّا التربة الرملية فتغلب عليها الحرارة مع البرودة، وتحتاج إلى الزبل الكثير، أما الماء فلا تتحمله، و يجود فيها الرمان والتوت والسفرجل والخوخ والبرقوق والورد[3]، والتربة الصفراء هي شر التِربْ لأنها ضعيفة معتلة تفتقد لكل العناصر العضوية، ولا تصلح إلاّ بالعناية والتزبيل الكثير[4]، أما التربة المكدنة من فعل كدِن أي صلب، التي يميل لونها إلى الأحمر؛ فطبعها البرودة واليبوسة، وتجود فيها كل أنواع الثمار والنبات إذا تعوهِدت بالخدمة والتزبيل المعتدل والحراثة التي درج علماء الفلاحة على تسميتها بالعِمارة[5].

يتجنب أهل الفلاحة نوعا آخر من التربة، ألا وهي التربة المالحة؛ فهي لا تصلح بتاتا لحبوب الحنطة والفواكه، وتُعرف عند أهل بادية الأندلس بشؤم الأرض[6]، لاحتوائها على نسبة عالية من الأملاح سهلة الذوبان؛ فتؤثر تأثيرا سُمّيا ومُهلكا للمحاصيل الزراعية. إلاّ أنّه يمكن أنْ نميّز بعض المحاصيل التي تنمو بها نظرا لمقاومتها للملوحة مثل الكرنب وأشجار النخيل[7].

من خلال عرض ما سبق يبدو أنَّ تصنيف التربة اعتمد على حجم الحبيبات المكونة للتربة، ومدى احتفاظها بالماء والهواء، ولونها الذي يُحدد مقدار المواد العضوية التي تكتسبها.

1- ابن بصال، نفسه، ص 42، 43، 47، 48.

2- سيف الإسلام السّمان، الأوضاع البيئة في الأندلس (المظاهر العمرانية والبيئية الاقتصادية منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية عصر دويلات الطوائف(92هـ_ 484هـ/ 711- 1091م)، مؤسسة شباب الجامعة، 2018. ج1.ص 259.

3- ابن بصال، الفلاحة، ص 43- 44.

4- بن بصال، نفس المصدر، ص 46.

5- ابن بصال، نفسه، ص 48/ مجموعة من المؤلفين، الفلاحة والتقنيات الفلاحية، المرجع السابق، ص 236./ ابن العوام، الفلاحة الأندلسية، ج3، ص 224.

6-الطغنري، زهرة البستان، ص 69./ابن العوام، الفلاحة الأندلسية، ج3، ص 225.

7- ابن حجاج، المقنع في الفلاحة، ص59- 61/الطُغنري، زهرة البستان، ص69.

ثانيا: الثروة النباتية ومناطق توزيعها: تعددت تعاريف الغطاء النباتي؛ فهناك من يرى أنّه مكان يكتسي منظرا أخضرا متسعا شبيها بالبساط، يُطلق عليه اسم المروج الخضراء[1]، أمَّا التعريف الأرجح للغطاء النباتي فهو: "المناطق التي يكون القسم الأكبر منها مُغطى أو مغروسا بالعناصر النباتية المختلفة من أشجار وشجيرات ومُتسلقات وأعشاب وحشائش"[2]؛ وقبل أن نلج في الخبايا النفعية لهذا الغطاء النباتي سنحاول التعرّف على أهم مناطق توزيع هذه الثروة النباتية ببلاد الأندلس.

1_ حبوب الحنطة والقطاني:

القمح: يوجد القمح في معظم الأراض الكنبانية (campania)، التي يقصد بها الأندلسيون الحقل أو المحرث مثل كنبانية قرطبة وإقليم المدّور التابع لقرطبة، وكنبانية غرناطة ومدينة جيان ومدينة مرسية وبسطة[3] وبياسة[4] وشنترين[5] وإشبيلية[6].

الشعير: ينمو الشعير في معظم أراضي الأندلس، يوجد بسهل القنبانية وبمنحدرات الجبال، وبالعديد من الأقاليم التابعة لحاضرة قرطبة كإقليم المدور وإقليم الصدف وإقليم بني مسرّة[7]، كما يوجد

1- طاهر نجم رسول، هندسة الحدائق، مطبعة جامعة الموصل، بغداد، 1988، ص97.

2- قاسم مهاوي خلاوي، تخطيط المناطق الخضراء داخل المدينة، أطروحة ماجستير، مركز التخطيط الحضري والإقليمي، جامعة بغداد، 1985، ص 10.

3- بسطه: من أعمال جيان، مشهورة بالمصليات البسطية. ياقوت الحموي، معجم الأندلس والمغرب من كتاب معجم البلدان، جمع وتحقيق محمد حقي، مطبعة عين أسردون، بني ملال، 2011، ص52.

4- بيّاسة: مدينة كبيرة بالأندلس معدودة في جيّان، دخلها الروم سنة 542هـ، وأُخرجوا منها سنة 552هـ، ومن أهم أعلامها الشاعر أبو الطاهر أبا العباس أحمد بن يوسف بن تمام اليعمري البياسي. ياقوت الحموي، معجم الأندلس والمغرب، ص60.

5-شنترين: مدينة حصينة ملكها الإفرنج سنة 543هـ، تبعد عن قرطبة بـ15 يوما، متصلة الأعمال بأعمال باجه في غربي الأندلس ثم غربي قرطبة، وعلى نهر تاجه قريب من انصبابه في البحر المحيط. يا قوت الحموي، نفس المصدر، ص91.

6- المقري، نفح الطيب، ج1، ص 154، وللتوضيح أكثر عن مصطلح الكنبانية ينظر نفسه، الهامش 2، ص154/الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، ص295-296/مجهول، تاريخ الأندلس، ص136/أبو الخير الإشبيلي، عمدة الطبيب في معرفة النبات، تحقيق محمد العربي الخطابي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1995، ج1، ص186.

7- يوسف نكادي، الزراعة في الأندلس، منشورات مركز دراسات الأندلس وحوار الحضارات، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، ط2، 2009، ص121.

بمدينتي مرسية وغرناطة[1]، ومن مزايا مدينة شنترة[2] أنَّ القمح والشعير يُزرعان فيها ويُحصدان عند مُضي أربعين يوما من زراعته[3]، كما عرفت مدينة جيان بجودة غلاتها من الشعير، يوجد أيضا ببسطة وبياسة[4]، لم تقتصر أهميته في المنحى الغذائي فقط، وإنما دخل أيضا في صنع الكثير من الأدوية والعقاقير الطبية، كما أنّه علف جيد للدواب والخيول[5]، حيث كان يزدرع لدواب السلطان وخيله في عهد المنصور بن أبي عامر خمسمائة مُدْي من الشعير[6].

الذرة: ويسمى الجاروس أيضا، وهي تصلح علفا للدجاج، وفي ذلك يقول ابن حجاج: "وأفضل علفهن الجاروس الذي يكثر عنه بيضهن وسمنهن"[7]، والذرة من أنواع الحبوب التي تحتاج إلى مياه وفيرة، وينمو بكثرة في الأراضي التي يزرع فيها القمح والأراضي السهلية والمنبسطة كسهل غرناطة وقرطبة وإشبيلية وجيان وبسطة[8].

الدُّخن: هو على أنواع كثيرة، منها ما لونه أبيض مجتمع السنبلة، ويعرف هذا النوع باسم الدخن الغرنوقي لطول سنبلته وعنقه الطويل، والآخر عنقه قصير وسنبلته قصيرة مفترقة، وحبّه دقيق أصفر مائل إلى الحمرة يُعرف عند المزارعين بالاشبرطال، ويتواجد بمعظم أراضي الأندلس، ولا سيما إشبيلية[9].

1- مجهول، تاريخ الأندلس، ص136 ابن الخطيب الغرناطي / أبو عبد الله محمد بن عبد الله السلماني ، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003، ج1، ص22.

2- **شنتره**: مدينة من أعمال لشبونة، استولى عليها النصارى سنة 543هـ. ياقوت الحموي، نفس المصدر، ص91.

3- المقري، نفح الطيب، ج1، ص164.

4- الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، ص295-296.

5- نهاد عباس زنيل، الإنجازات العلمية للأطباء في الأندلس وأثرها على التطور الحضاري في أوروبا- القرون الوسطى 92-897هـ/ 711-1492)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2013، ص354.

6- ابن الخطيب، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام، تحقيق ليفي بروفنصال، دار المكشوف، بيروت، ط2، 1956، ص102.

7- ابن حجاج، المقنع في الفلاحة، ص77.

8- ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص38/مجهول، خمس صفحات خطية للنباتات الأندلسية، تحقيق صالح مهدي عباس، مجلة المورد، إصدار وزارة الثقافة ودار الشؤون الثقافية العامة، مج 35، ع 1، 2008، ص 154.

9- أبو الخير الإشبيلي، عمدة الطبيب في معرفة النبات، ج1، ص227.

الأُرز: يعرف باليونانية باسم "أوريزا" أو الحنطة الحبشية أو الروز[1]، ويُدرج أبو الخير الإشبيلي الأُرز ضمن حبوب الحنطة، ورقه بين الخُضرة والصُّفرة، ينمو على نحو ذراع، له سنابل مُتدلية كسنابل الدخن، وحبُّه في غُلف مُفرطحة مُدوّرة الطرفين، عَسر التقميح، لا يتقمَّح إلاّ بالدَّق العنيف[2]، يختصّ بمنطقة مُرسية وبلنسية، ويقول ابن رزين في ذلك، وقلّ ما يكون هذا الجشيش (يقصد جشيش الأرز) إلاًّ بمرسية بلدي أو بلنسية أعادها الله لاختصاصها بازدراع الأرز وكثرة نمائه بهما دون سائر بلاد الأندلس[3].

الحمص: من الحبوب التي تكثر زراعتها بالأندلس، ولا سيّما أنّه ينبت في الأراضي المالحة[4] كسرقسطة التي يبقى فيها سليما من التسوّس أكثر من عشرين سنة[5].

الترمس: من البقوليات، يوجد على عدة أنواع: بستاني وبرّي، واشتهرت الأندلس بالنوع البستاني؛ فهو الأكثر استعمالا عندهم، يأتي على شكل حبّ مُفرطح الشكل كالباقلاء ذو زهر أبيض أو يكون زهره مائل إلى الحُمرة[6]، والفائدة المرجوة منه في المجال الفلاحي أنّ الأرض التي يُزرع فيها مفيدة جدا للحنطة[7]، ولهذا يوجد في معظم الأراضي التي وجدت فيها الحنطة، كما يختص بكثرة في إشبيلية، نواحي شِلب، وادي آش[8]، شريش[9]، أَسْطبُونَة[1] والجزيرة الخضراء[2].

1- ابن ليون التجيبي، اختصارات من كتاب الفلاحة، تحقيق أحمد الطاهري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2001، ص114.

2- أبو الخير الإشبيلي، عمدة الطبيب، ج1، ص187.

3- ابن رزين التجيبي أبو الحسن علي بن محمد، فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان، تحقيق محمد بن شقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط3، 2012، ص62.

4- ابن حجاج، المقنع في الفلاحة، ص14.

5- الزهري، كتاب الجغرافية، ص82/مجهول، تاريخ الأندلس، ص129.

6- مجهول، خمس صفحات خطية للنباتات الأندلسية، ص152.

7- ابن حجاج، المقنع في الفلاحة، ص 15.

8- **مدينة آش**: من كورة إلبيرة وتُعرف بوادي آش، تنحدر إليها الأنهار من جبال الثلج، بينها وبين غرناطة أربعون ميلا. ياقوت الحموي، نفس المصدر، ص36.

9- **شريش**: مدينة كبيرة من كورة شذونة، وهي قاعدة هذه الكورة، وتغيّر اسمها إلى شرش. نفسه، ص85.

الفول: يجود بمنطقة سرقسطة[3].

الجلبان: أدرج الأندلسيون الجلبان ضمن أنواع القطنية، أصنافه كثيرة، منها ما يُزرع وما لا يُزرع، هو على أربعة أنواع: منه ما حبّه مدحرج أخضر، يوجد نوع أخضر مائل إلى الزُرقة، وهو المعروف عند أهل الأندلس، يكثر تواجده برُندة[4]، قَيْسارة[5]، قرطبة، وادي آش والمرية[6].

الخضر: زرع الفلاحون في الأندلس ما يحتاجه الأهالي في غذائهم اليومي من الخضروات التي تناسب مناخهم وأراضيهم الزراعية، تُصنّف ضمن محاصيل حوض البحر المتوسط لتأقلمها مع الصيف الحار والشتاء البارد والمعتدل معا، لكن هذا لم يمنع من تسجيل محاصيل أخرى تستجيب لمناخات أخرى، مع تطويعها لمناخ حوض البحر المتوسط عن طريق الريّ الصناعي[7]، وما يُميز بساتين الأندلس توفرها على أصناف مختلفة من الخضر؛ "فهم أحكم الناس في أسباب الفلاحة"[8]، كالخيار واللفت (أو السلجم) والجزر والباذنجان واللوبيا والقنبيط والكرنب (يسمى بقلة الأنصار)[9]، والفول والفِجل

1- **أُسطبونة:** مدينة من أعمال مالقة على ساحل المتوسط، على مسافة 41 ميلا من مالقة إلى الجنوب الغربي. ابن زمرك محمد بن يوسف الصريحي الأندلسي الغرناطي (ت 793هـ/1392م)، ديوان ابن زمرك الأندلسي، تحقيق محمد توفيق النّيفر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997، ص105.

2- أبو الخير الإشبيلي، عمدة الطبيب، ج1، ص115/مجهول، خمس صفحات طبية في النباتات الأندلسية، ص152.

3- المقري، نفح الطيب، ج1، ص197/مجهول، تاريخ الأندلس، ص129.

4- **رُندة:** معقل حصين بالأندلس من أعمال تاكرنا، وهي مدينة قديمة على نهر جار، وبها زرع واسع وضرع سابغ. ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ص75.

5- **قيسارة:** لم أهتد إليها.

6- مجهول، خمس صفحات خطية في النباتات الأندلسية، ص 154.

7- كارمن تريلوسان خوسيه، الزراعة والطعام في القرن الرابع عشر، ترجمة إسحاق عبيد، ملتقى ابن خلدون، البحر المتوسط في القرن الرابع عشر وقيام وسقوط الإمبراطوريات معرض بالقصر الملكي في إشبيلية، 2006، ص300.

8- محمد بن أيوب ابن غالب الأندلسي ، قطعة من كتاب فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس، تحقيق لطفي عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، القاهرة، مج1، ج1، 1955، ص282.

9- ابن ميمون الإسرائيلي القرطبي أبو عمران موسى بن عبيد الله، شرح أسماء العقار، تحقيق ما كس ما يرهوف، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، 2010، ص22.

والبصل بأنواعه: شنقيل أو بصل الفأر، وبصل المِديلْكَة، والثوم بأنواعه البري والبستاني، وسائر البقول كالجرجير والبسباس وبرزقطونا[1].

وتوفر لنا التقاويم الفلاحية الأندلسية[2] مواعيد زرعها وجنيها، وكيفية العناية بها. أما عن أهم مناطق انتشارها فلا يمكن حصرها بمنطقة معينة لتواجدها في معظم أرجاء الأندلس على درجات ومستويات مختلفة يتحكم المناخ والماء والتربة في نموها؛ غير أنّه يمكن ضبط بعضها على حسب ما توفر لنا من المادة الخبرية، وأوضحنا مناطق انتشارها في الشكل الموضح في الخريطة رقم 1.

1- مجهول، خمس صفحات خطية، ص152.

2- نقصد بذلك تقويم قرطبة لعريب بن سعد أو أوقات الغراسة والمغروسات لمؤلف مجهول، كما يمكن الإستعانة بالدراسة القيمة التي قام بها الباحث يحي أبو المعاصي محمد عباسي، الملكيات الزراعية في المغرب والأندلس(238-488هـ/852-1095م)، كلية دار العلوم، قسم التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، القاهرة، 2001، ص452.



التوزيع الجغرافي لحبوب الحنطة و القطاني و الخضر في بلاد الأندلس
خليج بسكاية
مملكة الفرنجة
مملكة ليون
مملكة نبرة
كونتية قشتالة
كونتية البرتغال
كونتية قطلونية
شمال
بحر الظلمات
بحر الروم
مضيق جبل طارق
جبل طارق
مالقة
قرطبة
بلنسية
طرطوشة
جزيرة ميورقة
جزيرة منورقة
جزيرة يابسة
جزيرة فرمنتيرة
مفتاح الخريطة
الأرز
الذرة
الدخن
الشعير
القمح
الحمص
الفول
الجلبان
الترمس
القرع
القثاء
اللفت
الجزر
الخيار
الباذنجان
الكرنب
البصل
الترمس
بلاد الأندلس
البلدان المجاورة
مقياس الرسم 1:500000

2_ الفواكه: أنواع الفواكه بالأندلس كثيرة مُستطابة لذيذة، مختلفة الطعم والألوان، منها العنب التين، الرمان، السفرجل، التفاح، الخوخ،الكمثرى،المشمش ،القراصيا،التوت ،الجوز ،اللوز ،الأترج، البرتقال ،الليمون ،النارنج، البطيخ الأصفر والأخضر... إلخ، كما نوّه المقري بخيرات الأندلس من خلال تعبير بليغ يحتاج إلى الكثير من التأمل حيث قال: "إنَّ النصارى حُرِموا جنّة الآخرة فأعطاهم الله جنّة الدنيا، بُستانا متصلا من البحر المحيط بالأندلس إلى خليج القسطنطنية"[1]. سنتعرف فيما يلي على أشهر الفواكه ومناطق انتشارها ببلاد الأندلس:

التفاح: عُرف التفاح منذ القدم بانتمائه إلى الفصيلة الوردية[2]، ويتواجد بجميع مناطق الأندلس لكونه يتحمل المناطق المعتدلة البادرة والتربة السوداء[3]؛ عرفت الأندلس أنواعا كثيرة من التفاح منها: الحلو والحامض والتَفِه والمُزِّ، ومن أسمائه القُليبي والشُّعَّبِي والرُّخامي والشِّبرِقار والأحمر[4]. يَكثر بعدة مناطق: قُلُمْرِيَّة وأشكوني من كور تدمير، وفحص غرناطة، وطليطلة، وشِلب التي قيل فيها: ولا أجود من تفاح شِلب[5]، ولورقة التي ينبت في أرضها شجر التفاح بطبعها من دون غراسة[6]، وإشبيلية التي كل ما استودع في أرضها واغترس في بقعتها نما وزكا[7]، ومنطقة الجليانى من أعمال وادي آش التي خصّت بالتفاح الجلياني حتى أخذت اسمه جليانة التفاح[8]، الذي يتميز بكبر حجمه وحلاوة طعمه وذكاء رائحته[9].

1- المقري، نفح الطيب، ج1، ص 137.

2- أحمد قدامة، قاموس الغذاء والتداوي بالنبات، دار النفائس، لبنان، ط13، 2009 ،ص 108.

3- ابن العوام، الفلاحة الأندلسية، ج3، ص 304.

4- ابن العوام، نفسه، ج3، ص 303.

5- الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص 23- 164/مجهول، خمس صفحات في النباتات الطبية الأندلسية، ص 153.

6- الحميري، المصدر نفسه، ص 172.

7- ابن غالب، فرحة الأنفس، ص293.

8- الحموي، معجم الأندلس والمغرب من كتاب معجم البلدان، ص 67.

9- المقري، نفح الطيب، ج1، ص 149.

يقول المقري أيضا يَصِفُ تفاح شنترة، أنّ رجلا أهدى إلى المعتمد بن عباد أربعاً من التفاح ما يقل الحمال على رأسه غيرها[1]، وينجب التفاح بشكل كبير في منطقة سرقسطة[2]؛ حتى أنّه يباع بأبخس الأثمان، وكان الفلاحون يستعملونه في تسميد الأرض من كثرة ما يتبقى في الأرض، ولعزوفهم عن نقله[3]، و في ذلك قال الحميري متحدثا عن تفاح سرقسطة: "وربما بيع فيها وَسْقُ القارب من التفاح بما تُباع به الأرطال اليسيرة في غيرها"[4].

الرمان: غالبا ما يغُرس الرمان في الأماكن الدافئة[5]، يكثر بحصن بُبَشْتَر[6]، ولورقة يوجد فيها من دون غرس[7] رمان السفري الذي أفاض أرجاء الأندلس[8].

العنب: عُرف عن أهل الأندلس أنهم أحذق الناس في غرس أشجار الكروم والعناية بها، وكانت كروم قرطبة تزبر في شهر يناير من كل سنة[9]، تميزت مدينة أبذة[10] بوفرة الكروم حتى "كاد العنب فيها لا يُباع ولا يُشترى لكثرته"[11]، يوجد أيضا بمدينة طركونة[12]، قُلمرية، قورية[13]، باغة[14] وإشبيلية[1]، كما يتواجد

1- نفسه، ج1، ص 164.

2- نفسه، ج1، ص 197.

3- إبراهيم حركات، النشاط الاقتصادي الإسلامي في العصر الوسيط،أفريقيا الشرق، المغرب، 1996 ص 82.

4- الحميري، المصدر السابق، ص 97.

5- ابن حجاج، المقنع في الفلاحة، ص 38.

6- بُبَشتر: هو حصن منفرد من أعمال ريّه، بينه وبين قرطبة ثلاثون فرسخا. ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ص 49/ابن غالب، المصدر السابق، ص 290.

7-الحميري، المصدر السابق، ص 171.

8- المقري، نفح الطيب، ج1، 467.

9- عريب بن سعد، تقويم قرطبة، نشر رينهارت دوزي، ليدن، 1873، ص20.

10- أُبَدّه: بالضم ثم الفتح ثم التشديد، مدينة من كورة جيّان تعرف بأُبَدّه العرب، اختطها عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية، وتممّها ابنه محمد بن عبد الرحمن. ياقوت الحموي، معجم الأندلس والمغرب من كتاب معجم البلدان، ص 31.

11- المقري، نفح الطيب، ج3، ص 218.

12-طركونة: مدينة قديمة على شاطئ البحر متصلة بأعمال طرطوشة، وفيها نهر علان يصب مشرقا إلى نهر إبره، وهو نهر طرطوشة. ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ص 98.

13- قُورِية: مدينة من نواحي ماردة. المصدر نفسه، ص 117.

14- **مدينة باغه:** وهي بين الغرب والقبلة من البيرة. ابن غالب الأندلسي، فرحة الأنفس، **ص283.**

بكثرة بمدينة لورقة التي تُعرف بشهرة خمورها، مدينتي ماردة وشِلب اللتان عُرفتا بجودة الزبيب الذي ينمو بهما[2].

التوت أو الفرصاد: انتشرت أشجار التوت بشكل كبير في مدن الأندلس، ولون ثمره أبيض وأسود وأحمر، ومنه البري، ويعرف بالعليق، ويوجد بكثرة في المناطق النائية البعيدة عن المدن[3]؛ أما البستاني فهو الذي تقتات عليه دودة القز، يترعرع على أشجارها، وقد اختصت مدن وقرى بتربية هذه الدودة التي كانت مصدر دخل لكثير من العائلات ولا سّيما النساء منهن؛ حيث يحضنّ دود الحرير في فيفري، حتى يفقس ويتوالد في شهر مارس[4]، من أهم المراكز التي احتضنت دودة القز قُرى مدينة جيان التي سميت بجيان الحرير لاعتناء باديتها وحاضرتها بهذه الدودة[5]، ففيها أزيد من ثلاثة آلاف قرية يربى فيها دود الحرير[6]، وينمو أيضا بسفح جبل شُلير الذي يُسمى التوت عند أهلها بالفرصاد، قال عنها الزهري إنها: "أكثر بلاد الله حريرا"[7]، كما تواجدت أشجار التوت أيضا بأحواز بسطة وأحواز كورة غرناطة ووادي آش[8].

الخوخ: تعددت مسمياته بتعدد أنواعه فمنه الخوخ المزغب ويُعرف بالشعري، والخوخ الأملس وفيه حمرة يُعرف باللفاح، أما الخوخ الصغير فيعرف باليبربوج[9]، ويوجد بمعظم أراضي الأندلس؛ بخاصة سرقسطة وغرناطة[10].

1- مجهول، تاريخ الأندلس، ص132/الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص164/الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، ص298/ابن العوام، الفلاحة الأندلسية، ج2، ص 416.

2- الحميري، المصدر نفسه، ص 173/مجهول، تاريخ الأندلس، ص101، 106.

3- مجهول، خمس ورقات خطية في النباتات الطبية الأندلسية، ص 153.

4- عريب بن سعد، المصدر نفسه، ص 33.

5- المقري، نفح الطيب، ج3، ص 218.

6- الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، ص296/المقري، نفح الطيب، ج3، ص218.

7- الزهري، الجعرافية، ص 94.

8- الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص192/مجهول، تاريخ الأندلس، ص137.

9- ابن ليون، اختصارات من كتاب الفلاحة، ص 109.

10- مجهول، تاريخ الأندلس، ص 129/ابن العوام، الفلاحة الأندلسية، ج2، ص 42.

التين: شجر من الفصيلة التوتية، زرع منذ أكثر من أربعة آلاف سنة[1]، وهو جنس الشجر العظام، أوراقه عريضة وكبيرة الحجم، وثماره كروية الشكل، يؤكل طازجا ومجففا، أنواع التين كثيرة منه الأبيض ،الأسود والأحمر[2]، انفردت الأندلس بأنواع من التين يعدم أو يقل وجودها في أقطار أخرى كالتين القوطي والتين الشعري الذي يوجد بإشبيلية[3]، التين المالقي الذي يوجد على صنفين: التين الريّي لأن مالقة كانت قاعدة ريّة في القديم[4]، أمّأ النوع الثاني فهو تين بلّش أحد حصون مالقة[5]، هو الذي قيل فيه للبربري كيف رأيته؟ قال:" لا تسألني عنه، وصبّ في حلقي بالقفة"[6]؛ فالتين المالقي الذي كان يحيط بجميع جهاتها، وصدّرت منه كميات كبيرة إلى مصر والشام والعراق والهند، كما يتواجد التين أيضا بمدن قٌمارش[7] وشِلب وشريش وقورية[8].

السفرجل: شجر مثمر من الفصيلة الوردية التي تشمل معظم أشجار الفواكه، زرع السفرجل منذ القدم، وموطنه الأصلي غربي آسيا[9]؛ قد انتفع الأندلسيون بالسفرجل كفاكهة يأكلونها ويروحون بها عن أنفسهم، وفي ذلك يقول الوزير جعفر بن عثمان المصحفي:

ومُصْفَرَّةٍ تَختال في ثوب نَرْجس ... وتَعبَـقُ عـَنْ مُسك ذكيّ التَّنَفُّس

لها ريـحٌ محبوبٌ وَقَسْـــوةُ قَلْبهِ ... ولَـوْنُ مُحبّ حُلّه السُّقْم مكتبس[10]

1- أحمد قدامة، المرجع السابق، ص 123.

2- الغساني أبو القاسم بن محمد إبراهيم، حديقة الأزهار في ماهية العُشب والعقار، تحقيق: محمد العربي الخطّابي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1990 ص 296.

3- المقري، نفح الطيب، ج1، ص 200.

4- الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، ص 298.

5- المقري، نفح الطيب، ج1، ص 200.

6- نفسه، ج3، ص 219.

7- **قٌمارش:** تقع بالقرب من مدينة غرناطة، وكانت تعدُ من الحصون القوية لمملكة غرناطة. ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين في بلاد المغرب والأندلس، تحقيق أحمد مختار العبادي، مؤسسة شباب الجامعة، القاهرة، ط1، 1983، مقدمة المحقق، ص 79.

8- الحميري، نفس المصدر، ص164، 178/مجهول، تاريخ الأندلس، ص101/الإدريسي، نفس المصدر، ص301.

9- أحمد قدامة، قاموس الغذاء والتداوي، ص 274.

10- ابن خاقان الإشبيلي الأندلسي أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله ، مَطمح الأنفس ومسرح التأنس في مُلَح أهل الأندلس، تحقيق هدى شوكت بهنام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2014، ص 48.

يكثر تواجده بتدمير والمرية التي اختصت بجميع الثمار[1].

القسطل أو شاه بلوط: شجر مثمر من الفصيلة البلوطية، له ثمر كثير النشا يؤكل مشويا، ويُعرف في الأندلس بشاه بلوط والقسطون[2]، ويأتي على أصناف: المفرطح المعروف بالأمليسي، ومنه الصغير المعروف بالبرجي، والجبلي، أُدرج القسطل في الترتيب الثالث من الفواكه على المائدة الأندلسية بعد الجوز واللوز ثم القسطل؛ حيث حدث أنّه دخل المعتمد بن عباد الحمام ثَمِلا، فجعل يقول: "الجوز، اللوز، القسطل، ومرّ على هذا ساعة إلى تذكر النحلي الشاعر، فقال له: من أي وقت أنت هنا، قال: من أول ما رتب مولانا الفواكه في النصبة"[3]، والنصبة مائدة يصبون فيها هذه الأصناف من الفواكه[4]، ولم تقتصر فائدة القسطل في التفكيه فقط، إنّما استخدم خبزا أوقات المجاعات والأزمات، أرجأنا الحديث عنه إلى الفصل الثالث. كما يكثر تواجد القسطل بطركونة ومدينة فرّيش التي تقع غرب منطقة فحص البلوط[5]، ويشير الإدريسي إلى إستهلاك البلوط بحصن بطروش بقوله: "حيث كانت سهوله شجر البلوط الذي فاق طعمه طعم كل بلوط على وجه الأرض"[6].

القراصيا أو حبّ الملوك: شجر مثمر من الفصيلة الوردية (Rosace)، ويسمى أيضا الكرز[7]، ورد لفظه عند ابن البيطار بالقراصيا والجراسيا عند أهل صقلية، وحب الملوك عند أهل المغرب والأندلس[8]. بينما

1- العذري أحمد بن عمر بن أنس ، ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق عبد العزيز الأهواني، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1965 ص83.

2- ابن البيطار المالقي ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد ، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001، ج3، ص66.

3- المقري، نفح الطيب، ج3، ص 234

4- نفسه، ج3، ص 234.

5- ابن غالب الأندلسي، فرحة الأنفس، ص 290/مجهول، تاريخ الأندلس، ص133.

6- الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص45.

7- أحمد قدامة، قاموس الغذاء والتداوي بالنبات، ص 520

8- ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج3، ص 249.

يرفض ابن ميمون الأندلسي نسبة القراصيا لحب الملوك[1]؛ منه الحامض، ومنه العفص الحلو والرطب، هي شجرة ورقها وأغصانها بسطة مشوبة بحمرة، لها ثمر شبيه بالعنب مدور يتدلى من شيء شبيه بالخيوط الخضر، لونه بين الأحمر والأسود، ومنه الحلو والمز[2]، أمّا عند المقري فقد ورد لفظه بالسين: القراسيا، من شعرهم:

ودوحٍ تهـــدّلَ أشـطـــانُـــــه رَعَى الدْهرَ مِنْ حُسْنِه مَاْ اشتهى

فما احْمَرَّ منه فصوص العَقيق وَمـَا اسْودَّ مـِنــهُ عُيــون المَـهـاَ[3]

من أهم المدن التي يتواجد بها حب الملوك منطقة سرقسطة وطليطلة التي تزينت بالفواكه الحسان، مختلفة الطعوم والألوان[4]، كما يكثر أيضا بنواحي جيان وجبال قرطبة وجبال الجزيرة الخضراء[5].

الكمثرى أو الإجاص: هو الذي يسمى عند العامة بالإجاص[6]، أو الإنجاص، هي لغة فيه فصيحة نقلها الثقات من اللغويين[7]، هو على أنواع: الجبلي والبستاني، كما أنّه من الفواكه التي تغرس في الأماكن الباردة، ويقول المقري: إنّه هناك نوع من الكمثرى ينمو ببلنسية يسمونه الأرزة في قدر حبة العنب، قد جمع مع حلاوة الطعم وذكاء الرائحة، دخل داراً عُرف بريحه[8]، ويوجد بكثرة في وشقة[9] التي اختصت به، وحصن قُمارش[10] ومدينة غرناطة وطليطلة[1].

1- شرح ابن ميمنون القراسيا بقوله: إنّه نوع يشبه الإجاص، وهو أرق منه، حامض الطعم، موجود في ديار مصر والشام كثيرا، وليس هو حب الملوك ولا ضربا منه كما ظنّ كثير من الناس. ابن ميمون القرطبي، شرح أسماء العقار، ص36.

2- ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج3، ص 249.

3- المقري، نفح الطيب، ج3، ص 604-605.

4- نفسه، ج1، ص 161/الحميري، المصدر نفسه، ص 164.

5- أبو الخير الإشبيلي، عمدة الطبيب في معرفة النبات، ج2، ص 496.

6- ابن العوام، الفلاحة الأندلسية، ج2، ص 141.

7- الغساني، حديقة الأزهار، ص 143.

8- المقري، نفح الطيب، ج1، ص 179.

9- **وشقة:** تبعد عن سرقسطة بخمسين ميلا. الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص 185.

10- ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين، ص 79.

العبقر أو عيون البقر أو البرقوق: سُمي بعيون البقر لأنّ ثمره يشبه أحداق البقر قدرا وصفة، ويسمى عند أطباء الأندلس الإجاص، و أنواعه كثيرة: منه البستاني والبري، ويتواجد بجبل طارق وناحية غوجان بإشبيلية فيه علوكة وحلاوة[2].

العُنَّاب: شجر مُثمر من الفصيلة السدرية، يرتفع طوله كأشجار الزيتون، هو شائك جدا، ورقه مزغب، ثمرته العنابة، لحمية تشبه الزيتونة، لونها يتحول من أخضر إلى بني داكن، ولبها أبيض هشّ، ويعرف عند أهل الأندلس بالزُّفيزف[3]، ومنها اشتق اللفظ الإسباني "Azufaifa"، وهو من المآخذ التي سجلها ابن هشام اللخمي على الأندلسيين تسميتهم العناب زفيزف، وذلك في قوله: "ويقولون الزفيزف، وبعضهم يفتح الزاي الثانية، والصواب العُنّاب[4]، وينتشر العناب بمنطقة لبلة "الذي لا نظير له في الآفاق"، ومنطقة شِلب[5].

المشتهى أو الزعرور: شجر شبيه بشجر التفاح غير أنّ ورقه أصغر منه، وثمار هذه الشجرة مستديرة الشكل في كل واحدة ثلاث حبات[6]، وهو من الفواكه التي لا تتحمل الادخار، يغرس عند الصهاريج لجماله، يتواجد بكثرة في نواحي غرناطة ومدينة وشقة[7]، وانتقل هذا الاسم إلى الإسبانية باسم "acerola"[8].

1- الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص195/ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص28/ابن العوام، الفلاحة الأندلسية، ج2، ص43.

2- أبو الخير الإشبيلي، عمدة الطبيب في معرفة النبات، ج2، ص 419/ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، ص28.

3- ابن العوام، الفلاحة الأندلسية، ج2، ص 149.

4- عبد العزيز الأهواني، ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي، مجلة معهد المخطوطات، إصدار المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم معهد المخطوطات العربية، مصر، مج3، 1957،ص 35.

5- القزويني زكريا بن محمد بن محمود ، آثار البلاد في اخبار العباد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2013، ص477/ مجهول، تاريخ الأندلس، ص101.

6- ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية و الأغذية، ج2، ص 471.

7- ابن العوام، الفلاحة الأندلسية، ج2، ص 169.

8- أحمد قدامة، المرجع السابق، ص 256.

المُصّع: هو شجر جبلي يشبه العوسج، ثماره تأتي على قدر حبّة الحمص، أحمر ناصع الحمرة، حلو طيب يؤكل، وفي جوف الحبّة منه حبٌ مثل ما في جوف عِنب الثعلب[1]، والمُصّع يشبه الزعرور في اللون، ويُخالفه في المذاق، يكثر تواجده بمنطقة وشقة والمرية[2].

الموز: اعتبر الموز من الفواكه النادرة التي ليست في متناول العامة، حتى أنّ ابن زهر في كتاب الأغذية ينفي وجوده ببلاد الأندلس بقوله: "هذا (يقصد الموز) ليس ينبت في بلدي"[3]، غير أنَّ الحميري ذكر لنا قرية على الساحل تعرف باسم شلوبينية[4] عُرفت بإنتاج الموز بقوله: "شلوبينية قرية مسكونة على ضفة البحر، بينها وبين المنكب عشرة أميال، ويجود فيها الموز"[5]، كما ذكر لنا العذري أنّ بستان الصُمادحية الذي يتواجد بالمرية اختصّ بزراعة غريب الفواكه ومنها الموز[6]. أمّا الإشارة التي وردت عند أبي الخير الإشبيلي عن تواجد الموز في كل من قرطبة ومالقة[7] فتستدعي التحفظ لأنّ بقية المصادر لم تقدم مثل هذه المعلومة، ممّا جعل الباحثين يستبعدون تواجد الموز بمدينة قرطبة، ولاسيما أنّ هذه الفاكهة تحتاج إلى مناطق دافئة، وقرطبة لا تتوفر على هكذا مناخ لأنها عُرفت بطقسها البارد[8].

البطيخ: من جنس اليقطين، يتواجد منه بالأندلس على عدة أنواع أشهرها البطيخ السندي نسبة لبلاد السند التي كانت موطنه الأصلي، يتواجد هذا النوع في معظم أرجاء الأندلس، ويعرف باسم الدلاع في

1- ابن العوام، الفلاحة الأندلسية، ج2، ص 171.

2- العذري، ترصيع الأخبار، ص 55/ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج4، ص 450.

3- ابن زهر أبو مروان عبد الملك، الأغذية، تحقيق: إكسبيراثيون غارثيا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية مع معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، 1992، ص53.

4- **شلوبينية**: حصن بالأندلس من أعمال كورة البيرة، يقع على شاطئ البحر. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص88.

5- الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص111.

6- العذري، ترصيع الأخبار، ص 85.

7- أبو الخير الإشبيلي، عمدة الطبيب في معرفة النبات، ج1، ص 379.

8- Julia Maria Carabaza, Expiration Garcia Sanchez, Arboles y Arbustos en AL-Andalus, Ed. C.S.I.C , Madrid, 2004, p 52.

العدوة المغربية[1]، من الأنواع الأخرى البطيخ الدمشقي الذي يعرف في الأندلس بالبطيخ الملون، هي لفظة عامية أندلسية (Melon)، ويُعرف أيضا بالبطيخ الهوزني نسبة إلى قرية هوزن المتواجدة بنواحي إشبيلية[2]، كما وُجد البطيخ بحصن قولية من أعمال مدينة بسطة[3]، بالجزيرة الخضراء، مُرسية وبلنسية[4].

القثاء: من جنس اليقطين، يمتد على الأرض ولا ساق له، قريب من الخيار لكنه طويل هلالي الشكل ملتوي[5]، دَرجَ الأندلسيون على أكل القثاء ضمن الفواكه، ويؤكد ابن زهر ذلك بقوله: "هذا كأنه بين الفواكه والبقول، وهو بارد رطب، جوهره ليس بالغليظ جدا؛ فهو أفضل من القرع، نيئا أُكل أو مطبوخا[6]، ويؤكد ابن بصال أنّ هذا النبات لا يتحمل البرد؛ فهو يضعف ولا يكبر في المواضع الباردة[7].

الليمون أواللامون: هو شجر مثمر من الفصيلة السذابية، يُسمى عند الأندلسيين بالليم[8]، هو لفظ انتقده ابن هشام اللخمي على الأندلسيين بقوله: "ويقولون الليم والصواب الليمون، والواحدة ليمونة"[9]، يصف ابن العوام الليمون بقوله: "اللامون مدحرج في قدر الحنظل وأكبر، هو حاد لونه أصفر[10]، يكثر تواجده بمدينة إشبيلية وغرناطة وقرطبة[11].

1- أحمد الطاهري، الفلاحة والعمران القروي بالأندلس خلال عصر بني عباد، مكتبة الإسكندرية للكتاب، القاهرة، ط1، 2004، ص 239.

2- أبو الخير الإشبيلي، عمدة الطبيب في معرفة النبات، ج1، ص 86.

3- المقري، نفح الطيب، ج4، ص 66.

4- أبو الخير الإشبيلي، المصدر نفسه، ج1، ص 87.

5- الغساني، حديقة الأزهار، ص 233.

6- ابن زهر، الأغذية، ص 59.

7- أحمد الطاهري، المرجع السابق، ص128.

8- ابن ليون التجيبي، اختصارات من كتاب الفلاحة، ص111.

9- عبد العزيز الأهواني، ألفاظ مغربية، المرجع السابق، ص 55.

10- ابن العوام، الفلاحة الأندلسية، ج2، ص 265.

11- المقري، نفح الطيب، ج3، ص 214.

النارنج أو البرتقال أو يوسف أفندي: انتقل اسم النارنج إلى الإسبانية باسم Naranja، ليشتهر بعد ذلك في الفترة الحديثة باسم البرتقال نسبة لمدينة البرتقال (Porto) التي عُرفت بهذا المنتوج[1]، هو من الأشجار المثمرة، من الفصيلة السُذابية، يقول ابن العوام: "النارنج شجرة تطول، ولها ورق أملس لين شديد الخضرة، وتحمل حملاً مُدَوّرا في جوفه حماض كحماض الأترج، وكلها متولدة من الأترج لأنها شبيه به جدّا"[2]، يكثر تواجده بمعظم مدن الأندلس، وبخاصة في قرطبة وإشبيلية وغرناطة وشنترة وأشبونة وبرتقال... ألخ[3].

الزنبوع أو البُستَنبور أو الليمون الهندي: يُشبه النارنج إلاّ أنَّ ثمره مفرطح محبب أصفر اللون، يؤكل داخله وخارجه، شديد الحموضة[4]، يكثر بقرطبة والمرية وإشبيلية وغرّناطة[5].

الأترج: يُعرف بالتفاح اليماني، هو على نوعين: حلو وحامض[6]، الفرق بينهما أنَّ عين الأترج الحامض أخضر مشوب بسواد، وعين الأترج الحلو عينه تميل إلى الصفار[7]. وأمّا الصنف الكبير المحدد يعرف بالأترج القرطبي، وصنف آخر كبير أملس يُعرف بالقسطي[8]، يتواجد بمعظم أراضي الأندلس، وخاصة قرطبة وغرناطة وطليطلة وسرقسطة وشريش[9].

1- أحمد مختار العبادي،الزراعة في الأندلس وتراثها العلمي، ضمن بحوث ندوة الأندلس الدرس والتاريخ، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، أفريل 1994، ص117.

2- ابن العوام، الفلاحة الأندلسية، ج1، ص 275.

3- المقري، نفح الطيب، ج3، ص 214.

4- ابن العوام، المصدر نفسه، ج2، ص 281.

5- العذري، ترصيع الأخبار، ص 83.

6 - ابن العوام، المصدر نفسه، ج2، ص 263.

7- ابن بصال، كتاب الفلاحة، ص 81.

8- ابن العوام، الفلاحة، ج2، ص 264.

9- المقري، نفح الطيب، ج1، ص161، 184.

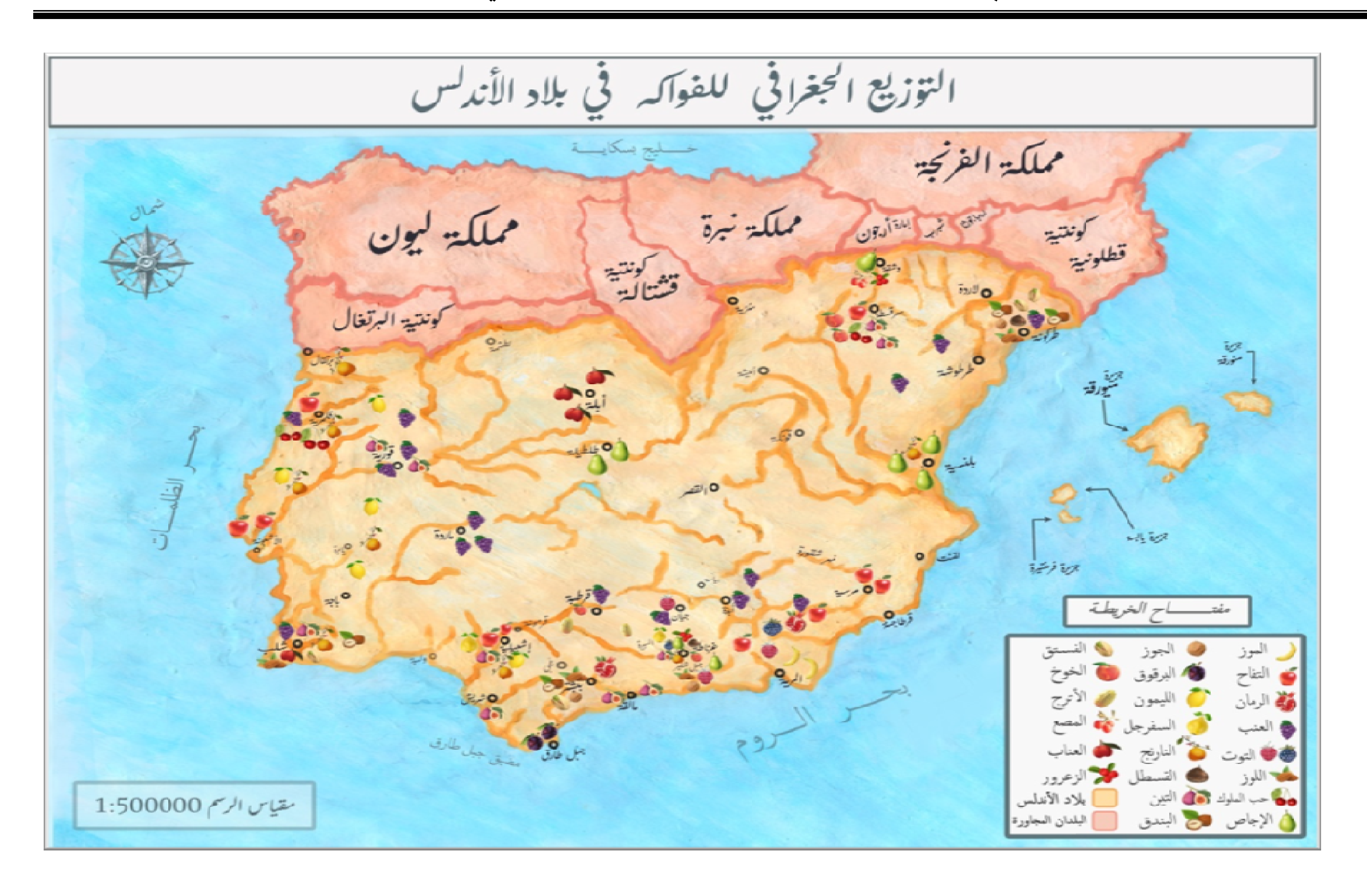
اللوز والجوز والجلوز (البندق) والفستق: غالبا ما تنمو أشجار هذه الفواكه التي تعتبر من المفكهات في أعالي الجبال المرتفعة الباردة[1]، حيث يجود الجوز واللوز بإلبيرة ومدينة فريش[2]، وبجبل شلير[3]، ومدينتي غرناطة وطركونة[4].

1- ابن العوام، المصدر نفسه، ج2، ص 193.

2- ابن غالب، فرحة الأنفس، ص 283، 290.

3- الإدريسي، صفة جزيرة الأندلس، ص 294.

4- مجهول، تاريخ الأندلس، ص 132/ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص 38.


التوزيع الجغرافي للفواكه في بلاد الأندلس
خليج بسكاية
مملكة الفرنجة
مملكة ليون
مملكة نبرة
كونتية قشتالة
كونتية البرتغال
كونتية قطلونية
شمال
بحر الظلمات
بحر الروم
جزيرة يابسة
جزيرة فرمنتيرة
جزيرة منورقة
جزيرة ميورقة
جبل طارق
مفتاح الخريطة
الموز
الجوز
الفستق
التفاح
البرقوق
الخوخ
الرمان
الليمون
الأترج
العنب
السفرجل
المصع
التوت
النارنج
العناب
اللوز
القسطل
الزعرور
حب الملوك
التين
بلاد الأندلس
الإجاص
البندق
البلدان المجاورة
مقياس الرسم 1:500000

الأشجار الغابية والنباتات الصناعية: تزخر بلاد الأندلس بثروة غابية لا نظير لها من حيث توفير المادة الخشبية التي يحتاجها أهل الأندلس في اقتصادهم ومعاشهم اليومي؛ فالخشب الأندلسي كان يدخل في العديد من الصناعات، ولهذا حرص الأندلسيون على توفير مختلف أنواعه في المصنوع الواحد كمقصورة مسجد قرطبة التي كانت مصنوعة من الآبنوس والصندل الأحمر والأصفر والعنابي والبُقم[1]، وقد اشتهرت العديد من المدن بتوفير هذه المادة كمدينة لنشكة إحدى مدن جيان "التي ينقل منها الخشب فيعم الأندلس"[2]، ومن أهم أنواع الأشجار الخشبية التي اشتهرت بها الأندلس في مجال الصناعة أو التطبيب نذكر:

شجر الآبونس: من جنس الأشجار العظام، أوراقه تشبه ورق الصنوبر، وثماره تشبه حب العنب صفراء اللون[3]، يتواجد بقرطبة.

شجر الآراك: هو العود الذي يستاك به الناس عند الوضوء ويسمى المسواك[4]، جنس من الأشجار العظام أوراقه تشبه ورق الرند إلاّ أنها أصغر وأقل عرضا منها، يتميز بطيب رائحته حتى أنّ الماشية إذا رعته يَحسُن طَعم لبنها، يتواجد بالجزيرة الخضراء[5].

شجر المحلب: من الأشجار العظام، ورقه مستطيل الشكل؛ طيب الرائحة؛ مرّ الطعم، حبّه أحمر اللون في حجم الجلبان، تبقى قوته أربع سنين، ويدخل في العديد من المنافع[6]، ويُعدّ من النباتات الهندية التي لا توجد إلاّ بالأندلس، حيث يكثر تواجده بقرطبة[1].

1- محمد الغساني الأندلسي، رحلة الوزير في افتكاك الأسير، تحقيق نوري الجرّاح، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2002، ص 50.

2- ابن غالب الأندلسي، فرحة الأنفس، ص 284.

3- الأنطاكي داود بن عمر، تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب والعُجاب، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998، مج1، ص83.

4- الأنطاكي، المصدر نفسه، مج1، ص99/ابن حمادوش، كشف الرموز في شرح العقاقير والأعشاب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2004، ص 19.

5- أبو الخير الإشبيلي، عمدة الطبيب في معرفة النبات، ج1، ص 49.

6- الأنطاكي، المصدر نفسه، مج1، ص 649.

شجر الألَنْجوج: يُعرف بعود الألنجوج أو اللنج، يوجد منه بناحية حصن دِلاَيَة من كورة تدمير[2]، كما يكثر تواجده بالمرية وبجبل أكشونبة، ريحه ريح العود الذكي إذا اشتعلت فيه النار[3].

شجر الصنوبر: يُعرف في بعض مناطق الأندلس بشجر الشبين[4]، يوجد بكثرة بمدينة القصر التي تبعد عن مدينة شِلب بأربع مراحل؛ حيث قال عنها الحميري: "هي مدينة حسنة متوسطة على ضفة نهر كبير، وفيها استدار بها من أرض كلها شجر الصنوبر"[5]، كما يكثر أيضا بمنطقة طرطوشة[6].

شجر الأَرْز: هو ذكر الصنوبر الذي لا يثمر، ومنه يُستخرج الزفت أي القطران[7]، بينما يؤكد أبو الخير الإشبيلي أنّ الأَرز له ثمر يشبه جوز السرو شكلا وقدرا[8].

شجر البرباريس: يعرف عند الأندلسيين بالبرباريس العجيب، وبعضهم يُسّميه عود الريح وبالبربرية آنزار[9]، يتواجد بكثرة بنواحي المنتلون[10] وجبال إشبيلية وجبال ورك من أعمال مدينة شِلب[11].

شجر البُطم: البُطم البري هو المعروف بالضرو أو المُصطكى[12]، ويشرح لنا ابن بُكلارش تفسير اسم هذه الشجرة بقوله: "والبُستناني هو البُطم، وحبّه هو الحبّة الخضراء، وصمغ البُطم البري يسمى المُصطكى، وصمغ البُطم البُستاني يُسمى علك الأنباط"[13].

1- المقري، نفح الطيب، ج1، ص 140.

2- مجهول، تاريخ الأندلس، ص 50/ابن غالب الأندلسي، فرحة الأنفس، ص 308.

3- المقري، نفح الطيب، ج1، ص 141.

4- الضبي أحمد بن يحى بن أحمد بن عميرة ، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997، ص 201.

5- الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص161.

6- أبو الخير الإشبيلي، عمدة الطبيب في معرفة النبات، ج2، ص 405.

7- ابن العوام، الفلاحة الأندلسية، ج2، ص197/ابن ميمون، شرح أسماء العقار، ص4.

8- أبو الخير الإشبيلي، المصدر نفسه، ج2، ص 406.

9- الأنطاكي، تذكرة أولي الألباب، ص 144.

10- **المنتلون:** حصن بالأندلس من نواحي جيّان. الحميري، معجم الأندلس والمغرب، ص 135.

11- مجهول، تاريخ الأندلس، ص 52/أبو الخير الإشبيلي، المصدر نفسه، ج1، ص 59.

12- ابن ميمون، شرح أسماء العقار، ص 10.

13- ابن بُكلارش، المستعيني في الطب، مخطوط المكتبة العامة بالرباط، رقم :d 2976، ورقة 103.

شجر الجُلّنار: هو ذكر الرمّان، وشجره كشجر الرمان، إلاّ أنّ شجر الرّمان له شوك حادّ ويُنّور ويُثمر، بينما شجر الجُلّنار لا شوك له ويُنّور ولا يُثمر، هو شديد الحُمرة والورق، يكثر ببساتين غرناطة ودانية وقلصادة والمرية ومالقة وإشبيلية[1].

شجر الزيتون : يجود الزيتون بمنطقة إشبيلية "التي فازت بكل فضيلة، وقابلت معالم مدينتها المشرفة جبل الشرف؛ أشرف بقعة وأكرم تربة، المغترس بالزيتون الدائم عند اخضراره، النادر عند اعتصاره، لا يتغير به الحال ولا يعتريه اختلال[2]. إنّ أشجار الزيتون شرفت منطقة إشبيلية عن باقي مدن الأندلس حتى قيل فيها: "ويبقى زيتها برقته وعذوبته لا يتغير بطول مكثه فاضلا بخاصة بُقعته"[3]، كما اشتهرت مناطق أخرى بأشجار الزيتون كإفراغه[4] وبلنسية وجبل العروس بقرطبة[5].

قصب السكر: من جنس القصب، فيه ثلاثة أنواع أحسنه القصب الأبيض الطويل والأصفر، من هذين النوعين يعتصر السكر، أما النوع الثالث فقصبه غليظ جدا وأقل حلاوة، وهو أرذل أنواع السكر[6]، يكثر زرعه في كل من غرناطة ومالقة والمُنَكب جليانة[7]، كما يكثر قصب السكر بسواحل إشبيلية وكورة البيرة[8]، وهو يجود في المناطق الرملية على شاطئ الأنهار[9]، وبساتين إشبيلية المعروفة بجنات المصلى[10]، وأفضله ما زرع في شهر مارس[11].

1- مجهول، خمس صفحات طبية في النباتات الأندلسية، ص 155.

2- ابن غالب، فرحة الأنفس، ص 292.

3- نفسه، ص 292.

4- إفراغة: مدينة من أعمال ماردة تملكها الإفرنج سنة 543هـ. ياقوت الحموي، معجم الأندلس والمغرب، ص 38.

5-ابن غالب، المصدر نفسه، ص 285، 296.

6- الأزموري عبد الغني بن أبي سرحان بن مسعود ، مقالة في الأدوية، مخطوط الخزانة العامة، رقم :د 955، ورقة 133.

7- ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ص17/الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص 24، 31.

8- العذري، ترصيع الأخبار، ص 96/ابن غالب، المصدر نفسه، ص283/المقري، نفح الطيب، ج1، ص 208.

9- محمد الغساني الأندلسي، رحلة الوزير في افتكاك الأسير، ص 243.

10- أحمد الطاهري، المرجع السابق، 244.

11- ابن ليون التجيبي، اختصارات من كتاب الفلاحة، ص 128.

القطن: من النباتات المشهورة في بلاد الأندلس، ذكر له أبو خير عدة مسميّات كالخُرفع والعُطب والكُرسف والطُّوط، ويسمى قطن البردي[1]، وقد أثنى العذري على أرض إشبيلية بقوله: "ومن فضائل تربتها... وما يُنبته أرضها من القطن الذي يحسن ويزكو في بقعتها، ويعم أكثر بلاد الأندلس، ويجتاز به المتجهّزون من التجار إلى إفريقية وما هنالك"[2].

الكتان: يشبه بذر الحلبة، أحمر اللون، وهو من الغلات الصيفية التي لا تحتاج إلى الماء كثيرا، لتحمله الظمأ[3]، يتوفر بكميات كبيرة في أراض المرية وبالأراضي المحيطة بجبل شلير (جبل الثلج)، فكتان جبل شلير يفاضل به على كتان الفيوم[4]، كان يُصدر منه جزء إلى الأقطار المغربية وإلى بلاد المشرق وإلى اليمن، كما أنَّ مدينة لاردة مخصوصة بزراعة الكتان، منها يتجّهز به إلى جميع نواحي الثغور[5]، أمّا منطقة البيرة فالحميري نجده أيضا يفاخر بكتانها على كتان النيل[6]، من أهم الشروط التي يُنجب فيها الكتان أنّه لا يحب الزبل ولا كثرة الحرث[7].

العصفر: يجود بمنطقة لبلة[8]، وبمنطقة إشبيلية التي يُتاجر به إلى مدن الأندلس وخارجها[9].

الحناء: (جمع حِنّاءة): يقع هذا الاسم على أنواع بُستانية وبرية وجبلية؛ فالبستاني نوعان: أحدهما من جنس البقل النابت من بزره كلَّ عام، له ورق كورق الآس، إلاَّ أنَّه أطول وألين، ولا يَبْعُدُ شَبَهُه من ورق الزيتون الناعم، وهو يقوم على ساق طولها نحو ذراع، وتفترق إلى أغصان صغار، وزهره دقيق، ولا يبزر

1- عمدة الطبيب في معرفة النبات، ج2، ص 505.

2- العذري، ترصيع الأخبار، ص 96/ابن غالب الأندلسي، فرحة الأنفس، ص 293.

3- ابن الوحشية أبو بكر أحمد بن علي بن قيس الكسداني، الفلاحة النبطية، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، تحقيق توفيق فهد، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، فرانكفورت، جمهورية ألمانيا الغربية، ص 68.

4- البكري، المسالك و الممالك، ص 384.

5- الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص 168.

6- نفسه، ص 24

7- ابن ليون التجيبي، اختصارات من كتاب الفلاحة، ص 120.

8- الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص 169/القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص 477.

9- العذري، ترصيع الأخبار، ص 96.

هذا النوع بالأندلس، وكثيرا ما يُزرع بقرطبة وإشبيلية، والنوع الثاني من الحِنّاء من جنس الشجر العظام المتدوحة كشجر الجوز وشبهه؛ فإذا استوى نبات الورق قُطِف وجُفِّف في الظلّ[1].

الحلفاء: تعرف مدينة لقنت بنبات الحلفاء الذي يتجهز به إلى جميع بلاد البحر[2].

السمسم (الجلجلان): نبَّه ابن بصال إلى ضرورة تأخير زرعه إلى وقت الربيع، ويخص بالذكر شهر أفريل لأنَّ البرد يضر به، كما أنَّ كثرة السقي تُفسده، حيث يقول: "يُسقى طوال فترة الصيف مرة في الأسبوع؛ فإذا دخل شهر أوت يُقطع عنه الماء[3].

الأفاويه الهندية بمنبت أندلسي: عُنيت أرض الأندلس بتوفير بعض النباتات التي لا تجود ولا تنمو إلاّ ببلاد الهند، وخصّ المقري اقليم الأندلس بالقول: "وله خواص في كرم النبات، يوافق في بعض أرض الهند المخصوصة بجواهر الإنبات"[4]، هي ميزة اختصت بها بلاد الأندلس عن باقي البلدان؛ فأنجبت أرضها كلّ عقار نفيس ومنه نذكر:

الزعفران: يجود بمنطقة باغة (priego) وبياسة[5]، ويُثني ابن غالب بزعفران جيان بقوله: "لا مثيل له"[6]، وزعفران طليطلة المتناهي المفضل؛ تتفاوت جودته على كل زعفران[7]، وزعفرانها هو الذي يعم البلاد، ويتجهز به إلى الآفاق[8]، أمّا عن منطقة وادي الحجارة فبها من الزعفران الشيء الكثير، يُتجهز منه ويحمل إلى سائر البلاد[9]، ويزكو ويجود الزعفران أيضا بتربة بلنسية[10].

1- أبو الخير الإشبيلي، عمدة الطبيب، ج1، ص 184.

2- الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص 170.

3- ابن بصال، الفلاحة، ص 114.

4- المقري، نفح الطيب، ج1، ص 130.

5- مجهول، تاريخ الأندلس، ص133/الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، ص296/ابن غالب، فرحة الأنفس، ص283.

6- الإدريسي، نفس المصدر، ص 284.

7- نفسه، ص 288.

8- البكري، المسالك والممالك، ص294/المقري، نفح الطيب، ج1، ص 143.

9- الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص193.

10- القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص 421.

القرنفل: هو من الأفاويه الرفيعة التي تنبت ببلاد الهند وجرز الصين، وشجرة القرنفل تشبه شجرة الياسمين، وله ورق يشبه ورق الرند، له زهر غليظ أسود فيها ثمار تُعرف بكباش القرنفل، تجمع بعد سقوطها على الأرض، وتنقع في الماء إلى أن تصلح، ثم تجف وتباع إلى التجار. ورغم أنّ خصائص النباتات الهندية لا نظير لها في قطر آخر إلاّ أنّ الحميري يُثني على منطقة لَبلة التي عرفت بالقرنفل الفاضل[1].

الخُولَنْجان: نبات رومي وهندي يرتفع قدر ذراع، وأوراقه كأوراق القرفة وزهره ذهبي، هو على نوعين: نوع غليظ قليل الحرارة يسمى القصبي، وسبط دقيق صلب يشبه العقرب في شكله ويسمى العقاربي[2]، ينمو بكثرة في الجبال الرطبة كثيرة المياه كجبال الصقالبة بقرطبة وجبال الجزيرة الخضراء وشلير[3].

الجَنْطيانة: عُرف هذا النبات بهذا الاسم نسبة إلى ملك اسمه جنطيس، يُعرف أيضا بدواء الحيّة وشجر الحية أو اللوف الكبير، يكثر تواجده في رؤوس الجبال الشامخة الباردة بقرب مواضع المياه، بخاصة في غرناطة ولَبْلة[4]، أجمع المؤرخون على أنّه عقّار رفيع يحمل إلى جميع الآفاق[5].

العود الهندي: عُرف بذكاء عطره وطيب رائحته، يكثر تواجده بالقرب من مدينة أكشونبة[6].

السنبل الطيب: الذي لا ينبت إلاّ بالهند، يوجد منه بكثرة بجبل البيرة وجبل شقورة وجبل الثلج وغرناطة[7].

1- الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص 169.

2- الأنطاكي، تذكرة أولي الألباب، مج1، ص 354.

3- أبو الخير الإشبيلي، عمدة الطبيب في معرفة النبات، ج1، ص 219.

4- لبله: كورة بالأندلس كبيرة، يتصل عملها بعمل أكشونبة، وهي من غرب قرطبة، بينها وبين قرطبة على طريق إشبيلية خمسة أيام وأربعة وأربعون فرسخا. ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ص121/أبو الخير الإشبيلي، عمدة الطبيب في معرفة النبات، ج1، ص140/ ابن الخطيب، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، تحقيق محمد مسعود النصران، المدار الإسلامي، بيروت، ط1، 2009، ص45/مجهول، تاريخ الأندلس، ص 52.

5- نفسه، ص51/المقري، نفح الطيب، ج1، ص 141.

6- مجهول، تاريخ الأندلس، ص 50.

7- مجهول، تاريخ الأندلس، ص51، 68/ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص45/ابن غالب الأندلسي، فرحة الأنفس، ص 308.


التوزيع الجغرافي للأشجار الغابية و النباتات الصناعية في بلاد الأندلس
خليج بسكاية
مملكة الفرنجة
مملكة ليون
مملكة نبرة
كونتية قشتالة
كونتية البرتغال
كونتية قطلونية
شمال
بحر الظلمات
بحر الروم
مضيق جبل طارق
جبل طارق
جزيرة منورقة
جزيرة ميورقة
جزيرة يابسة
جزيرة فرمنتيرة
مفتاح الخريطة
القطن
الجنطيانة
الحلفاء
الكتان
القرفة
شجر الأرز
سنبل الطيب
الزيتون
السمسم
الزعفران
الصنوبر
العصفر
قصب السكر
القرنفل
عود الأنجوج
أو العود الهندي
شجر المحلب
شجر البربريس
بلاد الأندلس
البلدان المجاورة
مقياس الرسم 1:500000

الأزهار والرياحين: تزيَّنت أرض الأندلس بمختلف الأزهار الوورد والرياحين، ولا يمكن حصرها بمنطقة معينة نظرا لانتشارها في مختلف أراضي الأندلس، وقد تغنّى شعراؤها بوصف طبيعتهم التي تسرُّ الناظرين، وكان ابن خفاجة الأندلسي (ت535هـ/1139م)[1] أوحد زمانه في وصف الأنهار والأزهار والرياض والحياض والرياحين والبساتين حتى لُقبّ بالجنان[2].

وفضلّ الأندلسيون تقسيم مشموماتهم إلى صنفين: حارة وباردة؛ فالأزهار الباردة تمثلت في الورد والبنفسج والنيلوفر والآس، أمّا الأزهار الحارة فمنها السوسن والياسمين والبابونج والخيري والقرنفل، والنرجس الذي يُعرف عند الأندلسيين باسم البَهَار أو العَبْهَر[3].

من خلال عرض ما سبق، يمكن أن ننتهي إلى أنَّ الغطاء النباتي انعكاس حقيقي لجميع العوامل الطبيعية والجغرافية من موقع جغرافي وموارد مائية وتربة ومناخ، وتوافر هذه المقومات سواء بشكل معتدل أو متفاوت جعل من بلاد الأندلس جنّة على الأرض وهبها الخالق لقاطينها.

1- **ابن خفاجة الأندلسي** أبو اسحاق إبراهيم بن خفاجة، ولد في جزيرة شقر سنة 541هـ/ 1146م، الملقب بشاعر الطبيعة، تلقى علومه فيها وفي شاطبة وفي مدن شرق الأندلس، برع في العلوم الشرعية وعلوم اللغة والأدب، لم يعترض لملوك الطوائف، وأعرض عن التكسب، يعد أبرز شاعر أندلسي في وصف الأزهار والأنهار وما شابه ذلك، ويلقب بجنان الأندلس. ابن سعيد أبو الحسن علي بن موسى المغربي، رايات المبرزين وغايات المميزين، تحقيق محمد رضوان الداية، دار طلاس للترجمة والنشر، دمشق، ط1، 1987، ص217.

2- المقري، نفح الطيب، ج1، ص681/نفح الطيب،ج3، ص 488.

3- المقري، نفس المصدر، ج3، ص 293.

الفصل الأول:

التطور التاريخي لعلم النبات في الحضارات الإنسانية وإسهام علماء الأندلس في شرح مفردات الحشائش لديسقوريدس

أولا: ضبط مفهوم النبات لغة واصطلاحا

ثانيا: مكانة النبات في القرآن الكريم

ثالثا: مكانة النبات في السنة النبوية الشريفة

رابعا: تطور علم النبات في الحضارات القديمة

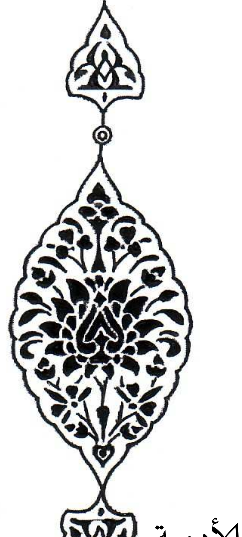
1_ في الحضارة الصينية

2_ في حضارة بلاد الرافدين

3_ في الحضارة الفرعونية

4_ في الحضارة الإغريقية

5_ في الحضارة الرومانية



خامسا: تطور علم النبات في التراث الإسلامي:

أ- المؤلفات النباتية في التراث اللغوي و الأدبي

سادسا: فضل كتاب ديسقوريدس في دفع حركة التأليف بالأندلس في مجال الأدوية المفردة:

1 - الترجمات العربية للكتاب

2 - دخول كتاب الحشائش إلى الأندلس وإشكالية الترجمة الأندلسية

سابعا: جهود علماء الأندلس في شرح مفردات ديسقوريس (العقار النباتي نموذجا)

أولا:ضبط مفهوم النبات لغة واصطلاحا:

خُلِق الإنسان مجبولا على حُبّ الطبيعة، وفُطِر على الاستطلاع والاستكشاف والمعرفة بحكم تنقله بين مختلف البقاع والبراري؛ التي زودها الخالق بضروب متباينة ومتعددة من أشجار ونباتات يعجز العقل البشري عن إحصائها، ينتفع بها في حياته بمختلف أشكالها من غذاء ودواء وكساء ومأوى...، وبمجهودات مبذولة وخبرات مكتسبة عبر قرون وأجيال توصل إلى مدى حاجته إلى معرفة كُنْهِ النباتات واستخدامه لها؛ فقام العلماء باستئناس هذا الكائن الحي في علم مستقل بذاته يشتغل به الباحثون.

النبات لغة: اتفقت المعاجم اللغوية حول ماهية النبات بقولهم: "الحيُّ النَّامي لا يملك فراق مَنْشئه، ويعيش بجذور ممتدَّة في الأرض أو في الماء، والنبات ما أخرجته الأرض من شجر ونحوه"[1].

نبتَ: النَّبت: النّبات، كلُّ ما أنبت الله في الأرض فهو نبت؛ والنَّبات فعله، ويجري مَجرى اسمه. يُقال: "أنبت الله النَّبات إنْباتًا، والنبات اسم يقوم مقام المصدر"[2]، لقوله تعالى: ﴿**وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا**﴾[3]، ويُقال "نبتت لهم نابتة: نشأَ لهم نشئ صِغار"[4]، والمَنْبِت:" موضع النبات"[5].

النبات اصطلاحا: من التعريفات الجامعة لعلم النبات مَا عَرّفَه طاش كبري زادة بقوله: بأنه "علم يبحث عن خواص نوع النبات وعجائبها وأشكالها ومنافعها ومضارها، وموضوعه: نوع النبات، وفائدته ومنفعته: التداوي بها"[6].

1- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.تمج2، ص95.

2- نفسه، مج2، ص95.

3- سورة آل عمران، الآية، ص37.

4- الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب ، القَاموس المُحيط، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، 2005، ص161.

5- ابن منظور، لسان العرب، مج2، ص96.

6-- طاشكبري زادة أحمد بن مصطفى، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1985، ج1، ص307/القِنوجي صديق بن حسن، أبجد العلوم (السحاب المرقوم الممطر بأنواع الفنون وأصناف العلوم)، تحقيق عبد الجبار زكار، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، دار الكتب العلمية، بيروت، 1978، مج 2، ص551.

من خلال هذا التعريف تتجلى لنا العناية الواضحة من قبل العلماء بالمظاهر الفيزيولوجية والوظائف الخارجية للنبات منذ القدم، كما اهتموا بمنافعه ومضاره وغرائب أفعاله، ممَّا يدفعنا للقول بأنّه كانت هناك سيرورة وديمومة بين تعريف علم النبات في القديم ومفهومه في العلم الحديث[1] لتوسع مجالاته وتخصصاته؛ فاستوعب علم التشريح لأجهزة أجزاء النبات، وعلم الأنسجة وعلم الوراثة وعلم الخلية، وعلم الوظائف وغيرها من العلوم المرتبطة أساسا بعلم الحيوان في هذا العصر.

ثانيا: مكانة النبات في القرآن الكريم: إنَّ المتأمل في آيات الله تعالى يرى أنَّ صلة الإنسان بسبحانه ليست مقصورة على أركان العبادة فقط، ولكنها تسع الحياة كلها، وتشمل الكون كُلّه (من سماء وأرض وحيوان ونبات وجماد وماء...)، وأنّه سبحانه وتعالى هو المُهيمن على ذلك، وكلما تقدمت عقول البشرية وارتقت إلى أسمى درجات التحضر والفكر، وجدت في تنزيله العزيز جديدا لم يكتشفه أسلافهم؛ فقد خلق الله الكون، وأخضعه للنواميس والقوانين الطبيعية التي، ما فتىء الإنسان يتدبر نظامها، ويفكُّ ألغازها ويكتشفها.

إن العنصر البشري يعيش على صلة مباشرة بما تنتجه الأرض من نباتات وأعشاب وأشجار وفواكه وخضر، إلا أنَ خبراتهم في هذا الميدان كانت تتغير وتتطور بالممارسة والتأقلم مع عالم الطبيعة من جيل إلى آخر، مَا يُعزز اهتمام الإنسان بالنباتات عند المسلمين المكانة والإشارات التي خصّها الله عزّ وجلّ في القرآن الكريم؛ فالنبات من المجالات التي ذُكرت كثيرا في القرآن الكريم؛ فقد جاء في مُحكم تنزيله: ﴿**الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُم فيها سُبُلاً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآء فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى**﴾[2].

1- يُمثل علم النبات أحد فروع علم الأحياء أو البيولوجيا الذي يهتم بدراسة كل الكائنات الحية النباتية سواء كانت وحيدة الخلية أو متعددة الخلية. العربي بوغدري، النباتات البدائية (الثالوسبات Les Thallophytes)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2013، ص14.

2- سورة طه، الآية : 53.

لقد ورد لفظه ومُشتقاته بصيغ مختلفة من نبت وزرع وحرث وثمر وأكمام وجنات وحَبّ وعفص ورطب...، ولا تكاد تخلو سور القرآن الكريم من ذكر أشكاله بطريقة مباشرة أو غير مباشرة؛ فقد ورد ذكره في أكثر من 150 آية تُبين عظمة الخالق في خلقه، ومراحل نموه، وطبيعة وظائفه القائمة على قوانين علمية، ونظم ثابتة يَسير خلالها ويتغير ضمنها[1]؛ لقد سخرّ الله تعالى لبني آدم الرزق والغذاء والدواء والدفء في أصناف شتى من النباتات والثمرات في قوله تعالى: ﴿ **الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الأرضَ فِرَاشا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُم**﴾[2]، ومن الثمار التي شرّفها الله بالذكر في كتابه العزيز : "الأثل[3]، البصل، التين، الثوم، ، والحنظل، والخردل[4]، الرمان، الريحان، الزنجبيل،الزيتون، السدر، والطلح[5]،... إلخ.

وما زاد على ذلك تأكيد القرآن الكريم على لفت الإنسان إلى القيمة المهمة التي يُمكن أن تكون في النبات، والأسرار الغيبية التي خصّه الله بها: ﴿**إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ** ﴾[6]؛ فالقرآن الكريم يحوي دلائل علمية جمّة لا تنتهي[1]، وتلك

1- محمد بن إبراهيم على الله، معجم بأسماء وألفاظ النباتات في القرآن، دار عالم الفكر، الرياض، ط1، 2000، ص6.

2- سورة البقرة، الآية رقم 22.

3- الأثل: هو شجر عظيم متدوح وله قضبان خضر مُلمع بخضرة، وله ورق أخضر شبيه بورق الطرفاء في طعمه عصوفة، وليس له زهر، ويُثمر على عقد على أغصانه حبا كالحمص أغبر إلى صُفرة، وفي داخله حب صغير مُلتصق بعضه إلى بعض، ويُسمى حب الأثل، وهنك من يقول إنّه نوع من شج الطرفاء؛ فالبستاني هو الأثل، والبري هو الطرفة أو الطرفاء. ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية، ج1، ص16/ الغساني، حديقة الأزهار، ص127.

4- خردل: من نوع البقل، بستاني وبرّي وأواعه كثيرة وكلُّها قريبة من بعضها، قريب الشبه بالفُجل، على ورقه خشونة وفيها تقطيع وتشريف، جَعْدة جدّا تنبسط على الأرض، لها ساق ذات أغصان كثيرة وزهر أصفر تَخْلُفه مزاود رقاق طِوال في داخلها حَبُّ صغير مُدحرج صُلب أحمر. الغساني، حديقة الأزهار، ص313.

5- الطلح: قال عنه خليل بن أحمد هو في القرآن الموز. ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج3، ص140.

6- سورة فصلت، الأية 47، وقد ورد عند أهل اختصاص: في الإعجاز العلمي للنبات لهذه الآية الكريمة قولهم: خلق الله تعالى من كل شيء من الأحياء والجمادات قائما على قاعدة الزوجية المطلقة، تتكاثر الكائنات الحية في كلّ من الإنسان والحيوان بالتزواج بين ذكر وأنثى، ويُعرف ذلك باسم "التكاثر الجنسي"، أمّا أغلب النباتات فتكون الأعضاء الذكرية والأنثوية في الزهرة نفسها، وإن وجدت نباتات منفصلة الجنسين (أحادية الجنس) كالنخيل. وهناك أيضا التكاثر اللاجنسي، وهو تكاثر الكائن الحي بالانشطار أو التبرعم، أو التجزؤ، أو التجدد، أو التوالد العذري (أي دون إخصاب). وقد يكون من النبات الواحد الذكر والأنثى، حيث تؤدي عملية الإخصاب في النباتات المزهرة إلى إنتاج البذور، وتحتوي كلّ بذرة على جنين النبتة الجديدة، ومخزون من الطعام؛ حتى ينمو إلى نبتة قادرة على تجهيز غذائها بما وفرّ الله لها من قدرات. زغلول راغب محمد النجار، النبات في القرآن الكريم، مكتبة العبيكان للنشر، الرياض، ط1، 2016، ص39.

الأسرار والمعارف العلمية التي لا يُمكن كشفها في إطار لغوي مستقل ما لم توظف فيها معارف علمية مُتاحة في تفسير تلك الدلائل. إنَّ التصوير القرآني للنبات في مختلف صوره الإعجازية ما هو في الحقيقة إلاَّ دعوة للتدبر والتفكر في هذا الكون الذي يسير وفق سنن كونية قدرّها الله تعالى للعقول العاقلة، والجدول التالي يوضح النباتات التي ورد ذكرها في القرآن الكريم:

اسم النبات	ذكره في القرآن الكريم برواية حفص	السورة ورقم الآية
الأثل	﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴾.	سبأ- الآية 16
البصل	﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۚ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾.	البقرة- الآية 61
التين	﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴾.	التين- الآية 1
الثوم	﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۚ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾.	البقرة- الآية 61
الحنظل ونحوها ورد بالتفسير عند المفسرين كالسعدي، والبغوي و ابن كثير والقرطبي	﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴾.	إبراهيم الآية: 26
خمط: شجر مثل السدر حمله كالتوت[2]	﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴾.	سبأ الآية: 16

1- هناك دراسات قيمة تناولت موضوع الإعجاز العلمي في النبات، وذلك من خلال الكشف ما أمكن عن دقائق معاني الآيات القرآنية المتعلقة بالنبات في ضوء الحقائق العلمية الثابتة ووجوه الدلالات، ومن تلك الدراسات نخص بالذكر: محمد بن إبراهيم على الله، معجم بأسماء وألفاظ النباتات في القرآن، المرجع السابق.

2- ابن منظور، لسان العرب، مج7، ص 19.

الخردل	﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ۖ وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾. ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾.	الأنبياء الآية: 47 لقمان الآية: 16
الفواكه	﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴾.	سورة الرحمن الآية 11
القثاء	﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۚ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾.	البقرة الآية: 61
البرّ	﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾	البقرة الآية: 261
البقول	﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۚ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَت عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾.	البقرة الآية: 61
الرمان	﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾. ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ۗ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾.	الرحمن الآية: 68 الأنعام الآية: 99
الريحان	﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴾. ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴾.	الرحمن الآية: 12 الواقعة الآية: 89
الزيتون	﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ۗ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾، ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ۚ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ۖ وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾. ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ	الأنعام الآيتان: 99، 141 ——— النور الآية: 35
السدر	﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ	سبأ الآية: 16

	وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴾. ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴾.	——— الواقعة الآية: 28
الطلح	﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴾.	الواقعة الآية: 29
العدس	﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۚ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾.	البقرة الآية: 61
العنب	﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾. ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ۗ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (**99**)﴾. ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ ۚ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ(**41**)﴾. ﴿يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ(**11**)﴾	البقرة الآية: 266 ——— الأنعام الآية: 99 ——— يوسف الآية: 41 ——— النحل الآية: 11
القثاء	﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۚ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾	البقرة الآية: 61
القطن	﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾	النحل الآية: 81
القمح (الحنطة)	﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۚ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾	البقرة الآية: 61
الكتان	﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ	النحل الآية: 81

	تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾	
الشجر والنبات الأخضر	﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾	يس الآية: 80
الموز	﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾	الواقعة الآية: 29
النخيل	﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾	البقرة الآية: 266
	﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ۗ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (99)﴾.	الأنعام الآية رقم 99 ————
	﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ۚ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ۖ وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ(141)﴾.	الأنعام الآية رقم 141 ————
	﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ(04)﴾.	الرعد الآية رقم 04 ————
	﴿يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ(11)﴾.	سورة النحل الآية رقم 11
	﴿وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (67)﴾.	سورة النحل الآية 67 ————
	﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا(91)﴾.	سورة الإسراء الآية :91 ————
	﴿قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ(71)﴾.	سورة طه الآية رقم 71 ————
	﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (32)﴾.	سورة الكهف الآية 32 ————
	﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا(23)﴾.	سورة مريم ال]ة 23
	﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا(25)﴾.	سورة مريم الآية 25 ————

	﴿فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ(19)﴾.	سورة المؤمنون الآية 16
	﴿وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ(148)﴾.	سورةالشعراءالآية 148
	﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ (34)﴾.	سورة يس الآية 34
	﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ (10)﴾.	سورة ق الآية رقم 10
	﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ (11)﴾.	سورة الرحمان الآية رقم 11
	﴿تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ (20)﴾.	سورة القمر الآية رقم 20
	﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (29)﴾.	سورة عبس الآية رقم 29
اليقطين	﴿وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ (146)﴾	الصافات الآية: 146

ثالثا: مكانة النباتات في السنة النبوية الشريفة: اعتنى علماء الإسلام مبكرا بالنباتات التي ورد ذكرها عند سيد الخلق النبي محمدﷺ؛ حيث صُنفت مؤلفات كثيرة تحثُّ على فضل التداوي بالنباتات الطبية أُدرجت ضمن سياق الطب النبوي، ومن أشهر تلك المؤلفات نذكر:

- الطب النبوي لعبد الملك بن حبيب السلمي الأندلسي.
- الشفاء في الطب عن السيد المصطفى ﷺ لأحمد بن يوسف التيفاشي.
- الطب النبوي لأبي نعيم الأصفهاني.
- زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيّم الجوزية.

لقد حثَّ النبي محمدﷺ في أحاديثه الشريفة على أهمية النباتات، ومدى نجاعاتها في علاج جميع الأمراض، ويشمل كتاب صحيح البُخاري معظم أحاديث النبي محمد ﷺ في العلاج خصّها في باب مستقل بها موسوم بـ"ما أنزل الله داء إلاّ أنزل له شفاء"، مقتفيا أثر ذلك بحديث النبي ﷺ ﴿مَا أَنْزَلَ الله داء إلاَّ أَنْزلَ لَهُ شفاء﴾[1]. إنَّ الأحاديث النبوية الطبية تدعو إلى ضرورة التداوي والانتفاع بالبيئة التي سخرّها الخالق لمخلوقه؛ فجعل اللّه في الحيوان الذي لا يميّز غريزة الاهتداء إلى نوع النبات الذي يشفيه من مرضه، وجعل الله العقل في الإنسان ليهتدي إلى النباتات التي تشفيه من أمراضه عن طريق العلم المبني على الدراسة والملاحظة والتجارب المستمرة.

لقد نبّه العالم ابن قيّم الجوزية أنَّ الطب النبوي ليس علم اجتهادي بل هو وحي من الله تعالى وفي ذلك قال: "وليس طبّه ﷺ كطب الأطباء؛ فإنَّ طبّ النبيّ متيقن قطعي إلهي، صادر عن الوحي ومشكاة النبوة وكمال العقل، وطبّ غيره أكثره حدسي وظنون وتجارب"[2]، لقد جعل الله تعالى في النبات شفاء له أسسه العلمية، مازال الطب الحديث إلى يومنا هذا يكتشف خباياه؛ لقد أرشدتنا السُّنة النبوية إلى عيّنات من النباتات الطبية يهتدي بها الإنسان في علاج أمراضه تختزن أسرارا من الإعجاز العلمي الإلهي عَمِل بها الأطباء والعلماء، ووافقت عليه السنة، إنَّ هذه النباتات وغيرها التي ذكرتها السنة النبوية ما هي إلاَّ دليل على ضرورة التدبر والتأمل، جعلت من القرآن والسنة مفتاحا للبحث في مكنوناتها وأسرارها العلمية، وهذا ما سنوضحه في الجدول التالي:

اسم النبات	ذكره في السنة النبوية	تخريج الحديث ودرجته
الأُترج	عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم: "مَثَلُ المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأُتْرُجَّة: ريحُها طيِّب وطعمُها طيِّب، ومَثَل المؤمن الذي لا يقرأ القرآنَ مثَل التمرة: لا ريحَ وطعمُها حُلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الرَّيحانة: ريحُها طيِّب وطعمُها مُرٌّ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة: ليس لها ريحٌ وطعمُها مُرٌّ".	صحيح البخاري رقم 5427/ صحيح مسلم رقم: 797

1- صحيح البُخاري، كتاب الطب، باب ما أنزل الله داء إلاَّ أنزل له شفاء، ص5678.

2- شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيّم الجوزية الدمشقي، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1998، ص 591.

الأرز	- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: "مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الخَامَةِ مِنَ الزَّرْعِ يَفِيءُ وَرَقُهُ مِنْ حَيْثُ أَتَتْهَا الرِّيحُ كَفَأَتْهَا، فَإِذَا اعْتَدَلَتْ تَكَفَّأُ بِالْبَلاَءِ، وَالفَاجِرُ كَالأَرْزَةِ، صَمَّاءَ مُعْتَدِلَةً، حَتَّى يَقْصِمَهَا اللَّهُ إِذَا شَاءَ". "وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ شَجَرَةِ الأَرْزِ، لَا تَهْتَزُّ حَتَّى تَسْتَحْصِدَ" قَالَ رَسُولُ اللهِ: "مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الْخَامَةِ مِنَ الزَّرْعِ، تُفِيئُهَا الرِّيحُ، تَصْرَعُهَا مَرَّةً وَتَعْدِلُهَا أُخْرَى، حَتَّى تَهِيجَ، وَمَثَلُ الْكَافِرِ كَمَثَلِ الْأَرْزَةِ الْمُجْذِيَةِ عَلَى أَصْلِهَا، لَا يُفِيئُهَا شَيْءٌ، حَتَّى يَكُونَ انْجِعَافُهَا مَرَّةً وَاحِدَةً". - "وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ كَالأَرْزَةِ، لاَ تَزَالُ حَتَّى يَكُونَ انْجِعَافُهَا مَرَّةً وَاحِدَةً". - قَالَ رَسُولُ اللهِ: "مثَلُ الْمُؤْمِنِ مَثَلُ السُّنْبُلَةِ، مَرَّةً تَسْتَقِيمُ، وَمَرَّةً تَمِيلُ، وَتَعْتَدِلُ، وَمَثَلُ الْكَافِرِ مَثَلُ الْأَرْزَةِ مُسْتَقِيمَةً لَا يَشْعُرُ بِهَا حَتَّى تَخِرَّ".	صحيح البخاري رقم 7466 —— صحيح البخاري رقم 5642/ مسلم: 7270 —— - صحيح البخاري، رقم 7466
الإذخر	- عن ابن عباس قال:قالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ يَومَ الفَتْحِ، فَتْحِ مَكَّةَ، "لا هِجْرَةَ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وإذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا. وَقالَ يَومَ الفَتْحِ، فَتْحِ مَكَّةَ، إنَّ هذا البَلَدَ حَرَّمَهُ اللَّهُ يَومَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأرْضَ، فَهو حَرَامٌ بحُرْمَةِ اللهِ إلى يَومِ القِيَامَةِ، وإنَّه لَمْ يَحِلَّ القِتَالُ فيه لأَحَدٍ قَبْلِي، وَلَمْ يَحِلَّ لي إلَّا سَاعَةً مِن نَهَارٍ، فَهو حَرَامٌ بحُرْمَةِ اللهِ إلى يَومِ القِيَامَةِ، لا يُعْضَدُ شَوْكُهُ، وَلَا يُنَفَّرُ صَيْدُهُ، وَلَا يَلْتَقِطُ إلَّا مَن عَرَّفَهَا، وَلَا يُخْتَلَى خَلَاهَا. فَقالَ العَبَّاسُ: يا رَسولَ اللهِ، إلَّا الإذْخِرَ. فإنَّه لِقَيْنِهِمْ وَلِبُيُوتِهِمْ. فَقالَ: إلَّا الإذْخِرَ"	صحيح البخاري: رقم 1834/ صحيح مسلم : رقم 1353
البطيخ	كانَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ يأكُلُ البطِّيخَ بالرُّطَبِ فيقولُ : نَكْسِرُ حرَّ هذا ببَردِ هذا، وبَردَ هذا بِحَرِّ هذا".	- أخرجه أبو داود رقم 3836
البسر	روي عن أبي هريرة : أَنَّ أَبَا الْهَيْثَمِ بْنَ التَّيِّهَانِ، لَمَّا ضَافَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبو بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، جَاءَهُمْ بِعَذْقٍ- وَهُوَ مِنَ النَّخْلَةِ كَالْعُنْقُودِ مِنَ الْعِنَبِ- فَقَالَ لَهُ: "هَلَّا انْتَقَيْتَ لَنَا مِنْ رطبه". فقال: "أحببت أن تنقوا مِنْ بُسْرِهِ وَرُطَبِه".	- سنن الترميذي رقم 2369
التمر	- عن عامر بن سعد عن أبيه – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من تصبح بسبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر"، وقال غيره " سبع تمرات". - "من أكل سبْعَ تَمراتٍ مِمّا بين لابَتَيْها حينَ يُصبِحُ لمْ يَضرَّهُ سُم حتى يُمسي".	- صحيح البخاري رقم: 5445 - صحيح مسلم رقم 2047 - صحيح الجامع للألباني، رقم 6085
التلبينة: حساء متخذ من دقيق الشعير بنخالته	- عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا كَانَتْ إِذَا مَاتَ الْمَيِّتُ مِنْ أَهْلِهَا فَاجْتَمَعَ لِذَلِكَ النِّسَاء، ثُمَّ تَفَرَّقْنَ إلا أَهْلَهَا وَخَاصَّتَهَا، أَمَرَتْ بِبُرْمَةٍ مِنْ تَلْبِينَةٍ فَطُبِخَتْ، ثُمَّ صُنِعَ ثَرِيدٌ، فَصُبَّتْ التَّلْبِينَةُ عَلَيْهَا، ثُمَّ قَالَتْ: كُلْنَ مِنْهَا، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُول: "التَّلْبِينَةُ مُجِمَّةٌ لِفُؤَادِ الْمَرِيضِ، تَذْهَبُ بِبَعْضِ الْحُزْنِ".	-صحيح البخاري رقم:5417

	- وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا كَانَتْ تَأْمُرُ بِالتَّلْبِينِ لِلْمَرِيضِ وَلِلْمَحْزُونِ عَلَى الْهَالِكِ، وَكَانَتْ تَقُولُ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:"إِنَّ التَّلْبِينَةَ تُجِمُّ فُؤَادَ الْمَرِيضِ، وَتَذْهَبُ بِبَعْضِ الْحُزْنِ".	صحيح البخاري رقم: 5689
الثوم	عن قرة بن إياس المزني أنَّ رسولَ اللهِ - صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ- نهى عن هاتينِ الشَّجرتينِ -يعني: البصلَ والثُّومَ-، وقال: "مَن أكلَهما؛ فلا يقربنَّ مسجدَنا، وقال: إن كنتُم -لابدَّ- آكليهما؛ فأميتوهُما طبخًا".	تخريج مشكاة المصابيح عن الألباني إسناده صحيح
الجُمَّار (قلب النخل)	عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: "بَيْنا نحنُ عند النبي صلى الله عليه وسلم جُلوس، إذْ أُتِيَ بِجُمّارِ نَخْلَة، فقال وهو يأكُلُه: إنَّ من الشَّجَر شَجَرة خضراء ، لَمَا بَرَكَتُها كبَرَكَةِ المسلم، لا يَسْقُطُ وَرَقُها، ولا يَتَحاتُّ، وتُؤتي أُكُلَها كلَّ حينٍ بإذْنِ رَبِّها، وإنها مِثْلُ المُسْلِم".	صحيح البخاري رقم: 5444/ صحيح مسلم 2811
الحناء	- عن أنس رضي الله عنه قال: (اختضب أبو بكر بالحناء والكتم، واختضب عمر بالحناء بحتاً أي صرفاً". - وعن أبي ذر رضي الله عنه أحن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن أحسن ما غيرتم به الشيب، الحناء والكتم". - عن علي بن أبي رافع، عن جدته سلمى خادم رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قالت: "ما كان أحد يشتكي إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وَجعاً في رأسه إلا قال: "احتجم" ولا وجعاً في رجليه إلا قال: "اخضبهما". - وعنها أيضا قالت: "كان لا يصيب النبي صلى الله عليه وسلم قرحة ولا شوكة إلا وضع عليها الحناء". - وعن عثمان بن وهب قال: "دخلت على أم سلمة فأخرجت لنا شعراً من شعر النبي صلى الله عليه وسلم مخضوباً". - وعن سلمى خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت:"ما كان أحد يشتكي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعا في رأسه إلا قال احتجم ولا وجعا في رجليه إلا قال اخضبهما". أي بالحناء.	- رواه مسلم. - رواه الترمذي وقال حديث صحيح. - رواه أبو داود. -رواه الترمذي بإسناد حسن. - رواه البخاري. - رواه أبو داود وابن ماجه والترمذي وقال حديث غريب إنما نعرفه من حديث فائد، قال الحافظ إسناده غريب وحسنه الألباني في كتاب صحيح الترغيب والترهيب وفي صحيح وضعيف أبي داود.
الحبة السوداء (الشونيز بالفارسية، الكمون الأسود، الكمون الهندي)	من حديث أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إنّ في الْحَبَّةِ السَّوْدَاءِ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ إِلَّا السَّامَ".	- رواه البخاري رقم 5688 _ رواه مسلم رقم 2215
قصب ذريرة	حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ الْهَيْثَمِ أَوْ مُحَمَّدٌ عَنْهُ عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، أَخْبَرَنِى عُمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُرْوَةَ، سَمِعَ عُرْوَةَ وَالْقَاسِمَ يُخْبِرَانِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : "طَيَّبْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِيَدَىَّ بِذَرِيرَةٍ فِى حَجَّةِ الْوَدَاعِ لِلْحِلِّ وَالإِحْرَامِ".	أخرجه البخاري رقم 5930/ ومسلم رقم 1189
الرطب	- عن عبد الله بن جعفر، قال: "رَأَيْتُ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَأْكُلُ الرُّطَبَ بالقِثَّاءِ". - عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قال: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُفْطِرُ عَلَى رُطَبَاتٍ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ رُطَبَاتٌ فَعَلَى تَمَرَاتٍ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ حَسَا حَسَوَاتٍ مِنْ مَاءٍ".	- صحيح مسلم رقم 2043 _ سنن أبي داود، رقم 2356

النبات	النص	المصدر
الريحان	- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: "مَن عُرِضَ عليه رَيْحانٌ فلا يَرُدُّهُ، فإنَّه خَفِيفُ المَحْمِلِ طَيِّبُ الرِّيحِ". - عن أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ لِأَصْحَابِهِ: "أَلَا مُشَمِّرٌ لِلْجَنَّةِ؟ فَإِنَّ الْجَنَّةَ لَا خَطَرَ لَهَا، هِيَ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ نُورٌ يَتَلَأْلَأُ، وَرَيْحَانَةٌ تَهْتَزُّ، وَقَصْرٌ مَشِيدٌ، وَنَهَرٌ مُطَّرِدٌ، وَفَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ نَضِيجَةٌ، وَزَوْجَةٌ حَسْنَاءُ جَمِيلَةٌ، وَحُلَلٌ كَثِيرَةٌ فِي مَقَامٍ أَبَدًا، فِي حَبْرَةٍ وَنَضْرَةٍ، فِي دَارٍ عَالِيَةٍ سَلِيمَةٍ بَهِيَّةٍ» قَالُوا: نَحْنُ الْمُشَمِّرُونَ لَهَا، يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «قُولُوا إِنْ شَاءَ اللَّهُ".	- رواه مسلم. رقم 2253 _ سنن ابن ماجة رقم 4331
السنا/السنُّوتّ= الشبث	عن أبي أُبَيِّ بْنَ أُمِّ حَرَامٍ رضي الله عنه قال: "سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: (عَلَيْكُمْ بِالسَّنَى، وَالسَّنُّوتِ، فَإِنَّ فِيهِمَا شِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ، إِلَّا السَّامَ) ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا السَّامُ؟ قَالَ: (الْمَوْتُ) ".	رواه ابن ماجه والحاكم والطبراني وأبو نعيم وصححه الألباني.
السواك	- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه،قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي، لَأَمَرْتُهُمْ بالسِّواكِ مَع كُلِّ صَلَاةٍ "	- صحيح البخاري رقم 887/ صحيح مسلم 252
السلق	عن أم منذر، قالت: "دخلَ عليَّ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ ومعَه عليٌّ ولنا دَوالٍ معلَّقةٌ فجعلَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ يأكُلُ وعليٌّ معَه فقالَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ لعليٍّ مَه يا عليُّ فإنَّكَ ناقِهٌ قالت فجعلتُ لَهم سَلقًا وشعيرًا فقالَ النَّبيُّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ يا عليُّ مِن هذا فأصِب فإنَّهُ أوفقُ لَك".	صحيح أبي داود، رقم 3856
الشعير	عن عائشة رضي الله عنها قالت:"كان رسولُ اللهِ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم- إذا أخذ أهلَه الوَعْكُ: أمر بالحَسَاءِ من الشعير، فصُنِع، ثم أمرهم فحَسَوْا منه وكان يقولُ: إنه لَيَرْتُو فؤادَ الحزينِ، ويَسْرُو عن فؤادِ السقيمِ كما تَسْرُو إحداكن الوَسَخَ بالماءِ عن وجهِها".	الألباني، تخريج مشكاة المصابيح، رقم 4162
الطلع	مَرَرْتُ مع رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ بقَوْمٍ علَى رُؤُوسِ النَّخْلِ، فَقالَ: ما يَصْنَعُ هَؤُلَاءِ؟ فَقالوا: يُلَقِّحُونَهُ، يَجْعَلُونَ الذَّكَرَ في الأُنْثَى فَتَلْقَحُ، فَقالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: ما أَظُنُّ يُغْنِي ذلكَ شيئًا، قالَ: فَأُخْبِرُوا بذلكَ فَتَرَكُوهُ، فَأُخْبِرَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ بذلكَ فَقالَ: إنْ كانَ يَنْفَعُهُمْ ذلكَ فَلْيَصْنَعُوهُ، فإنِّي إنَّما ظَنَنْتُ ظَنًّا، فلا تُؤَاخِذُونِي بالظَّنِّ، وَلَكِنْ إذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنِ اللهِ شيئًا، فَخُذُوا به، فإنِّي لَنْ أَكْذِبَ علَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.	صحيح مسلم رقم: 2361
العجوة	عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " مَن تَصَبَّحَ بسَبْعِ تَمَراتٍ عَجْوَةً، لَمْ يَضُرَّهُ ذلكَ اليومَ سُمٌّ، ولا سِحْرٌ"	صحيح مسلم، باب الأشربة رقم 2047
العود الهندي	كان ابنُ عمرَ، إذا استجمَرَ استجمرَ بالألُوَّة ، غيرِ مُطرَّاة ، وبكافورٍ يَطرَحُه مع الألُوَّةِ، ثم قال: "هكذا كان يَستَجْمِرُ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم".	صحيح مسلم رقم: 2254
العدس	ورد فيه أحاديث كلها باطلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، لم يقل منها شيئا. كحديث: "إنه قدس فيه سبعون نبيا"، وحديث: "إنه يرق القلب، ويغزر الدمعة، وإنه مأكول الصالحين". وأرفع شيئ جاء فيه وأصحه: "إنه شهوة اليهود التي قدموها على المن والسلوى."	ابن القيم الجوزي
القثاء	- عن عبد الله بن جعفر، قال: "رَأَيْتُ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَأْكُلُ الرُّطَبَ بالقِثَّاءِ".	صحيح البخاري، رقم

		5440
القُسط: نوعان العود البحري والعود الهندي	- من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم: "إنَّ أفْضَلَ ما تَداوَيْتُمْ به الحِجامَةُ، والْقُسْطُ البَحْرِيُّ، ولا تُعَذِّبُوا صِبْيانَكُمْ بالغَمْزِ. - عَنْ أُمِّ قَيْسٍ بِنْتِ مِحْصَنٍ، قَالَتْ: "سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :عَلَيْكُمْ بِهَذَا العُودِ الهِنْدِيِّ، فَإِنَّ فِيهِ سَبْعَةَ أَشْفِيَةٍ: يُسْتَعَطُ بِهِ مِنَ العُذْرَةِ، وَيُلَدُّ بِهِ مِنْ ذَاتِ الجَنْبِ".	_ صحيح البخاري رقم 5696
الكمأة	ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "الكَمْأَةُ مِنَ المَنِّ، وماؤُها شِفاءٌ للعينِ".	صحيح البخاري رقم: 4208:
الكباثَ	عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: "كُنَّا مع رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بمَرِّ الظَّهْرَانِ نَجْنِي الكَبَاثَ، فَقالَ: علَيْكُم بالأسْوَدِ منه فإنَّه أيْطَبُ فَقالَ: أكُنْتَ تَرْعَى الغَنَمَ؟ قالَ: نَعَمْ، وهلْ مِن نَبِيٍّ إلَّا رَعَاهَ".	صحيح البخاري رقم:5453
الكتم	- عن عثمان بن عبد الله بن موهب ، قال: دخلنا على أم سلمة رضي الله عنها، فأخرجت إلينا شعرا من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا هو مخضوب بالحناء والكتم. - عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: إنَّ أحسنَ ما غيَّرتُم به الشيبَ الحناءُ والكتمُ". - عن أنس رضي الله عنهأن أبا بكر رضي الله عنه اختضب بالحناء والكتم. - عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: مر على النبي صلى الله عليه وسلم رجل قد خضب بالحناء، فقال ما أحسن هذا ؟ فمر آخر قد خضب بالحناء والكتم، فقال: "هذا أحسن من هذا"، فمر آخر قد خضب بالصفرة، فقال: "هذا أحسن من هذا كله".	- صحيح البخاري رقم: 5558 - صحيح النسائي، رقم 5009
الكرْم (الحبلةُ)	عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لا يَسُبُّ أحَدُكُمُ الدَّهْرَ، فإنَّ اللَّهَ هو الدَّهْرُ ولا يَقُولَنَّ أحَدُكُمْ لِلْعِنَبِ الكَرْمَ، فإنَّ الكَرْمُ الرَّجُلُ المُسْلِمُ".	صحيح مسلم رقم: 2247.
النخل	ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا قَالَ بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إذْ أُتِيَ بِجُمّارِ نَخْلَةٍ فَقَالَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ:"إنّ مِنْ الشّجَرِ شَجَرَةً مَثَلُهَا مَثَلُ الرّجُلِ الْمُسْلِمِ لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا أَخْبِرُونِي مَا هِيَ؟". فَوَقَعَ النّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي فَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنّهَا النّخْلَةُ فَأَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ هِيَ النّخْلَةُ ثُمّ نَظَرْتُ فَإِذَا أَنَا أَصْغَرُ الْقَوْمِ سِنّا فَسَكَتّ. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ:"هِيَ النّخْلَةُ". فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعُمَرَ فَقَالَ لَأَنْ تَكُونَ قُلْتَهَا أَحَبّ إلَيّ مِنْ كَذَا وَكَذَا.	صحيح البخاري رقم 4689
النبق	ذَكَرَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ النّبْقَ فِي الْحَدِيثِ الْمُتّفَقِ عَلَى صِحّتِهِأَنّهُ رَأَى سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ بقوله: "ثم رُفِعت إليَّ سِدْرَتُ الْمُنتَهى وفإذا نَبْقُهَا مِثْلَ قِلَالِ هَجَرَ وإذا وَرَقُها مِثْلُ آذان الفِيلَة، قَالَ: هَذِهِ سِدْرَةُ المُنْتَهى".	صحيح البخاري، باب المعراج، رقم: 3674
الورس	- مِنْ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ عَنْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ "أَنّهُ كَانَ يَنْعَتُ الزّيْتَ وَالْوَرْسَ مِنْ ذَاتِ الْجَنْبِ قَالَ قَتَادَةُ يُلَدّ بِهِ وَيُلَدّ مِنْ الْجَانِبِ الّذِي يَشْتَكِيهِ".	- أخرجه الترميذي وضعفه الألباني.

	- مِنْ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ أَيْضًا قَالَ:"نَعَتَ رَسُولُ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ذَاتِ الْجَنْبِ وَرْسًا وَقُسْطًا وَزَيْتًا يُلَدّ بِهِ". - عَنْ أُمّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا قَالَتْ:"كَانَتْ النّفَسَاءُ تَقْعُدُ بَعْدَ نِفَاسِهَا وَكَانَتْ إِحْدَانَا تَطْلِي الْوَرْسَ عَلَى وَجْهِهَا مِنْ الْكَلَف".	- أخرجه ابن ماجه وضعفه الألباني.

رابعا: تطور علم النبات عند الحضارات القديمة: عرفت البشرية النباتات منذ القدم، استخدموها وتعاملوا معها في أغراض شتى، كما أنَّ الرسوم على الأواني الفخارية والنقوش على جدران الكهوف تدل على أنّه كان هناك تفطن إلى أشياء متعددة في علم النبات[1].

لقد جرَّبَ الإنسان أنْ يستخدم ويتعامل مع النباتات بكل أجزائها من جذور وأوراق وبذور وحشائش؛ فتعرَّف عليها من خلال معايشته لها، واستئناسه بها ومراقبة الحيوانات وهي تتناول تلك الأعشاب، وما يطرأ عليها من شفاء ومرض؛ فظهر في تفكيرهم ما يتصل بالتراكم المعرفي لبعض النباتات، حيث أخذت المشاهدة والتجربة والصدفة والخرافة أساس علاقاتهم بهذه الكائنات.

1- في الحضارة الصينية: لقد كان الاهتمام بالنباتات قديم قدم الحضارات الأولى؛ فالصينيون استعملوا عقاقير جمة منذ حوالي 5000 ق.م، وتوجد كتابات سنسكريتية تصف جميع العقاقير وطرق تحضيرها، وقد تحدث الدارسون عن تضارب الأقوال عن تاريخ أول دستور للأدوية في الصين، وقد أُطلق عليه اسم بن تساو (Pen-ts ‘ao)، والذي يقصد به مجموعة الأعشاب[2]، حيث ألفَّ العالم الصيني "تشين- نونغ" كتابا ضخما يحتوي على 1893 وصفة طبية[3].

2- في حضارة بلاد الرافدين: تشير الدراسات من خلال الحفريات إلى أنَّ أقوام وادي الرافدين كانوا أول من درس النباتات دراسة منهجية علمية؛ فقد استطاع الباحثون تمييز خمس عشرين نبات مذكور

1- ياسين صالح ياسمين، المشاهد النباتية في الفن العراقي القديم، رسالة ماجستير، كلية الأدب، جامعة الموصل، 2006، ص143.

2- مظفر أحمد الموصلي، النباتات الطبية في المدونات الأثرية والمراجع الإسلامية والمصادر المعاصرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2017، ص23.

3- باقر طه، موجز في تاريخ العلوم والمعارف في الحضارات القديمة والحضارة العربية الإسلامية، جامعة بغداد، 1980، ص132.

باللغة السومرية خلال التنقيبات التي جرت في مدينة أور الأثرية بجنوب العراق[1]، ومن أمثلة ذلك ما ذكره أهل الاختصاص في اللغات العراقية القديمة نبات الخرنوب، والذي يقصد به مدينة الحياة، وترادفه في اللغة الأكادية تسمية "harubl pu"، وهي قريبة من اللفظ العربي للنبات[2]، وينطبق نفس الشيء على نبات الكركم؛ فقد أشار العلامة باقر طه إلى أنّه ورد في اللغة السومرية بصيغة "KUR.GI"، ويرادفها في اللغة الأكدية "Kurkanu"، والإسمين قريبان من اسم النبات في اللغة العربية[3].

أمَّا عن أسماء النباتات الطبية التي ورد ذكرها في النصوص البابلية كأدوية فمنها نبات المرّ والسكران والخردل وقشر الرمان، وبذور الكتان، والزيتون والكمون، والدفلى والأس، والخروع، والنعناع، والخشخاش، وعرق السوس، والزعفران، والثوم[4]؛ فقد استفاد سكان وادي الرافدين في الكثير من النباتات في علاج مرضاهم، ولاسيما أنَّ البابليين كانوا يعرضون مرضاهم في الساحات العمومية خارج المدن، وذلك لكي يراهم المارة، ويستفسرون عن مرضهم، حتى إذا سبقت لأحدهم مثلها، أرشد المصاب لاستعمال الوسائل والأدوية التي أدت إلى شفائه[5]، وقد توصل البابليون إلى تحديد 250 ضربا من الحشائش[6].

ولا يمكن أنْ نتجاوز فترة بلاد ما بين النهرين من دون أن نتطرق إلى أهم كتاب أنتجته لنا الحضارة الكلدانية، وهو كتاب "**الفلاحة النبطية**" الذي وضعه شخص يدعى قوثامي الكوناني من مدينة سورا في بلاد ما بين النهرين الذي يرجح تاريخ حياته بالقرن السادس عشر قبل الميلاد، إبان حكم أسرة

1- عادل محمد علي الشيخ حسين، النبات في إسبانيا العربية (الأندلس)، ضمن كتاب إسهامات العرب في علم النبات، الندوة العالمية الثالثة لتاريخ العلوم عند العرب، الكويت، 1983، ص317.

2- باقر طه، تراثنا اللغوي القديم ما يسمى في العربية بالدخيل، مؤسسة المجمع العربي العراقي، بغداد، 1980، ص77.

3- نفسه، ص 128-129.

4- ناصر حسين صفر، النباتات الطبية عند العرب، دائرة الشؤون الثقافية والنشر، الجمهورية العراقية، بغداد، 1984، ص14.

5- محمد فرج الهوني، تاريخ الطب في الحضارة العربية الإسلامية، الدار الجماهرية للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا، 1986، ص18.

6- مارغريت روثن، علوم البابليين، ترجمة يوسف حبي، دار الرشيد، بغداد، ط1، 1980، ص113.

كنعانية لمملكة بابل[1]، ترجمه من السريانية إلى العربية أبو بكر أحمد بن علي بن قيس بن المختار بن عبد الكريم بن جرثيا بن بدينا ابن بوراطيا ابن عالاطيا الكسداني الكرواني المعروف بابن وحشية (ت292هـ/904م) مع بعض الإضافات البسيطة دسّها في الكتاب[2]، وإنْ كان هذا المترجم أحدث جدلا علميا في أوساط الباحثين حول مدى قدرة ابن الوحشية الذي ينتمي إلى القرن الثالث الهجري على فهم لغة مضت عليها أكثر من 2400 سنة، غير أنّ هذه الشكوك بددت برسوخ اللغات السامية إلى يومنا هذا[3].

أفادنا العالم كاتريمر (Quatremère) في بحثه الموسوم «Memoires sur les Nabateens» أنّ أقدم نسخة للكتاب تعود إلى القرن الثامن قبل الميلاد في عهد الملك الكلداني نبوخذنصر (748-734ق.م)[4]، ويؤكد الباحث توفيق فهد أنّ كتاب الفلاحة النبطية هو مؤلف أصيل في فحواه، حيث أنّه لم يستفد من مؤلفات الإغريق أو الرومان؛ بل يرى أنّ المؤلفات الزراعية اليونانية قد استفادت من كتاب الفلاحة النبطية[5].

وتظهر أهمية كتاب الفلاحة النبطية أنّه يعكس التطور والتقدم الذي وصل إليه علم النبات وعلم الفلاحة لدى الآراميين والنبطيين في بلاد الهلال الخصيب قبل ظهور الاسلام، فالكتاب يحتوي على عدد كبير من النباتات النفعية في المجال الغذائي والطبي...، وقد درسها وعرفها علماء الكلدانيين، ويشير الباحث زهير بابا أنَّ الكتاب يستوعب أسماء آرامية لا تزال معروفة إلى يومنا هذا[6]، وقد نقل

1- فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي (السيمياء والكيمياء والنبات والفلاحة)، ترجمة عبد الله بن عبد الله حجازي، مراجعة مازن يوسف عماوي، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، ط1، 1986، مج4، ص479.

2- ابن النديم أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق، الفهرست، تحقيق يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2002، ص486، ص550/فؤاد سزكين، المرجع نفسه، مج4، ص479-480.

3- نفسه، مج4، ص479.

4- محمد زهير البابا، العلاقة بين علم العقاقير وعلم الفلاحة عند العرب، ضمن كتاب إسهامات العرب في علوم الفلاحة، الندوة العالمية الثالثة لتاريخ العلوم عند العرب، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، ط1، 1988، ص232.

5- توفيق فهد، دور الفلاحة النبطية في تطوير علم الفلاحة عند العرب، ضمن كتاب إسهامات العرب في علوم الفلاحة، ص84 .

6- محمد زهير البابا، العلاقة بين علم العقاقير وعلم الفلاحة عند العرب، ص235.

علماء الأندلس الكثير من المعلومات من هذا الكتاب مع إضافة تجاربهم الخاصة بإقليمهم في علمي الزراعة والنبات مع تجنب المادة الضئيلة التي اعترت الكتاب من معتقدات وثنية وما له علاقة بعبادة الكواكب والأمور المتعلقة بالآثار العلوية كالطلاسم والسحر والتنجيم[1]؛ فكتاب الفلاحة النبطية مصدر في غاية الأهمية لعلماء العرب في مجال علم النبات، ولاسيما أنهم لم يفصلوا بين علمي النبات والفلاحة إلاَّ في زمن متأخر يَعود إلى القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي)[2].

3- في الحضارة الفرعونية: تعود حضارة مصر القديمة إلى أكثر من 4000 ق.م، وكانت المعارف عندهم، ولاسيما الطب منها خليط من السحر والشعوذة والطلاسم، وكشفت الكتابات والصور المنقوشة في مصر القديمة أنَّ النباتات كانت جزء من الحياة اليومية والطقوس الدينية[3]؛ وقد كان السبب الرئيس الذي دفع المصريين القدماء إلى استعمال التحنيط[4] الاعتقاد بوجود حياة ما بعد الموت، وهذه الحياة تستدعي سلامة الجثة أو الجسم من التلف والتفسخ في القبر[5]، وكان اهتمام المصريين منصبا على معرفة سبل الحِفاظ على الجسد من التلف، الذي أخذ يتطور بتوسع استخداماته لمختلف المعارف والعقاقير الطبية، ولا سيّما تلك النباتات التي لها قدرة على تنظيف الجوف والأحشاء والجمجمة كنبيذ البلح والتمر وبعض المواد الحامضية[6]، ونباتات أخرى لها القدرة

1- توفيق فهد، دور الفلاحة النبطية في تطوير علم الفلاحة، ص85.

2- فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي، مج4، ص 455.

3- عادل عبد العال، الطب القديم خلاصة ما توصل إليه الطب المصري القديم، دار أجيال للنشر والتوزيع، مصر، ط 3، 2007، ص90.

4- تُعتبر عملية التحنيط أرق وأبدع ما وصلت إليه الحضارة المصرية القديمة، وارتبطت بمحاولة الحفاظ على سلامة الجسد من التلف والتعفن لتتملكه الروح بعد الوفاة، فكانوا يستفرغون الجثة من المخ والأحشاء باستخدام العمليات الجراحية وعقاقير طبية ومواد خاصة لذلك، وكانوا يطلقون على الجسم المُحنط مصطلح مومياء، ولمعرفة تفاصيل عملية التحنيط يُنظر المراجع التالية: أحمد صالح، التحنيط (فلسفة الخلود في مصر القديمة)، جماعة حور الثقافية، القاهرة، ط1، 2000/يوليوس جيار ولويس روبر، الطب والتحنيط في عهد الفراعنة، ترجمة أنطون زكري، مطبعة السعادة، القاهرة، 1966.

5- يوليوس جيارو لويس روبر، نفس المرجع، ص 108.

6- حسن كمال، الطب المصري القديم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط2، 1966، ص281-282.

على التجفيف كنبات القرفة والكتان [1]؛ فضلا عن نباتات عطرية وتجميلية كالحناء ،نبات اللبان، وبعض الزيوت النباتية كزيت الزيتون،زيت المر ، زيت العرعر وزيت خشب الأَرْز[2]، وكان للحضارة المصرية القديمة قصب السبق في استعمال مادة البنج المستخرجة من نبات الخشاش في عملية التخدير أثناء العمليات الجراحية[3]؛ فالعقاقير الطبية لمصر القديمة ألغزت علماء البحث العلمي إلى يومنا هذا لكونها سرا من أسرار حياة ما بعد الموت.

4- في الحضارة الإغريقية: استفاد الإغريق من معارف الشعوب والحضارات الأخرى، بشكل خاص معارف المصريين القدماء؛ قد استطاعوا تطوير هذه المعارف والزيادة عليها، كما جمع الإغريق بين الطب والفلسفة والعلوم الإنسانية، ولمَّا كانت خصائص النبات كثيرا ما تكون في جذوره؛ فقد كان اسمهم المألوف عند اليونان أصحاب الجذور[4]، ويعود السبب في تطور طب الأعشاب لديهم إلى أنَّ المسائل النباتية كانت تُدرس في الأكاديمية وفي الليكيوم[5]، وقد ظهر لفيف من العلماء اختصوا بالتأليف في المجال النباتي كأرسطو وثيوقراستوس وغيرهم.

يُنسب لأرسطو(384-322ق.م)[6] كتاب في النبات فيه مقالتين[1]، وهو الكتاب السادس في الطبيعيات، وصفه اليعقوبي بقوله: "إنّه في الإبانة عن علل النبات وكيفياته وخواصه وعوامه، وعلل

1- نفسه، ص280-283/سليم حسن، موسوعة مصر القديمة، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 1992، ج2، ص286-291.

2- يولويس جبار ولويس روبير، المرجع السابق، ص111.

3- حسن كمال، المرجع السابق، ص 30.

4- جورج سارتون، تاريخ العلم (العلم القديم في العصر الذهبي لليونان)، ترجمة توفيق الطويل وعبد الحميد لطفي آخرون، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2010 ،ج3، ص278.

5- **الليكيوم**: هي مدرسة أسسها أرسطو تُعرف باسم أيكة موقوفة على عبادة الإله أبولون ليكيوس (الإله الذئب)، ومنه اشتق اسم الليكيوم. جورج سارتون، تاريخ العلم، ج3، ص279-287/علي محمد سلام، العطر والطيب، دار الثقافة للنشر، مصر، ط1، 2006، ص27.

6- **أرسطو**: هو ابن نيقوماخوس (وكان الأب طبيبا لأحد ملوك مقدونيا)، رحل إلى أثينا حيث تتلمذ على أفلاطون في الأكاديمية لمدة عشرين سنة، كان أفلاطون يلقبه بالعقل لشدة ذكائه، وبعد وفاة أفلاطون غادر أثينا وتنقل بين عدة دول، أنشأ مدرسته في منطقة الملعب الرياضي الذي يسمى اللوقيون (Lyceum)، لذا سميت الليسي (Lycée)، وكان بهذه المدرسة ممشى ظليلا يفضله أرسطو، ويلقي دروسه

أعضائه، والمواضع الخاصة به وحركاته"[2]، لم يترجم هذا الكتاب إلى العربية، ولكن نيقولاس الدمشقي وضع تفسيرا له، ثم ترجمه إسحاق بن حنين[3] (ت 298هـ/910م) إلى العربية[4]، بينما يرى حسن يافعة وزميله المستشرق الألماني بوزورت أنَّ هذا الكتاب ما هو في الحقيقة إلاَّ ترجمة يونانية للصيغة اللاتينية التي أنجزها ألفرد دي سارشيل (Alfred de Sareshel) لكتاب النبات الذي ألفه في الأصل نيقولا الدمشقي المولود حوالي 64ق.م[5]، ويقولان أيضا أنّ ألفريد قد قرأه في ترجمة عربية مختصرة، وقد نشر الكتاب بالعربية في طبعتين نادرتين: الأولى سنتي 1933 و1934، والثانية بنشر عبد الرحمن البدوي سنة 1954م[6]. ويرى جورج سارتون أنه بالرغم من أنَّ كتاب النبات (De planti) ليس لأرسطو، إلاَّ أنَّ فيه فقرات تُعد أندادا لكتابات أرسطو وثيوفراستوس[7].

رغم ضياع النسخة الأم لكتاب أرسطو في النبات إلاّ أنَّ أفكاره تداولتها بعض المصادر العربية، ويدعم هذا الطرح تتبعنا للأفكار التي وردت عند ابن باجة الأندلسي في كتابه المسمى "النبات" الذي كان مُهملا لفترات طويلة إلى أنْ أخرجه المستشرق آسين بلاثيوس ونشره في مجلة الأندلسنة سنة 1940، معتمدا في إخراجه على مخطوطتين: الأولى تعود لمكتبة أكسفورد الموسومة بـ"هذه رسالة للوزير

على تلاميذه جيئة وذهابا، فاشتهر ذلك عنه حتى سميت بمدرسة المشائين، درّس أرسطو بمدرسته 12 عاما، واضطر بعد ذلك لمغادرة أثينا بعد اتهامه بإلحاد. جمال هاشم، قاموس الفلاسفة، دار الخطابي، الدار البيضاء، ط1، 1991،ص28.

1- ابن أبي أصيبعة موفق الدين أبي العباس بن أحمد بن القاسم السعدي الخزرجي، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق محمد باسل عيون السُود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998، ص91.

2- اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح، تاريخ اليعقوبي، قدم له وعلق عليه السيد محمد صادق، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف، 1964، ج1، ص113.

3- إسحاق بن حنين: هو أبو يعقوب إسحاق بن حنين بن إسحاق العبادي، كان يلحق بأبيه في النقل، وفي معرفته باللغات وفصاحته، غير أنّ نقله وشرحه للكتب الطبية قليل مقارنة بالكتب الفلسفية، أصابه الفالج بآخر عمره، توفي ببغداد في أيام المقتدر سنة 298هـ. ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص252.

4- عبد الكريم اليافي، علماء العقاقير النباتية في الحضارة العربية الإسلامية، مجلة التراث العربي، إصدار إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1985، ع 21، ص48.

5- حسن نافعة وكليفورد بوزورت، تراث الإسلام، ترجمة حسين مؤنس وإحسان صدقي العمد، عالم المعرفة، الكويت، 1978، ج2، ص151.

6- حسن نافعة، تراث الإسلام، ص151.

7- جورج سارتون، تاريخ العلم، ج3، ص279.

أبي بكر (ابن باجة) عن النباتات" (Este es un tratado Del Visir Abu Bakr (Avempace) sobre las Plantas)، وهو العنوان المعتمد في تحقيق آسين بلاثيوس[1]، أمّا النسخة الثانية فتوجد بمكتبة برلين بعنوان موجز هو: "في النبات"[2]. اهتم ابن باجة في كتابه بعلم وظائف النباتات، ويذكر أنواعها المتعددة، ويصنفها إلى تامة وغير تامة، ويُسهب في الحديث عن جنسها (ذكورها وإناثها) وتكاثرها بشكل فلسفي محض.

يرتاب الباحث توفيق فهد في قيمة كتاب ابن باجة، ويعتبره بشكل عام أنه "عرض غير منظم على غرار المؤلَّف المنسوب (ادعاء) إلى أرسطو الذي استوحى منه"[3]؛ إلاّ أنّ القارئ لكتاب ابن باجة يدرك تماما أنّه جاء على شكل ترجمة أو شرح لأفكار أرسطو بشكل مختصر، ويتضح ذلك من خلال قوله: "فقد يجب أنّ نلخص القول في النبات الكامل أولا، ثمّ بعد ذلك ننظر في هذه؛ فنقول إنّ كلّ نبات هو مغتذٍ؛ فهو على ما كتبناه في كتاب، وهو هيولى النبات"[4]؛ فابن باجة قدمّ لنا أراء أرسطو حول كينونة هذا الكائن، وكيف تتشكل الروح فيه عن طريق التغذية، إنّ الشروحات التي قدّمها ابن باجة تتوافق مع أقدم التعاريف العلمية لعلم النبات لأرسطو بقوله: "... إنّه كائن حيّ بسيط يعتمد على نفسه في التغذية، غير متحرك، وليس له مركز إحساس، وإنْ كان يتأثر بالحرارة والبرودة، وتتغذى النباتات بواسطة جذورها من التربة، ولا تمييز فيها بين الجنسين؛ فليس فيها ذكر ولا أنثى"[5]، مهما كان رائد هذه

1-Miguel Asin Palacios, Avempace Botanico, AL- Andalus, Revista de las escuelas de estudios arabes de Madrid y Granada,n°5, 1940.P: 266, 279.

2- محمد أبو حفص، في علم النبات عند أبي بكر ابن باجة، مقاربات مجلة العلوم الإنسانية، إصدار الرابطة المحمدية للعلماء، المغرب، ع11، مج06، 2013، ص31.

3- توفيق فهد، علم النبات والزراعة، ضمن سلسلة موسوعة تاريخ العلوم العربية، إشراف رشدي راشد، مركز دراسات الوحدة العربية، ج3، 1987،ص1042، 1043.

4- ينظر النص العربي لابن باجة، الذي نشره آسين في مجلة الأندلس المعنون: هذه رسالة الوزير أبي بكر في النباتات، صص271- 272.

5- جوزيف دالتون هوكر وتوماس هنري هكلسي، تاريخ علم النبات، بحث منشور على الشبكة العنكبوتية من موقع www. wikiwand .com، تاريخ الإطلاع: 25 مارس 2019/محمد الصادق عفيفي، تطور الفكر العلمي عند المسلمين، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1976- 1977، ص217.

الفكرة سواء أرسطو أو غيره؛ فقد استعان به المؤلفون العرب وغيرهم في دراساتهم لعلم وظائف النبات.

يعتبر ثيوفراستوس الأريسبوسي (ت288 ق.م) (Theophraste d'Eresos)[1] أهم عالم في النبات وأكثر العلماء تأثيرا في العصور القديمة، ولذلك كان يُسمى بأبي علم النبات؛ فهو يعتبر أول شخص قام بعملية تصنيف النباتات[2] على أسس بسيطة طبقا لاستعمالاتها، وكان أول من قسم النباتات إلى أربعة مجاميع نباتية هي: الأعشاب والأشتات والشجيرات والأشجار[3].

ألف ثيوفراستوس كتابين مهمين عن النباتات وصلا إلينا سالمين: الأول عَنْونه بـ"تاريخ النباتات" (Historia de plantis)[4]، وينفرد ابن النديم بالقول إنَّ كتاب أصول النباتات قد ترجم كليا أو بصفة جزئية خلال النصف الثاني للقرن الثالث الهجري التاسع الميلادي من قبل الطبيب البغدادي إبراهيم بن بكوس[5]، الذي لم يصلنا شيء من أخباره في كتب التراجم؛ كما أنَّ هذه الترجمة لم يشر لها أحد من المتقدمين أو المتأخرين في الاختصاص النباتي أو الطبي.

من المفيد أن نتعرف على مفهوم النبات عند ثيوفراستوس (Theophrastus) من خلال كتابه (Historia plantarum)؛ حيث أفادنا بها أحد المختصين في الدراسات اليونانية واللاتينية حيث قال: "يجب أن نتفكر في السمات والطبيعة العامة للنباتات من وجهة نظر تشكيلهم، سلوكهم في ظل الظروف الخارجية، ووضعهم في التناسل، وكل طرق حياتهم، يمثل هذا بداية لمعرفة النباتات"[6]، فمن

1- ثيوفراستوس: ولد حوالي سنة 272 ق.م في إريسوس (ليسبوس)، ودرس في أثينا على يد أرسطو، ويقال إنّه ابن خالته، وورث عنه مكتبته ومخطوطات مؤلفاته. ابن النديم، الفهرست، ص410/جورج سارتون، تاريخ العلم، ج3، ص281.

2- تُدين الإنسانية في مجال التصنيف النباتي إلى العالم السويدي كارل لينيوس الذي كان أستاذا للنبات في جامعة إبساله Uppsala في السويد؛ فقد اقترح لينيوس نظام التسمية النباتية (Binominal system) للتصنيف، والتي تتضمن تسمية النباتات بكلمتين مترادفتين: الأولى للجنس (Genus) والثانية للنعت (Specific). بوغديري العربي، المرجع السابق، ص26-27.

3- علي حسين عيسى الموسوي، علم تصنيف النبات، منشورات وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، 1986، ص10.

4- جورج سارتون، تاريخ العلم، ج3، ص281.

5- ابن النديم، الفهرست، ص 252/فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي، مج 4، ص 496.

6-Theophrastus, Historia plantarum,book 1,chap 1, section,1,LL.1-4

خلال هذا التعريف العلمي المبكر من قبل ثيوفراستوس استحق بجدارة اسم أبي علم النبات، فثيوفراستوس يحاول أن يُميز أجزاء النباتات المختلفة والفوارق بينها، أثبتت الدراسات العلمية التصنيفية أنَّ الأعضاء التكاثرية ذات صفات ومميزات معينة تُعدُّ اليوم أهم الأسس المستعملة في عملية تصنيف النباتات[1].

يتألف كتاب تاريخ النبات من تسعة أبواب، صنفت فيه النباتات بحسب أشكالها إلى أشجار،شجيرات،أعشاب وبقول مع وصف أعضائها وطرق تكاثرها، كما تكلم ثيوفراست في الباب الأخير عن عصير بعض النباتات وخواصها الطبية[2]؛ وقامت الباحثة سوزان أميقاز (Susane Amigues) بترجمة ممتازة للكتاب في جهد دام لسنوات، قسمته إلى خمسة أجزاء في سلسلة الجامعة الفرنسية من سنة 1998 إلى سنة 2006م[3].

أمّا الكتاب الثاني المعنون بـ"علل النباتات" (De causis plantarum)[4]، ويبدو من خلال عنوانه أنّه كتاب فلسفي أكثر منه نباتي؛ فهو يُفسر ويُعلل- على طريقة أرسطو في العِلّة الغائية- الخلافات بين النباتات وبين أجزاء النبات[5]؛ بينما يرى الباحث ميلي (Milli) أنَّ كلمة العلل قد تدعونا إلى التفكير في شيء ما وراء الطبيعة (التفكير الميتافزيقي)[6].

نقلا عن عبد العزيز إمام محمود، الوصف الشكلي لنبات السلفيوم وزراعته عند ثيوفراستوس وبلينيوس الأكبر، قسم الدراسات اليونانية واللاتينية، جامعة المنصورة، مصر، د.ت، ص365- 365.

1- علي حسين عيسى الموسوي، المرجع السابق، ص15.

2- محمد زهير البابا، المخطوطات الطبية العربية في مكتبات باريس، معهد المخطوطات العربية، الكويت، مج 29، ديسمبر 1985، ص667.

3-Alain Blanc, Théophraste, Recherche sur les plantes, A l’origine de la botanique. Traduction de Suzanne Amigues, Revue des Etudes Greques, Tome 125, fascicule1, Janvier-Juin 2012, p 315.

4- جورج سارتون، تاريخ العلم، ج3، ص289.

5- جورج سارتون، نفسه، ج3، ص289.

6- Milli Aldo, La Science arabe et son rôle dans l’évolution scientifique mondial, Réimpression anastatique, Leiden, 1966, p 32.

تُعدُّ أعمال ثيوفراستوس في النبات مُكمّلة لأعمال أرسطو في الحيوان، حيث دَرسَ هذا الأخير ميلاد ونمو وحياة كل عضو منفرد من الحيوانات، كما تجاوز ثيوفراستوس الوظيفة المنفعية للنباتات من الغذاء إلى الدواء، وركّزَ على نموّها وتطورها وأنواعها في مختلف مراحلها؛ لقد كان انشغاله بالنبات لذاته ككائن حي؛ فهو عاين واستوعب حياة النبات في كافة مراحله، ولم يُجانب الصواب جورج سارتون في تقييمه للكتابين اليونايين لما قال: "إنَّ النبات لثيوفراستوس والحيوان لأرسطو هما قمة التاريخ الطبيعي في الزمن القديم"[1].

يبدو أنَّ ثيوفراستوس كان مُهتما بشكل خاص بجميع نباتات البحر الأبيض المتوسط وبلاد الهند وليس بلاد الإغريق فقط؛ فقد تكلم عن بعض النباتات البرية التي لا يمكن استئناسها[2]، وكان لثيوفراستوس بعض المحاولات في أقلمة بعض النباتات الوافدة إليه من أقطار مختلفة.

وينطبق نفس الأمر على كتاب سرّ الخليقة الذي كانَ يُعتقد أنّه من تأليف بلينيوس الرومي المشهور بتأليف موسوعة ضخمة للتاريخ الطبيعي، إلاَّ أنه تبين من خلال أبحاث المستشرق الفرنسي سلفستر دي ساسي (Silvestre de Sasy)، أنَّ "بلينوس" ما هو إلاَّ تحريف للإسم اليوناني أبولونيوس (Apollonius)، وأنَّ المؤلف ليس بلينيوس ولكنه هو أبولونيوس من سكان تيانا (Tyana)[3].

كما يفتخر التاريخ الإغريقي بعالمين كان لهما تأثير مباشر في مجال العلاجات الدوائية، ونقصد بهما ديسقوريدس عين زربي وجالينوس، اللذان كان لهما بالغ الأثر على العالم الإسلامي في مجال الثقافة الصيدلانية، أو ما يُعرف بعلم العقاقير:

1- جورج سارتون، تاريخ العلم، ج3، ص 298

2- نفسه، ج3، ص291.

3- الحكيم، بليونس كتاب سر الخليقة وصنعة الطبيعة (كتاب العلل)، تحقيق: أوروسولا وايسير، معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب، 1979، مقدمة المحقق، ص7.

1- **ديسقوريدس** (dioscorides): بدانيوس ديسقوريس[1] طبيب شامي يوناني حشائشي[2]، من مواليد القرن الأول للميلاد بعين زربة[3] المتواجدة حاليا بتركيا، صاحب الجيش كطبيب في تنقلاته في بلاد البحر الأبيض المتوسط؛ ممَّا سمح له الاطلاع على أعشاب كثيرة وجديدة، والتحقق الشخصي من صحة ما ورد في كتب ومتون سابقيه من مادة طبية[4]، اعتنى بالنباتات اعتناء كبيرا، وعمَّق معارفه فيما يُعرَفُ بالأدوية المفردة، ولم يبالغ المؤرخون لمّا أطلقوا عليه صفة "المقتبس لعلوم الأدوية المفردة من البراري والجزائر والبحار، والمصور لها، المعدد لمنافعها قبل المسألة عن أفاعيلها"[5]، كان سبب براعة ديسقوريدس في هذا العلم أنه داوم مدة أربعين سنة على ملاحظة النباتات في أحوالها المختلفة حتى وقف على خواصها وبذورها، وأزهارها وقشورها ولبابها، غضة ناظرة، جافة يابسة[6].

عندما أنهى عمله العسكري، واستقر به المطاف جمع مختلف مشاهداته وملاحظاته العلمية في كتاب جليل في الأدوية المفردة سمّاه "هيولى الطب"(materia medica)، ويعرف في المصادر العربية بـ"كتاب الحشاش" أو "المقالات الخمس"[7]، ضمّنها خلاصة ملاحظاته حول عدد هائل من الأدوية

1- كان يُسمى دياسقوريدس عند قومه أزدش نياديش، ومعناه بلغتهم الخارج عنا، وذلك أنّه كان معتزلا عن قومه متعلقا بالجبال ومواضع النبات، مقيما بها في كل الأزمنة، لا يدخل إلى قومه في طاعة ولا مشورة ولا حكم، ومعنى ديسقوريدس باليونانية أشجار، ودُوسْ باليونانية الله، ومعناه أي ملهمة الله للشجر والحشائش. ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص48.

2- ابن جلجل سليمان بن حسان، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد السيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1985م، ص21.

3- **عين زربة:** بلد بالثغر من نواحي المصيصة في قيليقيا، هي من المناطق الحضارية قديما، إذ تقع إلى الجنوب من آسيا الصغرى حيث مُلتقى الحضارات، ويرجع أصل الكلمة إلى زرب الغنم، أي مأواها، وبُنيت من قبل الخليفة هارون الرشيد سنة 180هـ/796م. توفيق سلمان فريح حشاش، الثغور الشامية في العهد العباسي الأول (132- 232هـ/750-847م)، مذكرة ماجستير مرقونة، كلية الآداب في الجامعة الإسلامية، غزة، 2016، ص 76.

4- بركات محمد مُراد، التراث الطبي العربي والصيدلة، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2008، ص67/جورج شحاتة قنواتي، تاريخ الصيدلة والعقاقير في العهد القديم والعصر الوسيط، دار المعارف، د.ت، مصر، ص88.

5- ابن النديم، الفهرست، ص462.

6- ديسقوريدس، مقدمة كتاب الحشائش والأدوية، ترجمة مهران بن منصور بن مهران، نشر وتقديم صلاح الدين المنجد، المطبعة الهاشمية، دمشق، 1965، مقدمة المحقق، ص3.

7- ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، ص21/كما صرح ديسقوريس في متن كتابه بالمقالات الخمس بقوله: "قد عرفت يا أخي من الخمسة المقالات التي وضعنا لك؛ فمنها العقاقير والادهان والألبان والشحوم واللحوم والعسل. ديسقوريس، كتاب الحشائش، ترجمة: اصطفين بن باسيل، رقم 3703، مخطوط آيا صوفيا، إسطنبول، ورقة 146.

المنتمية إلى المواليد الثلاثة، والتي نقصد بها أدوية من أصل نباتي وحيواني ومعدني، إلا أنَّ المادة النباتية الطبية غلبت عليه؛ حيث يشتمل الكتاب على ما يربو من ستمائة عشبة[1]، التي اصطلح عليها تسمية العقار الذي يُقصد بها أصول النبات[2]؛ فقد ذكر اليعقوبي ديسقوريدس باسم صاحب كتاب "الأشجار والعقاقير"؛ فإنه وضع كتابا في منافع الأشجار، صوّر كل شجرة بصورتها، وذكر ما تنفع له تلك الشجرة"[3].

قال ديسقوريدس عن نفسه في صدر كتابه يخاطب الذي ألّف له الكتاب: "وأمَّا نحن فإنه كانت لنا كما علمت في الصغر شهوة لا تقدر في معرفة هيولى العلاج، وتجولنا في ذلك بلدانا كثيرة، وكان دهرنا كما قد علمت، دهر من ليس له مقام في موضع"[4]، رُتّبت الأدوية بحسب اتفاقها في الأجناس والقوى، وليس على حروف المعجم، ويذكر ابن النديم أنَّ المقالات الخمس أُضيفت إليها مقالتين منحولتين في الدواب والسموم[5].

ما يُميّز كتاب ديسقوريدس أنّه مُزيّن برسومات نباتية في غاية الدقة والتصوير بلغ عددها على حسب مخطوطة آية صوفيا 370 نبتة مصورة[6]، أثار الباحث أدوار بونيه مسألة في غاية الأهمية حول الكيفية التي رسمت بها النباتات وكيف وصلتنا بقوله: "إنَّ النسخ المتواصل لكتاب ديسقوريدس، وتوالي نسخ الصور من قبل مصورين بعيدين عن الخبرة الفنية الصحيحة أو الجاهلين للصفات المميزة للنبات؛ قد أدى ذلك إلى تشويه كبير لصفة النباتات، وابتعاد عن الأوصاف الحقيقية لنباتات

1- جورج الأب شحاتة، المرجع السابق، ص88/ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص48.

2- ناصر حسين صفر، المرجع السابق، ص16.

3- تاريخ اليعقوبي، المصدر السابق، ج1، ص 98.

4- مقدمة كتاب الحشائش، ص 14.

5- الفهرست، ص462/جورج شحاتة قنواتي، تاريخ الصيدلة والعقاقير، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص88.

6- ديسقوريدس، كتاب الحشائش، مخطوط آية صوفيا، رقم 3702. ورقم 3703.

ديسقوريدس"[1]، فعليه إنَّ تحقيق كتاب ديسقوريس يحتاج إلى تظافر الجهود وخبرات دقيقة من أجل الإخراج السليم لنصوصه ونباتاته التصويرية.

أمّا تقسيم الكتاب فقد سبقت الإشارة إلى تقسيمه في خمس مقالات هي كالآتي:

المقالة الأولى: تشتمل على ذكر أدوية عطرة الرائحة والأفاويه وأدهان وصموغ وأشجار كبار. وتحتوي هذه المقالة على 147 نوعا منها السعد، الدارصيني، الزعفران، دهن اللوز، دهن الخروع، دهن الورد، شجر السرو...

المقالة الثانية: تشتمل على ذكر الحيوان ورطوبات الحيوان: من اللبن والشحم....إلخ.

المقالة الثالثة: تشتمل على ذكر أصول النبات وعصارات ونبات وبذور، وهي تحتوي على 151 مادة مثل الراوند، والسوسن الرومي، والفوة، والقنب البري، وإكليل الملك، والكرويا والخيري، وغيرها من النباتات.

المقالة الرابعة: تشتمل على ذكر أدوية أكثرها حشائش باردة، وعلى حشائش حارة، وعلى حشائش نافعة من السموم، وتحتوي على 131 مادة مثل العوسج والحسك، وحبّ البان، والبيب الجبلي، الخشخاش البري، السقمونيا...

المقالة الخامسة: تشتمل على ذكر الكروم وعلى أنواع الأشربة، وعلى الأدوية المعدنية، إذ تحتوي على 151 مادة مثل الكرمة، الكرمة البرية، الماء والخل، شراب الرمان، شراب الورد، شراب الآس، الشراب الذي يقتل الأجنة، خبث الرصاص، الإثمد والزاج، الزئبق والشبّ، والكبريت والملح، الحجر اليهودي، وغيرها من المواد والأحجار.

لم يرتب ديسقوريدس كتابه وفق الترتيب الهجائي، وإنمّا أدرج مواد كتابه وفق الخصائص الطبية والتأثيرات الفزيولوجية (علم الوظائف) للعقاقير، لذلك انتقد بعض الباحثون طريقة عرضه هذه،

1- محمد زهير البابا، المخطوطات الطبية العربية في المكتبة الوطنية بباريس، ص682.

ووصفوها بأنها غير واضحة الرؤية[1]؛ لكنهم في نفس الوقت يؤكدون أنّ ملاحظات ديسقوريدس يمكنها أنْ تمنح مادة جديدة لمشاريع بحث في علم العقاقير[2]؛ فكتاب ديسقوريدس كان أساس المادة الطبية للعالم الإسلامي والغربي على حدّ سواء[3]؛ فمرجعية علم العقاقير تعود لديسقوريدس من خلال كتابه الحشائش بدون منازع.

2- **كلاوديوس جالينوس:** من اليونانيين الذين كان لهم صيت واسع في مجال النباتات الطبية، جالينوس من مدينة بُرْغَمُش[4]، عُرف جالينوس ببراعته في الطب والفلسفة وجميع العلوم، وهو ابن سبعة عشر سنة، أفتى وهو ابن أربع وعشرين سنة، وجدّد من علم بقراط وشرح كتبه، تفوق في علم التشريح، ذاعت شهرته عند العامة والملوك[5]؛ فقد جاء عند ابن النديم قوله: "كان جالينوس وجيها عند الملوك، كثير الوفادة عليهم، كثير التنقل في البلدان، طالبا لمصالح الناس، أكثر أسفاره إلى مدينة رومية؛ فإنَّ ملكها كان في أيّامه مجذوما؛ فكان يستحضره كثيرا"[6].

ألفَّ جالينوس أكثر من ستين كتابا[7]؛ حيث قام علماء بغداد بترجمة بعض مؤلفات جالينوس في علم النبات، وأهمها كتاب "النبات"، ومقالة في استخراج مياه الحشائش أو "خواص الحشائش ومنافع الحيوان"[8]، ومن أهم كتبه أيضا: كتاب "الأدوية المفردة"، الذي وصف قوة كل دواء من الأدوية

1- Alain Touwaide, Dioscoride, Sa vie et son œuvre, le contenu et la méthode du Traité de matière médicale:John M.Riddle, Dioscorides on Pharmacy and Medicine, Revue d'histoire de la pharmacie, n° 276, 1988, pp 84-87, p 86.

2- Alain Touwide, ibid, p86.

3-Lucien Lelclerc, Histoire de la Médecine arabe, Paris,1876, vol 1, p 236.

4- **برغمش:** هي مدينة من بلاد آسيا شرق من قُسنطينية، وهي جزيرة في بحر قسطنطينية، وعرفت هذه المدينة أنّها كانت موضع سجن الملوك، وهنالك كانوا يحبسون من غضبوا عليه. ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، ص41.

5- ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، ص42.

6- ابن النديم، الفهرست، ص456.

7- يمكن مراجعة مؤلفات جالينوس في تاريخ اليعقوبي، ج1، ص98- 100.

8- عبد الحليم عويس، الحضارة الإسلامية: إبداع الماضي وآفاق المستقبل، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2010، ص264.

النباتية[1]؛ فقد كان جالينوس يحضر الأدوية بنفسه في غرفة خاصة تسمى "ياتيرون"، وغرفة أخرى لتخزينه تُسمى "أبوتيكة"[2]، وهي كلمة يونانية مُشتقة من اليونانية (Apothker)، والتي يُقصد بها الدكان الذي تُباع فيه الأدوية؛ فإما أنْ تكون ذات مصدر نباتي أو مصدر حيواني أو مصدر معدني، و في هذه الحالة يطلق عليها اسم الأدوية المفردة[3].

من أقوال المؤرخين في جالينوس ما قاله ابن أبي أصيبعة: "إنَّ الذي قد عُلِمَ من حال جالينوس، واشتهرت به المعرفة عند الخاص والعام في كثير من الأمم أنّه كان خاتم الأطباء الكبار المعلمين وهو الثامن، وأنّه ليس يُدانيه أحد في صناعة الطب فضلاً عن أن يُساويه...، صنّف في ذلك كتبا كثيرة كشف فيها عن مكنون هذه الصناعة، وأفصح عن حقائقها، ونصر القول فيها، ولم يجيء بعده من الأطباء إلاَّ من هو دون منزلته ومتعلم منه"[4].

خير ما نختم به كلام ابن البيطار في تقريض هذين العالمين المبدعين في علم العقاقير قوله: "فإنهما مَدَد هذا العلم لكلّ من انتحله، وقدوة لمن عَلِمَهُ، وحُجّة على من جَهِلَه"[5].

5- في الحضارة الرومانية: ما يُعرف عن الرومان أنهم كانوا أقل اهتماما بالنباتات الطبية أو العلاجية، غير أنَّ أهم مؤلفاتهم في هذا المجال هي موسوعة التاريخ الطبيعي Naturalis (Historia) التي تضمنت 37 كتابا، أُلفت من قبل أشهر عالم روماني يُعرف باسم كايسوس پلنيوس الكبير (Caisus Plinius Secondus)(23- 79م)[6]، جمع فيها "خلاصة علم زمانه وأخطائه؛ فهو يبحث في عشرين ألف موضوع، ويعتذر عمّا تركه من الموضوعات الأخرى...، والكتب المرقومة من 20 إلى 25 كلها عن النباتات

7- ناصر حسين صفر، النباتات الطبية عند العرب، المرجع السابق، ص16.
2- بركات محمد مراد، التراث الطبي، ص72.
1- ناصر حسين صفر، المرجع نفسه، ص17.
4- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص95.
5- ابن البيطار الأندلسي، الإبانة والإعلام بما في المنهاج من الخلل والأوهام- دراسة في الكتاب وتحقيق لنماذج من مواده، تحقيق ابراهيم مراد، ضمن كتاب بحوث في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1991، ص505.
6- وِل وَايريل ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة: محمد بدران، المنظمة العربية للتربية والثقافة، بيروت- تونس، ج10، صص188-191.

الرومانية"[1]، غير أنّ جورج سارتون يُعلق على هذا المجهود أنّه جمع كل ما تيسر له لكنه لم يأت بجديد[2]، ممّا يوحي بأنَّ موسوعة بلين لا تضاهي أعمال ثيوفراستوس في النبات، ولا موسوعة ديسقوريدس في النباتات الطبية، أو ما يُعرف بعلم العقاقير.

خامسا: تطور علم النبات في التراث الإسلامي:

1_ المؤلفات النباتية في التراث اللغوي والأدبي: اعتنى العلماء القدامى ولا سّيما اللغويين منهم بعلم النبات؛ فأفردوا لذلك مصنفات ورسائل وكتبا، وقد بذلوا جهودا جمّة في وضع المؤلفات ذات الصلة بالنبات والشجر والغِراس والكلأ والأنواء والحيوان، وكل ما له علاقة بالفلاحة والأرض والمنبت؛ فبواكير الكتابات الأولى عن "علم النبات" كان تدوينا لغويا بالدرجة الأولى.

يرى الباحث أحمد عيسى أنَّ سبب تدوينهم لهذا التراث النباتي "هو أنه لما اتسعت للعرب الفتوحات، واختلطوا بالأعاجم، ورأوا اختلاف الآراء، وانتشار المذاهب، وتَطرّق الفساد إلى اللغة، آل الأمر إلى التدوين والتحصين"[3]، وذلك من أجل حفظ اللغة بعدما تفشى اللحن على ألسنة الناس وكَثُر التصحيف، وخوف العلماء على ضياع اللغة، وحرصهم على جمع غريبها للاستعانة به في تفسير كتاب الله {عزّ و جلّ }وحديث نبيّه ﷺ، لذلك كانت لهم عناية خاصة بجمع وتدوين كل ما له علاقة بالزرع والنبات والشجر والكرم والعنب والبقل والنخل، معتمدين على حروف اللغة العربية في لمّ شمل النبات[4]؛ ولهذا ارتأينا من خلال البحث أن نقف على العلماء الذين حفظوا لنا المادة النباتية من خلال مصنفاتهم اللغوية.

1- نفسه، ج10-11، ص197-198.

2- جورج سارتون، تاريخ العلم، ج3، ص298.

3- أحمد عيسى، تاريخ النبات عند العرب، مؤسسة الهنداوي للتعليم و الثقافة، القاهرة، 2012، ص14

4- أحمد عيسى، نفس المرجع، ص 09.

النضر بن شُميل (ت203 أو 204هـ/819م أو 820م): هو النضر بن شُميل بن حرشة بن يزيد بن كلثوم بن عنترة بن زهير بن عمر بن جلهمة بن حجر الخزاعي بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم[1]، له كتاب الصفات في خمسة أجزاء، يحتوي في جزئه الأخير على الزرع والكرم والعنب وأسماء البقول والأشجار[2].

أبو عبيدة (ت214هـ/829م): هو أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي، من تيم قريش، واسع التأليف في مختلف المجالات، ومنها كتاب في "الزرع"[3].

أبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري (ت215هـ/830م): من صليبة الخزرج، أحد أئمة الأدب واللغة، كان أبو زيد أعلم من الأصمعي وأبي عبيدة في النحو، وله كتاب النبات والشجر[4]، نُسب خطأ إلى ابن خالويه، نُشر كتاب الشجر لأول مرة سنة 1909م من قبل المستشرق الألماني صامويل ناجلبرج الذي نسبه خطأ لابن خالويه (ت370هـ/980م)[5]، متوهما بعبارة وردت في صدر الكتاب جاءت على النحو التالي: "قال ابن خالويه: قرأت كُتب أبى زيد على أبي عمر عن ثعلب عن ابن نجدة عن أبي زيد"[6]؛ فالعبارة تثبت قطعا أنَّ الكتاب ليس من تأليف ابن خالويه، وإنمَّا رواه بإسناده عليه فقط. وأكّد أغلب الباحثين أنَّ الكتاب من تأليف أبي زيد سعيد بن أوس بن ثابت بن زيد بن قيس بن يزيد الأنصاري المتوفي سنة 315هـ، المُتضلع في اللغة والأدب، مستدلين بالقول إنَّ معظم المعاجم اللغوية

1- ابن النديم، الفهرست، ص 82.

2- ابن النديم، نفس المصدر، ص 82

3- نفسه، ص 84.

4- نفسه، ص 85.

5- **أبو عبد الله الحسن بن أحمد بن خالويه**: ولد بهمذان، وقدِم سنة 314هـ/926م إلى بغداد؛ فأخذ عن ابن دريد وابن الأنباري وغيرهما، أملى الحديث زمانا في مسجد المدينة المنورة، ثم انتقل إلى الشام واستقر بحلب؛ حيث اتصل بآل حمدان؛ فأكرموه وعظموه، وحصلت مناقضات بينه وبين المُتنبي. كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحليم النّجار، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1977،ج2، ص 240.

6- ابن خالويه أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن حمدان الهمذاني، كتاب الشجر، تحقيق ونشر صامويل ناجلبرج، مطبعة ماكس شمرسوف في كرنخهن، ألمانيا، 1909، ص1.

كمعجم الأدباء لياقوت الحموي، والفهرست لابن النديم، وبغية الوعاة للسيوطي وغيرها... التي ترجمت لابن خالويه لم تذكر له كتابا في النبات[1]، وعلى خلاف ذلك نجد جلَّ المصنفات التي ترجمت لأبي زيد الأنصاري قد اتفقت أنَّ لهذا الأخير مؤلَّف في النبات مع اختلافات طفيفة في تسمية كتابه؛ فقد ورد عند ابن النديم باسم "النبات والشجر"[2]، أمّا ابن خلكان فاكتفى بالقول: "لقد رأيت له في النبات كتابا حسنا جمع فيه أشياء غريبة"[3].

أيّا كان مؤلف كتاب الشجر سواء كان أبو زيد الأنصاري أو ابن خالويه، فإنّ محتوى الكتاب مُثخن بمعلومات جمّة سواء على مستوى اللغة النباتية أو على مستوى المنهج العلمي؛ فالمؤلف تعرض لما يطرأ على النباتات من تغييرات في مظهرها الخارجي حسب المواسم، وأماكن نموها، وعن العمر الزمني للنبات، أعطى لكل تجمع نباتي وبيئي مسميات دقيقة مع وصف لكل نبات وبيئة لا تقل علمية عن تصانيف المحدثين على حد قول أحد الباحثين[4]؛ فقد قال عن شجرة الكَبَر: "منابتها الأودية والسباخ"، وقال عن شجر السحاء: "والواحدة سِحاءة، وهي شجرة شاكة كأنها بقلة، ومنبتها السهل والجبل، وثمرتها بيضاء وحمراء، هي عشبة من عشب الربيع مادامت خضراء، وشجرة في القيظ إذا يبست"[5]؛ ممَّا يدل على أنَّ المؤلف كانت له عناية مبكرة بمورفولوجيا النبات الذي يدرس بِنية النبات وشكله وتصنيفه.

1- كمال الدين حسن البتانوني، جانب من إسهامات العلماء العرب في تصنيف البيئة والنبات: تطبيق المعارف الحديثة في دراسة كتاب الشجر المنسوب لابن خالويه، الندوة العالمية الثالثة لتاريخ العلوم عند العرب: إسهامات العرب في علم النبات، الكويت، 1983، ص148.

2- ابن النديم، الفهرست، ص86.

3- ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1972، مج2، ص379.

4- محمد نذير السنكري، الموسوعة المعجمية لأسماء النباتات العربية أعلام الحضارة الإسلامية، الندوة العالمية الثالثة لتاريخ العلوم عند العرب (إسهامات العرب في علم النبات)، الكويت، 1983، ج1، ص320.

5- المنسوب لابن خالويه، الشجر، ص7.

لم يولِ أبو زيد الأنصاري اهتماما للاستخدامات الطبية للنبات إلاّ ما ورد عرضا، إنَّما انصب جلّ اهتمامه بهوية النبات من حيث أنّه كائن حي، وذلك بتتبع مراحل تطوره، والعناية بالبيئة الجغرافية التي تناسبه، وعليه فأبو زيد الأنصاري نهض بالمجال النباتي من بيئته اللغوية العربية إلى بيئة علمية تحتاج الوقوف عندها مطولا من طرف أهل الاختصاص.

الأصمعي (ت216هـ/831م): هو أبو سعيد عبد الملك بن قُريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع، يَنتهي نسبه عند قيس بن غيلان بن مُضر بن نزار بن مَعد بن عدنان[1]، ولد سنة 123هـ/741م، من أهل البصرة، أحد أئمة اللغة والغريب والملح والنوادر على حد قول السيوطي[2]، قَدِم بغداد في زمن هارون الرشيد، تبرز أهمية الأصمعي في مجال النبات في كونه عاصر ثلاثة من أئمة اللغة- السابق ذكرهم أعلاه- وكلهم كتبوا في النبات، للأصمعي مؤلفات كثيرة منها كتاب النخلة وكتاب النبات والشجر[3]، وورد عند ابن خلكان بعنوان كتاب النبات فقط[4].

رغم أنَّ الكتاب الذي وصلنا لا يعكس أو يوازي نقولات الآخذين عنه كابن البيطار والدينوري[5]، اذْ لا نجد لها أصلا في المطبوع المتعارف عليه اليوم، ممّا جعل الباحث محمد حميد الله يقول: "إنَّ هذا الكتاب ليس إلا خلاصة من كتاب أكبر منه؛ فإنَّ كثيرا مما اقتبسه الدينوري منه، وأعزاه إليه لا يوجد في ذلك الكتاب"[6]، غير أنَّ الكتاب يختزن ثروة لغوية عن النبات لا يمكن الاستغناء عنها؛ فقد جاءت

1- ابن خلكان، المصدر السابق، ج3، ص170.

2- السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، بُغية الوعاة في طبقات اللغويين والنُّحاة، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004، مج2، ص141.

3- ابن النديم، الفرست، ص87.

4- ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج3، ص176.

5- نُشر كتاب الأصمعي لأول مرة من قبل لويس شيخو وتحقيق أوغست هنفر ببيروت سنة 1898 في مجلة "المشرق"، ثم طُبع مرة أخرى سنة 1914 تحت عنوان "البُلغة في شُذور اللغة" من قبل نفس المحقق، غير أنَّ كثرة الأخطاء التي وقع فيها هفنر هي التي دعت إلى تحقيقه من جديد من قبل عبد الله يوسف الغنيم/ الأصمعي أبو سعيد عبد الملك بن قريب ، كتاب النَّبات، تحقيق: عبد الله يوسف الغنيم، توزيع مكتبة المتنبي، القاهرة، ط1، 1972.

6- محمد حميد الله، علم النبات عند المسلمين ومكانة الدينوري فيه، مجلة الفكر الإسلامي، إصدار المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، العدد7، السنة الأولى، بيروت، 1990، ص24.

مقدمة الكتاب بسيطة عامة عن أسماء الأرض في حالاتها المختلفة من حيث قبولها للزرع والنبات حيث يقال للأرض: "إذا طال نباتُها وارتفع قد جَأَرَتِ الأرض"[1]، ويقال للأرض إذا حَسُن نَباتُها وامتلأت: "قد اكتهلت"[2]، ثم يورد أسماء النبات في مراحل نموّه من القوام والازدهار والإدراك...، كما أنَّه اعتنى بذكر النباتات التي تنبت في السهل مثل: العَرْفَجُ والنُّقْدُ...، وما ينبت من الشجر في الرمل مثل الأرطى والأمطى[3]، ممّا يعطينا انطباعا أنّ الاصمعي كانت له مساهمة مُبكرة حول الكتابة في خبايا الجغرافيا الإقليمية وما تختص به من نباتات.

كما زودنا الأصمعي ببعض الحقائق العلمية التي كانت معروفة لدى أعراب العرب من خلال تفريقه بين نباتات الحَمْض ونباتات الخُلَّة، بقوله: الحَمْضُ ما كان مالحا، والخُلَّة ما لم تكن فيه ملوحة؛ فإذا رَعت الإبل الخُلَّة فهي مُخْتَلَّة[4]. إنَّ كتاب الأصمعي ثري بالترادفات اللغوية الاصطلاحية في المجال النباتي في وقت أصبح اليوم تخصص علم النبات يدرس باللغات الأجنبية بحجة افتقار المصطلح الوظيفي العربي.

أبو حاتم السجستاني (ت255هـ/868م): هو أحد علماء اللغة والنحو والرواة، مفسرا بارعا، محدثا بليغا، وشاعرا مجددا. ترك مؤلفات ومصنفات كثيرة في ميادين عديدة حيث ألف مجموعة من الكتب لم تصل إلينا في معظمها، ومن مؤلفاته كتاب النبات، وكتاب الزرع، وكتاب العشب والبقل، وكتاب النخلة[5]، وهذا الأخير هو الوحيد الذي وصلنا من كتبه؛ وقد نشر لأول مرة من قبل المستشرق برتلوميو لجومينا في روما سنة 1891، ينبه الباحث حسين نصار إلى أنَّ الكتاب ينقسم إلى قسمين بقوله: "ويرى

1- الأصمعي، كتاب النبات، ص7.

2- نفسه، ص8.

3- نفسه، ص21.

4- نفسه، ص17.

5- ابن النديم، الفهرست، ص92/ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج2، ص430-433.

الناظر فيه ظاهرة فريدة لا تتكرر في كتاب آخر، إذ ينقسم الكتاب إلى قسمين واضحين يستهل كل منهما ببسملة وصلاة، وكأنه كتاب مستقل"[1].

تكمن أهمية الكتاب في كونه منح النخيل قدسية خاصة من خلال إيراده الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأقوال المأثورة في تفضيل النخيل، وأنّه لا ينمو إلاّ ببلاد المسلمين حيث قال: "وممَّا كرَّم الله تبارك وتعالى به أهل الإسلام، وكرّم به النَّخل أنّه قدّر جميع نخل الدنيا لأهل الإسلام؛ فغلبت عليه وعلى كل موضع فيه نخل، وليس في بلاد الشرك منه شيء"[2].

أبو حنيفة الدينوري (ت282هـ/895م): هو أحمد بن داوود الدينوري الحنفي، عاش في القرن الثالث للهجرة التاسع ميلادي، ولد في دينور من إقليم همدان، عُرف بترحاله في كثير من الأقطار العربية كالحجاز والعراق وفلسطين، وترك لنا الدينوري موروثا علميا بلغ عدده واحدا وعشرين مؤلفا، تنوعت مجالاتها كالفقه والمنطق والرياضيات والأدب والبلاغة والأنواء والفلك والتاريخ، وأجمع العلماء والباحثون أنَّ الدينوري له قدم راسخة في مجال النبات؛ فهو يتبوأ مكانة هامة، وبخاصة بين علماء المسلمين الذين اهتموا بالنبات، وتركوا كتبا خاصة فيه، وتبرز تلك الأهمية في كثرة النقولات والنباتات التي يُستكشل فيها أو تثير شكّا ما؛ فيكون الدينوري الفاصل فيها، وقد أشاد الدارسون بأهمية الكتاب كقول أحدهم: "كتاب النبات الذي يُعد أعظم ما خلفه القدماء من الكتب التي تصف نباتاتهم"[3].

لم يترك أبو حنيفة شاردة ولا واردة إلاّ أثبتها في كتابه حتى فاق به من تقدمه من علماء اللغة، ويكفي أنْ نُنَوّه بالكلام الذي أشار إليه الباحث حسن نصار حين قال: "ترى ابن سيدة في كتاب النبات، يترك أبا عبيدة والأصمعي وغيرهما، ويتخذ منهم الحشو، أمّا الكتاب الأصيل الذي اتخذه عماده؛ فهو

1- حسين نصار، كتب النبات عند العرب، ضمن كتاب إسهامات العرب في علم النبات، ص59.

2- السجستاني أبو حاتم سهل بن عثمان، كتاب النخلة، تحقيق: حاتم صالح الضامن، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط1، 2002، ص39.

3- حسين نصار، المعجم العربي تطوره ونشأته، دار مصر للطباعة، القاهرة، 1968، ج1، ص125.

كتاب أبي حنيفة الدينوري"[1]؛ ممَّا يدل على مكانة كتاب النبات للدينوري عند أهل اللغة في تلك الفترة.

جاء كتاب النبات في نسخته الأصلية في ستة مجلدات كبار على حدّ قول البغدادي[2]، غير أنَّ عاديات الزمن أفقدت أكثر مادته، ولم يبق منه إلاَّ قطعة عرفت باسم "الجزء الثالث والنصف الأول من الجزء الخامس من كتاب النبات" الذي أخرجها وحققها وقدم لها المستشرق الألماني برنهارد لڤين[3].

يشتمل الجزء الثالث المطبوع من الكتاب على ثلاثة عشر بابًا هي: باب آفات الحرث، النحل، الرعي، المراعي، باب صفة الجراد ،والجنادب، باب وصف الكمأة، باب الصمغ، باب الدباغ، باب الزناد، باب ألوان النيران والأرمدة والأدخنة، باب ما يصبغ، باب الروائح الطيبة والمنتنة، باب المساويك، باب الحبال، باب العسل والنحل[4].

أمَّا النصف الأول من الجزء الخامس فقد تضمن بابا واحدا عَنْوَنه أبو حنيفة الدينوري تحت اسم باب القسّي والسهام[5].

كما اهتم الكاتب بالجانب النحوي والصرفي لاسم النبتة من حيث الوزن والجمع والتأنيث ومرادفات النبتة؛ ومن أمثلة ذلك ما قاله عن نبات السُّعْد، هو الجمع والواحدة سُعدة، وزعم بعض الرواة أنّه يقال لنباته السُّعادى ويُجمع سُعاديات، والسعدة أرومة مدحرجة سوداء صلبة كأنّها

1- حسين نصار، المعجم العربي تطوره ونشأته، ج1، ص212.

2- البغدادي عبد القادر بن عمر،خزانة الأدب ولب لسان العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1997، ج1، ص25.

3- الدينوري أبو حنيفة أحمد بن داود، كتاب النبات، تحقيق وشرح وتقديم: برنهارد لڤين، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت، 2009.

4- نفسه، صص3- 294.

5- الدينوري، نفس المصدر، صص297- 398.

عقدة"[1]، وقوله في نبات الحناء: هو اليُرنّاء والرَّقون والرِّقان كلّه الحنّاء، وقد رقّن رأسه وأرقنه إذ خضّبه بالحنّاء، وجمع الحنّاء حُنّاناً، و يقال: تحنّأت بالحنّاء، ولا يقال: تحنّيت[2].

إنَّ المادة النباتية في كتاب أبي حنيفة لغوية بالمقام الأول، اهتّم فيها الدينوري بضبط أسماء النبات ورسمه بالشكل الصحيح، لكنه مع ذلك لم يخلو من الفوائد الصحية والاستخدامات النفعية في مختلف مجالات الحياة العامة كقوله في نبات الأَرْز: إنّه ذكر الصنوبر، لا يحمل شيئا، وإنّما الحمل للأنثى، ولأهل الثغور مَناور، وهي مصابيح من خشب الأَرْز يستصبحون بها كما يستصبح بالشمع، ويسمّونها الداذِين[3].

يرى محمد العربي الخطابي أنّ كتاب الدينوري معجم لغوي، لكنه لا ينفي وجود لمحات عن تجنيس النبات على مذهب العرب[4]، وما يمكن أن نستخلصه أنَّ الدينوري استطاع أن يحفظ لنا رصيدا لغويا سليما يخص المادة النباتية تعتمد عليه أمهات كتب اللغة، وحفظ لنا الكثير من المرادفات اللغوية النباتية التي تجنح نحو الاصطلاح العلمي.

مؤلفات أخرى: يتضمن كاتب الفهرست قائمة وفيرة اختصت بالتأليف في النبات، ولكنها ضاعت كلها، ولم يُحفظ منها إلاَّ الاسم نذكر منها: كتاب النبات لأبي موسى الحامض (ت305هـ/917م)[5]، وكتاب "الزرع والنبات والنخل وأنواع الشجر" لمؤلفه المفضل بن سلمة (ت308هـ/920م)[6]، وكتاب الأشجار والنبات لأبي القاسم السبتي[7].

1- الدينوري، نفس المصدر، ص208.

2- نفسه، ص178.

3- نفسه، ص102-103.

4- محمد العربي الخطابي، معجم أندلسي من القرن السادس الهجري محاولة علمية لتجنيس النبات، مجلة الأكاديمية، المملكة المغربية، ع5، 1988، ص76.

5- ابن النديم، الفهرست، ص 79.

6- نفسه، ص83.

7- نفسه ص114.

أمّا خاتمة اللغويين الذين حفظوا لنا التراث اللغوي للنبات بشكل غزير يفوق الوصف فهو الأديب اللغوي النحوي الضرير الأندلسي **ابن سيدة الضرير المرسي الأندلسي** (ت458هـ/1066م): هو الحافظ أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي اللغوي النحوي الأندلسي، ولد ضرير البصر كوالده بمرسية شرق الأندلس سنة 398هـ/1007م[1]، ثم انتقل إلى دانية، اشتغل بنظم الشعر مدة، كما انقطع لخدمة الأمير أبي الجيش مجاهد العامري[2] ، كان أعلم أهل الأندلس قاطبة بالنحو واللغة والأشعار وأحفظهم لذلك؛ حتى أنَّه يستظهر كثيرا من المصنفات كغريب المصنف[3]، وكان إماما في القراءات، ثقة في رواية اللغة، مفسرا مُحدِّثا، وله مجموعة من المؤلفات إلا أن صيته ذاع بكتاب المخصص[4] الذي ألفه في سبعة عشر جزءاً، وعدّه الزركلي من أثمن الكنوز العربية في مجال المعاجم والموسوعات العربية[5]، استوعبت موسوعته علوما كثيرة في مجال الفلك والحيوان والنبات والفيزياء مرتبة على شكل أبواب، وقد رتبَّ ألفاظه بحسب الموضوعات المُتقاربة[6].

خصّص ابن سيده الجزأين العاشر والحادي عشر من الكتاب لمكابدة الأرض ومنبتها، وفيهما أبواب كاملة تخصّ الأرض ونعوتها، في كل ما يتعلق بها من خصب وجدب ورمال، وخفوض وارتفاع واستواء وحرث وإنبات؛ وما يتعلق بها من جهة العشب والكلأ ونعوتها في القلة والتفرق، كما تحدث عن الآفات الزراعية والأدوات المستعملة في الزراعة، وخصَّ الشجر بأبواب من حيث أوصافها العامة من حيث كثرة ورقها والتفافها، والثمار الشجر والنبات، وعيوب الشجر، وأعيان الشجر والنبات والبر، والفاكهة

1- كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج5، ص351.

2- خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس التراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 2002، ج4، ص263-264.

3- صاعد الأندلسي القاضي أبو القاسم صاعد بن أحمد، طبقات الأمم، نشر الأب لويس شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، 1912، ص77.

4- ابن سيده المرسي أبو الحسن علي بن إسماعيل، كتاب المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1996.

5- الزركلي، الأعلام، ج4، ص 264.

6- آنخل جنثالث بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، ط2، 1955، ص190.

وأنواعها والكرم وأجناسه وصفاته، والنخل وانتساله، وأبواب في أشجار الجبال والرمل، وما ينبت على ماء أو قريبا منه، وبدرجة كبيرة من العلم في هذا المجال حتى قال عنه كارل بروكلمان: "إنه أحد علماء العرب الأفذاذ في مجال العلوم البحتة، وخصوصا علوم الحياة"[1].

ولا تكاد تخلو صفحة من صفحات المخصص إلاَّ وفيها ذكر للغوي والنحوي أبي عبيد قاسم بن سلاّم الهروي (ت224هـ/838م)[2]؛ فقد كان يستشهد به كثيرا، ممّا حدا ببعض الدارسين إلى القول: "إنَّ المخصص ما هو إلاَّ صدى موسّعا مضخّما لكتاب أبي عبيد القاسم ابن سلاّم صاحب "الغريب المصنف"[3].

صفوة القول أنَّ المسلمين جمعوا شتات اللغة في جميع مجالاتها وموادها من أجل فهم وضبط القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وكانت البادية منزل العلماء والفصحاء من أجل التفقه في لغة العرب؛ فقد ساهمت البيئة العربية البدوية أيّما مساهمة في تشكيل أصالة هوية اللغة العربية والمحافظة عليها، والمجال النباتي كان أحد شواغلها، والذي يبعث على الاندهاش والإنصاف في نفس الوقت أنَّ العرب البدو وضعوا مصطلحات علمية نباتية تُعبِّر عن شبه اختصاص علمي قائم بذاته، لمَا لهذه المصطلحات من علاقة وطيدة بفيزيولوجيا النبات أي علم الوظائف[4]، ولعلنا لا نُسرف إذا ذهبنا إلى القول إنَّ غزارة التأليف اللغوي في مجال علم النبات لدليل على قدرة اللسان العربي، وطواعيته

1- كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج5، ص351.

2- **أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي**: أحد أشهر تلامذة الأصمعي، ولد سنة سنة 154هـ/770م، وكان أبوه عبدا روميا في هراة، وهو عالم لغة فقيه ومحدث، وكان مؤدبا لأولاد الهراثمة، قضى زمنا طويلا في صُحبة عبد الله بن طاهر والي خرسان، وقيل إنّه فرض له كل شهر عشرة آلاف درهم على كتابه في غريب الحديث، ألف مجموعة من الكتب أشهرها المصنف الغريب الذي مكث في تأليفه مدة أربعين سنة، وهو معجم موضوعي يتعلق بأسماء وصفات الأشياء والمخلوقات بحسب الموضوع والمعنى، اشتمل على ألف باب ومائتين وألف شاهد، كما ألف كتاب الأموال الذي يُعدّ عمدة الكتب في الاقتصاد الإسلامي. الفهرست، ص112/كارل بروكلمان، المرجع السابق، ج2، صص155- 157.

3- عبد القادر سلامي بن ميلود، المصطلح النباتي في المعجم العربي بين إعمال الفكر وتغليب الاختصاص "دراسة لبعض مجتمعات العضاة"، مجلة آفاق الثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، 2008، ع 60، ص 162.

4- فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي، مج4، ص559.

على استيعاب أنواع العلوم والمعارف؛ فاللغة العربية كان لها الفضل الأول في الحفاظ على أصالة الموروث النباتي، يتراءى ذلك من خلال بواكير المؤلفات اللغوية التي اهتمت بالمصطلح النباتي.

سادسا _ فضل كتاب ديسقوريس في دفع حركة التأليف بالأندلس في مجال الأدوية المفردة:

الترجمات العربية للكتاب:

1- الترجمة البغدادية لكتاب ديسقوريدس: نقل اصطفين بن باسيل كتاب الحشائش لديسقوريدس من اللسان اليوناني إلى اللغة العربية، تصفّح ذلك حنين ابن إسحاق المترجم (ت260هـ/873م) فصحّح الترجمة وأجازها، ويبدو أنَّ النسخة التي استعملت في الترجمة غير مُزينة بالرسوم التوضيحية للنباتات؛ ممَّا صعّب الأمر على اصطفين بن باسيل في ترجمة النباتات؛ فتركها بلسانها اليوناني؛ "فمَا عَلِم اصطفين من تلك الأسماء اليونانية في وقته أن لَه اسما في اللسان العربي فسّره بالعربية، ومَا لمْ يعلم له في اللسان العربي اسماً تركه في الكتاب على اسمه اليوناني، اتكالا منه على أن يبعث الله بعده من يعرف ذلك، ويفسره باللسان العربي"[1]، تمت هذه الترجمة في أيام الخليفة العباسي جعفر المتوكل على الله (232-247هـ/847- 861م) في بغداد، يبدو أنَّ هذه الترجمة كانت معروفة ومشهورة في مختلف الأقطار؛ فانتفع الناس بها "بالمشرق وبالأندلس إلى أيام الناصر عبد الرحمن، وهو يومئذ صاحب الأندلس"[2].

أما عن أهم المخطوطات التي وصلتنا بترجمة اصطفين بن باسيل على ما ذكر المختصون[3]:

1- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص453.

2- نفسه، ص453.

3- ديسقوريدس، مقدمة كتاب الحشائش والأدوية، ترجمة مهران بن منصور بن مهران، تحقيق ونشر صلاح الدين المنجد، مطبوعات مجتمع اللغة العربية، دمشق، 1965، ص11/مختار هاشم، ديسقوريس وكتابه، مجلة التراث العربي، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، ع 13-14، فيفري 1984، ص152/محمد زهير بابا، المخطوطات الطبية العربية في المكتبة الوطنية بباريس، مجلة معهد المخطوطات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مج29، 1985، ج2، ص662.

1- مخطوطة آيا صوفيا، تحت رقم 3072، ورقم 3703، تقع في 372 ورقة، نسخها عبد الله بن الفضل بن بسط الأعز، ويعود تاريخ نسخها إلى سنة 621هـ/1224م، ومَا يُميز هذه المخطوطة أنها مبتورة المقدمة، ومنها استخلصنا الصور النباتية التي وردت فيهما[1].

2- مخطوطة المكتبة الوطنية بباريس تحت رقم 2849، تمتاز هذه المخطوطة بكثرة الحواشي والتعليقات، وذكر الناسخ في رأس المخطوط أنَّ الصور التي كان يجب أن ترافق النص قد وضعت في الجزء الثاني، ولكن هذا الجزء غير موجود بهذه المكتبة.

3- مخطوطة المكتبة الوطنية بمدريد تحت رقم جديد 2849.

4- مخطوطة بختش بتنه بالهند، يعود الفضل للمستشرقين الإسبانيين سيزر دبلر (Cesar Dubler)، وإلياس تيريز(Elias Teres) بنشر ترجمة اصطفين بن باسيل، وإصلاح حنين بن إسحاق، التي صدرت في طبعة نادرة بتطوان سنة 1952، صدر الكتاب في خمسة أجزاء، خُصصَّ الجزآن الأول والثاني منه لتحقيق النص العربي، أمّا الأجزاء المتبقية فكانت تحقيقا للترجمة اللاتينية، وشروحا مستفيضة على النص العربي[2] معنونة بـ

la Materia arabe de Dioscorides: Transmisión médievaly renacentista, Barcelona-Tetuan, 1952-1959, (5 volumes + volume d'index)[3].

2- ترجمة مهران بن منصور لكتاب ديسقوريدس: أمّا الترجمة الثانية لكتاب ديسقوريدس؛ فكانت من قبل مهران بن منصور الذي لا أثر له في كتب التراجم، عاش في زمن نجم الدين ألبي بن تيمور (547-575هـ /1122- 1179م)؛ وقد كان الفضل في اكتشاف هذه الترجمة لصلاح الدين المنجد في مخطوطة مزينة برسومات ملونة لكثير من النباتات كانت تقبع بمكتبة الرضا مدينة مشهد الإيرانية

1- يُنظر الملحق رقم 2.

2- كمال الدين البتانوني وأحمد عبد الباسط حامد، تراث النباتات الطبية في مكتبات القاهرة، مجلة المخطوطات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة، 2011، ع 55، ج2، ص444.

3- نظرا لعدم تمكني من الحصول على هذه الطبعة، استعنت بالنص المخطوط المتوفر بمكتبة آية صوفيا تحت رقم 3002، ورقم 3003.

تحت رقم 5079[1]، وقد قرّظها المنجد- الملقب بسندباد المخطوطات- بأحسن الأوصاف بقوله: "هي نسخة نادرة عتيقة خزائنية من القرن السابع، مصورة، فيها أنواع النباتات والحشائش المذكورة في الكتاب بالألوان، وهذه النسخة أجمل ما وقعت عيناي عليه من مخطوطات"[2]؛ كما أشار يوسف حَبّي إلى نسخة أخرى من ترجمة مهران بن منصور في المكتبة الوطنية بباريس تحت رقم 2947[3].

يُفيدنا مهران بن منصور أنّه عوَّل على الترجمة السريانية التي قام بها حنين بن إسحاق بقوله: "وكذلك الفاضل الربان حُنين ممن اقتفى أثره في مدحه لهذا الكتاب عند نقله إياه من اللغة اليونانية إلى اللغة السريانية لرئيس الأطباء بَخْتِيشوع بن جِبْريل[4]، الذي مِنْ نَقله نقلتُ هذا الكتاب من السرياني إلى العربي"[5]؛ فهو أول من نوّه بهذه الترجمة التي لا ذكر لها في المصادر التي تناولت هذا الموضوع، وقد أكدَّ البحّاثة يوسف حَبّي أنّه لا يوجد في مجاميع فهارس المخطوطات السريانية أي أثر لترجمة كتاب ديسقوريدس إلى اللغة السريانية[6].

ورأى صلاح الدين المُنْجد من خلال عقده مقارنة بين ترجمة المقدمتين اللتين وردتا عند اصطفين بن باسيل ومهران بن منصور أنَّ البون شاسع بين الترجمتين، وأقلَّ ما يُقال عنهما أنَّ ترجمة مهران التي لم تشتهر قط رغم جودة عبارتها وسلاسة لغتها، بينما ترجمة اصطفين بن باسيل تميزت

1- محمد ظهير البابا، المخطوطات العربية في مكتبة باريس الوطنية، ص661.

2- ينظر مقدمة كتاب الحشائش، تحقيق صلاح الدين المُنجد، ص9.

3- يوسف حَبي، كتب الحشائش العربية، مجلة المخطوطات، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد المخطوطات العربية، مصر، 1984، مج28، ج2، ص544.

4- يختيشوع بن جبريل: هو طبيب سرياني نسطوري مشرقي تعود أصوله إلى جند يسابور في إقليم الأهواز، وهو أحد كبار أطباء الدولة العباسية في زمانه، عَمِل طبيبا عند الخليفة المتوكل، وتعرض يختيشوع إلى نكبة شديدة من قبل المتوكل لحقده عليه، ومن مؤلفاته كتاب في الحجامة وكتاب التذكرة في الطب، توفي سنة 256هـ/ 870م. ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص180.

5- ديسقوريدس، مقدمة كتاب الحشائش، ترجمة مهران بن منصور، ص25، ويبدو أنّ الباحث محمد زهير بابا لم يطلع على مقدمة كتاب الحشائش ترجمة مهران بن منصور التي نشرها صلاح الدين المنجد، ولا على مقدمة مخطوطة باريس لترجمة مهران؛ فقد أثار استغرابه قول المستشرقين أولمان ولوكليرك بوجود ترجمة سريانية للكتاب من دون ذكر مصادرهما. محمد زهير بابا، المخطوطات العربية في باريس، ص689.

6- يوسف حبي، المرجع السابق، ص543.

بركاكة الأسلوب والعبارات[1]، ناهيك أنَّه تتخللها الفراغات الكثيرة والبياضات لعدم معرفته اللفظ العربي لها[2]؛ فقد تَحَفّظَ ابن أبي أصيبعة من الترجمات التي كان يقوم بها اصطفين بقوله: "كان يقارب حنين بن إسحاق في النقل، إلاَّ أنَّ عبارة حنين أفصح وأحلى"[3].

يبدو أنّ ترجمة مهران بن منصور حتى وإن تفوقت على ترجمة اصطفين من حيث العبارة والأسلوب، وهو ما بدا لنا واضحا في مقدمة الكاتبين اصطفين ومهران[4]؛ فقد رأى إبراهيم بن مراد أنَّ هذه الترجمة لم ولن تقدم إضافة جديدة على مستوى ترجمة المصطلحات النباتية إلى العربية، لأنّ الأصل اليوناني مفقود في ترجمة مهران، بل هو نفسه عولّ على نص سرياني مُترجم[5]، كما يرى أيضا أنّ هذه الترجمة لم تستطع على حسب اعتقاده تذليل المشاكل اللغوية الاصطلاحية المُتبقية في الترجمة الأولى، مُستدلا في ذلك بعدم وجود أي إشارة لهذه الترجمة أو إلى صاحبها في كتب المتأخرين[6]، رغم مَنطِقية هذا التفسير، ولكن إذا أخذناه بحذافيره سنظلم ترجمة مهران بن منصور مرة أخرى، ولن يُحسم الجدل إلاَّ بتحقيقها كاملة.

3- دخول كتاب الحشائش إلى الأندلس وإشكالية الترجمة الأندلسية: في أيام الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر لدين الله (316-350هـ/928-961م) جرت مراسلات بين الناصر وملك القسطنطنية الذي سمّاه ابن جلجل بأرمانيوس[7] سنة 337هـ/987م؛ فأهدى هذا الأخير هدايا كثيرة كان من بينها

1- ديسقوريدس مقدمة كتاب الحشائش، ترجمة مهران بن منصور، ص 18.

2- في ترجمة اصطفين بن باسيل أسقط الفقرة رقم 18، بينما وردت في ترجمة مهران بن منصور بقوله: " فهاذا ما ينبغي ذكره في حفظ الأدوية وادخارها، فنبتدئ الآن بذكر الأدوية، والقول على كلّ واحد منها و إثبات صورته، إن شاء الله تعالى"/ صلاح الدين المنجد، مقدمة كتاب الحشائش، ص 38.

3- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص 257.

4- لقد أورد صلاح الدين المنجد مقدمة اصطفين التي نشرها دبلر في الهامش ليتنسى المقارنة بين المقدمتين

5- ابن البيطار، تفسير كتاب دياسقوريس، مقدمة المحقق، ص 47.

6- ابن البيطار، نفسه، ص 47.

7- يقصد رومانيوس أوليكاينوس، وهو خطأ وقع فيه ابن جلجل، لأنَّ الإمبراطور المعاصر لهذه المراسلة هو قسطنطين السابع بورفيروجنيتوس، وكان زوجا لابنة رومانيوس الإمبراطور الشرعي، لكن رومانيوس استبد دونه بالسلطة، وقاسمه لَقبَه من سنة 920 إلى سنة 944. عبادة كحيلة، أندلسيات، الواد الجديد للطباعة والنشر، مصر، ط2، 2001، ص38.

نسخة جيدة مزينة بالرسوم الملونة من كتاب ديسقوريدس في نصه الإغريقي، وكتب أرمانيوس في كتابه إلى الناصر: "إن كتاب ديسقوريدس لا تجتنى فائدته إلا برجل يحسن العبارة باللسان اليوناني، ويعرف أشخاص تلك الأدوية؛ فَإِنْ كان في بلدك من يُحسن ذلك فُزت أيها الملك بفائدة الكتاب"[1].

لم يكن في الأندلس من يُجيد هذه اللغة؛ فطلب الخليفة الناصر من الملك البيزنطي أن يرسل له إلى قرطبة عالما ماهرا يتقن اللسانين اللاتيني واليوناني ليعين العلماء الأندلسيين على حَلّ مشكلات الكتاب، وفهم مستغلقه وفكّ غموضه؛ فبعث الملك أرمانيوس إلى الناصر براهب يدعى نقولا[2]، وصل إلى قرطبة سنة 340هـ/951م، من بين الأطباء الذين انخرطوا في هذا المشروع العلمي وعكفوا مع نقولا الراهب على استخراج ما جُهِل من أسماء العقاقير من كتاب ديسقوريدس بالعربية: محمد الشجار، ورجل كان يعرف بالبسباسي، أبو عثمان الجزار الملقب باليابسة، محمد بن سعيد الطبيب[3]، عبد الرحمن بن إسحاق بن الهيثم[4] وأبو عبد الله الصقلي[5].

أشاد ابن أبي أصيبعة على لسان ابن جلجل بمجهودات هؤلاء الأطباء بقوله: "وأدركت نقولا الراهب في أيام المستنصر...؛ فصحّ ببحث هؤلاء النفر الباحثين عن أسماء عقاقير كتاب ديسقوريدس

1- ابن أبي أصيبعة، نفس المصدر، ص453.

2- **نقولا الراهب**: لم ترد له ترجمة باستثناء ما أورده ابن أبي اصيبعة، ومن سياق كلامه يفهم أنه أدركه وعاش في فترة الحكم المستنصر. ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص454.

3- **محمد الشجّار والبسباسي وأبو عثمان اليابسة ومحمد بن سعيد الطبيب**: لم يترجم لهم في كتب التراجم أو في كتب الطب.

4- **عبد الرحمان بن إسحاق بن الهيثم**: من أعيان أطباء الأندلس وفضلائها، من أهل قرطبة، وينبه المقري إلى أنّ ابن الهيثم كتب في الخواص والسموم والعقاقير من أجلّ الكتب وأنفعها، وله من الكتب: كتاب الكمال والتمام في الأدوية المسهلة والمقيئة، وكتاب الاقتصار والإيجاد في خطإ ابن الجزار في الاعتماد، وكتاب السمائم، وكتاب الاكتفاء بالدواء من خواص الأشياء، صنّفه للحاجب المنصور محمد بن أبي عامر. المقري، نفح الطيب، ج3، ص175/ابن أبي أصيبعة ، المصدر نفسه، ص453.

5- **أبو عبد الله الصقلي**: لم يترجم له في كتب الطب أو التراجم ترجمة وافية، باستثناء ما ذكره ابن أبي أصيبعة على لسان ابن جلجل أنّه كان يُجيد اللسان اليوناني، ويعرف أشخاص الأدوية، ;ونقل ابن البيطار عن الصقلي في كتاب تفسير ديسقوريدس مادة واحدة في مفردة أيُذيصارونابن بقوله؛ فتأويله أيضا لسان على ما زعم أبو عبد الله الصقلي. ابن البيطار، في الأدوية المفردة تفسير كتاب دياسقيودرس، ص 276/ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص453- 454.

تصحيح الوقوف على أشخاصها بمدينة قرطبة، وتصحيح النطق بأسمائها بلا تصحيف، إلا القليل منها الذي لا بال له ولا خطر، وذلك في مثل عشرة أدوية"[1].

من خلال كلام ابن جلجل يتبيّن أنَّ اجتماع المترجمين في الأندلس كان فقط من أجل فكّ المصطلحات اليونانية التي لم يهتد إليها اصطفين، ولم يقوموا بترجمة ثانية للكتاب[2]، وإنّما كان عملهم التحرّي عن تلك النباتات في بلاد الأندلس، وقرطبة التي كانت مركز بحثهم، وعليه نستطيع القول إنَّ عملهم كان تجريبيا وتشخيصيا، ولم تُدوّن معارفهم وتفسيراتهم في كتاب موحد، بدليل أنّه لم يظهر لنا أي اسم من هذه الأطر التي كونها الناصر في أي مصدر من المصادر الصيدلانية التي وصلتنا حول العمل الجماعي لهذه النخبة في العمل الذي أنجزوه للخليفة الناصر ما عدا إشارة ابن جلجل السابق ذكرها زمن المستنصر، وهو الأمر الذي ذهب إليه صلاح الدين المنجد من خلال استبعاده لوجود ترجمة أندلسية جديدة، "بل إنَّ الأطباء الأندلسيين استعانوا بالراهب نقولا من أجل فهم معاني ألفاظ العقاقير، ومعرفة أشخاصها، وتصحيح النطق بأسمائها، وبقيت الترجمة الإصطفانية لا تنازعها ترجمة ثانية"[3]، ممَّا يجعلنا نتساءل لماذا لم تقم تلك الأطر العلمية بوضع ترجمة جماعية أندلسية بإشراف نقولا الراهب تُضاهي الترجمة الإصطفانية؟ في ظل غياب الجواب الشافي على هذا التساؤل يجعلنا نضع احتمالا يُبرر لنا غياب ترجمة أندلسية خالصة من قبل هذه الأطر:

1- نفسه، ص 454.

2- لقد توهمت بعض الدراسات بوجود ترجمة أندلسية للكتاب في القرن الرابع للهجري العاشر ميلادي،مثال ذلك ما قاله أحد الدارسين: "وقد ظلت تلك الأسماء على صورتها الإغريقية بحروف عربية حتى أعيدت ترجمته كاملا في عهد الخليفة الأندلسي عبد الرحمن الناصر لدين الله، بعد أن أهديت له نسخة أصلية من هذا الكتاب عام 337هـ/948م، بعث بها الإمبراطور البيزنطي، وتمت الترجمة على يد طبيبه اليهودي حسداي بن شبروط بمعاونة كل من محمد النباتي وعبد الرحمن بن الهيثم وأبي عبد الله الصقلي والراهب نقولا الذي بعث به الإمبراطور الرومي للإسهام في ترجمة هذا الكتاب من اليونانية التي لم يكن أهل الأندلس يتقنونها. هند عبد الحليم محفوظ، المسلمون وعلم النبات تراكم المعرفة وتطوير العطاء، مجلة الرافد، الشارقة عاصمة الثقافة الإسلامية، مايو 2014، وفي دراسة أخرى: "فتمت ترجمته بالمغرب والأندلس تحت إشراف لجنة علمية". سعيد بنحمادة، الفكر النباتي والصيدلي بالمغرب الإسلامي من خلال كتب التراجم، ضمن كتاب التاريخ وأدب التراجم مباحث في المفهوم والمنهج والقضايا، مطبعة آنفو، فاس، ط1، 2016، ص92.

3- ديسقوريدس، مقدمة كتاب الحشائش والأدوية، ترجمة مهران بن منصور بن مهران، مقدمة المحقق، ص7.

1- العمل الذي قامت به تلك النخبة عمل ميداني، وبالتالي فعملهم يحتاج الكثير من الوقت من أجل التعرف على تلك النباتات، والبحث عن أماكن نموها؛ فالنبات يمرّ بمراحل متعددة في نموه، وبالتالي يتغير شكله من مرحلة النمو إلى مرحلة الاكتمال؛ فقد يكون التأكد من رسومات النباتات التي وردت في النسخة الأصلية ومطابقتها للواقع سيأخذ الكثير من الوقت، ولا سيما أنَّ شكل النبات يتغير بمراحل نموه.

2- إذا سلمنّا أنْ العمل قد تمَّ إنجازه، وتأخرَّ إلى غاية عهد المستنصر، ولا سيما أنّ نقولا الراهب أدركه ابن جلجل، ولم يتوفى إلاّ صدر دولة الحكم المستنصر[1]، وافترضنا أيضا ضياعه في فترة الفتنة القرطبية؛ فأين هو من هذه المرحلة التاريخية في المصنفات الصيدلانية والطبية؟ لو فعلا تمت هذه الترجمة لكان ورد ذكرها في مصنفات اللاحقين، وأغنتهم عن التأليف في مجال الأدوية المفردة.

رغم هذه الافتراضات التي تطرح نفسها بإلحاح تبقى الكثير من التساؤلات عالقة، ولعلَّ أبرزها ما مصير النسخة التي اعتمدها هؤلاء العلماء في وضع تصحيحاتهم وتعليقاتهم وملاحظاتهم، وبالتالي لنا أنْ نتساءل عن مُسَوَّدة هذا العمل أيضا؟ وإذا افترضنا أنهم لم يقوموا بترجمة أو شرح كامل للكتاب فيحتمل أنهم أضافوا شروحا أو أسماء النباتات إلى ترجمة اصطفين بن باسيل.

إنَّ غياب المادة التاريخية يجعلنا نطوي صحفة هذا النقاش في ظل غياب الشواهد والأدلة التاريخية التي توضح لنا قيمة ونوع الجهد الذي قامت به اللجنة حول كتاب ديسقوريدس سواء كان ترجمة أو شرحا أو مسودة، فضلا عن صمت مطبق حول هذا الجهد العلمي من قبل النخب المعاصرة له، في ظل مشروع علمي تحمّس له وأمر به الخليفة الناصر، وهو ما يدفعنا إلى التخمين بأنَّ المشروع كان عملا ميدانيا لم يصل إلى مرحلة إعادة كتابته وترجمته.

سابعا: جهود علماء الأندلس في مجال الأدوية المفردة من القرن الرابع إلى منتصف القرن السابع الهجريين: حظي كتاب الحشائش بمنزلة رفيعة، واهتمام من جاء بعده من الأطباء والعلماء، ولذلك

1- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص454.

نجد البيروني ينوه بأهمية الكتاب بقوله: "لو كان ديسقوريدس في نواحينا، وصرف جهده على تعريف ما في جبالنا وبوادينا لكانت تصير حشائشها كلها أدوية، وما يُجتنى بحسب تجاربه شافية، ولكن ناحية المغرب فازت به وبأمثاله، وأفادتنا بمشكور مساعيهم علما وعملا"[1]، فعلا حاز الأندلسيون قصب السبق في مجال الاهتمام والعناية بالتأليف حول كتاب ديسقوريدس الذي كان اهتمامه منصبا على الفائدة النفعية والمادة الطبية بالخصوص، ويكفي أن نستدل بفكرة فؤاد سزكين الذي نقل لنا بأمانة ما أكدَّه ماير بما يكفي خطأ فكرة "أنَّ ديسقوريدس لم يُصنف قط كتابا في تاريخ طبيعة النبات، وإنمَّا كتابا في علم العقاقير، ذكر فيه عن النباتات ما اقتضى غَرضُه منه"[2].

إنّ كتاب الحشائش هو في **علم العقاقير** أو ما يعرف **بالأدوية المفردة** سواء كانت نباتية أو حيوانية أو معدنية، ولم يهتم الأندلسيون بهذا العلم إلاّ بعد المراسلة الأندلسية البيزنطية على عهد الناصر كما سبق ذكره، فكل المؤلفات التي وجدت قبل القرن الرابع الهجري تخصُّ بعض العلاجات الطبية فقط[3]، ولكن يظهر لنا جليا أنّ سبب إهمال الأندلسيين التأليف في هذا المجال هو مسألة أزمة مصطلح العقار بصفة عامة والنبات بصفة خاصة، لأنّه لا يوجد مؤلف عربي صيدلاني موحد يَخصُّ العقّار ما عدا بعض الأبواب التي نجدها ضمن كليات الطب كالفردوس الحكمة لابن رزين الطبري (ت250هـ/864م)، والحاوي للزراي (ت313هـ/925م)، والقانون لابن سينا (ت428هـ/ 1037م)[4]، أماَّ الحضارات الأخرى التي سبقت المسلمين بالتأليف في هذا المجال، وهو الأمر الذي أكدَّه جالينوس بقوله:

1- أبو الريحان البيروني، كتاب الصيدلة، ص10.

2- تاريخ التراث العربي، مج4، ص469.

3- ينظر: صاعد الأندلسي أبو القاسم صاعد بن أحمد، طبقات الأمم، نشر الأب لويس شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، 1912، ، طبقات الأمم، ص 78.

4- ابراهيم بن مراد، مسائل في المعجم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997، ص187.

"تصفّحت أربعة عشر مصحفا في الأدوية المفردة لأقوام شتى؛ فما رأيت فيها أتّم من كتاب ديسقوريدس من أهل عين زربة"[1].

وبحكم اتساع الرقعة الجغرافية لبلاد الأندلس، وغناها بغطاء نباتي كثيف ومتنوع، فضلا عن التنوع العرقي وما نجم عنه من لغات أصلية ولهجات عجمية وخبرات متنوعة حول التراث النباتي أدت إلى صعوبة معرفة بعض العقاقير الدوائية بلغة عربية موحدة، ونستشف هذا الأمر من الخبر الذي أورده ابن جلجل عن الطبيب المشرقي الحراني الذي عاصر الأمير محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن (238- 273هـ) لما قال عنه: "وذلك أنّه وجد صفة دواء فيه يؤخذ من الثّفاء كذا وكذا، فلم يُعرف الثفاء ما هو؛ فأُتى إليه؛ فقيل له: عندك الثفاء؛ فقال: نعم، قيل له: بكم زنة درهمين منه؟ قال: بعشرة دنانير؛ فلما أخذها، أخرج إليهم الحُرْف[2]، قالوا: هذا الحُرف، ونحن نعرفه، قال لهم: لم أبِع منكم عين العَقّار، إنما بعت لكم تفسير الإسم"[3].

إنّ مسألة تداخل اللغات جعلت من الصعوبة بمكان معرفة جميع العقاقير بلغة واحدة لانتمائها لجغرافيات مكانية مُختلفة اللغات (هندية، يونانية، رومانية، فارسية، عربية، بربرية)، وديقوريدس بادر إلى النظر في هذا العلم، وكتبه بلغته اليونانية التي اعتبرها القدماء من "أوسع اللغات وأجلّها"[4] في كتابة العلوم.

لقد تبارى علماء الأندلس في إضافة مادة نباتية أصلية يُنافسون بها ديسقوريدس في مؤلفاتهم التي تَنُّم عن سعة اطلاعهم، بفضل اتساع وغنى رقعة بلاد الأندلس بخيرات ونباتات حباها الله بها،

1- ابن جلجل، طبقات الأطباء و الحكماء، ص 21.

2- الحُرف:من جنس الهدبات، ومن نوع البقل ، وهو على ستة أنواع: بستاني أحمروأبيض، وريفي ومائي ومردي، فالبستاني الأحمر ، ساقه ملساء مدورة، مُجوفة، مُعتقدة إلى أغصان تعلو نحو ذراعين، زهره أبيض، دقيق جدا ، يُزهر في الربيع، فيه بزر على قَدْر حبةالعدس، في داخلها حبتان لونهما أحمر له عدة مسميات منها : قُرادمن والثفاء و والمُرشد وحَبّ الرشاد/ أبو الخير الإشبيلي، عمدة الطبيب، ج1، ص 165، 166.

3- ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، ص 95.

4- ابن صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، ص 20.

وقد أنصف أحد الباحثين عناية الأندلسيين بالتأليف في مجال الأدوية المفردة بقوله: "والحق أنَّ الأطباء الأندلسيين والصيادلة والنباتيين لم يحاولوا نقل هذا الكتاب نقلا جديدا إلى العربية...، بل تجاوزوا ذلك إلى تحقيق غاية أسمى: فبعد أنْ تمَّ لهم التحقق من أشخاص النباتات التي وردت في كتاب ديسقوريدس، أهملوا منها ما لا وجود له في قطرهم الأندلسي، ثم درسوا النباتات المُزْرِعَة في بلدهم ممّا لم يرد له ذكر في كتاب العشاب الإغريقي؛ فأُتِيَ لهم بذلك أن يصنفوا في الأدوية المفردة والنباتات الطبية كتبا وموسوعات أندلسية، ابتداء من ذلك التاريخ أي منتصف القرن الرابع الهجري، وعلى تعاقب الأجيال وامتداد القرون"[1].

لقد تمكنَّ الأندلسيون من إضافة مادة طبية غزيرة سواء كانت نباتية أو حيوانية أو معدنية، بفضل اتساع وغنى رقعة بلاد الأندلس بخيرات ونباتات حباها الله بها؛ وقد أعرب المؤرخ الإسباني خوان خيناس عن همّة وغزارة الأندلسيين في التأليف لمَّا قال: "إنَّ إهداء الإمبراطور البيزنطي قسطنطين السابع نسخة من كتاب ديسقوريدس إلى الخليفة عبد الرحمان الثالث كان أحد أكثر العوامل تحفيزا للتطور العلمي في علمي الأدوية والنبات"[2].

وسنلامس من خلال التعريف بمؤلفات الأندلسيين في هذا المجال الأدوية المفردة بعض شروحات واستدراكات الأندلسيين على ما أغفله ديسقوريدس، إمَا لأنّه لم يبلغه علمها أو لم يسمع بها.

1- أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي المعروف بابن جلجل (ت بعد 384هـ/987م): وُلد بقرطبة حوالي سنة 333هـ/943م، وكانت وفاته بعد سنة 384هـ/987م، وبذلك عاصر فترة ثلاثة من خلفاء الأندلس (عبد الرحمان الناصر والحكم المستنصر وهشام المؤيد بالله)، درس ابن جلجل الطب ونبغ

1- فاضل السباعي، تحقيق كتاب "الرحلة النباتية" لأبي العباس النباتي الإشبيلي مفردة أُقحوان – بابونج نموذجا، المؤتمر السنوي الثامن عشر لتاريخ العلوم عند العرب المنعقد في حلب 10-12 تشرين الأول 1995، منشورات جامعة حلب ومعهد التراث العلمي العربي، 2008، ص155.

2-Juan Vernet Gines, la Cultura hispano arabe en Oriente y Occidente, Ariel Historia, Barcelona, Ariel, 1978,pp69-70.

فيه نبوغا واضحا، ذاعت شُهرته بكتاب "طبقات الأطباء والحكماء"، الذي يعتبر أحد المصادر الرئيسة لأعلام الطب والفلسفة في الإسلام، والذي نقل عنه القفطي وابن أبي أصيبعة. إلاَّ أنَّ ابن جلجل برزت مكانته بكتاب لا يقلُّ أهمية عن الأول، يُعدُّ باكورة أعماله في علم النباتات، وهو كتاب "**تفسير أسماء الأدوية المفردة من كتاب الحشائش لديسقوريدس**"، ألفه سنة 372هـ/982م بمدينة قرطبة على عهد الخليفة هشام بن الحكم المؤيد بالله[1]، حيث يقول ابن جلجل عن نفسه: "وكان لي معرفة تصحيح هيولى الطب، الذي هو أصل الأدوية المركبة حرص شديد وبحث عظيم، حتى وهبني الله من ذلك بفضله بقدر ما اطلع عليه من نيتي في إحياء ما خفتُ يُدرس وتذهب منفعته لأبدان الناس"[2]، كما يُشيد ابن أبي أصيبعة بمكانة ابن جلجل في مجال الأدوية المفردة وتفسيرها؛ فقد "أفصح عن مكنونها، وأوضح مستغلق مضمونها"[3].

غير أنَّ هذا الكتاب ضاع معظمه، ولا توجد منه إلاَّ قطعة صغيرة في 122 ورقة بالمكتبة الوطنية بمدريد تحت رقم 233[4]، ويذكر الباحث بوطمينة (Boutammina) أنَّ الكتاب تُرجم إلى اللغة اللاتينية في القرن 13م من قبل القديس آلبير الكبير أو ما يُعرف بآلبير ماقنوس[5]؛ كما يكتفي بالقول أيضا أنّ القطعة المُتبقية من هذا الكتاب تحتوي على 317 نبتة طبية[6]، في حين يذكر الباحث إبراهيم بن مراد أنَّ القطعة المتبقية من هذا الكتاب تتضمن 323 مصطلحا تَخصُّ شرح جزء من المقالة الثالثة وكامل المقالة الرابعة، وجزءً من المقالة الخامسة[7].

1- ابن أبي أصيبعة، نفس المصدر، ص455.

2- ابن أبي أصيبعة، نفس المصدر، ص 455.

3- نفسه، ص453.

4- فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي، ج4، ص512/نهاد عباس زُنيل، الإنجازات العلمية للأطباء في الأندلس، المرجع السابق، ص212 /سعيد بن حمادة، المرجع السابق، ص92.

5- Nas E. Boutammina , les fondateurs de la botanique, édition books demand, 2017,tome 2, p 93.

6- Nas E. Boutammina, ibid, p93.

7- ابن البيطار، في الأدوية المفردة تفسير كتاب دِيَاسقوريدوس، تحقيق إبراهيم بن مراد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1989، مقدمة المحقق، ص51.

ومن النتائج التي توصلَّ إليها الباحث بن مَراد بعد اطلاعه على هذه النسخة أنَّها بقيت الكثير من المصطلحات اليونانية مستعصية على ابن جلجل، لم يجد لها مقابلا يُعرفها، وبلغ عددها 17 مصطلحا، كما يؤكد الباحث بن مراد أنَّ القطعة المُتبقية من كتاب ابن جُلجل لا تُمكننّا من إبداء حُكم يقيني على قيمة عمله لأنَّ الكثير من المصطلحات النباتية اليونانية التي كانت مُستعصية على اصطفين بن باسيل نقلها إلى العربية، بقيت هي أيضا مُستعصية عند ابن جلجل، ولم يهتد إلى تعريبها، كما أنَّ بقية المصطلحات الأخرى اكتفى ابن جُلجل بنقلها إلى اللاتينية فقط؛ ممَّا كان شائعا في بلاد الأندلس، ولم ينقلها إلى العربية[1].

لابن جلجل كتاب آخر لا يقل أهمية عن الكتاب الأول شرح وتفسير مفردات ديسقوريدس، ونعني به المقالة التي خصّصها للمفردات الطبية التي أغفلها ديسقوريدس في كتابه الحشائش، وتعرف بالمقالة الثامنة: "نذكر فيها ما قصر ديسقوريدس عن ذكره في كتابه مما يستعمل في صناعة الطب، وينتفع به، وممَّا لا يستعمل، ولكن لا نغفل ذكره أن شاء الله تعالى"، وتوجد نسخة منها بمكتبة نور العثمانية تحت رقم 3589[2]، والكتاب حقق وترجم إلى الإسبانية من قبل الباحث إلديفونسو جاريخو معتمدا على نسخة واحدة في التحقيق، تحمل رقم 573، موجودة بمكتبة بودليان بجامعة أكسفورد البريطانية (la biblioteca Bodleiana de Oxford)[3]، تضمنت المقالة 62 عقارا معظمها عقارات نباتية باستثناء ثلاث عقارات حيوانية متمثلة في المسك والعنبر وقرن الحنق[4]، وسبع عقارات تنتمي إلى

1- ابن البيطار، تفسير كتاب ديسقوريدس، ص52.

2- نهاد عباس زينل، الإنجازات العلمية للأطباء في الأندلس، ص213.

3-Ibn ŷulŷul, Tratado OcTavo Mencioamos en él lo que Dioscóride no cita en sulibro ; Lo que se utiliza y aprovecha en el arte de la medicina y lo que, aunque no por ello descuidarmemos citarlo, si citarlo, si quiere dios, ensalzado sea, editado y traducido por Ildefonso Garijo, Córdoba,1992,p25.

4- بقوله في المسك: دواء هندي، وهو نوافج ملأى من المسك تسقط من أفخاذ دواب هي في قد الظباء، تصير في أفخاذها زوائد؛ فإذا تناهت سقطت وفيها مسك. أمّا العنبر فقال عنه: رجيع دابة بحرية ترعى في البحر حشيش العنبر، فإذا امتلأت منه قلقت به، فتقذفه رجيعا، وهو في خلقته كالسهام العظام من الخشب، وهو دسم خوار، وهي كالقير يطفو على الماء، ولونه إلى السواد والشهوبة...، أما عن قرن الحنق قال عنه: يقال إنّه قرن أفعى... غير أنّ المحقق يُشير في الهامش أنَّ هناك من خطأ هذا القول حيث وجد في طرة الكتاب قوله:

الأحجار لها خاصية طبية (الياقوت، حجر الماس، حجر البادزهر، حجر البُهت، حجر الخل، القنبيل، تربة جوز جُندم)[1]، أمّا الـ52 عقارا الباقية فمعظمها عقارات نباتية ذات أصل هندي أغفلها ديسقوريدس، وهي كالأتي: الهليلج الأصفر، الأهليلج الكابلي، الأهليلج الأسود، لبّ خيار شنبر، التمر الهندي، البليلج، الأملج، الخولنجان، القاقلة الكبير، الجوز بوا، الكبابة، القرنفل، الزرنباد وأخرى تنمو في البلاد العربية كالورس الذي ينمو في اليمن، والهرنوة التي يؤتى بها من بلاد الصقالبة، والباذنجان والجلبان والماش وشجرة الكف من نباتات الأندلس[2].

تكمن أهمية هذه المقالة في ذكر بعض الفوائد الطبية والنفعية للعقارات التي ذكرها ابن جلجل مع تحديد النِسب والمقادير التي يتناولها المريض، ومجال استخداماتها اليومية التي وظفنا منها نصوصا في المبحث التالي.

2- **ابن سمجون الأندلسي: (ت نحو 400هـ/1001م):** هو أبو بكر حامد بن سمجون، فاضل في صناعة الطب، متميز في قوى الأدوية المفردة وأفعالها، له كتاب جليل في الأدوية المفردة ألّفه في أيام المنصور محمدبن أبي عامر (366-392هـ/976- 1002م)[3]، أغفلت كتب التراجم الأندلسية ترجمته؛ فلم تصلنا أخباره إلاّ من خلال ما تركه لنا ابن أبي أصيبعة بقوله: "قد بالغ فيه وأجهد نفسه في تأليفه، واستوفى فيه كثيرا من آراء المتقدمين في الأدوية المفردة"[4]؛ جمع ابن سمجون فيما يشبه الموسوعة الطبية معلومات الأطباء العرب حول استعمال النباتات الطبية، يتألف كتابه من استشهادات أسلافه الذين اهتموا بالنباتات الطبية من ديوسقوريدس إلى ابن الكتاني مرورا بجالينوس وأدربياز وبولس الإيجيني،

قرن الحنق إنما باليونانية يؤتى به من القسطنطنية، ويباع في مصر من الكبراء، وهو عزيز وليس بقرن الأفعى كما زعم هذا، وإنّما هو ناب حوت بحري طوله نحو الذراع وصلابه كصلاب ناب الفيل سواء. ابن جلجل، المقالة الثامنة، تحقيق إلديفونسو جاريخو، قرطبة، 1992، صص17- 21.

1- ابن جلجل، المقالة الثامنة، صص22-24.

2- نفسه، صص7-29.

3- اليسع بن عيسى ابن حزم الغافقي الجياني، المُغرب في محاسن المَغرب، دراسة وجمع وتوثيق عبد السلام الجعماطي، دار الأمان، الرباط، ط1، 2015، ص146/المقري، نفح الطيب، ج1، ص198.

4- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص459.

وكتاب النبات المنحول لأرسطو والدينوري وابن وحشية وابن ربّان الطبري، ويحى بن ماسويه، وإسحاق بن عمران، ويوحنا بن سرابيون، والإسرائيلي والرازي وغيرهم[1].

رتب ابن سمجون كتابه على الترتيب الأبجدي، إلاَّ أنَّ الكتاب وصل ناقصا لضياع القسم الأول منه، والمتمثل في مقدمة الكتاب وستة حروف لمواد مفردات الأدوية (أ، ب، ج، د، هـ، و)، وبذلك ضاعت معه الأسباب التي ألف من أجلها هذا الكتاب، وهل ألف الكتاب بإيعاز من شخص ما أم هناك أسباب أخرى دعته للتأليف، والكتاب لم يُحقق إلى يومنا هذا باستثناء ما نشره فؤاد سزكين في نسخ مصورة من مخطوطات مختلفة متواجدة حول مكتبات العالم، كالمتحف البريطاني تحت رقم 15705، ونسخة مصورة من مخطوط طوبقاي سراي باسطنبول تحت رقم 2121، ومخطوطة هنت بمكتبة بودليانا بأكسفورد، ومخطوطة بروس بمكتبة بودليانا بأكسفورد[2]، وقطعة في بطريقية الأقباط بالقاهرة تحت رقم 253[3].

من يتأمل مخطوطة ابن سمجون يُدرك قول ابن أبي أصيبعة فيه؛ وفي مدى الجهد المُضني الذي أخذه منه؛ فقد تعددت وتنوعت مصادره في التعريف بالنبتة الواحدة، وتعددت مصادره بتنوع معارفهم حول النبتة الواحدة، ومن أمثلة ذلك ما ذكره ابن سمجون في نبات **حبَّة حُلوة**: "قال إسحاق بن عمران الحبّة الحلوة هو الأنيسون، ويُعرف بالرازبانج الشامي، وقال إسحاق بن سليمان وأحمد بن إبراهيم ومحمد بن عبدون مثله ونحوه، وقال حبيش بن الحسن: الأنيسون هو الرايانج الرومي، وهو أشدُّ حرّا من النبطي، وقد ذكرنا الأنيسون في حرف الألف"[4].

1- توفيق فهد، علم النبات والزراعة، موسوعة تاريخ العلوم العربية، مركز دراسات الوحدة العربية ومؤسسة عبد الحميد شومان، بيروت، ط1، 1997، ص 1043.

2- فؤاد سزكين، سلسلة عيون التراث، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، فرانكفورت مج54.، ج1، 1992، ص 06.

3- كمال الدين حسن البتانوني، تراث النباتات الطبية في مكتبة القاهرة، المرجع السابق، ص 533.

4- ابن سمجون حامد ، الأدوية المفردة ، مخطوط مصور من نسخة بودليانا أكسفورد، /سلسلة عيون التراث، ج1، ص 242.

3- **أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي (ت427هـ/1036م):** يرتبط اسم الزهراوي بعلم الجراحة الذي كان المؤسس الأول له، وذلك بفضل مجهوداته في هذا الميدان حيث أدوع كل ملاحظاته وعملياته الجراحية التي أجراها في المقالة الثلاثين من كتابه "التصريف لمن عجز عن التأليف"[1]؛ فكتاب التصريف يضم ثلاثين مقالة كما أسلفنا القول، وتهتم المقالة الثامنة بإصلاح الأدوية، تناول فيها العقاقير النباتية وعُصاراتها، هذه المقالة ترجمت إلى اللاتينية والعبرية، وتداولتها أيادي العلماء المهتمين بالعلاجات والأدوية في الغرب[2]، ولا تقلّ المقالة التاسعة والعشرون عنها أهمية حيث تناولت تسمية العقاقير في عدة لغات كاليونانية والسريانية والفارسية والعربية والبربرية، مع ذكر بدلها إن تعذر وجود الدواء العقار الأصلي، وفترة إعماره أو صلاحيته[3].

كان الزهراوي طبيبا فاضلا خبيرا بالأدوية المفردة والمركبة[4]، لم تقتصر مؤلفاته على كتاب التصريف؛ وإنّما له من المؤلفات في مجال الأدوية المفردة "رسالة في العقاقير المفردة"، منها نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم 1071 طب، عن أصل محفوظ بمكتبة المتحف البريطاني برقم 985، وهي تحمل اسم "رسالة في أعمار العقاقير المفردة والمركبة"[5].

له أيضا "كتاب فيه أسماء العقاقير باليونانية والسريانية والفارسية والعجمية، وتفسير الأكيال والأوزان، وبدل العقاقير وأعمارها، وتفسير الأسماء الجارية في كتب الطب"، نسخت بخط أندلسي جميل مرتب على الحروف من الألف إلى الياء اقتناها خير الدين الزركلي صاحب كتاب الأعلام[6]. ولا ندري إن كانت هذه الرسائل مستوحاة فقط من كتاب التصريف أم رسائل مستقلة بذاتها.

1- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص 460.

2- آمنة حمزة حميد، الصيادلة والعشابون في الأندلس، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، بغداد، 2007، ص 233.

3- آمنة حمزة حميد، نفس المرجع، ص 233.

4- ابن أبي أصيبعة، نفس المصدر، 461.

5- كمال الدين البنتانوني، تراث النباتات الطبية في مكتبات القاهرة، المرجع السابق، ص 648.

6- نهاد عباش زينل، الإنجازات العلمية لأطباء الأندلس، ص 235.

4- **مروان ابن جناح** (ت حوالي 442هـ/1050م): هو أبو الوليد بن مروان بن جُناح القرطبي اليهودي، حاخام، طبيب، لغوي عاش في القرن الخامس الهجري بمدينة سرقسطة وتوفي بها، كانت له عناية بصناعة المنطق، والتوسع في علم لساني العرب واليهود[1]، وله معرفة جيدة بالطب، ألف كتاب **التلخيص**، وقد ضمنه ترجمة الأدوية المفردة[2]، ويشير صاعد إلى أنّ هذا الكتاب عبارة عن ترجمة للأدوية المفردة، وتحديد المقادير المستعملة في صناعة الطب من الأوزان والمكاييل[3]، نُشر هذا الكتاب في طبعة نادرة- لم نتمكن الوصول إليها- من قبل ديرنبرغ (Derenbourg) بباريس سنة 1880م، ويُعدُّ هذا الكتاب من المصادر التي اعتمد عليها أبو الخير في عمدته[4].

5- **ابن وافد الأندلسي (ت467هـ/1075م):** هو الوزير أبو المطرّف عبد الرحمن بن محمد بن عبد الكبير بن يحي بن وافد بن مهند اللخمي، من أشراف أهل الأندلس[5]، طارت شهرته بالعلم والبحث عن النباتات والمعادن والحيوانات التي يُمكن استخدامها في استخراج وصنع الأدوية ومعرفة قواها، وهو الذي تولى غرس جنة المأمون بن ذي النون الشهيرة بطلطلة[6]، كان بصيرا بالفلاحة، وله تأليف فيها[7].

ويُعدُّ ابن وافد من أوائل الأطباء الذين نادوا بالتداوي بالغذاء، والابتعاد عن الدواء قدر المُستطاع؛ حيث يقول ابن أبي أصيبعة في شأنه: "وله في الطب منزع لطيف ومذهب نبيل، وذلك أنّه كان لا يرى التداوي بالأدوية ما أمكن التداوي بالأغذية، أو ما كان قريبا منها؛ فإذا دعت الضرورة إلى الأدوية فلا

1- صاعد الأندلسي ، طبقات الأمم، ص 89.

2- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص457.

3- صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، ص89.

4- أبو الخير الإشبيلي، عمدة الطبيب، ج1، ص96.

5- صاعد الأندلسي، المصدر نفسه، ص84/ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص456.

6- ابن الآبار البلنسي أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القُضاعي، التكملة لكتاب الصلة، ضبط وتعليق جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2008، ج2، ص286.

7- ابن الزبير الغرناطي أبو جعفر أحمد بن إبراهيم ، صلة الصلة، ضبط وتعليق جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2008، ص102.

يرى التداوي بمركبها ما وصل إلى التداوي بمفردها؛ فإن اضطر إلى المركب منها لم يكثر التركيب، بل اقتصر على الأقل ما يمكن منه"[1].

يبدو أنَّ ابن وافد قد بذل جهدا مُضنيا في تأليف كتابه الخاص بالأدوية المفردة؛ فقد مكث في تأليفه مدة عشرين سنة مُرتبا ومُصححا ما تضمنته أسماء الأدوية المفردة، وتفصيل قوتها وتحديد درجاتها[2]، محاولا الجمع بين أقوال ديسقوريدس وجالينوس من أجل استكمال المنفعة؛ فقد صرح في مقدمة كتابه سبب تأليفه لهذا الكتاب بقوله: "إني لمّا رأيت كتابيْ دِياسقوريدوس وجالينوس في الأدوية المفردة محتويان على ما يحتاج من العلم بها، قائمين بما يضطر إليه معرفتها، إلاَّ أنهما مفتقران إلى الجمع بينهما، إذ في كل واحد منهما قسم من عملهما ليس في الآخر"[3]، غير أنَّ كتابه لم يسلم من النقد، وسجلَّ عليه الغافقي الكثير من الأغلاط بقوله: " ومنهم من غلط في الجمع بين الأقاويل كما فعل ابن وافد، حيث يجمع بين كلام ديسقوريدس في دواء، ويُضيفه إلى كلام جالينوس في دواء آخر، وهو يظنّ أنَّهما واحد، وهذا إلى ما حرّف من كلام جالينوس وأفسده، وأخرجه عن معناه، وأساء العبارة عنه، وصحّف عليه ممّا يطول ذكره"[4].

أمّا عن عدد المفردات التي بلغها كتابه؛ فهو يستوعب 249 مفردة، غالبيتها في النبات باستثناء مفردة واحدة في المعادن.

1- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص456.

2- صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، ص84/ القفطي جمال الدين أبو الحسن علي يوسف ، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2005، ص227.

3- ابن وافد الأندلسي أبو المطرّف عبد الرحمن بن محمد بن عبد الكريم ، كتاب الأدوية المفردة، ضبطه ووضع حواشيه: أحمد حسن بسبج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2006 ص5.

4- الغافقي أبو جعفر أحمد ، في كتاب الأدوية المفردة وتحقيق لمقدمته ونماذج من شروحه، تحقق: إبراهيم بن مراد، ضمن كتاب بحوث في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1991، ص418.

6- **أبو عبيد البكري** (ت487هـ/1094م): هو أبو عبيد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري، ولد بشَلْطِيش (غربي إشبيلية)، ثم انتقل إلى قرطبة[1]. ينمتي إلى بيت شرف وإمارة، بسقوط الخلافة الأموية استولى أباؤه على وَلبة وشَلْطيش، وظلّوا مستأمرين عليها حتى غصبهم المعتضد بن عباد، واضطروا للتنازل عنها مقابل مبلغ مالي دفعه إليهم[2]، نبغ البكري في عدة علوم كاللغة والأدب والجغرافية والنبات، وترك مؤلفات مشهورة[3].

رغم المكانة التي توصل إليها أبو عبيد البكري بين علماء عصره إلاّ أنهم لم يولوا اهتماما كبيرا بكتابه المتعلق بالنبات، وهو ما دفع حسين مؤنس بالقول: إنّ كتب الجغرافيا والفلسفة والطب والأعشاب التي ألفّها البكري لم يكن يُقدّرها أو يُنظر إليها إلاّ المعنيون بها[4]؛ فَحَفِظ لنا ابن أبي أصيبعة كتابه المفقود في وقتنا الحاضر الموسوم بـ"**أعيان النبات والشجيرات الأندلسية**"، يوحي لنا عنوان الكتاب أنّه اختص بالنباتات التي تنمو فقط بالأندلس دون غيرها من الأقطار، وربما اهتمّ بتوزيعها في الإقليم الأندلسي، وضبط مسمياتها بالشكل الصحيح، وهي الميزة التي اتصف بها في كتابه الجغرافي المسالك والممالك الذي حرص من خلاله على ضبط أعلام المدن بشكل دقيق، والتثبت من أصولها.

لقد أثنى عليه ابن أبي أصيبعة بقوله: إنّه "فاضل في معرفة الأدوية المفردة وقواها ومنافعها، وأسمائها ونعوتها، وما يتعلق بها"[5].

7- أبو الخير الإشبيلي في كتابه عمدة الطبيب في معرفة النبات (كان حيا أوئل ق6هـ/12م): على قدر أهمية مساهمات هذا العالم في علم النبات، إلاَّ أنّ كتب التراجم والطبقات والتاريخ تجاهلته من حيث

1- أبو القاسم خلف بن عبد الملك ابن بشكوال ، الصلة في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2003، ص240.

2- آنخل بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص310.

3- من آثاره: المسالك والممالك، معجم ما استعجم من البلدان والأماكن، التنبيه على أغلاط أبي علي في أماليه، شرح الأمثال السائرة. البكري، المسالك و الممالك، مقدمة المحقق، ص و- ز.

4- الجغرافيا والجغرافيين، ص116.

5- ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص459.

التعريف بشخصه وعلمه؛ فبقي مجهول التعريف بنسبه وأصله ومكانته العلمية إلى يومنا هذا، واكتفوا بذكر كنيته فقط، يتضح لقارئ عمدة الطبيب أنّه عاش في ق6هـ (12م)، وبدا ذلك جليا من خلال إشارة ترحمه على شيخه ابن اللونقة، فقال في ذلك: "كانت عند شيخي الذي قرأت عليه الصناعة، وهو أبو الحسن بن اللونقة رحمه الله"[1]، وقد وافانا ابن الآبار بتاريخ وفاته التي كانت سنة 499هـ/1105م، كما كان على صلة علمية بابن بصال الطليطلي الذي استفاد من تجاربه العلمية، وأتاح له معرفة الكثير من النباتات النادرة[2].

ذاع صيت أبو خير الإشبيلي في مجال علم الفلاحة؛ فقد كان أبرز مصادر ابن العوام في موسوعته الفلاحية، ووصفه في مقدمة كتابه "بالشيخ الحكيم، وألفّ لنا كتابا في الفلاحة، وهو مبني على آراء جماعة من الحكماء والفلاحين وعلى تجاربه"[3]، وعلى الرغم من أهمية النصوص التي نقلها ابن العوام من هذا الكتاب إلاَّ أنّ النسخة التي وصلت إلينا بطبعة فاس حَام حولها الكثير من الشكوك، ويرى محمد العربي الخطابي أنّه ليس من الفائدة الدخول في التفاصيل المتعلقة بمخطوطات كتاب الفلاحة المنسوبة لأبي الخير الإشبيلي، لأنَّ طبعة فاس اختلطت أوراقها بين ما هو لأبي الخير الإشبيلي، وبين ما هو لابن وافد والزهراوي وابن حجاج الإشبيلي[4]، ممَّا يستدعي إعادة النظر في هذه الطبعة من جديد؛ فمضمونها يتشابه إلى حد كبير مع ما ورد نصه عند ابن حجاج مع اختلافات طفيفة، غير أنَّ المتفق عليه أنَّ لأبي خير الإشبيلي كتاب خالص من تأليفه اعتمد عليه ابن العوام في موسوعته الفلاحية، وتتبع الباحث محمد العربي الخطابي بكثير من التدقيق والبحث، وانتهى إلى أنَّ مؤلف عمدة الطبيب

1- أبو الخير الإشبيلي، عمدة الطبيب في معرفة النبات، ج2، ص 606.

2- نفسه، ج2، ص624.

3- ابن العوام، الفلاحة الأندلسية، ج1، ص281.

4- أبو الخير الإشبيلي، عمدة الطبيب، مقدمة المحقق، هامش 32، ص25.

في معرفة النبات من تأليف أبي خير الإشبيلي[1]، بعد أن نسبه في سابق الأمر إلى مؤلف يُدعى ابن عبدون[2].

لم نعثر على دليل قاطع لممارسة أبي الخير الإشبيلي مهنة الطب، إلاَّ أنَّ إحدى الدراسات أكّدت من عنوان الكتاب أنَّ أبا الخير الإشبيلي مارس مهنة التطبيب[3]، وإن كانت المعارف التي أوردها أبو الخير الإشبيلي لنباتاته لا تدل بالضرورة على ممارسة الطب بقدر ما تدل على موسوعيته في النبات ونفعيته طبية وبيطرية وصيدلانية، وتضلعه في الجانب اللغوي، وتمرّسه بمعاينة الأعشاب في منابتها الطبيعية، ومعرفة منافعها ومضارها.

أ_ أصالة كتاب عمدة الطبيب في معرفة النبات في علم تجنيس النبات: لعلَّ من غير المبالغة إطلاقا أنْ نعتبر كتاب عمدة الطبيب أول موسوعة عربية نباتية خالصة بامتياز من حيث مفرداتها النباتية، لا تشوبها مفردة حيوانية أو معدنية، إذ استوعب الكتاب 2736 مادة نباتية مرتبة ترتيبا أبجديا تباينت موادها في الطول والقصر، مثل مفردة جوز الطيب بقوله: هو جوز بوا[4]، في حين أن بعض المفردات استغرقت عدة صفحات مثل مفردة اليتوع الذي خصّص له ما يقارب عشر صفحات اعتنى فيها بجنس هذا النبات، والتفصيل في أنواعه ومنابته، والأرض التي تناسب نموه، وأقوال العلماء فيه، ومنافعه الطبية وغيرها، ونبّه على أضراره[5].

وينفرد كتاب العمدة عن غيره من المؤلفات الصيدلانية أنّ أبا الخير الإشبيلي قد اهتم بحياة النبات من حيث أصالة النبات كنبات، بوصف شكله وجنسه ونوعه وتطوره، كما لا يمكن أن نستغني

1- محمد العربي الخطابي، أبو الخير الإشبيلي وكتاب "عمدة الطبيب في معرفة النبات"، مجلة أكاديمية المملكة المغربية، ع 6، 1989، ص38- 39/ مقدمة المحقق محمد العربي الخطابي، عمدة الطبيب في معرفة النبات، ص19.

2- محمد العربي الخطابي، معجم أندلسي من القرن السادس الهجري، ص73-74.

3- سليمى محجوب، أبو الخير الإشبيلي وكتابه عمدة الطبيب في معرفة النبات، مجلة التراث العربي، إتحاد العرب، دمشق، يناير 2002، ع 85، ص218.

4- أبو الخير الإشبيلي، عمدة الطبيب، ج1، ص146.

5- نفسه، ج2، صص625- 636.

عن كتاب العمدة في المجال اللغوي؛ حيث اهتم أبو الخير بتفسير معظم الألفاظ النباتية تفسيرا لغويا خالصا، كقوله في مفردة بقل: هو "كل نبات ينبت من بزره لا من أرومته الباقية تحت الأرض"[1]، و قوله في مفردة يقطين: "كل نبات لا يقوم على ساق، وإنّما يمتد على الأرض حبالاً"[2]، وقوله في مفردة لُوَي: "كل ما يلتوي من النبات على الشجر"[3].

ما يُميز أبا الخير الإشبيلي أنّه كان على معرفة بتدخل المؤثرات المناخية والتربة بمختلف مكوناتها والماء على الخصائص التركيبية لأجزاء النبات من حيث قوة وقلة مفعوله؛ فقد نبّه على نوع من النبات يُعرف بالنبال بقوله: "وما نبت منه بالثغر الأعلى في جهة المنتجون وقلعة أيوب ومروان كان قتله سريعا، وما نبت بناحية جيان وشُلير كان أسلم من هذا"[4]؛ مما يؤكد أن للمناخ دورا كبيرا في الدورة الوظيفية للنبات من حيث قوة مفعوله.

لقد كان أبو الخير الإشبيلي على دراية بطوبوغرافية بلاد الأندلس من قراها الصغيرة ووديانها وأنهارها؛ لذلك قدمَّ لنا تفاصيل لبعض الأماكن في مدن الأندلس لا توفرها لنا الكتب الجغرافية، مثل قوله: "رأيتها بوركة من عمل لِبلة"[5]، وقوله: "رأيت هذا النوع بالقرب من قرية تعرف بموريله وبجبال ورك من عمل شِلب"[6]، حتى أَنَّ بعض المسميات لبعض الأماكن والوديان سمّيت باسم النبات الذي يغلب عليها كقوله عن وادي رُبدة الذي يقع في شرف الزيتون من عمل إشبيلية نسبة لنبات يرْبه رُبْدَه[7].

ويعدُّ الباحث محمد العربي الخطابي أول من أعاد الاعتبار إلى أبي الخير الإشبيلي، وصنفه كأول عالم عربي يصطنع نظاما تصنيفيا للنبات أو ما يُعرف بتجنيس النبات من خلال معاينته للأوجه

1- أبو الخير الإشبيلي، عمدة الطبيب ، ج1، ص103.

2- أبو الخير، نفس المصدر، ج2، ص642.

3- نفسه، ج1، ص356

4- نفسه، ج2، ص469.

5- نفسه، ج1، ص56.

6- نفسه، ج1، ص59.

7- نفسه، ج2، ص 638.

المشابهة والمُشاكلة الموجودة بين الأجناس والأنواع المتقاربة[1]؛ فأول محاولة تصنيفية للنبات لم تظهر إلاَّ في أواخر القرن 16 م بظهور كتاب الأعشاب (Di Planti) عام 1583، من تأليف أندريا سيسالبينو (Andrea Cesalpino)الإيطالي الذي تناول في كتابه طريقة التحليل المورفولوجي لأجزاء النبات، وتوصل إلى تعيين فصائل تطابق تنوع تلك الأجزاء[2]؛ فهو أول من صنّف النباتات وفقا لثمارها وبذورها، وأعضاء التكاثر فيها بدلا من الترتيب الأبجدي.

حَرص أبو الخير الإشبيلي على أنْ يَقف على مختلف أنواع الصنف الواحد من النبات؛ وقد تفوق على ديسقوريدس، وكان شديد الملاحظة والمعاينة في الفصل في أنواعها، ومن أمثلة ذلك نبات البابونج الذي قال فيه: "أنواعه سبعة، وقد وقفت عليها كلّها، وهي قريبة الشبه في القوى والصورة، ولم يذكر منها ديسقوريدس إلاَّ ثلاثة، ولا يكاد يُفرَّق بينها إلاّ في الزهر فقط"[3].

ولم يعتمد على معاينة أنواع النبات من حيث الشكل فقط، وإنّما وقف على تحديد الاختلاف الذي يقع في النبات الواحد من حيث عدة معايير كالحجم واللون والقوة؛ كقوله في الباذنجان: إنه جنس الكفوف، ومن ونوع البقول البُستانية، وأنواعه كثيرة؛ فمنها الأسود الأندلسي، وهو مُدحرج الشكل، رقيق القِشر، حارّ الطعم، كثير البِزر، قليل اللحم، رقيق المِعلاق، ومنه الأبيض وهو الشامي، مائل إلى الطول، ومعلاقه غليظ مشوك، كثير اللحم، قليل البِزر، غليظ القِشر، طيب الطعم.

اهتم أبو الخير الإشبيلي بشكل لافت للانتباه بتسجيل أسماء النباتات بعجمية الأندلس بمختلف لهجاتها في المدن والثغور الأندلسية، ومن أمثلة ذلك: قوله عن "نبات الخربق الأسود الذي يعرف **بنترِقير**، ومعنى **بِنتر:** بطن، **وقيره: البرد**، وذلك أنّ العجم إذا غضبت المرأة منهم دعت على ابنها بهذا؛

1- محمد العربي الخطابي، معجم أندلسي من القرن السادس الهجري، ص76.

2- محمد العربي الخطابي، نفسه، ص77.

3- أبو الخير الإشبيلي، عمدة الطبيب، ج1، ص79.

فتقول بنترقيره إي إسهال وبرد"[1]، وعن نبات السماق البري أنّه يُسمى **مرناغَر** لاسيما بجهة طُليطلة[2]، وهو ما دفع المؤرخ آسين بلاثيوس (Assin Palacios) إلى تأليف معجم يستوعب فيه كل أسماء النبات التي وردت باللغة الرومانثية (الإسبانية القديمة) تحت اسم مجهول لعدم تمكنه من نسبة الكتاب في ذلك الوقت لأبي خير الإشبيلي، ونشره سنة 1943 بعنون: " Glossario de voces romances por registrados por un botanico anómino hispano- musulman (siglos XI-XII))، وقد اهتم آسين في هذا المعجم بإرجاع المفردات النباتية الرومانثية إلى أصولها اللاتينية، وأشار محمد العربي الخطابي أنَّ آسين حققَّ 683 لفظا رومانثيا نباتيا، ليتبع بعد ذلك بـ88 لفظا رومانثيا لم يتبين لأسين أصلها، ولم يجد لها ذكرا في قائمة المصادر التي عولَّ عليها في معجمه[3]، ولم يقف أبو الخير الإشبيلي على الألفاظ الرومانثية، وإنما تعدّى ذلك إلى ذكر مسميات النباتات بمختلف اللغات كالفارسية والبربرية.

وزّع أبو الخير الإشبيلي النباتات في مواطنها على خارطة الأندلس؛ فذكر أماكن نموها مستدلا على ما اطلع عليه بنفسه من نباتات في مختلف أنحاء الأندلس والمغرب كسرقسطة وطليطلة وبلنسية وإشبيلية وقرطبة وغرناطة ومالقة والجزيرة الخضراء ومراكش، وكثيرا ما كان يذكر ما جُلب إلى الأندلس من بذور، وأُنجب في أرضها، وما لم يُنجب سوف نفصل فيها لاحقا.

كما عرّفنا أبو الخير الإشبيلي على بعض النباتات الطبية غير المتداولة في الأندلس، وذاعت شهرتها باستعمال المرابطين لها كقوله عن نبات تزليت: "يستعملها المرابطون، ويشربونها مع اللبن فتقطع الإسهال، وقد وقفت عليه مرارا، وعندنا بالأندلس منه أصناف"[4].

1- نفسه، ج1، ص204.

2- نفسه، ص365.

3- محمد العربي الخطابي، معجم أندلسي، ص83.

4- أبو الخير الإشبيلي، عمدة الطبيب، ج1، ص117.

لقد حرص أبو الخير الإشبيلي على ذكر معظم النباتات التي لا تنمو ببلاد الأندلس، سواء التي تأقلمت مع البيئة الأندلسية أو التي لم تتأقلم، وكثيرا ما ترددت عبارة يُجلب إلينا على لسانه، ومن النباتات التي ليست من أرض الأندلس نذكر: نبات أثأب ونبات البلادز ونبات بُلّ... إلخ[1].

ويبدو أيضا أنَّ أبا الخير الإشبيلي كانت له ثقافة واسعة في الطب البيطري، ويتضح لنا ذلك من خلال الإشارات التي أوردها عن خبرته بالحيوان وعلفها للنبات، وما يطرأ عليه من تحسن أو يصيبه من داء، كقوله في نوع من نبات ثيّل الذي يكثر تواجده بناحية شِلب وشلطيش وغيرهما: "تَعلفه الخيل، وتسمن عليه...، وإذا أكلته البقر تورمّت وانتفخت"[2]، وقوله في نبات أوطى الذي يُنمو بشرق العدوة: "متى أكلته أغنامهم كثر نتاجُها"[3].

يستحق كتاب العمدة اسم الموسوعة النباتية الأندلسية بلا منازع؛ فقد عاين مختلف أنواع النبات، واصفا شكله وجنسه ومنبته، والهواء الذي يناسبه، مبينا قوته وأثر مفعوله، فضلا عن ذكر منافعه في مختلف المجالات الطبية والنفعية، مُعينا الباحث بذلك على معرفة تسمية النبات بمختلف اللغات في مختلف الأقطار.

8- يونس بن إسحاق ابن بُكلارش اليهودي (كان حيا سنة 500هـ/1106م): من أكابر علماء اليهود في صناعة الطب، وله خبرة واعتناء بالغ بالأدوية المفردة، وخدم بصناعة الطب ابن هود، ولابن بُكلارش كتاب "المُجدولة في الأدوية المُفردة"، وضعه مُجدولا، وألفه بمدينة المرية للمستعين بالله أبي جعفر بن المؤتمن بالله بن هود (448-503هـ/1085-1109م)[4]. اهتم ابن بُكلارش في مقدمة كتابه بتبيان أصول الصيدلة، ومعرفة قوى الأدوية المفردة وأفعالها وأصنافها[5]، رغم أهمية الكتاب إلاّ أنَّه لا يزال

1- نفسه، ج1، ص87، 88.

2- نفسه، ج1، ص 126.

3- نفسه، ج1، ص 78.

4- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص 460.

5- محمد العربي الخطابي، الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1988، ج1، ص 22.

مخطوطا[1]، لم يُنشر منه إلاّ مقدمته وبعض مفردات الأدوية من حرف الألف التي لم ينشر منها إلاّ خمسة عشر مفردة[2].

جَدْوَل ابن بُكلارش كتابه إلى خمس خانات ليسهل على القارئ الاستفادة منه بشكل عملي وسريع، مُراعيا في ذلك الترتيب الأبجدي مع التصريح بمصادره كديسقوريدس،أبي حنيفة الدينوري،الرازي، الزهراوي،ابن جلجل،ابن الجزار وابن جَناح اليهودي، فتناول في الخانة الأولى اسم الدواء المفرد، أمّا الخانة الثانية طبيعته ومزاجه، وفي الخانة الثالثة تفسيره باختلاف اللغات، أما الخانة الرابعة بدله في حالة عدم توفر الدواء المطلوب، الخانة الخامسة تناول منافعه الطبية ووجوه استعمالها، ومن أجل هذا المنهج المتبع سُمي بالمجدولة، إذْ المثال التالي يوضح ذلك:

الأسماء	الطبائع والدرجة	تفسيرها باختلاف اللغات	الأبدال	منافعها وخواصها ووجوده واستعمالها
أمبرباريس	بارد يابس	هو الزرشك، وقيل الشرشك بالشين المعجمة، وهو البرباريس، وقيل إنّه الإثرار. أبو حنيفة: الزرشك ويسمى بالفارسية الزرنشك وهو إثرار، وبالبربرية : أرغز من غير اللام، والله أعلم.	وزنه حب الورد، وثُلثا وزنه صندل.	أمبرباريس: ثمرته إذا شُربت أو أُكلت قطعت الإسهال المُزمن والرطوبات السائلة في الرحم سيلانا، ويقطع العطش الكائن من الحرّ، ويقوي الكبد والمعدة...إلخ[3].

من خلال اطلاعنا على المخطوطة تبيّن لنا أنّ ثمة نقص كبير في مفردات الكتاب؛ فهي لا تُغطي من الأبجدية إلاَّ ستة حروف الأولى (أ، ب، ج، د، ه، و)، وبما أنّ المستعين كان مُقيما وحاكما على

1- أهم نسخ المخطوط متواجدة في مكتبة مدريد تحت رقم 5009، ومكتبة نابولي، ومكتبة ليدن بعنوان المستعين تحت رقم 1339، والخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم 673، والمكتبة الوطنية للمملكة المغربية- الرباط- برقم 55د، والنسخة المخطوطة الموجودة بالمكتبة الوطنية بالرباط تحت رقم d2976، وهي التي عولنا عليها في هذه الدراسة. نهاد عباس زينل، الإنجازات العلمية للأطباء في الأندلس، ص272.

2- ابن بُكلارش يونس بن إسحاق، كتاب الأدوية المفردة المُسمى المُستعيني في الطب، نشر وتحقيق:محمد العربي الخطابي، ضمن كتاب الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1990.

3- نفسه، ورقة 59- 60.

منطقة سرقسطة[1]؛ فقد اعتنى مؤلفنا بترجمة بعض المفردات الدوائية بعجمية سرقسطة مثل قوله في مفردة بصل الخنزير إنّه يسمى بعجمية سرقسطة أقشر قيعنة، ونبات الجعدة الذي يسمى بعجمية سرقسطة بالجعيدة[2]، ولم يكتف ابن بُكلارش بالمفردات المتعارف عليها (نباتية وحيوانية ومعدنية)، وإنّما تضمّن كتابه بعض المفردات التي تخصّ أجزاء الإنسان كالبُصاق والبول[3].

9- أبو الصلت أميَّة بن عبد العزيز أبي الصلت الداني (ت 529هـ/1134م): هو أبو الصّلت أُمَيّة بن عبد العزيز الداني (460- 529هـ/1067-1134م): من مواليد مدينة دانية شرق الأندلس، كان من أكابر الفضلاء في صناعة الطب والصيدلة، وغيرها من العلوم كالفلسفة والفلك والرياضيات والموسيقى[4]؛ يُعتبر أول من أدخل الموسيقى الأندلسية تحت اسم "المألوف" إلى إفريقية على عهد الصنهاجيين[5].

ارتحل أبو الصلت إلى مصر سنة 510هـ/1116م[6]، مكث فيها ما يقارب عشرين سنة، تعرض فيها لمحنة من قبل خليفة مصر أبو علي منصور بن أحمد الملقب بالآمر بأحكام الله (495_524هـ / 1101_ 1130م) الذي زجَّ به في السجن مدة ثلاث سنوات وشهر إثر خطأ رياضي اقترفه في إنقاذ سفينة غرقت في ميناء الإسكندرية، ثم أطلق سراحه بعد شفاعة بعض الأعيان، لينتقل بعد ذلك إلى المهدية، واتصل بأمرائها، ودخل في خدمة يحيى بن تميم بن المعز بن باديس صاحب القيروان (501-509هـ/1107-1115م)، وابنه علي (509- 515هـ/1115-1121م)، إلى أنْ وافته المنية بها سنة 529هـ/1135م[7].

1- الزركلي خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، 1989، ج8، ص217.

2- ابن بكلارش، المستعيني في الطب، مخطوط المكتبة العامة بالرباط، رقم d2976، ورقة 111، 143.

3- نفسه، ورقة 132، 133.

4- ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص460.

5- روبار برنشفك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، ترجمة حمّادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1988، ج2، ص 434.

6- ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص460.

7- القفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص 66.

إنَّ الفترة التي قضاها بسجن مصر، والتي قدّرها المقري بعشرين سنة محبوسا في خزانة الكتب[1]، استغلها في التأليف في ميادين مختلفة من العلوم[2]، غير أنّ أمية بن عبد العزيز غلب عليه الطب وبَرَع فيه، وله تواليف مفيدة على حدّ قول ابن الأبّار[3]، منها الصيدلة موضوع بحثنا الذي ألف فيها كتابا مختصرا موسوما بـ"الأدوية المفردة على ترتيب الأعضاء المتشابهة الأجزاء والآلية"[4]، ونُشر هذا الكتاب باسم الأدوية المفردة[5].

إنّ هذا المُؤلف لا يخرج عن سائر الكتب التي ألفت في الصيدلة والعقاقير، غير أنّ ميزة الكتاب أنّه ينفرد بمنهج لم يسبقه إليه أحد؛ فهو لم يرتب كتابه على حروف المعجم كما عودتنا المؤلفات التي كتبت في هذا المضمار، وإنّما قام بتقسيم أمراض الجسم على حسب أعضاء الجسم، وخَصّص لكلّ عضو من أعضاء الجسم الأدوية المفردة النافعة في العلاج، وبذلك يتكرر اسم الدواء في مواضيع عديدة، باعتبار أنّه نافع لأكثر من مرض.

كما أنّ ابن أبي صلت الداني وضع دستورا صناعيا للطبيب يتوجّب عليه الالتزام بقوله: "ينبغي له أنْ يكون مُلِمًّا بقوانين الأدوية على طريق التجربة والقياس الذي يتعرّف بها قواها وأفعالها وخواصها،

1- المقري، نفح الطيب، ج2، ص 105.

2- من مؤلفاته نذكر: العمل بالإسطرلاب، كتابا في المنطق، وكتاب " الوجيز" في علم الهيئة، "وكتاب الانتصار في الرد على ابن رضوان" في ردّ على حنين بن إسحاق في مسائله/ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص 247.

3- ابن الأبار(ت 658هـ-1260)، المُقتضب من تُحفة القادم، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، القاهرة وبيروت، ط3، 1989. ص 57.

4- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص 471.

5- أُمية بن عبد العزيز بن أبي الصّلت الداني، الأدوية المفردة، تحقيق: محمد العربي الخطابي، ضمن كتاب الأدوية والأغذية عند مؤلفي الغرب الإسلامي مدخل ونصوص، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1990./ كما أنّ ابراهيم بن مراد نشر مقدمة الكتاب و ثلاث أبواب الأولى من الكتاب، غير أنّ هذه النشرة تتميز بالكثير من إضافات وشروحات غير موجودة في طبعة محمد العرب الخطابي/ أبو الصلت أمية بن عبد العزيز، في كتاب " الأدوية المفردة" دراسة في الكتاب وتحقيق ثلاثة من أبوابه، تحقيق إبراهيم بن مراد، ضمن كتاب بحوث في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1991.

ودرجاتها من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة"[1]؛ فطبيبنا يولي أهمية كبيرة للتجربة والقياس من أجل وضع قاعدة وثوابت علمية لكل نبات يكون الطبيب على دراية وعِلم بها.

ومن أجل معرفة فعل الأدوية، ومدى استجابة الجسم لها وتأثيرها عليه، قسمَّ كتابه إلى عشرين بابا: خصّص الأبواب الأربعة الأولى للأدوية المُسهِّلة للأخلاط الأربعة (الدم، البلغم، الصفراء، السوداء) مع الأدوية المُسهلة لأكثر من خلْط[2]، والتي سنفصّل في شرحها في الفصل الثالث من هذا البحث.

أمّا الباب السادس: فخصّصه للأدوية المفردة التي تفعل في البدن أفعالاً عامة كُلّية دون أنْ يختصّ بها عضو من الأعضاء[3]؛ فشرح لنا كيفية بعض طبائع النباتات، وما لها من مواد فعّالة يُعزى إليها التأثير الطبي كالنباتات المُلِيّنة والمُنْبِتة للحم...، أمّا بقية الأبواب: فخصّصها لمنفعة بعض الأدوية للأمراض التي تُصيب جسم الإنسان، وقسمها بترتيب الأعضاء؛ فافتتحها بالأدوية التي تصيب العظام ثم العصب، ويليها العضل والعروق، لينتقل في الباب الحادي عشر إلى الأدوية التي تُفيد الدماغ ثم العين، وبعدها القلب وآلات التنفس، وما يختصّ بالصدر والرئة، لينتقل إلى أدوية الكبد والطحال، وأمراض المعدة والأمعاء والكليتين والمقعدة، وكل ما يتعلق بالجهاز التناسلي للأنثى والذكر[4].

رغم ميزة الاختصار التي ميزت كتاب الأدوية المفردة لأبي الصلت الداني، إلاّ أنّ فائدته كبيرة لا يمكن تجاهلها من حيث معرفة خواص الأدوية النباتية، وتأثيرها الطبي على جسم الإنسان.

10- الغافقي (ت 560هـ/1165م): هو أبو جعفر محمد بن أحمد بن السيد الملقب بالغافقي، ولد في بلدة غافق في ضواحي مدينة قرطبة حوالي سنة 494هـ/1100م، وتوفي بقرطبة في التاريخ المذكور أعلاه، عشّاب ونباتي أندلسي كانت له مساهمة كبيرة في تطوير علم الصيدلة.

1- أبو صلت الداني، الأدوية المفردة، ص341.

2- نفسه، صص343- 346.

3- نفسه، صص346- 348.

4- نفسه، صص349- 369.

أثنى ابن أبي أصيبعة على عمله في النبات وقِوَى الأدوية بقوله إنّه: "إمام فاضل وحكيم عالم، ويُعدُّ من الأكابر في الأندلس، وكان أعرف أهل زمانه بقِوَى الأدوية المفردة، ومنافعها وخواصها وأعيانها ومعرفة أسمائها، وكتابه في الأدوية المفردة لا نظير له في الجودة، ولا شبيه له في معناه، قد استقصى فيه ما ذكره ديسقوريدس والفاضل جالينوس بأوجز لفظ وأتم معنى، ثم ذكر بعد قوليهما ما تجدّد للمتأخرين من الكلام في الأدوية المفردة فجاء كتابه جامعاً لما قاله الأفاضل في الأدوية المفردة، ودستوراً يُرجع إليه فيما يحتاج تصحيحه منه"[1].

يبدو أنَّ الغافقي من الأشخاص الذين اعتكفوا على أنفسهم، لم يتزلّف بعمله لذوي الجاه والسلطة بقوله: "قد كنت شرعت في وضع كتاب في الأدوية المفردة أتخذه تذكرة لنفسي، ولم أحبّ إذاعته في أيدي الناس...، وإنّما يؤثرون الكتاب الذي بين أيديهم، ويقدّمونه ويفضّلونه على غيره، إمّا لأنَّ واضعه كان ذا جاه ومنزلة عند السّلطان، وإمَّا لأنّه كان رجلا كثير المال، وبالجملة لأنّه رجل قد انتشر له ذكر وصيت بسبب من الأسباب الدنياوية"[2].

يستغرب ويتساءل أحد الباحثين عن سبب عدم وجود اسمه عند الذين جاؤوا بعده، ولم ينقلوا عنه كثيرا رغم أنّه كان من نوابغ علماء الأدوية المفردة الذين ظهروا في العصر الإسلامي[3]، وتبدو لنا الإجابة على هذا التساؤل عند الغافقي الذي أجاب عنها في مقدمة كتابه، وتظهر لنا في حِدّته وسلاطة لسانه، وانتقاده لسابقيه من دون أن يُحسن الظن فيهم؛ فقد اتهم ابن سينا بالكذب في مقدمة كتابه بقوله: "ومنهم من يكذب كما فعل ابن سينا في مواضيع كثيرة من أدويته؛ حيث يحكي عن

1- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص459- 460.

2- أبو جعفر الغافقي في كتاب الأدوية المفردة، ضمن كتاب بحوث في تاريخ الطب والصيدلة، ص416.

3- عبد الله علي الدفاع، إسهامات العرب والمسلمين في علم النبات، ص207/محمد يحيى خراط، كتاب الأدوية المفردة للغافقي، أبحاث المؤتمر السنوي الثالث عشر لتاريخ العلوم عند العرب المنعقد في طرطوس 16-18 أيار 1989، منشورات جامعة حلب، معهد التراث اللمي العربي، ص86.

ديسقوريدس وجالينوس ما لم يَقولاَه"[1]؛ ويبدو أنَّ هذا أحد أسباب إهمال كتب التراجم للتعريف بشخصه والنقل عنه.

ودارت الأيام والسنين لتعيد الاعتبار بعد قرن من الزمن للذين انتقدهم الغافقي، ووصفهم بالجهل والكذب، بظهور مؤلف خُصِّصَ له يُنبِّه على الأخطاء التي وقع فيها في كتاب الجامع، من تأليف أبي العباس النباتي (ت 637هـ/1239م)، الذي احتفظ لنا عبد الملك المراكشي بعنوانه، وهو "التنبيه على أغلاط الغافقي"[2].

يحتل الغافقي المرتبة الأولى في المصادر الأندلسية عند ابن البيطار، ويعّد من مصادره في كتابه الجامع لمفردات الأدوية والأغذية؛ فقد نقل ابن البيطار من كتاب الغافقي أكثر من مائتي مرة[3]، وقد تطرق الغافقي في مقدمة كتابه إلى أهمية الطبيب في الإلمام بخواص العقار بقوله: "وإنْ كان أطباؤنا يرون أنَّ هذا إنما يُلزم الصيدلاني دون الطبيب لكان ظنهم صادقا، لولا أنهم يتولون بأنفسهم عمل الأدوية المركبة، وما أقبح بأحدهم أن يطلب أدوية مفردة فيؤتى بأدوية لا يعلم هل هي التي أرادها أم غيرها؛ فيركّبها ويسقيها عليله مقلدا فيها الدجّالين ومتعاطي الحشائش، قوم لا يقرأون الكتب، ولا يعرفون من الأدوية أقلها". ومن خلال ما سبق يتضح لنا جليًّا امتعاض الغافقي من ظاهرة انتشار مُنْتحلي صناعة الأعشاب التي كانت منتشرة في وقته.

11- الشريف الإدريسي (ت560هـ/1165م): هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الملقب بالعالي بالله[4] السبتي الحمودي الأندلسي النشأة؛ ولد سنة 493هـ/1100م، وسُمي

1- الغافقي، المصدر السابق، ص 417.

2- عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: إحسان عباس ومحمد بن شريفة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2012، ج1، س1، ص513/إبراهيم بن مراد، المصطلح الأعجمي في كتب الطب والصيدلة العربية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1985، ج1، ص128.

3-Max Meyerhof, Esquisse D'histoire de la pharmacologie et botanique chez les musulmans d'Espagne, AL- Andalus, Revista de las escuelas de estudios arabes de Madrid y Granada, T3 , 1935 ,p 17.

4- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الاطباء، ص460.

بالشريف لأنَّ أسرته تَنتسِبُ إلى الشرفاء الأدارسة العلويين الذين كان لهم الفضل في تأسيس إمارة علوية على يد إدريس الأول سنة 172هـ/ 788/ [1]، أمَّا الحمودي فنسبة إلى جدّه الأدنى الذي أسس الدولة الحمودية في جنوبي الأندلس[2]، انتقل صغيرا مع أسرته إلى بلاد الأندلس، واستقر به المقام بقرطبة، وتلقى العلم فيها؛ فذاع صيته في علوم كثيرة كالجغرافيا والنبات والتاريخ والرواية والأدب والشعر، غير أنّ شهرته ذاعت في علم الجغرافيا من حيث دقة معلوماته في جغرافية العَالم، وذلك بسبب رحلاته الطويلة، وأسفاره المستمرة التي اكتشف فيها المسالك والممالك، ووصف أحوالها الاقتصادية والاجتماعية وعاداتها وتقاليدها[3]، ثم انتقل بعد ذلك إلى صقلية، وقدّم خدمات جليلة لملكها النورماندي روجار الثاني المشهور بحبّه للعلم والمعرفة، وقيل إنّه توفي بها سنة 560هـ[4].

كان الإدريسي عالما بقوى الأدوية المفردة، ومنافعها وقواها، ومنابتها وأعيانها[5]، وقد نبّه البحّاثة ماكس مايرهوف إلى عثور صديقه العالم ريتر على مخطوطة الإدريسي في النبات في مكتبة الفاتح باسطنبول تحت رقم 3610[6]. والموجود منها جزءان فقط، الأول يبتدئ بحرف الألف إلى حرف الزاي، أمّا الجزء الثاني فيبتدئ من الحاء إلى حرف النون[7]، ويُنبه أحد الدارسين إلى تواجد ثلاث نسخ أخرى من كتاب الجامع في دار الكتب المصرية: الأولى برقم 1524طب في مجلدين، والنسخة الثانية برقم

1- آنخل جنثالث بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص314/عبد الرحمن حميدة، المرجع السابق، ص388.

2- أحمد سوسة، الشريف الإدريسي في الجغرافيا العربية، نقابة المهندسين العراقيين، بغداد، 1974، ص273.

3- عبد الله علي الدفاع، اسهامات علماء العرب والسلمين في علم النبات، ص187، 188.

4- اهتم الدارسون بشخص الإدريسي من جانب أنّه رحالة وأحد كبار الجغرافيين، اكتشف مناطق كثيرة من العالم وله مساهمات كبيرة في تطوير علم الجغرافيا وعلم الخرائط حتى أُطلق عليه اسم استرابون العرب نسبة للجغرافي الإغريقي سترابون. له مؤلفات كثيرة أشهرها نزهة المشتاق في اختراق الأفاق/ أغناطيوس كراتشكوسفكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين هاشم، القسم الأول، إدارة الثقافة في جامعة الدول العربية، القاهرة، 1987، ص294/أحمد نفيس، الفكر الجغرافي في التراث الإسلامي، ترجمة فتحي عثمان، دار القلم، الكويت، ط2، 1978، ص95-99/محمد مرسي الحريري، الشريف الإدريسي ودور الرحلة في جغرافيته، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1985، صص3-75.

5- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص460.

6-Max Meyehof, OP.CIT , P 23.

7- أحمد عيسى، المرجع السابق، ص103.

1542طب، ولها صورة في مكتبة معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب تحمل رقم 37، والنسخة الثالثة برقم 4827 يعود تاريخ نسخها إلى سنة 1349هـ/1930م[1].

لم يحقق الكتاب إلى يومنا هذا باستثناء ما نُشر في طبعة مصوّرة نادرة عن مخطوطة مكتبة مجلس سنا بطهران رقم 18430 من قبل العلامة البحّاثة فؤاد سزكين، وهي تمثل الجزء الثاني من الكتاب الجامع الذي يبدأ من حرف الميم، وينتهي عند حرف الغين، يتلوه بعد ذلك الأكيال والأوزان مرتبة أبجديا[2].

إنَّ القارئ لكتاب الإدريسي يتبين له الجهد المُضني، والصعوبة التي وجدها الإدريسي في وضع أسماء النباتات بمختلف لغاتها، يظهر ذلك بوضوح في الفراغات والبياضات التي لا تخلو من صفحات الكتاب لكثير من أسماء النبات على أمل أنْ يملأها بعد حين، كما نستشف ذلك في الشرط الذي التزم به في عنونة كتابه بقوله: "...، واسْتَقصَيتُ جهدي، ومبلغ طاقتي رجاء ما عند الله من جزيل الثواب، وتخليدًا الحسن والتشبيه بالجلة، وسمّيته بكتاب "الجامع لصفات أشتات النبات وضروب أنواع المفردات من الأشجار والثمار والأصول الأزهار والحيوانات والمعادن وتفسير معجم أسمائها بالسريانية واليونانية والفارسية واللطينية والبربرية"[3].

إنَّ كتاب الجامع لصفات أشتات النبات تضمّن ثروة معجمية بمختلف اللغات الخاصة بمسميات النبات والحيوان والمعادن؛ فالمفردة الواحدة كانت تُترجم من ستة إلى اثني عشر لغة شملت

1- محمد هشام النعسان، المسالك والممالك واختراق آفاق المعمور غرب الأندلس في جغرافية الإدريسي، أعمال المؤتمر الدولي المتنقل فيلاريال دي سانطو أنطونيو وقسطلة، نشر مؤسسة الإدريسي المغربية الإسبانية، ط1، 2011، ص108.

2- فؤاد سزكين، عيون التراث، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، جامعة فرانكفورت، ألمانيا الإتحادية، 1995، مج 58، ج2، صص206-521.

3-الإدريسي، الجامع لصفات أشتات النبات، مكتبة الفاتح، إسطنبول، رقم 3610، ورقة2.

العبرانية والهندية والكردية والفرنجية...، وهو الأمر الذي تأسف له ماكس مايرهوف لأن الإدريسي لم يستطع أن يُلّم بجميع اللغات في المفردة الواحدة؛ فطالت مفرداته الكثير من الفراغات[1].

اهتم الإدريسي بمنافع النباتات الطبية في مجال العلاج والتداوي، ومجالات استخداماتها النفعية من زيوت وعطور، وما لهذه الأشياء من فوائد عظمى في العلاج والتداوي من الأمراض المختلفة، لقد كشف الإدريسي سبب تأليفه لهذا الكتاب بقوله: "فإنَّ أناسا من أهل زماننا يَدَّعُون ما لا علم لهم به، وينتسبون إلى معرفة الحشائش والأشجار والمعادن والحيوانات التي هي هيولى الطب وعمدته، ويزعمون معرفة ما ترجمه الفاضل ديسقوريدس في كتابه، وشرح مُبهَمِه إلى مَا دُونَه من سائر الكتب المؤلفة في هذا الفن، مثل كتاب: اصطفن في المفردات، وكتاب جالينوس في المفردات، وكتاب الأدوية المفردة لحنين بن إسحاق، وكتاب الفائدة لابن سرافيون، وكتاب الأدوية المفردة لخلف بن عباس الزهراوي، وكتاب المستعيني للإسرائيلي، وكتاب الاعتماد في الأدوية لابن الجزار، وكتاب المنتخب لأبي بكر بن وحشية، وكتاب ابن سمجون الصيدلاني، وكتاب التقييم لابن الكتاني، وكتاب أبي المُطرّف عبد الرحمن بن وافد، وكتاب أبي الخير الإشبيلي، إلى من خلفهم من المؤلفين، وليس القوم كما زعموا لأنهم لم يفهموا كتابا من هذه الكتب المسطورة، ولا مازجوا عالما، ولا زاحموا المدارس، ولا طعنوا لمن فوقهم من أهل المعرفة، ولا طلبوا حقيقة شيء من النبات والتفريق بين مشتبه أنواعه، بل كل واحد قنع بما في يده، وركب جهله، واتبع هواه، وخلط معلوما بمجهول، ومزج مُبهما بمعقول"[2].

حتى يُعطي قيمة علمية لكتابه نبّه إلى أنَّه أضاف مجموعة من النباتات التي لم يذكرها ديسقورديس، "وأيضا فإني نظرت إلى البحر الذي منه اغترفوا، والكنز الذي منه استسلفوا؛ فإذا هو كتاب ديسقوريدس اليوناني الذي وضعه في الأدوية المفردة من نبات وحيوان ومعدن؛ فجعلته مُصحفي، وأوقفت عليه نظري حتى حفظت من علمه جملة بعد أن بحثت ما أغفله، وفتحت أكثر ما

1-Max Meyerhof, OP.cit , P 23.

2- الإدريسي، الجامع لصفات أشتات النبات، ورقة 2.

أقفله؛ فوجدت مع ذلك أنه ترك أدوية كثيرة لم يذكرها؛ كالإهليلج الأصفر والتمر الهندي والكابلي وخيار شنبر والخولجنان، والقاقة الكبير والجوزبوا والكبابة والقرنفل والريباس وحب الزلم والآس والمحلب والنارجيل والنارنج والبلاذر والياسمين والخيران والكافور وغيرها؛ فألفت عند ذلك، ورتبت جميع أسمائه على نص حروف المعجم...، واستوفيت إلى ذلك ذكر جميع النبات الذي أغفله شيخنا ديسقوريدس عين زربي"[1]. اهتم العلامة أحمد عيسى بتحقيق كل المفردات التي أهملها ديسقوريس واستدركها الإدريسي بِمُسمّياتها العلمية، وبلغ عددها 55 مفردة[2].

لقد حاول الشريف الإدريسي أنْ يُعلّل إغفال ديسقوريدس ذكر هذه النباتات في كتابه بقوله: "إمَّا أنَّه لم يبلغ علمها، أو لم يسمع عنها، أو كان ذلك ظنّة من يونان أو تعمدا، لأن أكثر هذه الأدوية ليست في شئ من بلاده"[3]؛ فالإدريسي لم يكتف بذكر وصف أو حِلْيَة النبات بل عَمِل على جعل كتابه معجما متعدد اللغات، مع ذكر منافع كل مفرد منها، وما يستخرج منها كعلاجات.

اهتم الإدريسي أيضا بوصف دقيق لأجزاء النبات الواحد، ومن أمثلة ذلك في مفردة أفسنتين: ذكره الفاضل ديسقوريدس في المقالة الثالثة من كتابه، وسمّاه باليونانية أفسنين، وسُمي باللطينية انشاسه، وبالهندية پرنيه، وبالسريانية أفسثنا، وبالفارسية حير، وبالبربرية تاشتلت، وبالإفرنجية أفسنتين، وهو نبات نمس، ويُلحق بالشجر الصغير في قدر نباته، يقوم على ساق، ويتفرع منه أغصان كثيرة، وعلى الأغصان أوراق كثيرة دقاق متكاثفة، بيض الألوان تشبه الأشنه في تخبيطها، وله زهر أقحواني صغير أبيض في وسطه صُفرة، ويخلفه رؤوس صغار فيها بزر دقيق، وفي طعمه مرارة معا وحرافة إلاَّ أنَّ قبضه أقوى من مرارته، وكذلك ما قاله ديسقوريس: الأفسنتين فيه قوتان مُتضادتان: قابضة ومُسهلة، وكذلك يُدرّ الطمث، وأجوده ما كان روميا، قوته حارة في الأولى، يابسة في الثالثة،

1- الإدريسي، نفسه، ورقة 2.

2- أحمد عيسى، المرجع السابق، ص105-107.

3- الجامع لصفات أشتات النبات، ورقة 3.

وقوته الثانية قوة ما يحدد الخلط المراري سهولة ولين، ويُخرجه بالإسهال، ويُدرّ البول...، ومن خواصه أنّه يمنع السوس عن الثياب إذا فُرش بين طياتها، وكذلك يفعل بالكتب...، ويقتل البق إذا رُشّ عليها..."[1]، ومما سبق يلاحظ أنَّ الإدريسي قدم لنا ثروة منفعية للمفردة الواحدة في مجالات مختلفة من العلوم من الجانب اللغوي والمُعجمي والطبي والصيدلاني والبيئ، وقد فاق بهذا المصنف الكثير ممن تقدمه من علماء النبات.

12- ابن ميمون الأندلسي (ت601هـ/1204م): هو أبو عمران موسى بن عبيد الله بن ميمون القرطبي، ويعدُّ المستشرق الألماني أول منْ كَشفَ عن هذا الكتاب، وقام بتحقيقه وترجمته إلى اللغة الفرنسية، ونشره المعهد العلمي للآثار الشرقية بالقاهرة سنة 1940.

ألفَّ كتابه شرح أسماء العقار لكل المفردات المُشكلة في كتب الأندلسيين، ولم يختص فقط بكتاب ديسقوريدس، وقد جاء كتاب ابن ميمون على شكل معجم مختصر لأسماء العقاقير نباتية كانت أو حيوانية ومعدنية؛ فهو لم يهتم فيه بالمنفعة العلاجية للعقار بقدر ما كان يسعى إلى شرح المصطلحات النباتية المُبهمة؛ وأوضح لنا ذلك في مقدمة كتابه بقوله: "قصدي في هذه المقالة شرح أسماء العقاقير الموجودة في أزماننا المعروفة المستعملة في صناعة الطب في هذه الكتب الموجودة لدينا، ولا أذكر من الأدوية المفردة المعروفة إلاَّ ما ترادفت عليه أسماء أكثر من واحد، إمّا بحسب اختلاف اللغات؛ أو بحسب ترادف وقع في أصل وضع...، وأي دواء مشهور معلوم لم يُشهر له عند الأطباء غير اسم واحد، إما عربي أو عجمي؛ فإني لست أذكره، إذ ليس غرض هذه المقالة تعريف أنواع الأدوية بصفاتها أو ذكر منافعها، بل شرح بعض أسمائها ببعض"[2].

يستوعب كتاب شرح العقار 405 مفردة راعى فيه الإيجاز والاختصار، وحذف التكرار المستعمل؛ فقد نبّه على ذلك بقوله: "فكل دواء له اسمان: أحدهما أوله ألف، والثاني حرفه باء، وتقدّم ذكر

1- نفسه، ورقة 5.

2- ابن ميمون، المصدر السابق، ص3.

اسميه في باب الألف؛ فإني لا أعيد ذكره في باب الباء، كل ذلك طلبا للإيجاز، وتسهيلا للحفظ، وإن كان في ذلك تعب عند طلب المقصود"[1]؛ وقد بلغ عدد النباتات في كتابه 360، وعدد الحيوان والمعادن 43 مفردة.

13- **أبو الحسن غلام الحُرّة** (ق 7هـ): هو علي بن عبد الله الإشبيلي، عُرف بحُسن شعره وبراعته في الكتابة ومعرفته بالنباتات، وضع كتابا بعنوان "شرح في كتاب دياسقوريدوس"، ولا نعرف عن هذا الكتاب وعن مؤلفه إلا ما ذكره عنه أبو عبد الله محمد بن عبد الملك المراكشي (ت703هـ/1304م)، في الذيل والتكملة حيث قال إنّه: "ذا مشاركة في الطب، وتقدّم في معرفة النبات، وله شرح في كتاب ديسقوريدس أفاد به، وضبط كثيرا من أسماء الأدوية المذكورة فيه، تلقاها عن مملوكته آنة القريقية، وكانت وقعت إليه من سبي سرقسوسة صقلية، وكانت أمها قابلة عارفة بالحشائش والأدوية، وشرقً وحج وجال في كثير من بلدان المغرب، ووقف على أعيان الكثير من النبات فيه وفي غيره"[2]، ممّا يوحي لنا أنّ الكتاب غني بالنباتات النفعية والعلاجية التي اختصت بها صقلية.

14- أبو العباس النباتي المعروف بابن الرومية (ت637هـ/1239م): هو أحمد بن أبي عبد الله بن أبي خليل مُفرّجِ الأموي، مولاهم بالولاء، ويُعرف بالعشاّب، ولد بإشبيلية سنة 561هـ/1165م، عُرف أيضا بابن الرومية[3]، وظهر لكراتشكوفسكي أنَّ أُمَّه كانت من نصارى الأندلس[4]، غيرَ أنَّ الباحث فاضل السباعي يرفض هذا الرأي، ويرى أنَّ صفة الرومية تخص الأسرة وليس الأم؛ فلو كان ذا أرومة عربية لكان المترجمون له تتبعوا نسبه إلى ما هو أبعد من الأب والجدّ[5]. ورث مِهنة التعشيب عن والده وجده مفرج "إذ كان حسن العلاج في طبّه، مَوْرود الموضِع لثقته ودينه، إماما لأهل المغرب قاطبة في معرفة

1- نفسه، ص3.

2- ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق إحسان عباس ومحمد بين شريفة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2012، مج3، س5، ص202.

3- نفسه، مج1، س1، ص652، 689.

3- كراتشكوفسكي، المرجع السابق، ص347.

5- فاضل السباعي، المرجع السابق، ص156.

النبات، وتمييز الأعشاب وتحليتها، وعِلم منافعها ومضارّها؛ غير مُدافع عنه ولا مُنازع فيه، أخذه قديما عن أبيه وجدّه"[1].

كما يُثني ابن الآبار على ابن الرومية براعته بين العلمين، وذلك أنّه استطاع أنْ يَجمع بين علمين شريفين هما علم الأديان وعلم الأبدان؛ فقد كان مُحدّثا ومُعشبا في آن واحد، ولا سيما أنّ ابن الأبار كانت له معرفة مباشرة به بقوله: "وكانت له معرفة بالنبات وتمييز العشب، وتَحليته فاق فيها أهل عصره، وقعد في دكان لبيعه، وهنالك رأيته ولقيته غير مرة، ولم آخذ عنه ولا استجزته"[2]، ويرى أحد الباحثين أنّ اهتمام ابن الخطيب بالعلمين ناتج عن ظروف أبي العباس ابن الرومية وظروف الأندلس آنذاك، كون أنَّ مهنة التعشيب ورثها عن أبيه وجده، وهي مصدر عيش له، أمَّا عن انكبابه على علوم الحديث؛ فقد تأتي من تقدم علم الحديث في عصره على ما سواه من علوم الدين بعد القرآن الكريم[3]. ما هو متفق عليه أنّ العلم المقدم في الأندلس هو علم الفقه (الفروع)، غير الراجح أنَّ ابن الرومية تأثر بمدرسة أهل الحديث القريبة من نهج المدرسة الظاهرية.

بغض النظر عن الفرق الشاسع بين العلمين اللذين جمع بينهما ابن الرومية؛ إلاَّ أنّه أدرك أنَّ الرحلة والبحث عن أصول النبات هما أساس العلمين، وعليه فقد أصاب ابن الخطيب الصواب عندما أوجز لنا نقاطا مشتركة بين هذين العلمين رغم البون الشاسع الذي يظهر لنا بينهما في الظاهر بقوله: "قام أبو العباس على الصنعتين لوجود القدر المشترك بينهما، وهما الحديث والنبات، إذْ موادهما الرحلة والتقييد، وتصحيح الأصول، وتحقيق المُشكلات اللفظية، وحفظ الأديان والأبدان، وغير ذلك"[4].

1- ابن عبد الملك المراكشي، المصدر نفسه، مج1، س1، ص688.

2- ابن الآبار، المصدر السابق، ج1، ص88.

3- جزيل عبد الجبار الجومرد، أبو العباس بن الرومية عالم الأعشاب والنباتات الطبية، حياته وتراثه، مجلة آداب الرافدين، ع 24، أفريل، العراق،1992، ص502.

4- ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، ص48.

زار ابن الرومية مجموعة من المدن الأندلسية من أجل سماع الحديث، والبحث عن أصول النبات؛ فهذا ابن الخطيب يوثق دخوله غرناطة من أجل هذا الغرض بقوله: "فقد دخلها غير ما مرة لسماع الحديث وتحقيق النبات، ونقّرَ عن عيون النبات بجبالها"[1].

يبدو أنَّ ابن الرومية تجاوز مدن بلده الأندلس في البحث عن أصول النبات، وإنّما خصصّ لهذا الغرض رحلة علمية نباتية قام بها سنة 613هـ/ 1216م دامت نحو سنتين زار فيها كلا من مصر والشام والعراق والحجاز، التي أدى فيها فريضة الحج، ليعود إلى المغرب، ثم يستقر ببلده في مدينة إشبيلية[2]، وهي الرحلة التي وصفها أحد الباحثين بأنّها الأبعد مسافة والأطول زمنا في مجال التعشيب[3] فابن سعيد المغربي يُدقق لنا صفة العلم الذي اشتهر به ابن الرومية بقوله: "وعلمه الذي اشتهر به علم أنواع الحشائش، ويقال إنّه أظهر جملة منها بالمغرب، وقف على أسمائها وصورها بالمشرق"[4]؛ فابن الرومية كان له أثر بالغ في إشهار نباتات لم تكن معروفة في بلاد المغرب والأندلس، وذلك بفضل الرحلة العلمية والنباتية التي قام بها في مختلف الأقطار، حتى صار "أوحد عصره في ذلك؛ لا يُجاريه أحد فيه بإجماع من أهل ذلك الشأن"[5]، ومن أشهر مؤلفاته في هذا المجال في النبات: "شرح حشائش ديسقوريدس وأدوية جالينوس"[6]؛ وقد أشار الباحثون أنّ هذا الكتاب توجد منه نسخة بمكتبة نور العثمانية بإسنطبول[7]، وكتاب مفقود موسوم ب"التنبيه على أغلاط الغافقي في أدويته"[8]، وكتاب الرحلة

1- نفسه، ج1، ص88.

2- ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص494.

3- عبد القادر زمامة، المرجع السابق، ص157.

4- ابن سعيد المغربي أبو الحسن علي بن موسى، اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى، تحقيق: إبراهيم الأبياري، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1959، ص181.

5- ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، مج1، س1، ص688.

6- ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، ص87.

7- ابن البيطار، تفسير كتاب ديسقوريدس، مقدمة المحقق، ص51.

8- ابن عبد الملك المراكشي، المصدر نفسه، مج1، س1، ص689.

النباتية الذي وصفه ابن الخطيب بالمعجزة في هذا الفن[1]، ذكر فيه أحداث رحلته إلى المشرق، ودونَّ جميع النباتات التي عاينها ببلاد المشرق ممّا لم ينبت بالمغرب، شاهد أشخاصها في منابتها، ونظرها في مواضعها[2]، ولم يبق منه إلاَّ بعض المقتطفات التي حَفِظها لنا ابن البيطار في كتابه "الجامع لمفردات الأدوية والأغذية"، وبلغت حوالي مائة اقتباس[3].

15- ابن البيطار المالقي (ت 646هـ/1249م) وجهوده في استكمال شرح كتاب ديسقوريدس: هو ضياء الدين أبو محمّد عبد الله بن أحمد المالقي، نسبة إلى مدينة مالقة التي ولد بها، ويعرف بابن البيطار[4]، ولد حوالي سنة 593هـ/1197م، توفي بمدينة دمشق في شعبان من عام 646هـ/1248م، ويعود لأحمد بن عبد الملك- والد ابن البيطار- الذي امتهن مهنة البيطرة، الفضل الأول في اهتمام ابنه ضياء الدين بالعلوم الطبيعية، وأيقظ فيه فضول العناية بالنباتات والحيوانات[5]، كما تلقى علومه في إشبيلية على أيدي علمائها؛ فقد كشف عن شيوخه في ثنايا كتابه بقوله: "مشايخنا الثقات في هذه الصناعة من أهل الأندلس منهم: أبو العباس النباتي المعروف بابن الرومية، وعبد الله بن صالح الكتامي[6]، وابن حجاج الإشبيلي[1].

1- ابن الخطيب، المصدر نفسه، ج1، ص87.

2- ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص494.

3- Max Meyroh, Esquisse d'histoire de la pharmacologie, p 28.

4- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص 556.

5-Ana Maria Cabo Gonzalez, Caude Lanly, Ibn al-Baytar apports à la botanique et à la pharmacologie dans le Kitab al- Gâm, Revue Médiévales, Cultures et nourritures de l'occident musulman, n° 33, 1997, p24.

6- عبد الله بن صالح الكتامي (ت 603هـ/1207م): يكشف لنا الباحث المغربي محمد زين العابدين الحسيني في أحدث دراساته أنّه اطلع على وثيقة تاريخية موجودة في متحف مديرية التاريخ العسكري بالرباط، حيث تُفيد هذه الوثيقة أنّه لأول مرّة تًمنح إجازة طبية لهذا العالم الطبيب من قبل السلطة الموحدية بجامعة القرويين على عهد الخليفة الموحدي أبي عبد الله محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الملقب بالناصر، وتمّ تسليم هذه الإجازة بحضور الموثق القاضي عبد الله طاهر إلى جانب الأطباء الثلاثة: كل من ضياء الدين المالقي الملقب بابن البيطار، وأبو العباس أحمد بن مفرج المعروف بالنبطي، وأبو عمر أحمد بن محمد بن الحجاج المعروف بالإشبيلي. تقديم كتاب جامعة القرويين تمنح أول إجازة في الطب للباحث العابدين، مجلة فبراير، بحث منشور على موقع:: https : ///www.febrayer.com/554818.html اعتمد ابن البيطار على شيخه الكتامي في 10 مواضع، ومعظمها نباتات بربرية / Max Meyerhof, esquisse d'histoire , op.cit, p 29.

غادر ابن البيطار بلاد الأندلس سنة 617هـ/1219م في رحلة نباتية تعشبية طال أمدها[2]، زار من خلالها مختلف أقطار المعمورة بداية من بلاد المغارب؛ فزار المغرب الأقصى والمغرب الأوسط والمغرب الأدنى، ثم سافر إلى اليونان وبلاد فارس والعراق وبلاد الشام، ليستقر به المطاف بمصر الأيوبية في خدمة سلطانها الملك الكامل (615- 630هـ/1218-1238م) كرئيس للعشابين، ويشهد له بذلك تلميذه ابن أبي أصيبعة بقوله إنّه: "أوحد زمانه وعلامة وقته في معرفة النبات، وتحقيقه واختياره، ومواضع نباته، ونعت أسمائه على اختلافها وتنوعها، سافر إلى بلاد الإغريق وأقصى بلاد الروم، ولقي جماعة يعنون بهذا الفن، وأخذ عنهم معرفة نبات كثير، وعاينه في مواضعه، واجتمع أيضا في المغرب وغيره بكثير من الفضلاء في علم النبات، وعاين منابته، وتحقق ماهيته، وأتقن دراسة كتاب ديسقوريدس إتقانا بلغ فيه إلى أن لا يكاد يوجد من يُجاريه فيما هو فيه..."[3].

ألفّ ابن البيطار مجموعة من المصنفات الخاصة بالطب[4]، غير أنّنا سنهتم بأهم مؤلّفاته في مجال الأدوية المفردة مثل كتاب الجامع لمفردات الأدوية والأغذية[5]، وهو أشهر وأهم مؤلّف لديه، يقع في أربعة

1- ابن الحجاج الإشبيلي: لم تترجم له كتب التراجم، ولم يرد ذكره عند الأطباء أو الصيادلة، باستثناء ابن البيطار الذي جعله أحد شيوخه الثقات. ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج3، ص17.

2- تناول إبراهيم بن مراد تفاصيل دقيقة عن نشأة وحياة ابن البيطار: يمكن العودة إلى مقدمة كتابه في تحقيقه كتاب تفسير الأدوية المفردة لديسقورديس، صص17-26.

3- ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص 555-556.

4- كتاب المغني في الأدوية الذي رتب فيه الأدوية حسب مداواة الأعضاء التي يحدث فيها الألم، وله كتاب الإبانة والإعلام بما في المنهاج من الخلل والأوهام انتقد وصحح ووقف على الأخطاء التي وقع فيها ابن جزلة في كتابه الموسوم منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان، ما يُلاحظ على ابن البيطار أنّه تتبع غالبية المفردات التي وردت عند ابن جزلة وناقش مواضع الخطأ فيها سواء من حيث الوصف أو التسمية أو النقل؛ وقد احتفظ لنا ببعض المفردات النباتية في كتاب الجامع التي ورد فيها الوهم والخطأ والخلط من قبل ابن جزلة ومثال ذلك نبات" الكتمكث" يعلق ابن البيطار على ابن جزلة بقوله " في كتاب المنهاج تخبيط فلا يعول على نقله البتة"، كما له كتاب الموسوم الأفال الغريبة والخواص العجيبة، وهو الأن في حكم المفقود / ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص 556./ ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ص 70.

5- طبع الكتاب لأول مرة في مطبعة بولاق بمصر سنة1874، ليترجم الكتاب من قبل المستشرق لوسيان لِكليرك (lucien Leclere)، كما قام الأستاذ محمد العربي الخطابي بنشر وتصحيح " تنقيح الجامع لمفردات الأدوية والأغذية"/ أنخل بالنثيا، تارخ الفكر الأندلسي، ص 479./ محمد العربي الخطابي، تنقيح الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995.

مجلدات، وكتاب في الأدوية المفردة تفسير كتاب ديسقوريدس[1]، يُعتبر من أهم كتب ابن البيطار بعد الجامع.

أ- أهمية كتاب الجامع لمفردات الأدوية والأغذية في مجال الأدوية المفردة: إنَّ ابن البيطار من أكثر العلماء إنتاجاً، درس النباتات وخواصها في بلاد واسعة، كان لأبحاثه الأثر الكبير في السير بهذا العلم خطوات مهمة؛ ويعتبر كتابه "الجامع لمفردات الأدوية والأغذية"[2]، والمعروف بمفردات ابن البيطار من أنفس وأشهر كتبه في مجال النبات والأدوية المفردة. ألَّفه بعد دراسات مضنية، بعد أنْ جَالَ مختلف البلدان، حيث أودع فيه كل تجاربه ومشاهداته خلال سنوات أبحاثه الطويلة، وهو معجم أبجدي يجمع بين الدواء والغذاء[3]، ويُثني آنخل بالنثيا على قيمة كتاب الجامع بقوله: "هو أكمل ما ألف العرب في ذلك الباب وأكثر تفصيلا، وقد اعتمد في تأليفه على كتب كثيرة لمؤلفين سابقين له من أمثال ابن جلجل والغافقي وابن الرومية، وهو يضم أكثر من 2330 مادة، زاد عليها ثلاثمائة دواء لم يشر إليها أحد قبله"[4]، معتمداً المنهج العلمي في البحث والتنقيب، وعلى التجربة والمشاهدة كأساس لدراسة النبات والأعشاب والأدوية، في حين أكدَّ إبراهيم بن مراد- الذي اعتمد على النص العربي والترجمة الفرنسية للكتاب- أنّ كتاب الجامع يتضمن 2353 مادة طبية خاصة، و931 مادة تفسيرية ترادفية[5].

1_ المنهج العلمي لابن البيطار في كتاب الجامع: اعتنى ابن البيطار في كتابه الجامع لمفردات الأدوية والأغذية بتفاصيل مفرداته من ماهيتها وقوامها، ومنفعتها ومضرّتها، وإصلاح ضررها من خلال إضعاف

1- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص 556.

2- طبع كتاب الجامع في أربع مجلدات بمطبعة بولاق سنة 1874، ثم أعادت مكتبة المُثنى ببغداد نشر هذه الطبعة البولاقية بالأوفست، كما لاقى هذا الكتاب اهتمام المستشرقين، حيث قام المستشرق لوسيان لوكلير (Lucien Leclerc) بترجمة هذا الكتاب إلى الفرنسية في 3 مجلدات، باريس 1877- 1883، وترجمه المستشرق سونتهيمر (Sontheimer) إلى الألمانية في مجلدين سنوات 1870- 1872. كمال الدين البتانوني وأحمد عبد الباسط حامد، المرجع السابق، ص466.

3- ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، مقدمة المؤلف، ج1، ص4.

4- آنخل جنثالث بالثنيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص479.

5- ابن البيطار، تفسير كتاب ديسقوريدس، مقدمة المحقق، ص33.

قوتها وغائلتها، والمقدار المستعمل في أخذها، والبدل منها عند عدمها، كما ألزم نفسه في مقدمة كتابه بتوخي مجموعة من الأهداف يمكن إيجازها فيما يلي: التثبت من صحة النقل عن الأقدمين، والتحرّي للصواب والتحقيق، وتجنّب التكرار قدر الإمكان إلاّ لزيادة معنى وتبيان، وتقريب مأخذ الكتاب بحسب ترتيبه على حروف المعجم، والتنبيه على كل دواء وقع فيه وهم أو غلط، وتسمية الأدوية بسائر اللغات المتباينة في السمات[1]، وسنتعرف بإيجاز على الأسلوب النقدي والعلمي لابن البيطار في كتابه الجامع:

1-1 ضبط المصطلح العلمي للدواء المفرد: استوعب ابن البيطار المادة العلمية الموجودة في كتابي ديسقوريدس وجالينوس بكلّ إتقان ودراية حتى بَلَغَ فيه على حدِّ قول تلميذه ابن أبي أصيبعة: "أنْ لا يكاد يوجد منْ يُجاريه فيما هو فيه"[2]، فضلا عن قراءته الموسّعة لكتب الأقدمين والمحدثين؛ أدرك أنّ هناك أخطاء كبيرة وجسيمة في مجال مفردات الأدوية أُخذت بالتواتر مِنْ جيل إلى جيل، نتيجة الضعف الحاصل في اللغة اليونانية، والخلط الذي يقع أحيانا حتى في اللغة العربية نتيجة تشابه رسم حروف الكلمة؛ فقدّم ابن البيطار شروحا واضحة ووافية في موضع الخطأ، ومن أمثلة ذلك وقوفه على الألفاظ والحروف المتشابهة لمفردات الأدوية والعقاقير في اللغة اليونانية؛ كمفردة أسد الأرض بقوله: "زعم جماعة من التراجمة المفسرين أنّه المازريون، وغلطوا في ذلك، وإنّما أسد الأرض على الحقيقة هو الحربا، ويسمى باليونانية خامالاون، واسم المازريون باليونانية خالميون؛ فدخل عليهم الغلط من هذا الإشتراك الواقع بينهما في صور حروف الأسماء، ولم يفرقوا من جهلهم بين خاماليون وخامالاون[3].

1- ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج1، ص4.

2- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص555.

3- ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج1، ص46- 47.

أما المفردات العربية التي وقع فيها الخطأ نتيجة اشتراكها في صورة حروف، نذكر على سبيل المثال مفردة الخَمخَم التي سميت بلسان الثور، وقد فَنَّد ابن البيطار هذه التسمية جملة وتفصيلا، واعتبره من الوهم لأنَّ لسان الثور عند أهل الشرق وديار بكر هي الحَمْحَم بالحاءين المهملتين[1].

كما اهتم ابن البيطار بتصحيح بتفسير الأسماء اليونانية التي وقع فيها الخطأ مثل ضبطه لمفردة نبات شقرديون اليوناني الذي يقصد به نبات الثومية بالعربية، ويُعرف أيضا بحافظ الأجساد وليس ثوم الحيّة كما توهّم البعض[2]، ونبات لاغون اليوناني يقصد به رجل الأرنب بالعربية، ويسمى أيضا الأرنبي، وليس كما توهّم البعض أنّه نوع من الخرشف[3].

إنَّ اهتمام ابن البيطار بضبط المصطلح اليوناني بهذه المقدرة لدليل واضح على معرفته وتمكنه من اللغة الإغريقية بشكل جيد، وهو ما ذهب إليه الباحث بن مراد لما تساءل: "كيف يمكن لابن البيطار أن يؤيد هذا، ويُخطئ ذاك إذا لم يكن يعرف الإغريقية المعرفة التي تسمح له بإبداء رأيه الشخصي وموقفه الخاص من الألفاظ المترجمة[4]؟

ولم يكتف ابن البيطار بتبيان هذا النوع من الأخطاء فقط، وإنما تكبّد تصحيح الأخطاء التي وقعت في أصناف وأجناس النبات، ولعلّ أهم مفردة وقع في أنواعها الخلط، واستمر لعهود مفردة الحندقوقي؛ حيث اعتبر حنين بن إسحاق نبات البشنين نوعا ثالثا من الحندقوقي بعد البستاني والبري، وهو الأمر الذي رفضه ابن البيطار بشدة، وحمّل حنين مسؤولية هذا الخطأ الجسيم الذي تواصل لفترات زمنية طويلة حين قال: "لا تُقال زلة العالِم لأنّه يزلّ بزلّته العَالَم، وهذا سواء قد اتفق في هذه المسألة لحنين؛ فإنه كان متفقا على علمه بلغة اليونانين، وهو من أفضل النقلة فيها؛ إلاَّ أنه لم يثبت

1- نفسه، ج2، ص351.

2- ابن البيطار، نفس المصدر، ج2، ص210/نفسه، ج3، ص87.

3- نفسه، ج4، ص361.

4- إبراهيم بن مراد، ابن البيطار، مجلة المورد، عدد خاص حول العلوم عند العرب، دار الحرية للطباعة، بغداد، ع4، مج6، 1977، ص130.

في هذا الموضع؛ فزلّ بزلله جميع من أتى بعده من العلماء من عصره"[1]، ويبدو أنّ حنين وقع في هذا الخطأ لاشتراك اسم اللوطس في ثلاثة نباتات مختلفة عند اليونانيين المتمثلة في الحندقوقي بنوعيه ونبات البشنين، وجعلها ابن إسحاق نبات واحد، ولهذا يرى أهل الاختصاص أنَّ الترجمة ليست مجرّد عملية لغوية بقدر ما يستدعي الأمر العلم باللغة، ومعرفة التاريخ والثقافة الإثنوغرافية للمجموعة البشرية التي تستعمل تلك اللغة كأداة للتعبير[2].

على الرغم من كفاءة حنين بن اسحاق في اللسان اليوناني إلاّ أنّه وقع في الخطإ لأنّه لا يحتاج فقط إلى معرفة اللغة، وإنما يحتاج إلى الإلمام بخبرات وثقافة الشعوب حول النباتات، والتي لا يمكن أن يكتسبها المرء إلاّ إذا أقام بينهم فترة من الزمن، وخَبر أسلوب حياتهم ونمط علاجاتهم المحلية؛ فيكتسب بما يُمسى "الإثنوغرافية النباتية".

2-2 التشخيص الميداني وإعمال التجربة: وقف ابن البيطار على ماهية الأدوية المفردة التي لها منفعة مذكورة أو تجربة مشهورة؛ فالرحلة التعشبية التي قام بها ابن البيطار في مختلف الأقطار قد أفادته كثيرا في تكوين ثقافة نباتية وتطبيبية لكل منطقة يزورها، وبذلك كشف وأفصح لنا عن العديد من النباتات التي لا يعرفها إلاّ أهل المنطقة الذين خَبروا ذلك النبات، ومن أمثلة ذلك: نبات آاطر يلال، ويسمى أيضا بحشيشة البرص لمنعتها لهذا المرض؛ حيث قال فيها ابن البيطار: "أوّل ما ظهرت منفعة هذا الدواء واشتهرت بالمغرب الأوسط من قبيلة من البربر تُعرف ببني أبي شُعيب من بني وجهان، من أعمال بجاية، وكان الناس يقصدونهم لمداواة هذا المرض، وكانوا يضنّون بها، ويخفونها على الناس، ولا

1- ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج2، ص301.

2- إبراهيم بن مراد، المصطلح الأعجمي في كتب الطب والصيدلة العربية بحث نموذجي في أصوله ومنزلته ومواقف العلماء منه، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج1، ص115.

يُعلمون بها إلاّ خلفا عن سلف"[1]، ويبدو أنّ ابن البيطار لم يكتف بسماع الخبر ونقله، وإنما جرّبه على المرضى واستحسنه بقوله: "وقد جرّبته غير مرّة فصحّ؛ فحمدت أثره وهو سرّ عجيب"[2].

وعن نبات بوقشرم الذي يقول فيه: إنّه اسم بربري ببجاية وما والاها، عُصارته مُجرّبة عند بعضهم لبياض العين"[3]، وينطبق نفس الشيء على نبات بوصير الذي قال فيه إنَّ لحاء أصوله تَستعمله أطباء الشام في أدوية المفاصل"[4]، أمّا نبات الصُفيرا الذي يُعرف بالمغرب الأوسط بنبات آمليلس؛ فإنّه مُجرّب في علاج اليرقان، وتقوية الكبد والطحال[5] ، كما احتفظ لنا ابن البيطار من كتاب الرحلة النباتية لابن الرومية بعشبة معروفة باسم بقلة الأوجاع التي جاء فيها أنّها مختبرة في إزالة الأوجاع من البطن، وهي مجربة عند أهل إفريقية وأهل الأندلس، ونبات الخَزامى الذي قال عنه: إنه مُجرب في تسخين الرحم وإزالة رطوبته، ومُعين على الحمل[6]، ونبات شُشْرنب المعروف عند أهل مصر من موضع يُعرف بدير الغرباء أنّ أصوله مفيدة في إسهال الماء الأصفر، وقد جرّبه ابن البيطار، واستحسن منفعته[7].

لقد استطاع ابن البيطار أن يتعقب الممارسات التقليدية في العلاج لكل منطقة زارها، وتجريب مكتسابتهم من الموروث العلاجي، وبذلك حَفظ لنا ثروة علمية في مجال الأدوية المفردة لإلمامه بالإثنوغرافية النباتية للمناطق التي زارها، وهنا يظهر لنا دور الرحلة التعشّبية في هذا المجال.

3-3 **تصحيح أغلاط سابقيه في نفعية مفردات الأدوية:** عوّل ابن البيطار على مصادر كثيرة في تأليف كتابه الجامع، واتفق الدارسون أنّها فاقت 150 مؤلفا؛ تنوّعت بين مصنفات يونانية وسريانية وهندية

1- ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج1، ص6.
2- نفسه، ج1، ص7.
3- ابن البيطار، نفس المصدر، ج1، ص174.
4- نفسه، ج1، ص168.
5- نفسه، ج1، ص8/نفسه، ج3، ص114.
6- نفسه، ج2، ص326.
7- نفسه، ج3، ص82.

وفارسية وعربية؛ فضلا عن روايات شفوية، حيث يذكر ابن البيطار النص المقابل لديسقوريدس وجالينوس اللذين جعلهما عُمدة كتابه، ثم يُدلي بما ورد في المفردة الواحدة عن علماء آخرين من أمثال الرازي وابن سينا وأبي حنيفة الدينوري والزهراوي وابن سمجون وابن وافد والغافقي وأبي العباس النباتي والإدريسي وغيرهم[1]، وقد اعتمد ابن البيطار التمحيص والغربلة في نقل روايات سابقيه، حيث ناقش أقوال العلماء الذين سَبقوه في مدى صحة المفردات الدوائية التي وردت في مصنفاتهم، وحَرص على الالتزام بالشرط الخامس الذي وضعه في مقدمته حين قال: "التنبيه على كل دواء وقع فيه وهم أو غلط المتقدّم أو المتأخر لاعتماد أكثرهم على الصحف والنقل، واعتمادي على التجربة والمشاهدة"[2].

لقد ردَّ ابن البيطار عليهم أخطاء المفردات التي وقعوا فيها نتيجة النقل المخل، وعدم التبصر في المفردات، مستدلا عليهم بالتحرّي والمشاهدة العينية والتجربة الميدانية؛ فهو القائل: "فَمَا صحّ عندي بالمشاهدة، وثبت لديّ بالخبر ادّخرته كنزا سريا،... وما كان مُخالفا في القوى والكيفية والمشاهدة الحسية في المنفعة، والماهية للصواب والتحقيق، أو أنّ ناقله عَدِل فيه عن سواء الطريق، نبذته ظهريا وهجرته مليا، وقلت لناقله أو قائله جئت شيئا فريا"[3].

ومن نماذج علماء النبات الذين انتقدهم ابن البيطار في كتابه الجامع الإدريسي في مفردة إكليل الجبل لمّا قال: إنّه أضاف فيه إليه منافع دواء آخر يُعرف باليونانية شابوطس؛ خصوصا أنّ ديسقوريدس وجالينوس لم يذكرا هذا النبات في كتابيهما[4] ، وبالعودة إلى كتاب "الجامع لصفات

1- زكريا هاشم، فضل الحضارة الإسلامية والعربية على العالم، دار النهضة للطباعة والنشر، مصر، 1970، ص33/أحمد حلوبي، النقد العلمي الاصطلاحي النباتي في كتاب الجامع لمفردات الأدوية والأغذية لابن البيطار، أعمال الندوة الأولى حول العالم العربي ابن البيطار (حلب بين 10و14 أبريل 2005)، تنسيق إكسبيراثيون غارثيا، جامعة مالقة، 2008، ص347/زيغريد هونكة، شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضون وكمال دقوسي، دار الجيل، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط8، 1993، ص322.

2- ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج1، ص4.

3- نفسه، ج1، ص4.

4- نفسه، ج1، ص69.

أشتات النبات"، نجد الإدريسي يصرح بلسانه أنّ إكليل الجبل لم يرد ذكره في كتابي ديسقوريدس وجالينوس[1]؛ فيُستغرب حقا كيف وقع الإدريسي في هذا الخطإ، وألحق لإكليل الجبل منافع لدواء آخر ورد ذكره عند ديسقوريدس.

ومن نماذج النقل المخلّ أيضا أن ابن البيطار وقف على خطإ ورد عند ابن وافد في مفردة بزر الكتان، لما ألحق فيه قوى ليست فيه، وإنما تلك الخصائص تخص دواء يعرف بمفردة "كماشير"، وتبعه الإدريسي في ذلك أيضا بقوله: "فأحسب أنّه نقل من نسخة من نسخ الكتاب المذكور قد سقط منها ترجمة كماشير؛ فاختلط عليه الكلام؛ فأدخل قوّته في قوّة بزر الكتان، وأيضا فإنّ الشريف الإدريسي قال في مفرداته بهذا القول، وتابع ابن وافد فيه فغلط بغلطه كما بيّنّاه"[2]، ممّا يجعلنا نفكّر أنّ النسخة المتداولة في الأندلس في ذلك الوقت تختلف كليا عن نسخة ابن البيطار، وإلاّ كيف نفسر وقوع نفس الخطإ في هذه المفردة عند ابن وافد والإدريسي.

وفي ذات السياق رَدَّ ابن البيطار على الطبيب إسحاق بن سليمان الإسرائيلي (ت حوالي 320هـ/ 932م)[3] في مفردة الجميز[4]، لما نسب لجالينوس ما لم يقُل: "وحكى جالينوس عن قوم ذكروا أنّ هذه الشجرة في الابتداء بفارس، وكان فيها مرارة، وكان من أكلها يموت حتى أنهم أقاموها مقام السم"[5]؛ فانتقد ابن البيطار هذا الكلام بشدة، واعتبر أنّه سقط في الوهم، ونقل هذا الكلام لأنّه نقل من نسخة

1- الإدريسي، الجامع لصفات أشتات النبات، ورقة 10.

2- ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج1، ص126.

3- **إسحاق بن سليمان الإسرائيلي**: أحد الأطباء المشهورين، ذاع صيته في عهد الفاطميين، خدم الخليفة عبيد الله المهدي، وكان يلقب بسَمّ السَاعة، كان ضليعا في الطب بصيرا بالمنطق، وله عدة مؤلفات في الطب من بينها كتاب الأغذية وكتاب الحميّات وكتاب البول وكتاب الإسطقسّات وكتاب في الحدود والرسوم. صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، ص88.

4- **الجميز**: من جنس الشجر، وأكثر الأطباء يشبه ورقه بورق التوت إلاّ أنّها أصغر، وثمرها يشبه التين في الخِلقة إلاّ أنّه أعظم منه، وقد يكون منه الصغير بحسب المواضع، وهذا الثمر فج لا ينضج حتى يُطعن بحديدة أو يُمسّ بزيت في فم التينة، ولا بزر له مثل ما لثمر التين. أبو الخير الإشبيلي، عمدة الطبيب في معرفة النبات، ج1، ص 137.

5- ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج1، ص 230.

سقطت فيها مفردة اللبخ[1] "؛ الذي أعقب به جالينوس كلامه في الجميز؛ فاختلط عليه الكلام؛ فأدخل اللبخ في الجميز"[2]، ويبدو أنّ هذا الخطأ امتدَّ أيضا إلى الطبيب التميمي (ت 390هـ/ 1000م)[3]، الذي نقل بدوره عن الإسرائيلي لتتزعزع ثقة ابن البيطار فيه لأنه نقل على حدِّ قوله: حرفا بحرف ولم ينسبه إليه، بل أورده في صيغة أنّه كلامه؛ فزلّ بذلك الإسرائيلي، ووثق بغير موثوق"[4].

غير أنّ اللافت للنظر بعد التحقيق في مفردة الجميز عند أبي الخير الإشبيلي (بقيد الحياة في ق6هـ) وجدنا كلامه لا يختلف عن كلام إسحاق بن سليمان الإسرائيلي والتميمي حيث قال: "وحكى جالينوس أنّ هذا الشجر كان ببلاد فارس في طعمه مرارة، وكان يقتل الآكِلَ سريعا كالسُّم، ثم إنّ قوما نقلوا غراستها إلى الإسكندرية وغيرها من البلاد؛ فصار غذاء وذهبت مرارته وغائلته"[5]. إنّ تواتر هذا الخبر في مصادر مختلفة لحقب زمنية مختلفة يثبت بما لا يدع مجالا للشك أنّ نسخة ابن البيطار في كتاب جالينوس كانت بلغتها اليونانية، ولم يعتمد على الترجمة العربية التي وقع في نسختها الأولى الخطأ، وسقطت فيها الكثير من المفردات الطبية، وتداخل الكلام ببعضه البعض، ولم يتحقق الأطباء والصيادلة من صحة ما ينقلونه من مفردات طبية، والتحقق من ماهيتها وفوائدها النفعية وأضرارها.

1- **اللبخ**: اختلف فيه، قال الرازي في الحاوي: هو السذاب، أما أبو حنيفة فقال: هو نوع من الشجر العظام كشجر الجوز والدُلب، وله ورق كورق الجوز شكلا إلاّ أنها أمتن وأعسر فَرْكا، وقيل: ورقه كورق السدر سواء، وثمره في قدر حبّ الزيتون، في شكل ثمر العنّاب، وهي عناقيد كبار مائلة إلى الصفرة في داخلها نوى فيه تعريق، حبّه يؤكل إلاّ أنّه يُعطش ويُخفّق، وإذا شرب عليه الماء أنفخ، وكانت هذه الشجرة ببلاد الفرس تقتل؛ فلما نُقلت إلى مصر وغيرها من البلاد لم تضرّ آكلها، وهي بمصر ناحية الصعيد كثيرة. أبو الخير الإشبيلي، المصدر نفسه، ج1، ص 340.

2- ابن البيطار، المصدر نفسه، ج1، ص230.

3- **الطبيب التميمي**: هو محمد بن أحمد بن سعيد التميمي، من أشهر وأكابر علماء فلسطين، وأغزرهم إنتاجا في مجال الطب وتركيب الأدوية والمعاجين حتى لقب بالترياقي، سافر التميمي مصر، واتصل بخليفتها المعزّ لدين الله الفاطمي والخليفة العزي، ولزم بلاط الوزير يعقوب بن يوسف بن كلّس (ت 380هـ/991م)، وأهداه أشهر مؤلفاته في الأوبئة "مادة البقاء في إصلاح فساد الهواء والتحرز من ضرر الأوباء". محمد فؤاد الذاكري، الطب والأطباء في القدس نهاية القرن الحادي عشر الهجري، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2009، ص15.

4- ابن البيطار، المصدر السابق، ج1، ص231.

5- أبو الخير الإشبيلي، عمدة الطبيب في معرفة النبات، ج1، ص137.

لقد استحق ابن البيطار أن يكون أوحد زمانه وعلامة وقته في معرفة النبات؛ فهو لم يستوعب المادة الطبية في كتابي ديسقوريدس وجالينوس تنظيرا فحسب؛ وإنّما خَبِرَها بالتجربة والدراسة العلمية الدقيقة لقواها، والدراية بمنفعتها ومضرتها، وتمييز أنواعها وأجناسها، والعلم بلغاتها على مختلف مواطن منبتها.

إنّ هذه النماذج التي يوجد منها الكثير في كتاب ابن البيطار تشي بعمق مسألة الأمانة العلمية والثقة العمياء بمؤلفين وعلماء كبار، وما ينجرُّ عليها من ضياع الحقيقة العلمية بين الأجيال، بسبب الإهمال وعدم التحرّي الدقيق عن صحّة المعلومات التي يقومون بتقديمها؛ ولذلك ألزم ابن البيطار نفسه بتصحيح أخطاء سابقيه.

4-4 تدوين النباتات بسائر اللغات وذكر لهجاتها العامية: اهتم ابن البيطار أيضا بذكر اسم النبات الواحد بمختلف اللغات، وهو منهج اتبعه قبله عدد من العلماء كالإدريسي مثلا الذي حمّل نفسه ما لا يطيق، وترك لنا فراغات كثيرة في أسماء النبات باللغات الأجنبية التي لم يعرف مُسمياتها.

غير أنَّ ابن البيطار أظهر براعة فائقة في تمكّنه من اللغات ولا سيما اليونانية التي كانت أصل كتابي ديسقوريدس وجالينوس ليهتم بترجمة مفردات هذه اللغة إلى العربية، وإذا لم يجد لها مقابلا بالعربية أردفها بلغات أخرى كالفارسية التي كانت مشهورة ببلاد المشرق، كما أثراها بالمفردات النباتية باللغة البربرية ولاتينية الأندلس التي كانت مشهورة آنذاك بعجمية الأندلس، وبذلك يكون قد جنّب المفردات النباتية الأغلاط التي يقع فيها النسّاخون والمعشبون وهواة النبات؛ فيذكر لوسيان أنَّ ابن البيطار أدخل ما يُقارب ستين لفظا بربريا جديدا كان بعضها معروفا لدى النباتيين الإسبان من خلال غزواتهم أو مشاهداتهم[1]، ولإتمام الفائدة التى أفادنا بها لوسيان استخرجنا المفردات البربرية من كتاب الجامع وفق جدول توضيحي، وأحصينا عددها المقدر بسبع وخمسين مفردة:

الإسم البربري	الإسم العربي/الإسم المشهور	رقم الصفحة من كتاب الجامع

1- Lucien Leclerc, Histoire de la médicine arabe, T2, P 231.

آاطر يلال	رجل الطائر/ حشيشة البرص	ج1،ص 06/ ج2، ص 277/ ج2، ص 433
آاكثار	يمسى بلفظه/ جوز الأرقم	ج1،ص06/ ج2،ص 245
آارغيس	يمسى بلفظه	ج1،ص 08
آامليليس	صُفيرا	ج1،ص 08/ ج3، ص 114
آافشروا	يسمى بلفظه	ج1،ص 09
تاكوت/ أرند	حب الأثل/ الفربيون	ج1،ص 16/ ج1، 183/ج3، ص216
أداد	الأشخيص	ج1،ص 20
آدرياس	ثافسيا/ ينتون	ج1،ص 21/ ج2،ص 203./ ج4، 520
آذان الشاه	آذان الأرنب	ج1،ص 24
أرجنبقة	يسمى بلفظه	ج1، ص 27
أرجان/هرجان	لوز البربر	ج1، ص30/ ج4، ص 387
آزرود	الحندقوقا	ج1،ص 31
سرعنت	بخور البربر	ج1،ص 117
بريبنة (أبو يموت)	يسمى بلفظه	ج1،ص 121
فَوَجدة	بقلة الأوجاع/ أذن الجدي	ج1،ص 144
إملال	بهار	ج1، ص 165
أقمعن	بوصير	ج1،ص 168
بوقشرم	أبو نموت (عند أهل الأندلس)	ج1، ص 174
تانفيت	يسمى بلفظه	ج1، ص 183
تاغندست	عاقر قرحا	ج1،ص 183
تامساورت	المو/ البسبسة	ج1،ص 183
تاسممت	الحماض	ج1،ص 183
تشتوار	البسفايج	ج1،ص 188
ترفاس	الكمأة البربرية	ج1،ص 188
ترهلان	الطباق	ج1،ص 188/ ج3، 131.
تقاف	البقلة اليهودية (خس الحمار)	ج1،ص 191/ ج4، ص 500
تارخت	شجر جوذر	ج1، ص 244
أقران	حرشف أو قنارية	ج2، ص 271
أداد	الأشخيص (بشكراني بعجمية الأندلس)	ج2، ص 309
أداد الأسود ويعرف بالوحيد	أسد الأرض	ج2ص 310

تافغيت أو التافغيت	خريع	ج2، ص 325
بتعليلس	خنثى	ج2، ص 352
أزوري	دار شيشغان (القندول)	ج2، ص 361
ثافيقرا	دلدغ	ج2، ص 375
إدرار	المازريون	ج2، ص 413
مسمقار أو برستم	زرواند/ أرسطلوخيا	ج2، ص 463
زفشته (اسم قيرواني)	يعرف بلفظه	ج2، ص 472
أرجان أو الهرجان (يستخرج من شجرته زيت أرجان)	يعرف بلفظه أو لوز البربر	ج2، ص 489
أقوقس	السرخس	ج3، ص 10
إسرغنت أو سرغنت و سرغند	يعرف بلفظه	ج3، ص 12
شيطرج	العصاب	ج3، ص 98/ ج3. 170
تاغيفشت/ قوالية	عجما	ج3، ص 160
عكنة أو اللعبة البربرية	السورنجان	ج3، ص 177
اصْغَّعَرْ	عود الحية	ج3، ص 195
ورجالوز	فاشرا/ الكرمة البيضاء	ج3، ص 210/ ج4، ص495
ميمون	فاشرشنين (الكرم الأسود)	ج3، ص 211
أرند	لبن السوداء	ج3، ص 216
حرفي	فلفل السودان	ج3، ص 229
هوايثروبوليس	الكمون البري	ج3، ص 237
إسمامن	مورقا أو السنبل البري	ج4، 463
تامرت/شسيون	لحاء الغول	ج4، ص 379
أيرني	اللوف الجعد/ الصاره	ج4، ص 390
إغرومي/حسومي	ناغيشت أو فلفل السودان	ج4، ص 471
أواطمو	وطم	ج4، ص 497
بعوث	ولب	ج4، ص 497.
عشبة فيرى	ونجهك	ج4، ص 497
يخصص	نوع من الكرفس المشرقي	ج4، ص 516

ب _أهمية كتاب تفسير كتاب ديسقوريس في مجال الأدوية المفردة: بمَا أنَّ موضوعنا يرتكز على استدراكات وتفسيرات الأندلسيين لكتاب ديسقوريدس، سَنُلْقي الضوء على كتاب لايقلّ أهمية عن

كتابه الجامع، ونقصد به "تفسير كتاب دياسقوريدس"، والحقيقة أنَّ إبراهيم بن مراد قد بذل جهدا علميا مُضنيا حول مسيرة ابن البيطار وعطائه العلمي[1]؛ فهو صاحب الفضل في تحقيق كتاب تفسير كتاب دياسقوريدس؛ وقدمَّ لنا دراسة وافية عن هذا الكتاب[2].

كشف ابن البيطار سبب تأليفه لهذا الكتاب بقوله: "...، ورأيت استعجام أسماء أشجاره وحشائشه على كافة المتعلمين وعامّة الشادين، وتواري حقائقه عن غير واحد من الشجّارين والمتطّببين عزمت بعون الله تعالى على تقريب المرام في ترجمته، وتسهيل المطلب في تفسير أسماء أدويته لأكشف عن وجه مقاصده قناع عُجمته، وأُبْرِزه كالبدر في هالته"[3].

إنّ هذه العبارة التي أوردها ابن البيطار في مقدمة كتابه تحمل دلالات عميقة على أنّ كلّ المصنفات التي سبقته، وألفت في مجال الأدوية المفردة لم تَستطع أن تتجاوز مشكلة ترجمة العقار من اللغة اليونانية إلى العربية، وأنّ العُجمة غلبت على كتبهم، وبالتالي قلة الاستفادة منها.

حذا ابن البيطار حذو ديسقوريدس في الترتيب، إذ أورد تفسير المصطلحات بحسب تتابعها في المقالات؛ فكان يذكر المصطلح اليوناني أولا ويفسّره؛ فصار الكتاب معجما ثنائي اللغة: يوناني- عربي،

1- بشهادة المختصين فالفضل يعود إلى الأستاذ إبراهيم بن مراد في توضيح النسب العربي القرشي لابن البيطار؛ فجل المصادر توقفت في الترجمة له عند اسم أبيه عبد الله بن أحمد، كما كتب هو عن نفسه أيضا "عبد الله بن أحمد بن محمد العشاب المالقي المعروف بابن البيطار، وبالتدقيقات التي قام بها بن مراد في كتب التراجم توصل إلى ما يلي: أنَّ والد ابن البيطار هو أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الملك، الذي كان فقيها، وولي خطة القضاء في مالقة، أمّا عن الجد الأكبر للعائلة فهو أبو مروان عبد الملك، وكان من أهل غرناطة ليسكن بعد ذلك مالقة، وَوَلِي قضاءها، وتوفي سنة 549هـ/1154م. للمزيد من التفاصيل يمكن مراجعة إبراهيم بن مراد، بحوث في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، ص460-467/نشأت حمارنة، تاريخ الاهتمام بابن البيطار، ندوة ابن البيطار المالقي والعلم العربي، تنسيق إكسبيراثيون غارثيا، حلب، 10-14 أفريل 2005، ص300.

2- ينظر مقدمة المحقق لكتاب ديسقوريدس، صص17- 95.

3- ابن البيطار، المصدر السابق، ص109.

وعدد مواد الكتاب تبلغ 554 مادة فقط بسبب النقص الذي اعترى المقالة الرابعة وكامل مواد المقالة الخامسة، الناتج عن بتر في المخطوطة الفريدة الموجودة من كتاب "التفسير"[1].

وللكتاب أهمية وقيمة كبيرة ثمنتها المصادر الأخرى؛ فقد قال عنه ابن أبي أصيبعة: "وأتقن دراسة كتاب ديسقوريدس إتقانا بلغ فيه إلى أنْ لا يكاد يوجدُ من يُجاريه فيما هو فيه"[2]؛ وقد أبان ابن البيطار على دراية عميقة وخبرة فائقة وصبر شديد في معاينة النباتات بفضل رحلته العلمية الطويلة ومساءلته لكبار الثقاة في هذا المجال.

وتكمن أهمية الكتاب أيضا في أّنه قام بتعريبه تعريبا يكاد يكون كليا، وقد أشار بنْ مَراد أنّه لم يستعص على ابن البيطار إلا 27 مصطلحا لم يجد لها مقابلا في اللغة العربية أو لجهله بها، ولم يقف منها إلا على عشر مفردات ذُكرت عند سابقيه لكنه رفضها[3]، كقوله في نبتة **الفو**: لا أعرف له غير هذا الإسم[4]، وفي نبتة **فولامونيون**، وقال عنها: "لا أعرفه ولا أعرف له اسما غير ما ذكرته"[5]، وفي نبتة **أنْثُلّيس** الذي قال فيه: "هو دواء مجهول عندي"[6]، ممّا يعني حرص ابن البيطار على الأمانة العلمية في تفسير مفرداته، ونأيه عن التأويل المخلّ، والتخليط الذي وقع فيه سابقوه.

ومن مظاهر الترجمة التي اعتمدها ابن البيطار في كتابه إقحام اللهجات المحلية للمنطقة بحيث كان يجمع في المفردة الواحدة بين لهجتين محليتين أو أكثر، وذلك للإشارة إلى اشتراك لهجتين أو أكثر في المصطلح الواحد، والتنبيه على اختلاف التسمية بين قطر وآخر، ومن أمثلة ذلك: مفردة "**قَرَثْمُن**": هو نبات تعرفه عامة الأندلس بقرن الأيل، وهو ببعض سواحل إفريقية يسمى زبل النواتية"[7]، وقوله في

1- ابن البيطار، تفسير كتاب ديسقوريدس، مقدمة المحقق، ص 65.
2- ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص556.
3- ابن البيطار، المصدر نفسه، ص75.
4- ابن البيطار، تفسير كتاب ديسقوريدس، ص 114.
5- نفسه، ص 272.
6- ابن البيطار، نفس المصدر، 259.
7- نفسه، ص186.

مصطلح "**سِيسَنْبَرْيُون**": هو حُرف الماء عند عامّة المغرب، وفجل الماء أيضا، وجرجير الماء أيضا، وتُسَمّيه العامة أيضا قَرْنُونُش"[1]؛ فابن البيطار كان يهتم باللهجات المحلية للمناطق التي زاراها، ويوظفها في تفسيراته في حالة غياب المصطلح العربي، ولهذا يرى بن مَراد أنَّ مسألة الاقتراض اللغوي الذي عولّ عليه ابن البيطار ساهمت بشكل كبير في رفع القفل والعجمة على المُصطلحات اليونانية[2].

لجأ ابن البيطار إلى ترجمة المصطلحات اليونانية عن طريق تأويلها للمعنى التي تؤديه في اللغة اليونانية نفسها، تحت قاعدة أسماء الأشياء، وهي الألفاظ الدّالة عليها كقوله في نبات "**أنوما**": الذي يُقصد به مُسقط الأجنة، وهو نوع من النبات الذي يُعرف بخسّ الحمار وأذن الحمار عند شجاري الأندلس وأطبائها[3]، وقوله في مفردة "**قَالامَغْرُسْطُس**": "تأويل هذا الاسم باليوناني الثّيلُ القصَبي، وذلك أنَّ له ساقا كالقصب، وهو قتّال للمواشي إذا أكلته"[4]، رغم عجز وقصور ابن البيطار في ترجمة بعض المصطلحات إلى العربية أو إيجاد بديل لها باللهجات المحليّة إلاّ أنه تعقَّب معناها الحرفي في اللغة اليونانية على أمل منه أن يظهر الاسم الحقيقي للمفردة التي تمّ تأويلها بالمعنى، وبذلك تخطى ابن البيطار مرحلة النقل الحرفي للمصطلح اليوناني، وهي الطريقة التي عوّل عليها إصطفين بن باسيل في الترجمة البغدادية الذي قام بنقل أسماء المفردات دون تعريبها[5].

لقد شعر ابن البيطار مثل غيره من علماء الأندلس بواجب المسؤولية العلمية في فك مُلغزات مصطلحات كتاب الحشائش حتى تعم فائدة الاستفادة منه، ولاسيما أنَّ هناك ظروف بشرية وطبيعية هيأت لهم هذا الجو، من حيث التنافس العلمي، وتشجيع الخلفاء والسلاطين لهذا العلم،

1- نفسه، ص186.

2- ابراهيم بن مراد، المصطلح الأعجمي عند ابن البيطار، ص 219.

3- ابن البيطار، المصدر نفسه، ص257.

4- نفسه، ص280.

5- Julio Samso, EL legado Cientifico Andalus, Ministerio de Cultura, imprime Getafe, Madrid, 1994, p13.

والإقبال على الرحلات التعشبية، فضلا على أنّ بلاد الأندلس- كما أوضحنا في مدخل هذه الدراسة- تزخر بثروات طبيعية وغطاء نباتي متنوع يُنمّي ملكاتهم العقلية، ويدعو إلى التفكير في معرفة مُسمياتها والانتفاع بخواصها.

لقد كان للعدوة الأندلسية الحظ الأوفر في العناية بهذا الكتاب، وبحكم إخلاصهم له جعلوا منه علما مستقلا بذاته؛ فهنيئا لنا ولهم بما خلَّفوه من مؤلفات وذخائر تحتاج إلى هِمَم الباحثين من أجل نفض الغبار عنها.

الفصل الثاني:

خبرة المجتمع الأندلسي بالنباتات النفعية في الممارسة العلمية والعملية

أولا_ نباتات أرخ لها الأندلسيون

ثانيا_ إشهار نباتات لم تكن معروفة لدى المجتمع الأندلسي

ثالثا_ الحدائق السلطانية ودورها في انعاش مخابر البحث العلمية

رابعا_ أنواع الصناعات النباتية ببلاد الأندلس

خامسا_ علاقة النباتات بالأزمات الطبيعية والاجتماعية

أولا: نباتات أرخّ لها الأندلسيون: مَا يُميّز بلاد الأندلس بعد استقرار المسلمين بها عن غيرها من الأقطار أنها عرفتْ الكثير من النباتات الوافدة على أرضها، حيث برَع الأندلسيون في معرفة خواص هذه النباتات من حيث منبتها، وتاريخ دخولها إلى أرضهم، ومعرفة جيدها من رديئها، والتمييز بين المتشابه فيها، وتفاوت تأثيرها، وقوتها الاستشفائية ومنافعها في حياتهم اليومية، وقد توجت الكثير من النباتات بتاريخ ولادتها- منبتها- على أرض الأندلس، وهي ميزة لم يحظ بها أعيان الأندلس في تسجيل تواريخ ولادتهم؛ فقائمة النباتات التي أدخلت إلى شبه الجزيرة الإيبرية طويلة، نجد على رأسها الأرز والقطن وقصب السكر والبرتقال والليمون والخوخ والنارنج والنخل والزعفران[1]، ويُدين المعجم الإسباني اليوم لكثير من المفردات النباتية التي تحمل الاسم العربي، نذكر منها البرقوق (albaricoque) والياسمين (jasmin) والقطن (algodon) والزعفران (azafran) وقصب السكر (caña de azūcar) والكركم (curcuma)[2] ، والخرشف (alcachofa)[3]، والزيتون (aceituna)[4].

1- نهاد عبّاد عباس زنبل، الإنجازات العلمية للأطباء في الأندلس وأثرها على التطور الحضاري في أوروبا، القرون الوسطى 92- 897م/ 711- 1492م)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2013، صص357- 360- 365/فيليب حتي، تأريخ العرب، ج3، ص629.

2 -Expiracion Garcia-Sanchez, Julia Carabaza Bravo, Flora Agricola y Forestal de AL-Andalus, Ministerio De Agricultura alimentacion y medio ambiento, Gobierno de Espana, 2009 , pp.204-245/Maria Jesus Molins Viguira, Existe una identidad mozarabe, in Existe identidad mozárabe ? Historia, lengua y cultura de los cristianos de al Andalus (siglos IX-XII), Col, Casa de Velázquz, Madrid, 2008, p. 302.

3- كما يعرف نوع آخر من الخرشف البري يُعرف في الجزائر بالقرنين أو القرنينة، ويُعرف بنفس الاسم في اللغة الإسبانية: guernîna guernîn وإن كان واتسون (watson) يرى أنّه من أصل إغريقي روماني.

Françoit Aubaile-Sallenava , L'agriculture musulmane aux premiers temps de la conquête: apports et emprunts; à propos de *Agricultural innovation in early Islamic word* de Andrew M. Watson, Journal d'agriculture traditionnelle et de botanique appliquée, 31e année, bulletin n°3-4 , Juillet-décembre 1984, p251.

4- ليفي بروفنصال، الحضارة العربية في إسبانيا، ترجمة الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، مصر، ط1، 1994،ص116، التي لم تحمل اسمها اللاتيني كما هو الحال في اللغة الفرنسية، ما دامت زراعة الزيتون لم تكن ممّا أدخله المسلمون إلى شبه الجزيرة الإيبيرية، ولعلّ الأمر عائد إلى جودة الزيتون الذي تُنجبه أرض الأندلس، وحرص الأندلسيين على غرسه في كل أرضي الأندلس، ولا سيمّا في منطقة إشبيلية التي حملت اسم الشرف لتشرفها بجودة هذه الشجرة المباركة على أرضها؛ فقد أجمع المؤرخون بنجابة إقليم إشبيلية بالقول: "أشرف بقعة في الأندلس، وأكرم تربة المغترس بالزيتون الدائم في اخضراره، المبارك في اعتصاره، لا يتغير به حال، ولا يعروه اختلال، قد أخذ في الأرض طولا وعرضا فراسخ كبيرة. العذري ، ترصيع الأخبار، ج1، ص468.

أدخل عبد الرحمان بن معاوية (138-172هـ/756-788م) مؤسس الإمارة الأموية في الأندلس معه نباتات عجيبة من بلاد الشام، والنوع الوحيد من الفواكه الذي احتفلت المصادر بذكره هو نوع خاص من الرمان فاض على أرجاء الأندلس، وصار أهل الأندلس لا يفضلون عليه سواه...، ويتميز بعذوبة الطعم، ورقة العجم، وغزارة الماء، وحسن الصورة...، اغترس منه الأمير الأموي بمُنْية الرصافة وغيرها من جناته؛ فانتشر نوعه، واستوسع الناس في غِراسته، ولزمه النسب إليه؛ فصار يُعرف إلى الآن بالرمان السّفري[1]، نسبة إلى غارسه ابن عبيد الله الكلاعي السفري[2].

لقد تفانى أمراء بني أمية وخلفائهم في جلب غرائب النباتات والفواكه حتى بيعت أصناف من الفواكه في بغداد على وجه الإستظراف[3]؛ فأرض الأندلس كانت حقلا للتجارب الزراعية من أجل استنباط وأقلمة نباتات جديدة عليها، وقد حظيت أرض الأندلس بدخول نوع فريد من التين الذي كان لا يُزرع إلاَّ في القسطنطنية، وجاءت المناسبة بقيام سفارة دبلوماسية سنة 225هـ/840م بين الدولتين، نال شرفها السفير يحي الغزال(156-250هـ/772-864م)[4] بتولية من الأمير عبد الرحمان الأوسط؛ فرغم حرص ملك القسطنطنية ألاَّ يخرج نوعا من فاكهة التين من أرضه إلاَّ أنَّ يحي الغزال استطاع بفطنته ودهائه أنْ يتحَايلَ بإخراج بذور هذه الفاكهة في شرائط كتبه، وينفرد الطُغنري بتسجيل هذه الحادثة بقوله: "التين الذنقال استجلبه الغزال حين وجه من قرطبة إلى قسطنطينية

1- المقري، نفح الطيب ، ج1، ص468.

2- هو من الأنصار الذين كانوا يحملون ألوية رسول الله صلى عليه وسلم، كانت قريته بقرب من قرطبة، وسببه أنّ عبد الرحمن بن معاوية بعث إلى أخته أم الأصبغ عندما استقر له ملك الأندلس أن تأتيه فأبت، ووجهت له بتحف، منها ذلك الرُّمان، فجمع عبد الرحمن أصحابه، فلما نظروا إليه حنّوا إلى الشّام وبكوا، فأخذ سفر من حب ذلك الرّمان وجعله في سبنية، فقال له عبد الرحمن: ما هذا؟ فقال له: يا مولاي أغترسها في بلدي لعلها تعلق، فاغترسها فعلقت وكثرت في الأندلس، فنسبت إليه. أبو عبد الله بن عسكر وأبو بكر بن خميس، أعلام مالقة، تقديم وتعليق عبد الله المُرابط الترغي، دار الغرب الإسلامي ودار الأمان للتوزيع والنشر، بيروت، الرباط، ط1، 1999، ص350.

3- أحمد الطاهري، الفلاحة والعمران القروي بالأندلس، المرجع السابق، ص235.

4- **يحي الغزال**: هو أبو زكريا يحي بن الحكم البكري، يعود نسبه إلى بكر بن وائل، أصله من مدينة جيّان، لقب بالغزال لوسامته ورقته وتأنقه، بزغ نجمه في فترة الحكم بن هشام، كان يُجيد الشعر ومُخاطبة الملوك، وكان سياسيا مُحنكا عمرَّ طويلا ما يناهز 94 سنة عاصر فيها خمسة من خلفاء المروانية أولهم عبد الرحمن بن معاوية، وآخرهم الأمير محمد بن عبد الرحمان، ولقب بحكيم الأندلس، وشاعرها وعرّافها. المقري، نفح الطيب، ج2، ص 254.

رسولا؛ فرأى فيها ذلك التين؛ فأعجبه وكان ممنوعا أن يخرج منه شيء من قسطنطينية؛ فأخذ التين الأخضر، وجرّه على شرائط كتبه التي كان قد حزمها بها بعد أن حلّ فتلها، ثم أعاد الفتل؛ فلمّا أراد الرحلة فُتّش عليه؛ فلم يُوجد لذلك أثر؛ فلما وصل قرطبة استخرج تلك الزريعة من جوف الفتل وزرعها واهتبل بها...، ما أعلم له اسما غير أنَّ الجاني له إذا كان يناولني منه شيئا كان يقول: ذونه قولي، معناه يا مولاي انظر؛ فسمّاه أمير المؤمنين بذنقال"[1]؛ فالتين الأخضر الذنقالي يُسجل تاريخه ببلاد الأندلس بسفارة يحيى الغزال إلى بلاد القُسطنطينية على غرار بقية أنواع التين المعروفة بالأندلس: التين الشعري والتين المالقي الذي يُعرف في بلاد البربر بتمالقيت نسبة إلى مالقة[2].

كما وقع بين أيدينا نص أرّخ لنبات معروف بالأندلس أكثر ممَّا أرخ لحدث سياسي كان مخرجه الخصائص الوظائفية لهذا النبات، من جهة أخرى يدلنا النص على تفوق الأندلسيين في المجال النباتي، واستغلال معارف وجزئيات دقيقة وبسيطة في إبراز قوتهم، حيث قام المنصور بن أبي عامر باستغلال خصائص ورد النيلفور[3] الذي يتفتح مع أشعة الشمس، وذلك من أجل كسب ود النصارى، وعقد مهادنة معهم عن طريق الحيلة لإدراكه تماما أن لا معرفة لهم بالنبات ولا بخصائصه؛ فقد "أمر المنصور أنْ يُغرس في بركة عظيمة ذات أميال نيلُوفر على ما تسع، ثم أمر بأربعة قناطير من الذهب وأربعة قناطير من الفضّة فسبكت قطعا صغاراً على قدر ما تسع النيلفور، ثمَّ ملأ بها جميع النيلوفر الذي في البركة، وأرسل إلى الرومي؛ فحضر عنده قبل الفجر في مجلسه السامي بالزاهرة بحيث يُشْرف على موضع البركة؛ فلمّا قرب طلوع الشمس جاء ألف من الصقالبة عليهم أقبية الذهب والفضة ومناطق الذهب والفضة ...فحين أشرقت الشمس ظهر النيلوفر من البركة؛ فبادروا لأخذ الذهب والفضة من النيلوفر، وكانوا يجعلون الذهب في أطباق الفضة والفضة في أطباق الذهب، حتى

1- الطغنري ، كتاب زهرة البستان ونزهة الأذهان، المصدر السابق، ص177-188.

2- أحمد الطاهري، المرجع السابق، ص233-234.

3- وأهل الأندلس يُوقعون اسم النيلفور على نبات ذي زهر أبيض ينضم بالليل وينفتح بالنهار، وفي وسطه شيء مُدحرج أسود شديد السواد، وله ساق طويلة، ولزهره رائحة ذكية ويعرف بالبشين. أبو بكر حامد ابن سمجون، جامع الأدوية المفردة، منشور ضمن سلسلة عيون التراث، نشر فؤاد سزكين، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، فرانكوفرت، ألمانيا، 1992، مج3، ص59.

التقطوا جميع ما فيها، وجاؤوا به فوضعوه بين يدي المنصور حتى صار كوما بين يديه؛ فتعجّب النصراني من ذلك وأعظمه، وطلب المهادنة من المسلمين، وذهب مسرعا إلى مُرْسله، وقال له: لا تُعادِ هؤلاء القوم؛ فإنّي رأيت الأرض تخدمهم بكنوزها"[1]، ورغم طرافة الموقف والحنكة التي اتسم بها المنصور إلاَّ أنّ النص يعكس مدى أهمية الحضور المعرفي للنبات بين العامة والخاصة.

كما نجد اسم **وخشيزق** يقع على نباتين: أحدهما أصل نوع من الديس، والأخر نبات مشهورٌ بالمشرق، ويعرف عند ابن البيطار بالحشيشة الخراسانية[2]، ممّا يدل على أصله المشرقي، تأخر دخوله إلى بلاد الأندلس إلى غاية نهاية القرن الرابع الهجري؛ فأبو الخير الإشبيلي يؤرخ سنة دخوله بقوله: "ولم يدخل الأندلس إلا سنة 390هـ/999م على ما نقلته الكافة من الأطباء، وشرب منه مثقالا قتل أنواع دود البطن وأخرجها"[3]، كما تحدث أبو خير الإشبيلي أيضا عن نبات تزييني للمنازل والحدائق يُعرف ببُستان الجواري بقوله: "هو مليح المنظر، وليست له رائحة طيبة، يعُرف ببواب الحاجب، وهو قريب العهد بالزراعة في بلدنا، وكثيرا ما يوجد بمصر والإسكندرية"[4].

لقد اهتم الأندلسيون أيضا باستجلاب أنواع معينة من النباتات البرية التي لا تنمو بأرضهم، كنبات البابونق الذي هو نوع من البابونج؛ فقد قال عنه ابن البيطار: إنَّه يتواجد برقادة من أرض القيروان، كثير بها، مزدرع بالقدم، وهو ينخلق بأرضها من غير أن يُزرع الآن، وهو أيضا بتوزر[5]، يتواجد بصحاري برقة وأرض مصر والمشرق، ومن هناك في القدم جُلب إلى الأندلس، وازدرع بشرق الأندلس، وأنجب على أصل منبته[6].

1- المقري، نفح الطيب، ج3، ص58.

2- ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية و الأغذية، ج4، ص 490.

3- أبو الخير الإشبيلي، المصدر السابق، ج2، ص614- 615.

4- نفسه، ج1، ص108.

5- **توزر:** مدينة تقع حاليا في الجنوب الغربي لتونس، مدينة يكثر فيها النخيل، و ثمرها كثير يعم بلاد إفريقية، وأكثر الفواكه التي بهل في حال معتدلة، وماؤها غير طيب، وسعر الطعام بها في أكثر الأوقات غال، لأنه يُجلب إليها. الإدريسي، المصدر السابق، ص178.

6- ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج1، ص101.

تؤكد الباحثة غارسيا بأنّه لا توجد أي إشارة من قبل المؤرخين القدامى عن نمو النخيل في شبه الجزيرة الإيبيرية[1]؛ فالنخيل الموجود بالأندلس من أصل النخلة التي جلبها عبد الرحمن بن معاوية، ومنه توالدت كل نخلة بالأندلس على حد قول ابن بشكوال[2]؛ فرغم أنّ أشجار النخيل التي تنمو اليوم بشوارع إسبانيا، وتتميز بثمار قاسية وصلبة لا تصلح للأكل؛ فإنّ الذي اختصت به جنة العريف من نخيل في قصر الحمراء، هو آخر النباتات الأصلية التي دامت أكثر من ستمئة عام[3]، ولا سيمّا أنَّ ابن العوام يفيدنا أنَّ النخل يعمر حوالي 500 سنة[4]، وهو بذلك يُعد مرجعا حيّا لمتاحف التاريخ الطبيعي.

نخلص مما سبق إلى أنّ الأندلسيين تعلموا احترام عالم النباتات بصدق وأمانة عن طريق وضع هوية موثقة لنباتات وفدت عليهم، وأصبحت جزءا من تاريخ الحضارة الإسلامية في الأندلس.

ثانيا: إشهار نباتات لم تكن معروفة لدى المجتمع الأندلسي: كانت الأندلس قِبلة الوافدين من علماء وأطباء وشعراء وأدباء من مختلف الأقطار؛ فقد كان لهم دور في الإشهار، والكشف عن بعض النباتات الموجودة بأرض الأندلس غير أنّها كانت مجهولة المنفعة لدى الأندلسيين، فزرياب (173-243هـ/789-857م) أول من اجتنى **بقلة الهليون**[5]، المسماة بلسانهم الإسْفرّاج، وهي كثيرة بصحاريهم، ما إن منها إلا بستانية مزدرعة كحالها ببلد المشرق، ووقع هو عليها عن معرفة، فأكلها وأطعمها، ولم يكن أهل الأندلس قبله يعرفونها ولا يجتنونها. وذكر أنَّه دعا بعض أشرافهم من رجال السلطان يوماً؛ فطعم عنده ما بين أطعمة بلده، إلى أن قدم إليه آخر طعامه هليونا سليقاً محكم

1- Expiracion Garcia Sanchez, Op.cit, p 88.

2- ابن بشكوال، كتاب الصلة، ص185.

3- إيما كلارك، فن الحدائق الإسلامية، ترجمة: عمر سعيد الأيوبي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث كلمة، أبوظبي، ط1، 2011، ص222.

4- ابن العوام، الفلاحة الأندلسية، ج3، ص183.

5- **نبات الهليون (Asparagus officinalis)**: من جنس التمنس ومن أنواع الهدبات، وله أنواع كثيرة: بستاني وبريّ وصخري، فالبستاني لا شوك له شبيه بنبات الشبث، وما عداه من الأنواع لا ورق له، وإنما هو شوك كلّه، وله عساليج تؤكل زمن الربيع مُشتلَدّة، ويُعرف بالسكوم، ويعرف بالبربرية أيضا على حسب ابن بكلارش باسم زَزُور، ومن منافعه الطبيه أنّه يزيد في المني، ومدّر للبول، ويفتح سدد الكبد والكلى، ونافع من اليرقان العارض من سدد الكبد. ابن بكلارش، المستعيني في الطب، ورقة 186/الغساني، حديقة الأزهار، المصدر السابق، ص96.

الصنعة[1]، ومن الطريف أنَّ ابن حيان يعدد لنا منافعها بفوائد قلَّ ما تتوفر في الكتب الصيدلانية بقوله: "جمة المنافع، تدر البول، وتنقي الإحليل، وتفتت الحصاة، وتنقي المثانة، وتعدل الأخلاط، وتزيد في الباه... فشهرت هذه البقلة يومئذ عند الناس، واتفقوا على تفضيلها، وطلبوها لأوانها، واشتركت خاصتهم وعامتهم في اجتنائها إلى اليوم"[2].

وينفرد ابن جلجل بنبات شجرة الكفّ التي أغفلها إصطفين بن باسيل في ترجمة كتاب الحشائش بقوله: "لم يذكرها إسطفين في ترجمة الكتاب، وديسقوريدس صنفها في آخر الجزء الرابع، وصورّها في أصناف السموم، وهي شجرة لها أصل يشبه كف إنسان براحة وخمسة أصابع، تعرف بكف مريم، وطارق الشجار عندنا بقرطبة يعرفها، وهو أول من أشهر أمرها، والنساء يعملن منها فرزخة للحبل تعين على الحبل[3]، ممَّا يدل على أنَّ نساء الأندلس أصبحت لهن معرفة بهذه النبتة بعد هذا التاريخ، كما ينطبق نفس الأمر على **نبات جنتوريه** الذي على ما يبدو أخذ هذا الإسم من مُكتشفها ببلاد الأندلس؛ فقد أشار ابن البيطار بقوله إلى ذلك: "جتنوريه: إسم بعجمية الأندلس للقنطوريون[4] الدقيق، وقيل: إنمّا سميت جتنوريه منسوبة إلى جنتوريس الحكيم لأنه يقال إنّه أول من عرفها ببلاد الأندلس وأظهر أمرها"[5].

وهناك نبات آخر أحدث جدلا وحيرة كبيرة لدى علماء الأندلس في القرن الرابع الهجري العاشر ميلادي ممَّا جعل المنصور بن أبي عامر (366-392هـ/976- 1002م) يُرسل في طلبه من أجل التأكد من

1- ابن حيان، كتاب المقتبس، السفر الثاني، تحقيق محمود علي مكي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 2003، ص321/المقري، نفح الطيب، ج3، ص127.

2- ابن حيان، المقتبس، نفس المصدر، ص321.

5- ابن جلجل، مقالة ثامنة، تحقيق: ألدفو جاريخو، مركز الدراسات العربية والإسلامية، قرطبة، 1992، ص24.

4- القنطوريون (Centaurea centaurium): لهذا النبات عدة مسميات في بلاد الأندلس؛ فهناك من يسميه عُشبة المرارة، سميت بذلك لمرارتها، وهناك من يسميه قُصّة الحية، وبعضهم يسميه العزيز واللنبذ ربوله بجهة طليطلة لأنّ نباته يكون زمن باكور التين وهو المسمى لَنبْذار. أبو خير الإشبيلي، عمدة الطبيب، ج2، ص512- 513.

5- ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج1، ص237.

حِليته وماهيته، حيث ينفرد ابن سمجون بتسجيل وقائع هذه النبتة بقوله: "الفاونيا[1]: ... يعرف عند أطباء الأندلس بورد الحمير، وأخبرني محمد بن السكان الصيدلاني أنّ محمد بن أبي عامر أقصده إلى المشرق لاكتشاف من عنده الفاونيا، قال فكشفت عنه بمصر والقيروان كل من يُنسب إلى الحذق بصناعة الصيدلة له؛ فكلهم زعموا أنَّ هذا الدواء يُعرف قبلنا بورد الحمير، وأتيته منه بكثير؛ فلم يكن بينه وبين ما عندنا منه فرق"[2]، يدل النص أنَّ النبات معروف ومشهور لدى أهل الصنعة من عشابين وصيادلة وأطباء في الأندلس وفي متناول أيديهم، غير أنّه كان يُشهر باسم آخر أوقعهم في حيرة من أمرهم، إلى أنْ فصل الصيدلاني محمد بن السكَّان في أمره، وقطع الشك باليقين في فترة حجابة المنصور بن أبي عامر.

أثير هذا النبات من جديد على شكل حوار علمي في فترة المراطبين نقله لنا أبو خير الإشبيلي بقوله: "تذاكرت عند الشيخ أبي الحسن ابن اللونقة[3]- رحمه الله- نبات الفاونيا، وما ذُكر فيه، ورأينا كلام ديسقوريدس وجالينوس، وأنَّ صفة ما ذكر الشيخان مطابق لصفة ورد الحمير؛ فقال الشيخ: نعم، قد وجدت من ورد الحمير صفة امتحنتها في مصروع؛ فزال صرعه عنه بأن علَّقتها عليه وسقيته منها، وذكر أنَّ كثيرا ما يوجد هذا النوع في العمارات، وأنَّ زهره أبيض"[4]، ورغم نباهة أبي الحسن بن اللونقة في التعرف على نبات الفاونيا من خلال حِليته ومنافعه الطبية التي وصفها العالمان اليونانيان ديسقوريدس وجالينوس، ولكن النص يكشف لنا أنَّ أبا الخير الإشبيلي وأبا الحسن بن اللونقة لم

1- الفاونيا أو فاونيا (paeonia officinalis): يُقال له ذو الخمسة الحبات، وقيل إنّه أصل ورد الحمير. ابن ميمون، شرح أسماء العقار، ص23.

2- ابن سمجون حامد، جامع الأدوية المفردة، مخطوط خزانة أحمد الثالث طوبكاي سراي رقم 2121، منشور ضمن سلسلة عيون التراث، نشر فؤاد سزكين، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، فرانكوفرت، ألمانيا، 1992، مج3، ص214-215.

3- ابن اللونقة: هو علي بن عبد الرحمن بن يوسف بن مروان بن يحيى بن الحسين بن أفلح، ينتهي نسبه إلى الصحابي سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي الساعدي، ويعلق ابن الأبار على هذا النسب بقوله: وفي هذا النسب على ظاهره تخليط، ما عُرف على ابن اللونقة أنّه كان فقيها ورعا، له بصر بالطب ومعرفة به، وله فيه تعاليق مفيدة، تتلمذ على يد ابن وافد الوزير، وافته المنية سنة 498 أو 499هـ. ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج2، ص78.

4- أبو الخير الإشبيلي، عمدة الطبيب في معرفة النبات، ج2، ص469.

يطلعا على ما قاله ابن سمجون في كتابه المتعلق بالأدوية المفردة الذي سبقهما في وصف هذا النبات والتعرف عليه.

من خلال العيّنات التي وقفنا عليها أعلاه تَبيّن بوضوح أنّه كان هناك حرص شديد وحركة علمية دؤوبة في سبيل معرفة أشخاص النباتات بعينها، وما يتعلق بضبط أسمائها ومنافعها، وبذل مساعي كبيرة في محاولة أقلمتها، وهذا ما سنتعرف عليه في العنصر التالي.

ثالثا: الحدائق السلطانية ودورها في إنعاش مخابر البحث العلمية: استلهم المسلمون تصميم حدائقهم من الوصف القرآني للجنة التي وردت في العديد من الآيات القرآنية؛ فاستحضروا مصادر الطبيعة من جداول مياه وأزهار ورياحين مختلفة الألوان وأشجار مثمرة... في تحديد هويتهاالإسلامية[1]، لكنها اختلفت في نظامها الهندسي عن الحدائق الفارسية والهندية... بل إنّ المشاركين في ندوة الحدائق الإسلامية التي عقدت بروما سنة 1986 ساد بينهم شبه إجماع على أنّ الحدائق الإسلامية كان الهدف منها تكوين نماذج أرضية للوصف القرآني لحدائق الجنة التي وعد الله عزّ وجل بها عباده المؤمنين في الآخرة[2]؛ على الرغم من أهمية الطرح الذي خرج به هذا الملتقى؛ فإنّه لا يمكننا تغافل الأدوات العلمية التي وظفت من قبل المهندسين والخبراء الزراعين في سبيل إخراج الحدائق الإسلامية على هذه الشاكلة.

أفاض المؤرخون والجغرافيون والشعراء في وصف طبيعة الأندلس الفاتنة وجنانها البهيجة وثمارها وأزهارها النَّضِرة، حتى تكونت لديهم نزعة جمالية وميول نحو حب النبات والورد والأزهار والأشجار، ونلمس ذلك بوضوح في وصفهم لبساتينهم وحدائقهم ومساجدهم؛ حتى خالفوا أحيانا أصول

1- تتميز الحدائق الإسلامية عن غيرها من الحدائق باستخدام نوافير المياه وسط الحدائق على غرار فناءات المساجد للوضوء والشرب، وتمثل النوافير في الجنة مصدر الروح، دائمة التدفق، كما أنها ترمز إلى طهارة نفس المؤمن، و يرتبط الماء أيضا بالدلالات الرمزية للعناصر المعمارية في حدائق المجتمعات الإسلامية، فجريان الماء في النافورة يمثل الحياة والتجدد. سوزان عبد الحسن إبراهيم وحمود غربي خليفة، الماء في الحديقة الإسلامية بين الوظيفة والدلالة الرمزية، مجلة الأنبار للعلوم للعلوم الزراعية، مج16، ع1، 2018، ص919.

2- شفيق أمين بعارة، الحديقة في العمارة الإسلامية، أطروحة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2010، ص14.

تشريعاتهم الفقهية في بعض المسائل، وتمسكوا بغرس الأشجار في المساجد مخالفين بذلك مذهب الإمام مالك، وهو أمر لم يقرّه المالكية لأسباب تتعلق بقذارة الأسمدة الحيوانية ورائحتها، وما تجلبه من حشرات وطيور وهوام داخل المسجد[1]، وفي ذلك يقول القاضي النباهي: "أجازوا غرس الشجر في المساجد، وهو مذهب الأوزاعي"[2]؛ فأشجار البرتقال والنارنج بصحن جامع قرطبة تعكس أثر الأندلسيين إلى يومنا هذا.

إن الحديث عن الحديقة الأندلسية بشكل خاص هو الحديث عن امتزاج العلم بالفن والعقل بالروح؛ فأصبحت هذه الحدائق مدار بحث واستقصاء وإعمالٍ للفكر من قبل العلماء والخبراء، وملهمة قرائح الشعراء والأدباء.

أ- الحدائق المروانية ودورها في أقلمة النباتات الوافدة: إنَّ المغروسات التي جلبها عبد الرحمن بن معاوية (138- 172هـ/756-788م) من بلاد الشام كانت كفيلة بتدشين أول حديقة مروانية بمُنية الرصافة شمال غربي قرطبة، حيث بنى قصره هنالك، وأحاطه بمختلف النباتات والمغروسات، ويؤكد المقري ذلك بقوله: "ونقل إليها غرائب الغُروس وأكارم الشجر من كل ناحية، وأودعها ما كان استجلبه يزيد وسَفر رسولاه إلى الشام من النوى المختار والحبوب الغريبة"[3]؛ كما لا ننسى فضل أخته أم الأصبغ في انتقال الرمان السفري سابق الذكر الذي كان هدية من طرفها أرسلته إليه من المدينة المنورة، وقيل إنّه ممّا غرسه النبي محمد صلى الله عليه وسلم بيديه[4].

1- النباهي المالقي أبو الحسن علي بن عبد الله الجذامي، تاريخ قضاة الأندلس أو كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفُتيا، تحقيق صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا، ط1، 2006، ص 66.

2- نفسه، ص 66.

3- المقري، نفح الطيب، ج1، ص 467.

4- تحدثت المصادر الأندلسية عن أنواع مختلفة من الزبول والفضلات الآدمية، ودورها في تخصيب الأرض، وتحسين المنتوج الزراعي. ينظر ابن العوام، الفلاحة الأندلسية، ج3، ص255-275/ابن بصال، كتاب الفلاحة، صص49-53/الطغنري، زهرة البستان، صص74-84، ومن الدارسين الذين اختصوا بدراسة الزبول بشكل علمي: شخوم سعدي وقنون حياة، العفونة في البيطرة بين المفهوم الفلسفي والواقع التجريبي، مجلة Bulletin d'etudes orientale ، ع 64، 2016، ص268/موسى الهواري، المرجع السابق.

إنّ العناية التي أحاطها عبد الرحمان بن معاوية مؤسس الإمارة الأموية بالأندلس بهذه النباتات والنُقل والمغروسات أصبحت موردا لسائر جنائن الأندلس[1]؛ فعبد الرحمان بن معاوية كان له فكر اقتصادي في بناء إمارته الفتية التي يعتمد اقتصادها على الزراعة بالدرجة الأولى، وبالتالي تشجيع المهاجرين إليها على الاستقرار؛ وعليه لا يمكن الركون إلى مزاعم المستشرق شاخت لما أشار أنّ تلك المغروسات التي نقلها الأمير الأموي من أقاصي الأقطار إلى موطنه الجديد ما هي في الحقيقة إلاّ حنين إلى الوطن أكثر ممّا كانت مسألة علم اقتصاد من وجهة نظره[2]، مستدلا في ذلك بشواهد هشة لا تخدم البعد الاقتصادي الذي تميز به فكر عبد الرحمان بن معاوية، مُنطلقا بأبيات شعرية نظَمها هذا الأخير في الحنين الذي انتابه لبلاد الشام[3]، يبدو أنّ شاخت ركز على ظرفية الحدث الذي عاشه عبد الرحمان بن معاوية دون أن يأخذ التطورات الاقتصادية التي شهدتها بنية المجتمع الأندلسي، وعليه فعملية استجلاب البذور من بلدان كثيرة مختلفة الأقاليم ومحاولة أقلمتها مع المناخ الأندلسي يُعدُّ مظهرا من مظاهر قوة السلطة الحاكمة[4]، فلو كان فكره محصورا في الجانب العاطفي، لكان اكتفى باستضلال النخلة التي تذكره بموطنه الأصلي[5].

بتطور الحضارة الأندلسية لم يعد الاهتمام بالنباتات الوافدة من جانب عاطفي وجمالي فحسب، بل كان رغبة في مواكبة التطور العلمي وتحسين طرق الزراعة، وفي دراسة قيّمة قام بها الباحث أندرو

1- إبراهيم حركات، النشاط الإقتصادي، ص74.

2- جوزيف شاخت وكليفورد بوزورت، تراث الإسلام، ترجمة: حسين مؤنس وآخرون، عالم المعرفة، الكويت، 1978، ج1، ص 246.

3- من النصوص التي تقر ذلك قول الخشني: " ... فجعل جلساء الأمير من أهل الشام يذكرون الشام، ويتأسفون عليها، وكان فيهم رجل يسمى: سفر، فأخذ من ذلك الرمان شيئا لطف به، وغرسه حتى علق ونما وأثمر، فهو اليوم الرمان السفري، نسب إليه/ الخشني أبو الله محمد بن حارث بن أسد، قضاة قرطبة، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري ودار الكتاب البناني، القاهرة وبيروت، ط2، 1989، ص 53

4- Carlos Gómez de Avellaneda Sabio, Patio de los naranjos : el sahn como imagen del paraiso, Congreso Internacional la Ciudad en al- Andalus y el Magreb, Fundación El legado andalusi, 1999, p 702.

5- قال عبد الرحمن بن معاوية في ذلك: يا نخل أنت غريب مثلي   في الغرب نائية عن الأصل

فأبكي وهل تبكي مكممة   عجماء لم تُطبع على ختل

لو أنها تبكي إذا لبكت   ماء الفرات ومنبت النخل

لكنها دهلت واذهلني   بعض بني العباس عن أهلي/ ابن بشكوال، الصلة، ج1، ص 185.

واطسن (Andrew Watson) الذي درس 18 نبتة وافدة، واعتبرها أساس الثورة الزراعية الإسلامية التي بدأت بعد القرن السادس الميلادي من الشرق الأوسط، ثم إلى شمال إفريقية، إلى شبه الجزيرة الإيبرية وجنوب أوروبا، وارتكز على تقنيات الريّ، والاستعمال المكثف للأسمدة العضوية، والمحاصيل الزراعية الصيفية[1]؛ غير أنَّ هذه الفكرة انتقدت من قبل الباحثين الغربيين كالمؤرخ فرنسوا أوباي (Francois Aubail)، وميكايل ديكَر (Michael decker) الذين انتقدا واطسن (Watson) بشدّة لأنّه أغفل التقنيات الموروثة عن العالم القديم، لأنَّ الزراعة العربية الإسلامية ما هي إلاَّ امتداد زراعي لحضارات أخرى كالإغريقية والرومانية والبيزنطية والبابلية... بفضل عملية الترجمة العربية للعلوم على حدّ قولهما[2].

إنَّ تطوير التقنيات الزراعية لتتناسب والبيئة الجديدة ساهم في وضع نظام زراعي ينتظم عليه المجتمع الأندلسي عموما؛ والفلاحون خصوصا، أرسى قواعده عريب بن سعيد في كتابه الشهير "تقويم قرطبة"، الذي قَنّنَ فيه أنظمة الزراعة بوضع خطط واضحة بمواقيت الزرع وحصاده وفق ما يتناسب مع المناخ الأندلسي، وما يلائم تربتها بحسب المواسم السنوية، وضبطها بفصول السنة وشهورها، وفي ذات السياق لا يمكن أنْ نتجاهل كتابا لمؤلف مجهول موسوم بـ"أوقات السنة"، الذي نحى فيه منحى عريب بن سعد في ضبط مواقيت الغراسة والجني[3]؛ كما زودنا صاحب كتاب "أوقات الغراسة والمغروسات" بطرق وأساليب مهمة عن زراعة نباتات الزينة الأساسية المعروفة في الأندلس آنذاك مثل الآس والورد، والنرجس الأبيض والأصفر، والياسمين والسوسن والنيلوفر[4]، وهو يكمل بذلك المعلومات

1- Marie Pierre Ruas et autres, Regard pluriel sur les plantes de l'héritage arabo-islamique en France médiévale, dans Héritage arabo-islamiques dans l'Europe méditerranéenne, éditions La Découverte, Paris, 2015, p347-348.

2- Idem, p 348.

3- Anónimo Andalusi, Risāla Fi Awqāt Al-Sana, traducción y notas de Angeles Navarro, Consejo Superior De Investigaciones Cientificas, Granada, 1990.

4- Anónimo Andalusi, Kitab fi Tartīb Awqāt Al- Girāsa Wa-l-Magrūsāt, traducción y estudio con glosario de Angel C. López y López, Consejo Superior de Investigaciones Cientificas, Granada, 1990.pp 84-92 .

التي احتواها كتابيْ "تقويم قرطبة" و"أوقات السنة"، ولاتستبعد الباحثة إكسبيراثيون سانشيث أنّه من تأليف كاتب مغمور يُعرف بابن أبي جواد الذي عاش أواخر القرن 10 وأوائل القرن 11م[1].

أصبحت الحدائق الأندلسية ميادين ومخابر بحثية تُضاهي حدائق التجارب في وقتنا الحاضر، تُقام فيها التجارب بوصف المغروسات والنباتات وأشكالها، وطرق تحسينها، وما يتبع ذلك من تسجيل للعديد من الملاحظات التي تخص الآفات الزراعية التي تُصيب هذه النباتات، والطرق الكفيلة بمعالجتها.

لقد شكلت الحدائق السلطانية أرضية خصبة لهذه التجارب والملاحظات، لِمَا فيها من مختلف أنواع الأشجار ونوادر النباتات من مختلف الأقطار؛ فقد كان لعبد الرحمان الناصر حديقة خصصها للنباتات الطبية، أرسل المتخصصين في علوم النبات والحشائش إلى مختلف الأقطار كالشام والعراق وبلاد فارس والهند وبلاد اليمن للبحث عن بذور النبات، كما جلب أنواع من المغروسات الطبية والاقتصادية، وأصناف من الأشجار الغريبة، وضمها إلى هذه الحديقة[2]، لقد انبهر أحد العلماء لما رأى حديقة الحكم المستنصر بقوله: "وأدخلوني إلى بستان الخليفة المستنصر (350-366هـ/961-976م)، فوجدته في الحسن وكأنّه جنّة"[3].

يشير ابن حيان إلى أنَّ الحكم المستنصر امتلك حديقة أخرى وصلته هدية من قبل كبير الفتيان الصقالبة المدعو دُرّي الأصغر إلى الخليفة المستنصر، كان قد بالغ في العناية بهذه الحديقة والنفقة عليها، وزرع فيها مختلف أنواع المغروسات، وغريب الثمار وأنواع الحيوان، وكانت تعرف بالمنية الرمّانية، كان الخليفة المستنصر قد قبل هديته، وعهد إليه بالقيام عليها وكيلا له ومسندا إلى نظره فيها، ثم دعاه لاستضافته في البستان، فسار إليه بحاشيته، وقد أبدى دُرّي من ضروب الضيافة

1- Expiración Garcia, Julia Maria Carabaza, Studies on the agronomy of Al-Andalus, Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée (En ligne) http://journals.openedition.org/remmm/ 6465. DOI :10 .4000/remmm.6465

2- عادل محمد علي، علم الزراعة والنبات من خلال كتاب الفلاحة لابن بصال، مجلة المورد، دار الحرية للطباعة، بغداد، مج6، ع4، 1977، ص203.

3- المقري، نفح الطيب، ج3، ص 528.

والإكرام للخليفة ما عمَّ ذكره، وأجمع من حضر تلك المناسبة على أنهم لم يشاهدوا في المتنزهات السلطانية أكمل ولا أهذب و لا أعم من صنيع دري هذا[1].

وتشير كتب التراجم أنّه كان لهشام المؤيد بالله (366-399هـ/976-1008م) جنة معروفة ببرنالش كان قد وهبها للحاجب المظفر بن أبي عامر، ويؤكد ابن بشكوال بشهادة ابن القزار[2] "أنّ هذه الجنة هي أول أصل اتخذه عبد الرحمن بن معاوية، كان فيها نخلة أدركتها بسني"[3]، ممَّا يؤكد لنا أنّ حديقة عبد الرحمن الأول بقيت متوارثة بين أمراء وخلفاء بني أمية إلى أنْ ذهبت في حوزة العامريين.

إنَّ ظهور مثل هذه النماذج من الحدائق السلطانية الأموية لدليل واضح أنّه كانت هناك تقنيات علمية عالية التطور سبقت الثورة الفلاحية التي تحدث عنها الباحثون في عهد ملوك الطوائف؛ فإنشاء الحدائق في العهد الأموي بمثل هذا الوصف لم يكن بدافع جمالي فقط؛ بل استندت أيضا إلى قواعد وتجارب علمية قلّ التدوين في حقلها، ونستدل ببعض الإشارات التي تدل على ذلك، ومنها "أنّ جعفر المصحفي أهديت إليه رامشنة (باقة) ورد في زمن البرد، فاستغربها"[4]؛ فالمادة المتعلقة بالقرن الرابع الهجري العاشر ميلادي لا تتحدث عن وجود مؤلفات فلاحية مستقلة مشهورة فُقدت، باستثناء ما كتبه الزهراوي في الفلاحة، كون أنَّ هذه الحدائق أُسندت إلى أشخاص لهم المال والنفوذ في حين المعارف العلمية كانت عبارة عن خبرات ممارسة من قبل العمال والفلاحين لا علاقة لهم بالكتابة والتدوين؛ فأصبحت سرّا من أسرار العلوم الشفهية المتوارثة.

ويُحمّل الباحث أحمد الطاهري في معظم كتاباته الخاصة بالفلاحة المنصور بن أبي عامر مسؤولية ضياع تراث العلوم الطبيعية (الفلاحة والنبات والبيطرة) قبل القرن الخامس الهجري التي كانت وثيقة الصلة بالعلوم الحكمية والفلسفة وعلوم الأوائل؛ فإثر هذه الحادثة في حق التراث

1- ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق: عبد الرحمن حجي، دار الثقافة، بيروت، 1964، ص107.

2- ابن قزّاز: هو سعيد بن عثمان بن أبي سعيد بن محمد بن سعيد بن عبد الله بن يوسف بن سعيد البربري اللغوي، يعرف بابن القزاز، ويلقب بلحية الذيل، من أهل قرطبة يكنى أبا عثمان. ابن بشكوال، الصلة، ج1، ص184.

3- نفسه، ج1، ص185.

4- ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1، ص150.

الأندلسي فقدنا قسما كبيرا من الشواهد التاريخية والعلمية التجريبية في الحدائق السلطانية خلال القرن الثالث والرابع الهجريين[1].

فعلى قدر أهمية الطرح الذي قدّمه الطاهري عن حرق المنصور لكتب الفلسفة، وما اكتنزته في طياتها من معارف علمية، غير أنَّ المصادر الأندلسية في حدّ ذاتها لم تولِ هذه الحادثة اهتماما كبيرا، كون أنَّ المنصور بن أبي عامر انصب اهتمامه على حرق الكتب الفلسفية التي تمس الذات الإلهية والعقائد الإسلامية وليس الكتب التي امتزج فيها العلم الطبيعي بالفلسفة؛ فابن عذاري يؤرخ للحدث بسنة 370هـ/980م بشكل عرضي بقوله: "وكان المنصور أشدُّ الناس في التغير على من عَلِمَ عنده شيء من الفلسفة والجدل في الاعتقاد والتكلم في شيء من قضايا النجوم وأدِلتها، والاستخفاف بشيء من أمور الشريعة، وأحرق في خزائن الحكم من كتب الدَّهرية والفلاسفة بمحضر كبار العلماء"[2].

إنَّ مرور المصادر التاريخية على هذه الحادثة بصمت وهدوء ما هو في الحقيقة إلاّ مناورة ثقافية ذات خلفية سياسية تسعى إلى تدعيم الشرعية على حد قول أحد الباحثين[3]، وعليه فلا يَجب أيضا أنْ نتجاهل أحداث الفتنة الأندلسية التي عَتّمت علينا أزهى فترات الإبداع العلمي في الفكر والعلوم؛ فضاعت فيها معظم الخزائن السلطانية، ويشير الباحث بوباية ببيع بعض كتب مكتبة الحكم المستنصر في سوق العامة من أجل الظفر بالكثير من الأموال للقضاء على فتنة البربر[4]، على الرغم من ضياع الكثير من أمهات الكتب في هذه الفتنة إلاّ أننا نجد ابن أبي أصيبعة يصرح بمصادر ابن باجة (ت 529هـ/1138م) في العلوم الفلسفية بقوله: "فإنّ هذه الكتب التي كانت متداولة في الأندلس من

1- يمكن مراجعة الأبحاث العلمية التي تناولت هذا الطرح ونذكر منها: الفلاحة والعمران القروي بالأندلس خلال عصر بني عبّاد والتقنيات الفلاحية الأندلسية بين التراث العلمي المحفوظ والدراسات التاريخية، ضمن كتاب الفلاحة والتقنيات الفلاحية بالعالم الإسلامي في العصر الوسيط، مؤسسة الملك عبد العزيز، دار البيضاء، 2011، ص186-187.

2- ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج2، ص292-293.

3- سعيد بن حمادة، المرجع السابق، ص78.

4- عبد القادر بوباية، البربر في الأندلس وموقفهم من فتنة القرن الخامس الهجري (92- 422هـ/711- 1031م)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2011، ص ص506- 507.

زمان الحكم المستنصر، ومستجلب ما صنف بالمشرق، ونقل من كتب الأوائل"[1]، ممّا يوحي لنا أنّ أمهات الكتب الفلسفية كانت موجودة ومتداولة بالأندلس على العهد الموحدي؛ وبالتالي من غير المعقول أن يُقْدِم المنصور بن أبي عامر الذي عُرف بشغفه بالعلوم على حرق تراث فكري بهذا الحجم كان محفوظا في الخزائن السلطانية.

ب- الحدائق السلطانية بين الإبداع والتجريب من عهد ملوك الطوائف إلى سقوط غرناطة: إنَّ التطور الذي حدث في العلوم التجريبية في مجال الطب والكيمياء والصيدلة ساهم بشكل كبير في تطور علم الفلاحة والنبات القائم على النقد والتجريب، ودحض النصوص التي تتسم بالطابع الخرافي التنجيمي، والآراء المكذوبة والمشكوك فيها، والتصدي لجهلة الفلاحين الذين يقومون على هذه الصنعة، وقد أبان ابن حجاج في مقدمة كتابه بصريح العبارة للشخص الذي كتب له الكتاب بقوله: "...، وكَفَيْتُك الاستمداد بآراء أهل الغباوة من أهل البوادي الذين لا علم عندهم، وعدّلت بك عنهم إلى آراء جِلّة الحكماء وذوي البصارة النُّبلاء؛ فهم القدوة ومَنْ سِوَاهم ليس بِأسوة، فلا تُصغِيَنَّ إلى قول البُله الجُفاة، ورأي أهل الغباوة والعُتاة، ولا تركَنن إلى أقوالهم الساقطة؛ فلن تظفر منهم بفائدة"[2]، لقد كان القرن الخامس الهجري بمثابة القطيعة النهائية للفكر اللاعلمي في علم الفلاحة؛ فزاوج الأندلسيون عملهم بين الحقل التجريبي والعلم التنظيري، واستحق أن يكون مرحلة الثورة الفلاحية الخضراء الأندلسية من حيث التأليف والتطبيق الميداني على حد سواء[3].

ولا نتجاهل بالموازاة ما أفرزه هذا العصر من ثراء فنّي يعكس لنا بيئة عصر الطوائف من حيث واقعه السياسي التنافسي، والارتقاء العلمي والتغير الاجتماعي نحو المبالغة في حياة الترف والبذخ، والإقبال على الكماليات، إضافة إلى توجه سلاطين الطوائف كالمأمون بن ذي النون والمعتمد بن عباد

1- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص472.

2- ابن حجاج الإشبيلي، المقنع في الفلاحة، ص122/ابن العوام، الفلاحة الأندلسية، ج1، ص263.

3- Lucie Bolens, Les méthodes Culturelles au moyen-âge d'apres les traités d'agronomies, tradition et technique, Genève, 1974, p 21/Lucie Bolens, Agronome andalous au Moyen Age, Genève, Droz, 1981, p. 127/Mohamed El Faiz, La révolution agricole dans l'Espagne musulmane est- elle mesurable ?, Histoire et Mesure, N° 3-4, Année 1998, P P. 323- 346 .

والمعتصم بن صُمادح نحو العلوم والمعارف، كل هذا كان له بالغ الأثر على التراث العلمي النباتي والفلاحي الذي أضحى مجالا خصبا للتأليف والممارسة العملية، ظهرت نتائجه جلية في حدائق ومنتزهات ملوك الطوائف، وأضحت ميدانا تطبيقيا لها.

وكشف لنا التراث الزراعي مادة غزيرة عن تقنيات البستنة الأندلسية بتظافر جهود خبراء تخصصوا في مجالات مختلفة كالطب والنبات والفلاحة، وأضحت التجربة والملاحظة الدؤوبة للعمل الفلاحي أساس هذه العلوم؛ فمن أشهر الحدائق النباتية عهد ملوك الطوائف الحديقة الصُمادحية التي كانت لأمير المرية المعتصم بن صُمادح (443-484هـ/1051-1091م)، وتميزت هذه الحديقة الواقعة خارج قصره بوفرة النباتات النادرة، وفي ذلك يقول العذري (ت 478هـ/1085م): إنَّه "بنى بخارج المرية بستانا وقصورا مُتقنة البنيان، وجلب إليها من جميع الثمار الغريبة وغيرها، ففيها من كل غريب مثل اللوز الكثير وقصب السكر وأنواع سائر الثمرات ممّا لا يقدر على صفته، وفي وسطه بحيرة عظيمة عليها مجالس مفتحة مفروشة بالرخام الأبيض، ويسمى ذلك البستان بالصمادحية، وهو قريب جدا من المدينة، وقد اتصل به بساتين كثيرة تقرب من صفتها"[1].

ويتضح لنا من خلال الوصف الذي قدَّمه العذري عن هذه الحديقة أنّها كانت تقوم على مؤهلات علمية بإشراف خبراء وعلماء مختصين، وكانت لهم رحلات علمية في سبيل توفير نوادر النباتات والمغروسات، ويُعدُّ فرج العريف أحد القائمين على هذه الحديقة الذي لا نعرف عن أخباره شيئا باستثناء ما ورد عند الطغنري الذي صرّح باسمه عَرَضًا[2].

ومن الحدائق السلطانية أيضا جنّة السلطان التي كانتْ مِلكًا للمأمون بن ذي النون[3]، وتعرف أيضا ببستان الناعورة، وهي تُحيط بقصر بن ذي النون، وهي موجودة بين القنطرة والتاج[1]، وفي ذلك

1- العذري، نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار، ص 85.

2- زهرة البستان و نُزهة الأذهان، ص278.

3- **المأمون يحيى بن ذي النون**: ينتمي إلى عهد ملوك الطوائف، حكم طليطلة (435- 467هـ/1034-1074م)، قضى فترة حكمه في حروب متواصلة مع خصومه من سلاطين الطوائف تارة: مع بني هود حكام سرقسطة وتارة مع بني عباد حكام إشبيلية، وتارة مع بني الأفطس

يقول المقري: "إنَّ المأمون بنى قصره، وأنفق عليه أموالا كثيرة، وصنع فيه بُحيرة، وبنى في وسطها قبة حوالها محيطا بها؛ فكانت القبة في غلالة من ماء ينسكب لا يفتر، والمأمون قاعد فيها لا يمسه من الماء شيء"[2]؛ وقد أشرف على غرس هذه الحديقة ابن وافد الأندلسي (ت 467هـ/1075م)، وأجرى مختلف تجاربه العلمية على مختلف النباتات الجديدة، وتعويدها على المناخ الأندلسي بحكم ممارسته الطب، وألف مجموعا مفيدا في الفلاحة[3]، ليواصل العمل بهذه الحديقة ابن بصال الأندلسي، وأنتج لنا ثمرة بحثه في هذه الحديقة كتاب ضخما يُعرف بـ"القصد والبيان"، ويبدو أنَّ الكتاب اختصر في كتاب أخر يُعرف بكتاب الفلاحة.

لا نملك معلومات عن مصير هذه الحديقة بعد سقوط مدينة طليطلة سنة 478هـ/1085م في يد القشتالي ألفونسو السادس[4]، وإن كانت المراجع الأثرية أشارت إلى أنّ هذا القصر طالته أيدي التخريب من وقت لآخر، ولم يبق منه إلاَّ بعض الآثار التي تقع وسط السهل الخصيب إلى الشرق من المدينة على

حكام بطليوس، عُرف عن المأمون بثرائه الفاحش وبنائه للقصور، وكان صديقا لألفونسو السادس واستقبله في قصرة لمدة تسعة أشهر استغل فيها كشف عورات وثغرات طليطلة. المقري، نفح الطب، ج1، ص440.

1- ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1959،ج2، ص 10.

2- المقري، المصدر نفسه، ج1، ص 528.

3- ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج2، ص286/خوسي ماريا مياس بيكروسا، علم الفلاحة عند المؤلفين العرب، تعريب عبد اللطيف الخطيب، مطبعة المخزن معهد مولاي حسن، تطوان، 1957، ص35.

4- نود أنْ نُنبّه إلى أنّ هناك لبس واضح من قبل بعض الباحثين لما زعموا أنَّ حديقة جنة السلطان بعد سقوط طليطلة قد حافظ عليها القشتالي مياس فاليكروسا المعاصر لابن وافد، وقد تردد هذا الخطأ وتناقلته العديد من الدراسات كدراسة محمد الأمين بلغيث، نظرات في تاريخ الغرب الإسلامي، دار الخلدونية، الجزائر، ط1، 2007، ص99/محمد هشام النعسان، قصور وحدائق الأندلس العربية الإسلامية (دراسة تراثية، أثرية، عمرانية، جمالية)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2017، ص440، ومن المعروف أنَّ خوسي ماريا مياس فايكروسا (Jose Maria Vallicrosa) هو مستشرق إسباني متأخر من مواليد 1897م، وتوفي ببرشلونة سنة 1970م، أتقن اللغة العربية والعبرية، وشغل منصب أستاذ كرسي الدراسات العبرية بجامعة مدريد سنة 1927، ثم انتقل إلى جامعة برشلونة، واستقر فيها لغاية تقاعده، انصب اهتمامه على المخطوطات العربية و العبرية واللاتينية التي تندرج في تاريخ العلوم في الإسلام، ومن أهم أعماله "بحث في تاريخ الآراء الفزيائية والرياضية في قطالونية في العصر الوسيط، ودراسات عن الزرقالي، و"هو الذي كشف عن مخطوطتين في الفلاحة: واحدة لابن وافد و الأخرى لابن بصال، لم يشر إليهما كارل بروكلمان في تاريخه. يُنظر كتاب الفلاحة لابن بصال، مقدمة المحقق، ص11/عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1993، ص389.

ضفاف نهر تاجة، ويُطلق الإسبان على هذه الآثار قصر جليانا (Giuliana)[1]، وإثر خسارة هذه المدينة رحل ابن بصال إلى إشبيلية، ودخل في خدمة حاكمها المعتمد بن عباد (431- 488هـ/ 1040- 1095م)، وأنشأ له حديقة تُضاهي حديقة المأمون خُصصت أجزاء كبيرة منها في إجراء التجارب، ويشير الباحث أحمد الطاهري إلى أنّ هذه الحديقة أصبحت تُعرف في العهد المرابطي بمعرس السلطان[2]، ويُضيف أيضا في ذات السياق أنّه تحول اسم جنة السلطان في العهد الموحدي إلى اسم "بَحيرة" بفتح الباء على غرار بحائر مراكش، مؤكدا على خطأ تناقله الباحثون معتقدين أنّها "بُحيرة"[3].

كما ظهرت عدة حدائق في مختلف المدن الأندلسية نافست الحدائق السلطانية، وتغنى بها الشعراء في مختلف المناسبات، وأتى على ذكرها المؤرخون والجغرافيون كمُرسية التي أحدقت بها الجنات والأنهار حتى سميت بالبستان[4]، ومدينة غرناطة التي كانت أراضيها كلها عبارة عن جنات ومتنزهات تسرّ الناظرين[5]، ومن أشهر جناتها حور مؤمل الذي كان من أجمل متنزهات غرناطة وأشرفها وأظرفها[6]، سمي بذلك نسبة إلى مؤمل أحد خدام ملك غرناطة باديس بن حبوس الذي غرس مجموعة كبيرة من أشجار الحور[7] فنسب إليه، ولم يشتهر هذا المكان إلاّ في بداية القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي)، بنمو أشجار الحور التي أصبحت مظلا لأهل غرناطة في ذلك الوقت[8]، كما خصص

1- محمد هشام النعسان، قصور وحدائق الأندلس، ص234.

2- ابن ليون التجيبي، اختصارات من كتاب الفلاحة، تحقيق أحمد الطاهري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، مقدمة المحقق، 2001، ص15.

3- نفسه، ص15.

4- المقري، نفح الطيب، ج1، ص 164.

5- من أسماء الجنّات التي أتى على ذكرها ابن الخطيب لهذه المدينة: جنّة فدّان المَيّسة، والجنة المعروفة بفدان عِصام، والجنة المعروفة بالمعروي، والجنّة المنسوبة إلى قدّاح سحنون، والجنّة المنسوبة لابن المؤذّن، و الجنّة المنسوبة لابن كامل، وجنّة النخلة العليا، وجّنة النخلة السفلى، وجنة ابن عمران، وجنّة الجُرف، ومدرج نجد، ومدرج السّبيكة. ابن الخطيب، الإحاطة، المصدر السابق، ج1 ص26.

6- نفسه، ج1، ص26.

7- **شجر الحور:** هو على نوعين، والحور الرومي هو المعروف بالأندلس ويُعرف بالجوز، وشجره أزواج وفيه مشابهة من الجوز، وله قشر أصفر تبطن به القسّي يُعرف بالبرد، وله صمغة ذهبية، وقشره إذا وضع مع عيدانه. ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج1، ص 304.

8- ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ص26. مريم قاسم طويل، مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر (403- 483هـ/1012-1090م)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1994،ص 35.

بعض أعيان الأندلس حدائقهم للتأمل والمناظرات العلمية كالحديقة التي كانت تُنسب إلى الوزير موسى بن رزق (ت 560هـ/1165م)[1]، فكان "له بستان بهم لجلوسهم ومناظرتهم، ولهم في ذلك البستان أوصاف عجيبة ومعان مخترعة"[2]، ومن مخلفّات بني الأحمر في غرناطة آخر معقل للمسلمين جنة العريف (Generalife) التي أبدع الشعراء في وصفها، ومن ذلك قولهم:

لِلّه جَنَّات العَرِيف فإنّها فيها المَفَارِقُ والفَوارِقُ تُصفقُ[3]

إنَّ التراث الحدائقي الذي خلّفه الأندلسيون لم يُسجّل في مصنفات علمية خاصة به، غير أنّنا نستقي بعض التجارب الفلاحية التي رادفت التقنيات العلمية الحديثة المستعملة في يومنا هذا، ومن بعض مصادر الفلاحة الأندلسية التي وصلت إلينا "كتاب الفلاحة" لابن بصّال (ق 5هـ/11م)، و"كتاب المقنع في الفلاحة" لابن الحجّاج (كان حيا سنة 464هـ/1071م)، و"زهرة البستان" للطغنري (كان حيا سنة 494هـ/1102م)، و"الفلاحة" لابن العوّام (ت 580هـ/1185م)، ومصادر أخرى تسدُّ فراغات البحث.

تكمن أهمية هذه المصادر في أنّها حفظت لنا بعض التجارب النباتية التي كانت تُجرى في الحدائق الأندلسية، ويُعدُّ ابن بصّال أبرز رواد الحقل التجريبي في العصر الوسيط في ميدان الفلاحة والنبات؛ اللذين يشتركان في الأصل ويختلفان في الكيفية؛ فقد كانت لهم تجارب حثيثة في أقلمة النباتات الهندية التي يصعب أقلمتها مع المناخ الأندلسي للبون الشاسع بينهما في الظروف المناخية، ومن تجارب الطغنري التي لم تُجْدِ معه زراعة نبات خيار شنبر[4] ونبات المخيطا[1]، وفي ذلك قال: "هذان النبتان لا

1- **موسى ابن رزق**: هو الوزير أبو عمران يحي بن محمد بن رزق من أهل ألمرية، نزل سبتة، وكان من الذين أحيوا حركة رواية الحديث في سبتة، توفى سنة 560هـ/1165م. أبو عبد الله بن عسكر و أبو بكر بن خميس، المصدر السابق، ص207.

2- نفسه، ص207.

3- ابن زمرك، المصدر السابق، ص263.

4- **نبات الخيار شنبر**: يسمى البكتر الهندي، شجر في حجم الخرنوب الشامي لونا وورقا، ويُركب فيه، لكنه لا يُنجب إلاّ في البلاد الحارة، له زهر أصفر إلى بياض يزداد بياضه عند سقوطه، ويُخلف قرونا خُضرا تطول نصف ذراع داخلها، رطوبة سوداء وحبّ كحب الخرنوب، يُستعمل بعد سنة من قطفه، ولا ينزع قشره إلاّ عند الاستعمال. الأنطاكي، تذكرة أولي الألباب، ج1، ص 356.

يكونان بوجه في البلاد الباردة، وإنما يكونان في البلاد الحارة"[2]، ويبدو أنَّ المداومة على التجربة ومراقبة تطوراتها ودراسة عللها، أثمرت أصعب النباتات الهندية في النمو بحديقة المأمون بن ذي النون كنبات الإهليلج الأصفر[3]؛ الذي رأى منه أبو خير الإشبيلي ثلاث حبات في جنة المأمون بإيعاز من شيخه ابن اللونقة (ت 499هـ/1105م)[4].

ومن أبرز التقنيات المتطورة آنذاك، وتستحق الوقوف عليها في الباب الخامس العشر من كتاب الفلاحة لابن بصال المتعلق بزراعة الرياحين ذات الأزهار؛ فقد وصف ابن بصّال بمنتهى الدقة العلمية كيفية جعل الورد يُزهر مرتين في العام (في فصلي الربيع والخريف)، ويبدو أنّها كانت طريقة معروفة بشكل محدود أو كانت في مراحل التجريب خلال القرن الرابع الهجري، ونستدل بالنص سابق الذكر الذي يعود لفترة القرن الرابع الهجري عن دهشة الحاجب المُصْحفي لاستقباله باقة ورد زمن الشتاء، غير أنّ ابن بصّال أفشى أسرار هذه الصنعة، وأصبحت متاحة للعام والخاص، وذلك بأنْ يُعطّش الورد طوال فترة الحر؛ أي يترك بدون سقي أيام الصيف؛ فإذا بدأ شهر غشت (آب أو أغُسْطس) سُقي بالماء، وأكثر عليه مرة تلو الأخرى، بذلك يُزهر ورده في فصل الخريف، ولا يختلف بشيء عن ورد الربيع[5]؛ فإزهار الورد للمرة الثانية في فصل الخريف ما هو في الحقيقة إلاّ حيلة بإحياء جديد للنبات المزهر بالماء بعد طول جفافه؛ فيصبح إنباته مشابها للمرحلة الأولى.

كما كانت لهم تجارب عديدة في تغيير ألوان الورد الأصلية إلى ألوان أخرى؛ حيث حصلوا على اللون البني واللازوردي والأسود والأصفر، وذلك بتزويد عروقها بخليط مكون من مسحوق الزعفران

1- **المخيطا:** يقصد به نبات الدبق بالعربية، ويعرف بالفارسية باسم سبستان التي تعني أطباء الكلبة، وهو شجرة تعلو على الأرض نحو القامة، لها خشب، لون قشرها إلى البياض، وأغصان قشرها إلى الخضرة، ولها ورق مدوّر كبار، ولها عنب وعناقيد طعمه حلو، وعنبه في قدر الجلوز ثم يصفر ثم يطيب، وفي داخله لزوجة بيضاء تتمطط، وحبه كحب الزيتون، يُجمع ويُجفف حتى يصير زبيبا وهو المستعمل. ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج3، ص5.

2- الطغنري، زهرة البستان ونزهة الأذهان، ص 320.

3- **الإهليلج الأصفر:** هو نوع نبات الإهليلج الذي فيه أربعة أنواع: الهندي والأسود والكابلي كالبلح والأصفر كالتمر، وتنمو كل شجرة بمفردها، وأكثرها نفعا في الطب الكابلي والأصفر، تنفع في إسهال الصفراء، وفتح السدد وشدّ المعدة، ومن خواصه المجرّبة إذابة المعادن بسرعة خصوصا الحديد. الأنطاكي، تذكرة أولي الألباب، مج1، ص155.

4- أبو الخير الإشبيلي، عمدة الطبيب، ج1، ص 77،78.

5- ابن بصال، الفلاحة، ص 164.

والماء للحصول على اللون الأصفر؛ أو مسحوق النيلج مع الماء للحصول على اللون اللازوردي[1]، كما برع أهل الأندلس في مجال التطعيم أو ما يُعرف ب"التركيب"[2]؛ فجاءت ثمارهم حسنة الطعم وغريبة الشكل، لقد اختصت طليطلة من ضروب التركيب والفلاحة ما تَفْضُلُ به عن غيرها[3]، إذ يؤكد ابن بصال أنّه لا يصح تطعيم شجرة بشجرة من غير جنسها؛ فابن بصّال يحرص أن تكون عمليه التطعيم من نفس النوع والفصيلة من أجل تحسين نوعية المنتوج والثمار[4]، ممّا يؤكد على المعرفة المبكرة بجنس النبات وفصيلته؛ أي المجموعة النباتية التي تنتمي إلى فصيلة واحدة بناء على وظائفها الفيزيولوجية، كما ركز أهل الفلاحة على الجو المعتدل للتركيب أو التطعيم[5]؛ فلا يصح في أيام البرد الشديد أو الحر الشديد[6]، ويُقدم لنا ابن الحجاج قائمة أشجار الفواكه التي تستجيب للتطعيم، وما يناسبها من الأصل أو الطعم؛ فالتين يُركب في الفرصاد (التوت)، والتفاح يُركب في الكمثرى والسفرجل والرمان[7]، والأترج إذا ركب في الفرصاد أو الرمان اكتسب لونا أحمرا حسنا[8].

وتحدثت المصادر التاريخية عن غريب الثمار التي أنجبتها أرض الأندلس، وعن ضروب جديدة من أنواع الفواكه نتيجة تفننهم في طرق التطعيم، كحديث ابن سعيد المغربي عن النارنج المركب من لونين نصف أحمر والنصف الثاني الأخضر[9]، كما حصلوا على الخوخ من دون نوى إذا ركب في شجرة

1- ابن العوام، الفلاحة الأندلسية، ج3، ص457/الطغنري، زهرة البستان، ص237- 238.

2- يشرح لنا ابن الحجاج طريقة التطعيم أو ما يُعرف بالتركيب أيضا بقوله: "كل شجرة غليظة اللحاء ذات رطوبة، فَتُطَعّمها بين اللحاء والساق، وذلك أن تتخذ وتدا صغيرا من خشبة صلبة، وتُوَتِّده بها بين لحا الشجرة وعودها برفق لئلا ينشق اللحاء، ثم تسل الوتد، وتُنسب في موضعه القضيب. ابن حجاج الإشبيلي، المقنع في الفلاحة، ص46.

3- ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب ، ص 09.

4- ابن بصال، الفلاحة، ص91.

5- **التطعيم**: هو عبارة عن تركيب جزء من الساق يحتوي على برعم واحد أو عدة براعم في نبات آخر؛ فيحدث بينهما التحام، ويسمى الجزء الذي تمَّ تركيبه بالطعم والجزء الذي تم التركيب عليه بالأصل. منصور عبد الحليم الذبحاني وآخرون النبات، وزارة التعليم الفني والتدريب المهني، اليمن، ط1، 2010، ص72.

6- ابن ليون التجيبي، اختصارات من كتاب الفلاحة، ص94.

7- ابن حجاج الإشبيلي، المقنع في الفلاحة، ص46.

8- نفسه، ص47.

9- ابن سعيد المغربي، رايات المبرزين، ص114.

الصفصاف[1]، ومن بين المجربات التي لقيت استحسانا ورواجا واسعا في بلاد الأندلس غرس الرمان والعنب من دون نواة، وقد جربت هذه الطريقة، وصحّت مرارا عند أهل الأندلس[2]، كما ذكر ابن سعيد المغربي أنّ في طليطلة شجرة تكونت من أنواع مختلفة من الثمار[3]، إنَّ هذا النص يعكس لنا جليًّا أنَّ الأندلسيين لم يكتفوا بتحسين مردود إنتاج محاصيلهم الزراعية، وتحسين نوعية نباتاتهم فقط، وإنما بلغت غايات التطعيم أقصى درجات الترف الحضاري، ومن يتمعن في كتابي ابن بصّال وابن العوام في ضروب التطعيم سيُدْرك ذلك.

لم يقتصر الأندلسيون على تحسين نوعية ثمارهم، والحصول على أنواع الغريب منها فقط، بل تجاوز الأمر إلى إكساب النباتات والثمار خواص طبية، ولم يبخل علينا أبو الخير وابن العوام بتفاصيل الكيفية التي يُعمل بها بقولهما: "وإذا أردت أن يكون العنب عطِرا أو شديد الحلاوة، أو يكون مُسهِلا أو ترياقا، أو يكون فيه طعم أحد الحبوب الحُلوة، كحبوب الفواكه الحلوة الطيبة، أو ما يُشبه ذلك؛ فتأخذ قُضبا مختارة من عنب مُثمر؛ أي لون شئت؛ فتشق قضيبه نصفين على طوله إلى آخر ما يوازي الأرض منه"[4]، ويبدو أنّ هذه التجربة لم تكن من بين تجارب الإستظراف فحسب؛ بل شاع استعمالها عند أطباء الأندلس؛ حيث تفيدنا المصادر التاريخية "أنَّ أمير المسلمين عبد المؤمن بن علي أحتاج إلى شرب دواء مسهل، وكان يكره شرب الأدوية المسهلة؛ فتلطّف له ابن زهر في انتهاج هذه الطريقة؛ فأتى إلى كرمة (شجرة عنب) في بستانه، وجعل يسقيها بماء أكسبه قوة أدوية مسهلة بنقعها فيه أو بغليانها معه، ولما تشربت الكرمة قوة الأدوية المسهلة أخرجت عنها مكتسبا تلك القوة...؛ فلما أكل منه عشر حبات قال: يكفيك يا أمير المؤمنين؛ فإنك قد أكلت عشر حبات عنب، وهي تخدمك عشر مجالس،

1- ابن حجاج، المقنع في الفلاحة، ص47.
2- ابن العوام، الفلاحة، ج3، ص455/أبو الخير الإشبيلي، الفلاحة، ص32.
3- ابن سعيد المغربي، المُغرب في حلى المغرب، ج2، ص9.
4- ابن العوام، الفلاحة، ج3، 453/أبو الخير الإشبيلي، الفلاحة، ص32.

وحينئذ اختبره عن ذلك؛ فأخبره بجلية الأمر، وقام فكان الأمر على ما قال له ووجد الراحة"[1]؛ فابن زهر أول طبيب تجرأ على نقل هذه التجربة إلى الميدان التطبيقي في شخص الخليفة بمضاعفة خاصية الإسهال للعنب، وذلك بسقي كرمته بماء ممزوج بأدوية مسهلة ممّا أحدث في علم خواص النبات تجديدا محسوسا؛ فإضافة المفعول الدوائي والعلاجي للنبات يُعد سبقا علميا تشرفت به بلاد الأندلس.

كما عَمد أهل الأندلس إلى غرس نباتات طبية في بساتينهم لتكون أدوية حاضرة لهم كنبات حب الضُّراط الذي يغرس في المنتزهات والدور لحسن منظره وفائدته في عمل الإسهال[2]، ومن أشجار الزينة شجر الزادرخت[3] الذي اتخذ لتزيين البساتين، وقد يُتصرف به في العلاج، وليس له ثمر يؤكل، وله حب يشبه حب الفستق[4].

ويُشير الباحث عادل محمد علي أنّ ابن بصال قد حفظ لنا نظريات زراعية تتطابق تماما مع النظريات الزراعية الحديثة كحديثه عن الخضروات إذا دُفنت في الأرض خضراء كانت سمادا وغذاء نافعا للأرض، وهو ما يُعمل به في الوقت الحاضر إذ تُستخدم بعض بقايا الخضر وبعض المحاصيل الحقلية في تسميد الأرض وزيادة خصوبتها[5]، ويبدو أنّ ابن بصّال قدم الكثير من المعارف العلمية في هذه الحديقة الغنّاء نستشفها من خلال تجاربه التي دونها في كتاب الفلاحة.

كما ركزت كتب الفلاحة الأندلسية على مسألة سلامة جنين البذرة الذي يعتبر ركيزة النمو حين نقله من موضع إلى آخر على الرغم من عدم امتلاكم وسائل متطورة، وفي ذلك يقول ابن العوام: "إنَّ

1- ابن أبي أصيبعة، نفس المصدر، ص476-477.

2- أبو الخير الإشبيلي، عمدة الطبيب في معرفة النبات، ج2، ص627.

3- **شجر الزادخرت: أو ازاذدرخت:** هو شجر عظيم الخشب كثير الفروع، وثمره يشبه ثمر الزعرور في لونه وخلقته، ويكون في عناقيد مخلخلة، ونواه أيضا يشبه نوى الزعرور في لونه وخلقته، ورقه تستعمله النساء ليطولن به شعورهن، وأطراف أعصانه إذا عصرت رطبة وشرب ماؤها بالعسل وبالطلاء المطبوخ نفع من السم القاتل وعرق النسا واسترخاء الأنثيين، ويدر البول والطمث ويحل الدم الجامد في المثانة غير أنّ ثمرته رديئة للمعدة وربما قتلت. ابن البيطار، الجامع لمفرادات الأدوية والأغذية، ج1، ص31.

3- الطغنري، زهرة البستان، ص312.

5- محمد علي عادل، المرجع السابق، ص204.

الغرورس إذا نقلت من مواضع بعيدة كثيرا ما تضمد؛ أي يلحقها الضرر، ولهذا صار بعض الناس يستعملون الغروس من البذور على هذا النوع، وهو أنّه إذا نضجت الثمرة في شجرتها ينشرون بذورها، ويجففونها ثم يزرعونها، وينبغي أنْ لا يجف في الشمس لكن في الظل"[1].

إنَّ ما ذكره ابن العوام عن تجفيف البذور في الظل يدل على المعرفة العلمية الجيدة التي توصلَّ إليها علماء الفلاحة العرب، إذ تُساهم هذه الطريقة في الحفاظ على الجنين حيّا وقادرا على الإنبات على حين تُسبب أشعة الشمس وحرارتها تثبيط قدرة الجنين على الإنبات وإلى موته، وعدم إنباته في درجات الحرارة المرتفعة[2]، كما تفطنوا أيضا إلى مسألة البذور، وغرسها في القدور والأجاجين احتياطا عليها عند نقلها إلى مكان آخر، وفي ذلك يقول ابن العوام: "وذلك أنّه إذا حان وقت تحويله، حفرت الحفرة له، وأنزلت القدور فيها بالنقلة المغروسة في ترابها؛ فإذا أُنزِلَتْ كُسِرَتْ القدر كأنها جوزة"[3].

ج- النظام الهندسي للحدائق الأندلسية: توفر كتب الفلاحة الأندلسية بعض التقنيات الحقلية المستخدمة في نظام الحديقة الأندلسية، حيث حَرصَ أهل الأندلس على أنْ تكون حدائقهم قريبة من المساكن التي يقطنونها، بهدف تنقية الجو والتمتع بالهواء الصافي، ويؤكد ذلك أهل الفلاحة بقولهم: "إذا أردت أنْ تختار بُستانا؛ فاختر له موضعا صالحا وماء رويا، وليكن قريبا من مساكن الناس منها مصحة لهم"[4]، كما أحاط أهل الأندلس حواشي حدائقهم بالأشجار الطوال الباسقة، لتشكل بذلك مصدًّا منيعا، تقي بذلك النباتات المزروعة في داخل الحديقة من الرياح والصقيع، وقد أوضح أهل الفلاحة أيضا أنواع الأشجار التي تصلح لذلك بقولهم: "واجعل غرس الأشجار الطوال مع حائط

1- ابن العوام، الفلاحة الأندلسية، ج2، ص 13.

2- أحمد حلوبي، طرق إكثار الأشجار المثمرة عند العرب، أبحاث الندوة العالمية السادسة لتاريخ العلوم عند العرب، منشورات معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب، سوريا، 2003، ص118.

3- ابن العوام، الفلاحة الأندلسية، ج2، ص13.

4- ابن حجاج الإشبيلي، المُقنع في الفلاحة، ص35/أبو الخير الإشبيلي، الفلاحة،ص38.

البستان حتى تدور بنواحيه؛ فإنه أحسن كالدلب والسرو والصنوبر، والصفصاف والجوز والبندق، وما أشبه ذلك"[1].

وما يُميّز الأشجار التي ساقها لنا ابن الحجاج أنها تتصف بالأشجار القوية دائمة الخُضرة التي لها خاصية رد الرياح القوية والجافة المحملة بالغبار والرمال، فضلا عما تكسبه هذه المصدات من بُعد جمالي للحدائق والبساتين وتوفير الظل، كما أنَّ مصدّات الأشجار عموما والأشجار الأخرى لها قانون خاص تنتظم عليه وتسير به، ويرى ابن العوام أنّه "ينبغي أنْ تكون الأبعاد التي بين الغروس متساوية من كل جهة ليَسْلُس دخول الهواء إليها"[2]، ولعلّ الفائدة المرجوة من هذه الفروج والفراغات عدم إصابة هذه الأشجار بالتعفن والخمج، وتنال الثمار حاجتها من النمو والحرارة وأشعة الشمس، وهي طريقة لها أساسها العلمي إلى يومنا هذا؛ فالأشجار هي بمثابة مصفاة طبيعية للغبار والملوثات الجوية، ولها دور كبير في تسهيل تسرب الماء داخل التربة، كما أنها تحافظ على خصوبتها، وتثبت التربة من عملية الانجراف[3]، كما أنّ كثافة الأشجار لها فائدة طبية على المجتمع؛ فهي تفرز كمية من الزيوت الطيّارة المُضادة للجراثيم الدقيقة مثل أوراق الصنوبر[4].

ومن الأمور التي نبَّهَ وركزّ عليها ابن العوام في عملية تصميم الحدائق مسألة ترتيب غرس الأشجار المتشابهة والمتشاكلة في الشكل، وليس الهدف من هذا الترتيب إضفاء بعد ونسق جمالي للحديقة فحسب، وإنّما قدّم لنا تفسيرا علميا ينم على الاحتراف العملي، وحضور التفكير العلمي بقوله: "إنّ الأشجار الباسقة واسعة الظل إذا جاورت الأشجار اللطيفة وأظلّت عليها، أضرّت بها، وأذهبت قوَّتها"[5]، كما ساهمت الأسوار النباتية في الأندلس بشكل كبير في حجب المناظر غير المرغوب فيها، وتجلى ذلك في

1- ابن حجاج الإشبيلي، المصدر نفسه، ص35/أبو الخير الإشبيلي، المصدر نفسه، ص39.

2- ابن العوام، الفلاحة الأندلسية، ج2، ص 23.

3- Alatou M. H Ben Derradji, H. Megoura: La foresterie urbaine, l'environnement en Algérie, Ouvrage collectif, Laboratoire d'étude et de recherches sur le Maghreb et la méditerranée, Université Montouri, Constantine, 2001, p125.

4- تواتية بودالية، الحديقة الأندلسية، مجلة عصور، مخبر مصادر وتراجم، جامعة وهران1، ع24-25، 2015، ص57.

5- ابن العوام، الفلاحة الأندلسية، ج1، ص559.

حديقة الأميرات بمدينة الزهراء، والتي تقع ضمن جدران تغلقها بصريا وفزيائيا عن المحيط؛ حيث كان الجدران يمنع النظر من داخلها لخارجها[1].

إنّ الحديقة الأندلسية تعدّ أنموذجا حيّا للتجربة الأندلسية في ميدان العلم بكلّ فروعه، وصرحا شامخا يشهد عليه التاريخ في احترام وتقدير الإنسان الأندلسي للطبيعة التي وهبها الله لهم وحباهم بها.

رابعا _أنواع الصناعات النباتية ببلاد الأندلس:لقد أدرك الأندلسيون قيمة ما مَنَحتهم الطبيعة من ثروات طبيعية؛ فعمدوا إلى استغلالها في مختلف المجالات ومنها نذكر:

1- الصناعات الغذائية: إنَّ النظام الغذائي الذي كان سائدا في بلاد الأندلس لم يخرج عن المألوف عند المسلمين؛ فقد كان يعتمد على ما تُنتجه الأرض من حبوب الحنطة والبقول والفواكه والخضروات، فضلا عن اللحوم والأسماك والألبان.

ولعلَّ أقدم كتاب أندلسي ظهر في علم الأغذية هو لعبد الملك السلمي الإلبيري (ت 253هـ/ 867م)، الذي اعتنى فيه بخصائص الأغذية، وذكر منافعها ومضارها، وعالج التغذية بمفهوم شرعي سار فيه بمنهج السنة النبوية، ومنها أيضا كتاب "الطبيخ" لمؤلف مجهول[2]، وكتاب "فُضالة الخِوان في طيبات الطعام" لابن رزين التجيبي[3]، وقد اهتمّ أصحاب هذه المؤلفات بحفظ وتدوين وصفات تعكس التنوع الغذائي والانفتاح الثقافي على العالم الإسلامي المتعدد بأجناسه؛ فكتب الطبيخ لا تعكس العصر الذي جُمعت فيه فحسب، وإنّما هي حصيلة تقاليد سابقة ومستمرة قد يدركها التطور

1- تواتية بودالية، المرجع نفسه، ص70.

2- مجهول، كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين، تحقيق أمبروزيو أويثى ميراندا، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، مج 9 و10، 1961- 1962.

3- ابن رزين أبو الحسن علي بن محمد التجيبي، فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان، تحقيق محمد بن شقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط3، 2012.

والتجديد على حد قول أحد الباحثين[1]، وسنتعرف فيما يلي على أهم مأكولات الأندلسيين ممّا أنجبته أرضهم ممّا طاب من حنطة وبقول وخضر وفواكه.

أ- صناعة الأخباز والمعجنات: جرت العادة في المجتمع الأندلسي على صنع الخبز من حبوب الحنطة (قمح وشعير) بعد طحنها؛ فيتحصلون على دقيق؛ وقد اهتمت كتب الجغرافيا بمناطق انتشار الأرحاء والمطاحن في مختلف المدن الأندلسية؛ فأهل مُرسية ابتكروا طريقة تجليس الأرحاء على ظهر المراكب، والانتقال بها من موضع إلى آخر[2]، وأفضل الأخباز خبز الحنطة على حدّ قول الرُندي: "خبز الحنطة المختمر[3] الذي يطبخ في التنور[4]؛ فالبُرّ أفضل أنواع الحنطة وأشرفها وأجودها في توليد الدم وتخصيب البدن وتنميته[5]، لذلك كان الأندلسيون لا يستغنون عن الخبز في موائدهم.

لقد أدرك الأندلسيون الأهمية الصحية للخبز المختمر، لذلك كانوا يحرصون على عرك الخبز جيدا مع إضافة الخمير، وعجنه حتى يستوفي حقه ويظهر التئامه، وعند طبخه يكون شبيها بإسفنج البحر في التخلل، يصلح للناس جميعا الأصحاء والمرضى[6]، وقُصارى القول إنَّ الخمائر (ferment) تُحدث تغييرا في بناء وقوام العجين نتيجة خطوات بيولوجية علمية؛ فهي تزيد من القيمة الغذائية

1- إبراهيم شبوح، المائدة في التراث العربي الإسلامي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، 2004، ص42.

2- عزّ الدين عمر موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 2003، ص237.

3- من الأهمية بمكان أن نتحدث على تاريخ الخميرة أو ما يُعرف علميا الخمائر (ferment)، أو ما يُعرف بالعجين الحامضي في إنتاج الخبز التقليدي، كان ببساطة عبارة عن قطعة من عجين تؤخذ من عملية خبز سابقة، وتُخلط مع الدقيق والماء والملح لينتج بعد ذلك عجين مُختمر، أثناء تخزين هذه القطعة قبل استعمالها، تُنشط حامض لاكتيك التي كانت متواجدة أصلا في الدقيق، وقد أوجد هذا النوع من الخبز المصريون منذ حوالي 3000 سنة ق. م، وقد تعلم العبرانيون كيف يصنعون الخبز من العجين الحامضي عندما كانوا في مصر، ولكنهم لم يستطيعوا أخذ الأفران معم عندما خرجوا من مصر، لذلك أكلوا بعض أنواع الكعك غير المختمر أثناء رحلة خروجهم من مصر. جابر زايد بريشة، **الخمائر**: تقنيات إنتاجها ودورها في صناعة وفساد الأغذية وصحة الإنسان، جامعة الملك سعود، الرياض، 2012، صص254-271.

4-التنور: نوع من الكوانين يخبز فيه، وهو عبارة عن تجويف اسطواني مصنوع من الفخار، يجعل في الأرض، ولا يزال شائعا في عدد من الأقطار كالمغرب وليبيا وجنوب الجزائر، للمزيد عن تفاصيل فرن التنور ينظر إحسان صدقي عمد، الخبز في الحضارة العربية الإسلامية، مجلة حوليات كليات الآداب، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، ج12، ص94.

5- الرندي إبراهيم ، كتاب الأغذية، ضمن كتاب الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي مدخل ونصوص، تحقيق محمد العربي الخطابي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1990، ص183.

6- ابن زهر عبد الملك، الأغذية، ص10/ابن رزين، فضالة الخِوان، ص36/ابن رشد، الكليات في الطب، ص273.

للخبز، وقد نبّه ابن العديم إلى ذلك بقوله: إنَّ الخمير العامل الهاضم للغذاء في عصارات المعدة والأمعاء[1]، ويليه في الجودة خبز الملة الذي يُطبخ في الرماد الحار، أو يُطبخ في طاجين الحديد[2]، وتكمن أهميته أنه يقوي الكبد[3].

وما يُميز الأخباز الأندلسية التي كانت تؤخذ إلى الأفران أنّها تَحمِل نقوشا خاصة بها، تُطبع بواسطة طوابع تصنع من الطين أو الفخار أو الخشب، تنقش عليها أشكالا هندسية تُميّز كل عائلة من العائلات الأندلسية، وتسمى تلك الطوابع بالمَرْشم[4]، ويبدو أنَّ هذا النوع من الأخباز كان مخصصا لطبقة الأعيان والخواص من العائلات الثرية التي كانت تستخدم دقيق الحُوارى أو الدَّرْمك عند العامة الأندلسية (هو الدقيق الصافي من النخالة) المخالف لخبز الخُشكار[5]، كما تشير إحدى الدراسات الأثرية أنَّ أقدم الطوابع التي يمكن ذكرها ترجع للقرن السادس الهجري لطابع من طين عثر عليه في مدينة المرية بالأندلس[6]؛ فحضور مثل هذه الأدوات والتقنيات في المائدة الأندلسية يعكس معايير التحضر الذي سمح لأهلها بكثير من الرفاهية في المطعم والتأنق في المآكل.

وبالمقابل أيضا نجد خبزا يُحضّر سريعا دون تخمير يعتمد عليه كثيرا أهل الكدّ والتعب، يُعرف بخبز الفطير، وهو بطيء الهضم؛ فالشخص الذي يتناوله يبقى مدة طويلة لا يشعر بالجوع مقارنة مع باقي الأخباز الأخرى ولا سيّما المختمرة منها؛ فأطباء الأندلس يرون أنَّ هذا الخبز يولد مجموعة من

1- ابن العديم عمر بن أحمد بن هبة الله، الوُصْلة إلى الحبيب في وصف طيبات الطعام والطيب، تحقيق: سليمى محجوب ودريّة الخطيب، معهد التراث العلمي العربي، حلب، سورية، 1986، ج1، مقدمة التحقيق، ص139.

2- ابن رزين التجيبي، فُضالة الخوان، ص37.

3- ابن خلصون محمد بن يوسف الأندلسي، كتاب الأغذية، تحقيق: وترجمة إلى الفرنسية سوزان جيغاندي، المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق، دمشق، 1992، ص92.

4- حورية شريد، تطور المطبخ المغربي وتجهيزاته من عصر المرابطين إلى غاية العصر العثماني (دراسة تاريخية وأثرية)، أطروحة دكتوراه مرقونة في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر 2، معهد الآثار، السنة الجامعية، 2010- 2011، ص ص 165، 187.

5- خبز **الحُوَّارى**: هو الدقيق الذي نُزعت نخالته بالكامل، عكس خبز **الخُشْكار** وهو الدقيق الذي يُخبز بنخالته، ومن فوائده الصحية أنّه لا يحدث عنه سُددُ لا في الكبد ولا الطحال، ولا يتولد عنه الحصاة، ويتميز بسرعة هضمه في المعدة و خروجه عن البدن، لأجل نخالته التي من شأنها الجلاء والانحدار سريعا. إبرهيم الرندي، المصدر السابق، صص183-186/ابن البيطار، الجامع، ج2، ص331.

6- حورية شريد، المرجع نفسه، ص187.

المشاكل الصحية كالبلغم والسوداء والقولنج[1]، ويتم إصلاحه بإضافة بعض التوابل التي تزيل انتفاخ البطن وتُسهل الهضم كالرازيانج (البسباس) والشونيز (السانوج)[2]، وكان الأندلسيون على حظ وافر بعلم قوى الأغذية؛ فاهتمامهم بالغذاء ناجم من قاعدة حفظ الصحة ودرء الداء.

كما أبانت كتب الطبيخ عن تبلور ثقافة استهلاكية واسعة في مجال استعمال دقيق الحنطة تعكسه كثرة الوصفات الخاصة بالمعجنات والملحات كطبق الكسكس البربري وألوان الثرائد المتنوعة كالبركوكس والفدواش، والسّويق (دقيق الحنطة المقلوة)[3]، والأحساء والجشايش (الدشيشة) المصنوعة من دقيق القمح والشعير والأرز فصلت كتب الطبيخ في تقديم وصفاتها المختلفة والمتنوعة[4]، ويُجمع الباحثون أنَّ أكل الجشيش أو ما يُعرف بالدشيشة أو شربة الشعير هي عادة من العادات المترسخة في المغرب الوسيط[5].

ب- طهي الخضروات والبقول: استفاد المطبخ الأندلسي من طهي الخضروات بشكل متنوع ومكثف لغنى الأندلس بها؛ فمنها الموسمية والسنوية، على خلاف بلاد شبه الجزيرة العربية التي قلَّ فيها استخدام الخضروات لقلة تواجدها ببلادهم[6]؛ فمن أطباق الخضروات المشهورة نذكر: طبق الكرنبية وطبق اللفتية وطبق القنبيطية وطبق السلقية وطبق البسباسية، وطبق الخرشف الذي يعرف بأفزن، وطبق الكمأة أو الترفاس، وطبق القرعية[7]، كما طبخوا الهليون (يعرف بالسكّوم)[8] الذي كان يُعرف

1- ابن زهر، كتاب الأغذية، ص10/ابن خلصون، كتاب الأغذية، ص80.

2- ابن خلصون، نفس المصدر، ص80/الغساني، حديقة الأزهار، ص252، ص343.

3- البرزلي أبو القاسم بن أحمد البلوي، جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2002، ج3، ص347.

4- سهام الدبّابي الميساوي، مائدة إفريقية دراسة في ألوان الطعام، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، قرطاج، 2017، ص41.

5-Diaz Garcia Amdor, un Tratado Nazari Sobre Alimentos, Edicion, Traduccion, Estudio con Glossarios, Granada, Universidad de Granada, VI-VII , 1981 , P 32/45 سهام الدبّابي الميساوي، المرجع نفسه، ص

6- شوقي أبو خليل، الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة، دار الفكر المعاصر، دار الفكر، بيروت، دمشق، 2002، ص415.

7- ابن رزين التجيبي، فُضالة الخوان، ص ص105، 106، 107، 115/مجهول، كتاب الطبيخ، ص128، 142.

8- مجهول، كتاب الطبيخ، ص144، 145.

بلسان أهل الأندلس باسم الإسفراج[1]، واشتركت العامة والخاصة في أكله وطبخه، وهو من المأكولات المشرقية التي أدخلها عليهم زرياب، وفي ذلك يقول ابن حيان: "وزرياب أول من اجتنى بقلة الهليون، المسماة بلسانهم الإسْفرّاج وهي كثيرة بصحاريهم، ما إن منها بُستانية مزدرعة، كحالها ببلد المشرق، ووقع هو عليها عن معرفة؛ فأكلها وأطعمها، ولم يكن أهل الأندلس قبله يعرفونها ولا يجنونها"[2]، ومنذ ذلك التاريخ تفنن الأندلسيون في طبخ بقلة الهليون بعدة كيفيات مختلفة[3].

كما طبخت العامة الأندلسية البقول بأنواعها الطازجة واليابسة، وكانت تسمى عندهم بحبوب القطاني لأنها تقطن البيوت، وتدوم فيها مدة من الزمن[4]، ومن مطبوخاتهم العدس باللحم والأرز بالحليب أو اللبن[5]، وطبخوا الحمص المطحون، والفول الأخضر بلحم الضأن[6]، وأفادت كتب الطبيخ الأندلسي بمختلف الوصفات الخاصة بتخليل وتصبير معظم الخضر والبقول وادخارها كالباذنجان والجزر والزيتون ليستمر أَكْلها طِوال السنة[7].

وما يُلاحظ على الوصفات التي سجلتها كتب الطبيخ أنّ المطبخ الأندلسي تميز بالتنوع من حيث الذوق؛ فقد أضافوا مادة السكر أو العسل وماء الورد والفواكه الطازجة والمجففة كالتفاح والمشمش والسفرجل على الأطباق المالحة واللحوم[8]؛ فالدول المغاربية مثلا معروفة بطبق الحلو أو ما يعرف

1- ابن البيطار، الجامع لمفردات الأغذية والأدوية، ج4، ص500.

2- ابن حيان، كتاب المقتبس، تحقيق محمود علي مكي، س2، ص321.

3- ابن رزين التجيبي، فُضالة الخِوان، ص111.

4- أبو الخير الإشبيلي، عمدة الطبيب في معرفة النبات، ج2، ص506/رجب عبد الجواد إبراهيم، ألفاظ المأكل والمشرب في العربية الإسلامية دراسة في نفح الطيب للمقري، المؤتمر الدولي الرابع للحضارة الأندلسية تكريما للعلامة الإسباني إميليو جارثيا جومث، قسم اللغة الإسبانية وآدابها، القاهرة، 1998، ص411.

5- فمن شعرهم: وتحسن الفكرة بال عُدوس والسّمنسني
وللأرز الفضل إذْ تطبخه باللّبن. المقري، نفح الطيب، ج3، ص ص300، 301.

6- ابن رزين التجيبي، فُضالة الخوان، ص120، 121.

7- يُنظر الوصفات الخاصة بالتخليل والتصبير عند الطغنري، زهرة البستان، ص ص129، 206، 216.

8- يمكن مراجعة معظم الوصفات الخاصة باللحوم والدجاج التي أدرجها مؤلف مجهول، كتاب الطبيخ وابن رزين التجيبي، فضالة الخوان، ص116.

بطاجين الحلو الذي تتكون مادته الرئيسية من لحم وفواكه مجففة كالبرقوق والمشمش والسكر وماء الزهر و عود القرفة كمُنَكِّه للطبق.

لقد تفنّن الأندلسيون في تحضير المائدة، وأظهروا مهارة فائقة في دمج الأذواق المُتباينة بين الحلو والمالح والحامض والتَفِه في طبق واحد تزول فيه التناقضات، وما هي في الحقيقة إلاَّ تعبير عن التأثيرات الثقافية المتبادلة التي تعبرّ عن روح العصر آنذاك، وتَطبَع جميع أنواع السلوك والتفكير في الذوق المشترك، وهي ميزة طبعت المطبخ المغربي إلى يومنا هذا.

ولم يجانب أهل الأندلس الصواب لما خالفوا غيرهم في رؤيتهم للطعام بقولهم: "إنَّ بعض الناس يقولون إنّ أطيب الطعام ما لم تر العين، وليس كذلك عندهم بل أطيب الطعام ما وقع عليه الحسّ ورأته العين، ووثقت به النفس واطمأنت إليه، وعَمِلتْ حقيقته في صنعته"[1].

واستفادوا من الفواكه بأكلها طازجة ويابسة، والتحضير منها أشربة طازجة وربوب أو ما يعرف بـ"رُبّ الفواكه"[2] بفضل توفر مادة السكر عندهم[3]، واستخراج الزيوت من مختلف أنواع الثمار والأصول والبذور، ولهذا سنكتفي بعرض نماذج توضيحية فقط، تكشف عن قيمة النبات مهما كان نوعه في تحضير الغذاء.

ج- **صناعة الزيوت:** لقد تهافت المجتمع الأندلسي على استغلال مختلف المحاصيل الزراعية والنباتات الدهنية التي تسمح باستخلاص زيوتها؛ فتوفرت عندهم مختلف الزيوت النباتية كزيت السمسم وزيت الكتان[4] بمختلف تقنيات عَصْرها؛ حيث كانت تُعصر على البارد وعلى الساخن، وذلك بالعصر والطحن

1- مؤلف مجهول، الطبيخ في المغرب و الأندلس، ص79.

2- رُبُّ الفواكه: هو عصارة الفواكه مطبوخة بالسكر، وقد كان القدماء يعنون به عناية خاصة، فيصنعونه في موسم نضج الفواكه ويحتفظون به لتناوله في كل وقت. أحمد قدامة، قاموس الغذاء والتداوي، ص240.

3- لقد كان للأندلسيين أياما معلومة في صنع أشربة الفواكه كشراب الحصرم وشراب التوت وشراب عيون البقر كان يُحضر في 30 جوان من كل سنة، مؤلف مجهول، رسالة في أوقات السنة، المصدر السابق، ص96.

4- الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص168/ابن رزين التجيبي، فُضالة الخوان، ص271.

والغلي[1]، غير أنّ الزيت الأكثر شهرة وإقبالا للمجتمع الأندلسي هو زيت الزيتون الذي يُعتبر أنقى أنواع الزيوت النباتية لسهولة هضمه، وشاء الله أنْ قَدّر هذه الشجرة فجعل فيها أعظم المنافع؛ فهو القائل عزّ جلاله: ﴿**يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّة يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ**﴾[2].

زيت الزيتون: تميز زيت الزيتون الأندلسي بجودة عالية من حيث الاستعمالات الغذائية والعلاجات الصحية والجمالية، وحظي بشهرة واسعة داخل الإقليم الأندلسي؛ فقد أشاد ابن زهر بجودته بقوله "أمّا الزيت فإنه من أفضل الأدهان هو زيت الزيتون المتخذ من الزيتون عند إدراكها الذي لم يُخالطه ملح ولا غير ذلك"[3].

تشرفت إشبيلية بإقليم الشرف الذي تميز بزراعته المتنوعة حيث يقول المقري: "ولو لم يكن لها إشبيلية من الشرف إلاَّ موضع الشرف المقابل لها المُطل عليها، المشهور بالزيتون الكثير الممتد فراسخ في فراسخ لكفى بها"[4]، وكانت الأندلس تُنتج كميات كبيرة من الزيت ولا سيما إشبيلية؛ فأموال تجارتهم من الزيت[5] الذي يُغطي السوق المحلية ويُصدر إلى الأقطار الخارجية، ولا سيما في القرنين الثالث والرابع الهجريين، ومن أهم المراكز التي انتشرت فيها معاصر الزيتون: قرطبة (córdoba) لوشة (loja) غرناطة (granada) بلّش (velez) وإشبيلية (sevilla)؛ فحيث ما انتشرت مزارع الزيتون رافقتها المعاصر (Almazarra)[6]، غير أنّه لوحظ تراجع كبير في انتاج الزيت خلال عصر مملكة غرناطة (قرن 7- 9هـ/ 13-15م)، وأصبحت تستورده من مملكة قشتالة ومن بلاد المغرب[7].

1- ابن رزين التجيبي، نفس المصدر، ص271.

2- سورة النور، الآية 35.

3- ابن زهر، الأغذية، ص71.

4- المقري، نفح الطيب، ج1، ص208.

5- نفسه، ج1، ص159.

6- داود عمر سلامة عبيدات، الموحدون في الأندلس والمغرب ما بين سنتي 541-667هـ/1146- 1268م)، دار الكتاب الثقافي، الأردن، 2006، ص145.

7- إبراهيم حركات، النشاط الاقتصادي الإسلامي في العصر الوسيط، منشورات أفريقيا، المغرب، 1996، ص84.

كان لزيت الزيتون أهمية خاصة في المجتمع والاقتصاد الأندلسي؛ ففي شهر سبتمبر من كل سنة يظهر الزيت الجديد[1]، كما أنَّ المصادر المتخصّصة أسهبت في الكيفية التي يُعصر بها، وأنواع العصر التي يمرّ بها على حسب نوعية زيت الزيتون المرُاد به؛ فالطغنري يُحدثنا عن زيت النقطة بقوله: "فمن أحب اتخاذ هذا الزيت؛ فيأخذ الزيتون الطيب الغريب العمد بالنفض، ويطحنه عشية النهر طحنا رقيقا جدا، ثم يُلقيه في الصهاريج، ويعرك بالأرجل عركا بليغا، حتى ترى الدهن يتميع منه، ثم تؤخذ العصا فتمر على أفواه قصاري الزيت...، ويُجمع ما يرسل من الزيت في القصاري، ويُصفى ويوضع في القلال؛ فذلك زيت النقطة"[2]، ولهذا الزيت فوائد كثيرة لا تعد ولا تُحصى؛ فهو معصور على البارد ممّا يجعله يُحافظ على قيمته الغذائية ورائحته الأصلية، والطعم اللذيذ لأنّه لم يتعرض إلى النار.

ومن بقايا معاصر الزيتون الأندلسية ما شاهده الرحالة الألماني مونرز بربض المسلمين في مدينة سرقسطة، إذ وصفها قائلا: "في ربض المسلمين توجد معصرة فخمة وضخمة للزيت، إنه عمل هائل يمارسونه بهذه الطريقة: لديهم رحى كبيرة يجرها حصان أو بغل في دورات عاصرة للزيتون، بعد أن يجمعوا عشرة أو اثني عشر سلة من حلفاء المملوءة بالزيتون، يضعون الواحدة فوق الأخرى أسفل المعصرة، يعصرونه، ويضيفون إليه باستمرار ماء ساخنًا، الذي يُنظف الزيت، الذي يُصب في إناء معلق تحت المعصرة، إنه عمل الدواب"[3].

نظرا لأهمية الزيتون، وشيوع فوائده عند الأندلسيين، لم تُهمل المصادر الفلاحية ذكره أثناء الحديث عن زراعته؛ فقد أسهب الطغنري في تِعداد منافع زيت الزيتون الغضّ الأخضر الذي لم يكتمل نضجه المعروف لديهم بزيت الأنفاق[4]؛ فينفع في علل الإسهال، وشدّ اللثات وتقوية الأسنان، وإخراج

1- عريب بن سعد، تقويم قرطبة، ص91.

2- الطغنري، زهرة البستان، ص214-215.

3- خيرو نيمو مونزر، رحلة إلى إسبانيا والبرتغال (1494-1495)، تعريب: أحمد محمد الطوخي، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، 2010، ص67.

4- زيت الأنفاق: هو الزيت الذي يُعتصر من الزيتون الفجّ/ الغساني، حديقة الأزهار، ص 103.

الدود من البطن[1]، وقد وافقه الغسّاني في منافعه الصحية بقوله: "والزيت المعمول من الزيتون الغض الذي لم ينضج هو زيت الأنفاق هو موافق للأصحاء، وهو جيد للمعدة للقبض الذي فيه"[2].

احتفظت لنا كتب الحسبة بنصوص في غاية الأهمية حول معرفة الزيت الجيد، وتمييزه من الزيت المغشوش؛ فعلى سبيل المثال مَيزّوا زيت الكتان الجيد من خلال قلي بذوره قبل العصر وقالوا في ذلك: "ينبغي أنْ يُعرف عليهم عريفا عارفا ثقة بمعيشتهم، ويمنعهم أن يعصروا بزر الكتان إلاَّ مقليا، لأنّه إذا قلي ظهرت رائحة زيته، وإذا اعتصروه بلا قلي خفف رائحته، ويخلطونه في الزيت الحلو "[3].

د- صناعة السكر: ما يُميّز المطبخ الأندلسي استعمال السكر في مختلف الأطباق الحُلوة والمملحة؛ وهذا بفضل وفرة مراكز عصره، وإنتاجه في كل من غرناطة والمُنكب وجليانة وإشبيلية ومالقة[4]، غير أنّ هذه الصناعة أَفل نجمها في هذه المراكز مع بداية القرن 6هـ/12م، باستثناء مدينة المُنكّب التي استمرت في إنتاجه[5]، ويتضح ذلك جليا من خلال اعتماد الأندلس على السكر السوسي في تلبية احتياجاتها[6].

أمّا عن طريقة صنعه؛ فكانت تعتمد بالدرجة الأولى على مادته الخام النباتية المتمثلة في قصب السكر[7]، وكان هذا الأخير يُحمل إلى مصانع خاصة أطلق عليها الأندلسيون اسم المسابك أو المطابخ[8]، حيث كانوا يقومون بعصر قصب السكر، والضغط عليه عن طريق الحجر الموجود في المعاصر؛

1- الطغنري، زهرة البستان، ص213.

2- الغساني الملك المظفر يوسف، المعتمد في الأدوية المفردة، تصحيح مصطفى السقا، دار المعرفة، بيروت، 1975، ص15.

3- محمد بن أحمد ابن بسام، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق: حسام السامرائي، مطبعة الهدف، بغداد، 1968، ص 189.

4- العذري، ترصيع الأخبار، ص 96./ أحمد الطاهري، الفلاحة والعمران القروي بالأندلس، ص 244.

5- عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، ص 240.

6- الزهري، الجعرافية، ص 117.

7-قصب السكر: من جنس القصب، وهو على ثلاثة أنواع الأبيض الطويل الأنانيب، والأصفر المُتقارب العُقد الكثير الحلاوة، و من هذين النوعين يُعتصر السكر، كما يوجد نوع آخر غليظ جدّا فِرْفِيري اللون أَدهَمَه، وهو أرذل أنواع قصب السكر وغالبا ما لا يُعتصر منه شيء/ أبو خير الإشبيلي، عمدة الطبيب في معرفة النبات، ج2، ص 517/ الغساني، حديقة الأزهار، ص 244.

8- يحيى أبو المعاصي محمد عباسي، الملكيات الزراعية وآثارها في المغرب والأندلس، المرجع السابق، ج2، ص 494.

فيتحصلون على سائل حلو المذاق، ويوضع هذا الأخير في أفران للقلي، ويخزن بعد ذلك في شكل قوالب لفترة معينة حتى يتصلب[1].

من خلال تفحص كتب الطبيخ يتضح لنا جليا الاستهلاك المفرط للسكر من قبل الأندلسيين؛ فقد كان حاضرا في مختلف الأطباق والحلويات والمشروبات، ومربيات الفواكه والربوب[2]، يبدو أنّ مادة السكر بشكل ما سببت مشاكل صحية لدى الأندلسيين رغم تجاهل المصادر الأندلسية تناول هذا الموضوع؛ فظهور رسالة مبكرة لأبي مروان عبد الملك بن زهر (ت 557هـ/1162م) تتحدث على أفضيلة العسل على السكر[3]، يُنهض قرينة على وجود مشكلة مرضية عانى منها المجتمع الأندلسي، وهي مسألة طبية آثارها ابن طفيل (ت 581هـ/1185م) في القرن السادس الهجري في أرجوزته المشهورة لمّا تحدث عن داء السكري بمسّماه اليوناني "**دبابيطا**" التي تعني حلو مثل العسل وأعراضه وعلاجه بقوله:

يُعرفُ ذِي العلّةِ باليونـاني دبابيطا في منطقِ اللسان[4]

وَهِي التي يُشربُ فِيهَا المـاءُ وَلَيْسَ لَهُ فِيْ الْجَوفِ بَقـاءُ

تسقطُ في الْحِين، مِنْ كُلاَهُ قُـوته حـتى يليّ مَجِـــرَاهُ

يـدفـع المجـاري في المثانـة في سُرعَةِ ولَمْ تَـطلِ زمانه

يخـرُجُ البـولُ بـلا تلويـن إنّــهُ مُـفــارقٌ فِيْ الْحِــينْ

فهـو إذا كَـانَ كَـــذَا رَدِيءٌ فِي حَـالِـهِ وَنـوعِـه وبـيِئُ

1- عدنان خلف سرهيد، التأثير الحضاري المتبادل بين الأندلس الإسلامية واسبانيا النصرانية، دار حميثرا للنشر والترجمة، القاهرة، 2018، ص 378.

2- يمكن مراجعة وصفاتها في كتب الطبيخ والفلاحة والطب والصيدلة الأندلسية.

3- تحقيق محمد العربي الخطابي، ضمن كتاب: الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية دراسة وتراجم نصوص، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ج1، ص 310.

4- محمد ابن طفيل الأندلسي أبو بكر بن عبد الملك، أرجوزة في الطب، مخطوط خزانة القرويين بفاس، تحت رقم 1969، ورقة 93.

و- صناعة الخل والمخللات: احتفظ لنا ابن الحجاج بطريقة صنع الخل بقوله: "خذ عنبا بعناقيده، واجعله في خابية مقيرة قدر ثلثها، ثم املأها ماء عذبا، وطين رأسها واطلعها في كل شهر مرة لتعرف حالها؛ فإذا أرضاك فاستعمله"[1]، كما عَمد أهل إشبيلية إلى صنع الخل الأحمر من شجر يُعرف بالجَّناء الأحمر[2]، وحتى يحافظ الخل على طعمه ورائحته، ولا يُصيبه الفساد كان أهل الأندلس يَعمدون إلى ورق الكرم، ويعلقونه في الخابية التي فيها الخل[3]، كما نجحوا في استخلاص الخل المنكّه بعدة أذواق كذوق الليمون والنعناع[4]، وما يُميز المائدة الأندلسية صنع المخللات من مختلف الخضر الموسمية التي لها تأثير على المائدة المغربية إلى يومنا هذا؛ فقد تحدث الطغنري عن تخليل معظم الخضر التي تجود بها أرض الأندلس كالباذنجان واللفت والجزر، وكانت خضرواتهم حاضرة في كل موسم بفضل إجادتهم لطرق الحفظ والتخليل، ومن أشهر مخللاتهم الزيتون الذي كانوا يقومون بغسله وتنشيفه، ويُضيفون إليه كمية معتبرة من الملح والخل، ثم يغلقونه بإحكام، وذلك بالتطيين عليه حتى لا يتسرب إليه الهواء[5].

2- صناعة الخمور: شاعت المشروبات المحظورة والمحرّمة بالأندلس نتيجة التنوع العرقي والديني والتفاوت الاجتماعي، وتفشي مظاهر الترف والبذخ منْ تفنن في المأكل والمشرب والملبس، وانتشار مجالس اللهو والموسيقى، وأصبح الخمر أحد مظاهر الترف التي شاع ظهورها في مجالس الخاصة والعامة كالمتنزهات والحدائق، وعلى ضفاف الأنهار والوديان[6]، حتى أنّ الحميري أشار لواد معروف

1- ابن حجاج الإشبيلي، المقنع في الفلاحة، ص 52.

2- الجَناء الأحمر: ويعرف بعجمية الأندلس المطرونية أو شجر القُطلب وهو من جنس الشجر الخشبي ومن نوع الورق الآسي، ورقه يشبه ورق الرند، إلاّ أنّه أصغر و ساقه خشبية عليها قشر متقلع أحمر فيه خطوط بيض، داخل خشبه احمر كخشب العنّاب و البقم، ثمره مدحرج عليه خشونة، لونه كلون الياقوت الأحمر، يظهر في الشجر أول الشتاء وآخر خريف/ أبو الخير الإشبيلي، عمدة الطبيب في معرفة النبات، ج1، ص 140./ ابن العوام، الفلاحة الأندلسية، ج2، ص 125.

3- ابن حجّاج الإشبيلي، نفس المصدر، ص 53.

4- ابن رزين التجيبي، فضالة الخوان، ص261.

5- ابن حجاج، المقنع في الفلاحة، ص57.

6- إنَّ الزجل الذي أورده ابن قزمان يعكس بعمق صورة الانحطاط والخلاعة التي وصل إليها بعض شباب الأندلس والمدمنين على شرب الخمر أو بينوا (vino)، ومن بعض الأزجال نذكر: لا نراه إلاّ في الواد والنَشُم والخُضر وَالظّل

بمنية نصر القريبة من قرطبة يتردد عليه النبذيون، ولا يكاد يخلو منهم[1]، ولهذا سيطول الحديث إذا ما تتبعنا أثره في بلاد الأندلس الذي هو ليس موضوع بحثنا[2].

وفي خضّم هذا الجو المشحون بمُتغيرات الواقع الأندلسي المُنفتح (شرب الخمر، التغزل بالغلمان، الخلاعة والمجون...)، شَهِد المجتمع الأندلسي تجاوزات واضحة لنصوص التشريع الإسلامي، وفي المقابل سجلت لنا المصادر التاريخية مواقف ردعية[3] اتجاه هذه الظاهرة، لبعض الخلفاء والسلاطين؛ حيث اتخذ الحكم المستنصر إجراءات صارمة في منع صنع الخمر، وفي ذلك يقول المؤرخون: "وكان قد رام قطع الخمر من الأندلس، وأمر بإراقتها وتشدد في ذلك، وشاور في استئصال شجرة العنب من جميع أعماله؛ فقيل له: إنهم يعملونها من التين وغيره؛ فتوقف عن ذلك"[4]، كما خصص المهدي بن تومرت خمسة أبواب تحدث فيها عن تحريم الخمر في كتابه "أعزُّ مَا يُطلب"[5]، والمنصور الموحدي (580-595هـ/1184-1199م) الذي أبطل الخمر، وشدّد بأن لا يأتي بشيء منه إلى الحضرة، ومن باب سدّ

وأنا مع المليحة نشربوا والطير تولوَل. ابن قرمان، ص 118.

كما نجد في الزجل ابن قزمان يستهزئ ببعض فئة الفقهاء الذين يمارسون الوعظ والإرشاد في النهار، وينغمسون في الليل بملذات الدنيا، وتعاطوا مجالس اللهو وشرب الخمر، وعبرّ عنهم بمصطلح العامة آنذاك " فقي"، وفيهم قال:

فقي أن خمّار منْ روحي نَعمل
فلـس كِتَّكـون عِمـامْ أَشكل
إن لمْ نلقى قَالِس نلْقى جُلجُل
تَـراه أَمس ديكْ واليوم قباعة. ديوان ابن قزمان، ص 108

1- الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص187.

2- تنظر الدراسات التي تناولت ظاهرة الانحراف والانحلال الخلقي ببلاد الأندلس كدراسة: نادر فرج زيادة، الترف في المجتمع الأندلسي (92هـ- 711م/668هـ- 1269م)، رسالة ماجستير مرقونة، كلية الآداب في الجامعة الإسلامية، غزة، 2010/بن خيرة رقية، الآفات الاجتماعية في الأندلس بين القرنين الخامس والسادس الهجريين (5-6هـ/11-12م)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة مصطفى اسطنبولي، معسكر، 2016-2017م/سامية مصطفى مسعد، صور من المجتمع الأندلسي (رؤية من خلال أشعار الأندلسيين وأمثالهم الشعبية)، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الجيزة، ط2، 2009، ص146- 155.

3- يُنظر حدود شارب الخمر وعقوبته عند النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص76-78.

4- الضبي ، بغية الملتمس، المصدر السابق، ص21/ابن الآبار، الحلة السيراء، ص119.

5- ابن تومرت محمد ، أعزُّ ما يُطلب، تحقيق: عمار طالبي، وزارة الثقافة الجزائرية، الجزائر، 2007، صص347- 356.

الذرائع أرسل مرسوما يقضي بتحريم الرب نظرا لتساهل العامة في أمره، وبالغوا في تخميره لغاية السُكر[1].

رغم تفشي ظاهرة شرب الخمر، ومعرفة القاصي والداني بطريقة صنعه في تلك الفترة، إلاَّ أنّنا نجد سكوتا مُطبِقا ومتفقا في مختلف المصادر (فلاحية، نباتية، صيدلانية، كتب الطبيخ) على طريقة صنعه تَجنّبا للكتابة في المحظور، فضلاً عن رقابة السلطة للمصنفات العلمية، والمكانة الدينية والاجتماعية لأصحاب هذه المصنفات؛ فهم من طبقة النخبة والعلماء في المجتمع، ويكونوا سببا في تفشيها في العامة في حالة ما إذا أدلوا بأسرار هذه الصنعة.

على الرغم من شحّ المعلومات إلاّ أننّا نقف على إشارات تشي بعمق أسرار صناعتها لعلَّ أبرزها إشارة الإدريسي عن شراب أنزيز لدى أهل السوس بقوله: "يأخذونه من عصير العنب الحلو؛ فيطبخونه ولا سبيل إلى شربه إلاَّ أنْ يُخلط بمثله بماء"[2]؛ فهذا الشراب مُسْكِر لا محالة، ويبدو أنَّه كان محبوبا ومرغوبا جدا عند أهل السوس؛ فقد كشف السرقسطي في إحدى مقاماته الموسومة بالبربرية عن هذا الشراب بقوله: "ثم دَارَ بَيْنهم شَرَابٌ يَدْعُونَهُ بأَنْزِيزْ، لاَ بِالحُلْوِ وَلَاْ بالمْزِيز، قليله إن لَمْ يَقْتُل قَاتِلٌ، وَحَدُّه لِلنُّفُوسِ غَائِلٌ أَوْ خَاتِلٌ، فَتَرَكَهُمْ صَرْعَى خُفَاتا وَنَشَاوَى رُفَاتَا"[3].

1- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص536/محمد جمال محمود الهوبي، أسباب النصر والتمكين للدولة الموحدية في عهد المنصور يعقوب بن يوسف الموحدي (580- 595هـ/1184- 1199م)، رسالة ماجستير مرقونة، الجامعة الإسلامية، غزّة، 2017، ص62.

2- الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، ص131.

3- السرقسطي أبو الطاهر محمد بن يوسف، المقامات اللزومية، تحقيق: حسن واركلي، جَدارا للكتاب العالمي وعالم الكتب الحديث، الأردن، ط2، 2006، ص388.

ولم يختلف الأمر عند أهل الأندلس؛ فابن زهر يصرح أنَّ "عصير العنب أصل الخمور والربوب والخلول"[1]، ولا سّيما توفر كروم العنب بشكل واسع في بلاد الأندلس؛ "فمالقة كما أشرنا في غير هذا المكان قد جمعت بين منظر البحر والبر بالكروم المتصلة التي لا تكاد فيها فرجة لموضع عامر"[2].

منْ يتأمل مفاخرات المدن التي ذكرها المقري، يتضح له جليّا أنّ الخمر الفاخر كان يُصنع بهذه المدينة؛ فالمقري أبان عن ذلك في استظراف وجيز بقوله: "وقد خُصَّت بطيب الشراب الحلال والحرام"[3]، ولم يتحرّج من سرد قصة أحد الخلعاء لما أشرف على الموت، وطُلب منه أن يَطلُب المغفرة؛ فرفع يديه وقال: يارب، أسالك من جميع ما في الجنة خمر مالَقة[4]، ومن خلال كتب الحسبة يتضح لنا جليا أنّ هذه الصناعة كانت مباحة لفئة اليهود والنصارى، غير أنّه كانت تطبق عقوبات جسدية في حق الذِّمّي الذي يبيع الخمر لمسلم[5]، ويُفيدنا أحد الباحثين الذي اختصت دراسته بالمغرب الأقصى عن تعاطي اليهود بالمغرب الوسيط نوعا من الخمور مشهور باسم الماحيا الذي يُقصد به ماء الحياة[6].

إنَّ سّرية هذا النشاط في أوساط المسلمين لم يمنع من ظهور مراكز أخرى اشتهرت هي أيضا بصناعة الخمور كلورقة وبلنسية وإشبيلية ومرسية[7]، ويرى الباحث عز الدين عمر موسى أنّ الخمر كان يُصنع بكثرة في منازل الفلاحين[8]، ولا يُخامرنا الشّك في ذلك؛ فمن القرائن التي تُعضّد قوله أنّ الطغنري احتفظ لنا بفصول تُبين كيفية صنع خل ورب العنب عند الفلاحين[9]، ومن يتأمل طريقة تحضيرهما يُدرك تماما أنّ الكيفية التي يُصنع بها خل العنب ورُبّ العنب لا تختلف عن طريقة صنع الخمر، ومن

1- كتاب الأغذية، ص44.

2- المقري، نفح الطيب، ج3، ص219.

3-نفسه، ج3، ص219.

4- نفسه، ج3، ص219.

5- Aissaoui Souad, Los Dimmies en AL Andalous desde 1231 hasta 1232 (Mozàrabes y judios), tesis doctoral, U. Oran2, 2015- 2016, P 267.

6- مصطفى نشاط، جوانب من تاريخ المشروبات المُسكرة بالمغرب الوسيط، منشورات الزمن، الدار البيضاء، 2006، ص24.

7- الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص 171.

8- النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، ص 242.

9- زهرة البستان، ص 130- 135.

دون أنْ نُسهب في طريقة صنعها نكتفي بالقول إنَّ معظم عصارات النبات ونقيع الحبوب والأوراق النباتية يحتوي على مواد سكرية أو نشوية مختلطة بمواد زلالية تكون سببا في تخمرها مع توفير المناخ الملائم لها والوقت اللازم للتخمير[1].

وعليه فلا غرو إذا قلنا أنّ خمور الأندلس قد صنعت أيضا من نباتات وحبوب عديدة لا يمكن حصرها كالتين والزبيب ونقيع القمح والشعير والأرز والذرة... إلخ وما تأليف عبد الله بن محمد بن عيسى بن وليد النحوي (ت بعد 420هـ/1029م) لكتاب "تنبيه المريدين المخدوعين بِشُبَه الفاتنين على تحريم جميع الأنبذة المسكرة من أي أشجار والحبوب كانت من كتاب الله وسنة رسوله وأقوال جماهير الفقهاء والمحدثين في أمصار المسلمين"[2]، لدلالة واضحة أنَّ الثروة النباتية شكلت مصدرا مهما في صنع أنواع الخمور والأنبذة التي تفاوتت درجة سكرها؛ فأرقت المجتمع النخبوي (صلحاء وفقهاء...)، وخلقت بذلك جدلا فقهيا في الحدّ منها ومحاربتها.

3- الصناعة النسيجية: لقد صورّ المقري تطور الصناعة النسيجية في بلاد الأندلس وما رافقها من فنيّات جمالية تكسوها، كالطرز والنقش عليها، والألوان التي تزهو بها بقوله: "فقد اختصت المرية ومالقة ومُرسية بالوشي (يقصد به الثوب الذي يُنقش عليه) المُذهَّب الذي يتعجّب من حسن صنعته أهل المشرق إذا رأوا منه شيئا، وفي تَنْتاله من عمل مُرسية تُعمل فيها البُسُط التي يُغالى في ثمنها بالمشرق، ويُصنع في غرناطة وبَسْطة من ثياب اللباس المحررة الصنف الذي يُعرف بالملبد المختم ذو الألوان العجيبة[3]، وممَّا خُصّت به بلنسية أنَّ نسيجها كان يُصدّر إلى بلاد المغرب[4]، وعرفت مدينة قلشانة، وهي إحدى مدن شذّونة بصناعة الثياب التي تعرف "بالقلشانية مخترعة الصنعة، غريبة

1- محمد أحمد فرج السّهوري، المسكرات، دار النهضة العربية، مصر، 1978، ص 40.

2- ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج2، ص 210.

3- المقري، نفح الطيب، ج1، ص201.

4- نفسه، ج3، ص 221

العمل"[1]، والمرية التي يوجد بها صنوف أنواع الحرير بفضل عناية الأندلسيين بدودة القز التي كانت تتغذى على أشجار التوت[2]، ويرجح الباحث الأثري جومث مورينو (Gomez Moreno) أنَّ سقوط المرية في يد ألفوسو السابع كان إيذانا بانتهاء تلك الصناعات قبل أن تُتاح لها الفرصة لتأقلمها[3]، ويذكر الباحثون أنّ غرناطة انفردت خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين بصناعة نوع من المنسوجات الحريرية الموشاة، تتكون زخارفه من أشرطة بها زخارف تعرف بطراز الحمراء، وذلك لتشابه زخارفه مع خزف الحمراء[4]، وقد جرى العُرف في غرناطة أنّ صاحب أشجار التوت كان يُسلم بويضات الدود إلى عامل يتولى رعايتها نظير ربع الحرير كمكافأة له[5].

إنَّ تعدد مدن إنتاج النسيج في بلاد الأندلس دليل على توفر مواده الخام التي يُصنع منها النسيج؛ فمتحف دير لاس ويلغاس الذي يتواجد في بورغس أو كما سماها العرب برغش يحتفظ بقطع قماشية تعود للعصر المرابطي والموحدي في غاية الإبداع والجمال، من ذلك ثوب القديس خوان دي أوتيخا يحمل إسم الأمير علي بن يوسف المرابطي (500-537هـ/1009-1143م)، منها رداء يزدان بزخارف كتابية تحتوي عبارات دعائية للسلطان الموحدي، وهي مسجلة بالخط المغربي[6]

عولّ الأندلسيون على المواد الخام النباتية في إنتاج مختلف الألبسة والأنسجة، ونبات الكتان كان الأوفر استعمالا لدى طبقة العامة في هذه الصناعة لكونه يتميز بألياف متينة تتفوق على بقية الألياف الطبيعية الأخرى، ولهذا شدّد المحتسبون على مراقبة مادة الكتّان لكثرة الطلب عليه؛ فقد

1- الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص163.

2- نفسه، ص184/الزهري، الجعرافية، ص94/جهاد غالب مصطفى الزغول، الحرف والصناعات في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا في الجامعة الأردنية، عمان، 1994، ص72.

3- مانويل جومث مورينو، الفن الإسلامي في إسبانيا (من الفتح الإسلامي حتى نهاية عصر المرابطين)، ترجمة السيد عبد العزيز سالم ولطفي عبد البديع، الدار المصرية للتأليف، القاهرة، 1968، ص419.

4- عز الدين فرّاج، فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية، ص309-310/جهاد غالب مصطفى الزغول، المرجع نفسه، ص80.

5- أحمد محمد الطوخي، مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997.

6- مانويل جومث مورينو، المرجه نفسه، ص419/ليوبولدوس تورس بالباس، الفن المراطبي والموحدي، ترجمة سيد غازي، دار المعارف، مصر، 1971، ص62.

منعوا رشّه بالماء أو وضعه في الأماكن الندية حتى لا يَثْقُل عند الوزن[1]، وقد اختصّت عدة مدن أندلسية بجودة كتانها "ك"كتّان فحص البيرة الذي يربو جيّده على كتان النيل، ويكثر حتى يصل إلى أقاصي بلاد المسلمين"[2]، واختصت منطقة باجة هي أيضا بصناعة الكتان[3].

لم تقتصر صناعة الكتان على مجال الألبسة والأفرشة فقط، وإنمّا أيضا في مجال الإضاءة، ولا سّيما في المناسبات الدينية، يقول المقري عن مسجد قرطبة في فترة المنصور بن أبي عامر إنّه "كان يختصّ برمضان المعظم ثلاثة قناطير من الشمع، وثلاثة أرباع القنطار من الكتان المقطن لإقامة الشمع المذكور"[4]، ممّا يدل على الاستهلاك الواسع لهذا النبات في صنع فتائل الكتان للشمع؛

ونظرا لخفّة نبات القطن وحساسيته فقد كان يُعتنى به اعتناء خاصا؛ حيث كان يُنشر على سطوح المنازل ليجف تحت أشعة الشمس، ثم يقومون بحلجه من البذور قبل القيام بنسجه[5]، وتفوقت مدينة إشبيلية في إنتاج المنسوجات القطنية، وامتازت بالجودة ووفرة الإنتاج، وكان يُصدر منها جزء كبير إلى بلاد المغرب[6].

من الأهمية بمكان أنْ نشير إلى سهو تاريخي تناقله الباحثون عن تاريخ زراعة القطن بالأندلس الذي أرجعوه إلى القرن الخامس الهجري[7]، مستدلين بعدم وجود إشارات على زراعته في تقويم قرطبة، غير أنَّ الواقع التاريخي يفنّد ذلك جملة وتفصيلا؛ فعريب بن سعد أشار بصريح العبارة إلى زراعة القطن في شهر مارس من كلّ سنة[8]، كما وردت أسماء علماء ترجم لهم ابن الفرضي (ت

1- ابن عبد الرؤوف، ثلاث رسائل في الحسبة، ص87.

2- الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص24.

3- المقري، نفح الطيب، ج1، ص159.

4- نفسه، ج1، ص549، وورد نفس النص عند ابن خاقان بعبارة الكتان المقصر بقوله: "وثلاثة أرباع القنطار من الكتان المقصر"، ويبدو أنّه تصحيف لم يصحح من قبل المحقق. ابن خاقان الأندلسي أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله، مَطمح الأنفس ومسرح التأنس في مَلَح أهل الأندلس، تحقيق هدى شوكت بهنام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2014، ص48.

5 -Rachel Arié, Historia de Espana (III) Espana musulmana (siglos VIII-XV), Labor, 1982, p 224.

6- العذري، ترصيع الأخبار، ص96/جهاد غالب مصطفى الزغول، الحرف والصناعات في الأندلس، ص82.

7- محمود هدية، اقتصاد النسيج في الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، مؤوسسة الهنداوي سي آي سي، 2017، ص34.

8- عريب بن سعد، تقويم قرطبة، المصدر السابق، ص41.

403هـ/1013م) كانوا يمتهنون حرفة القطن كقاسم بن مطرف بن عبد الرحمن القطان الذي كان من أهل قرطبة[1]، ومحمد بن عبد الرحمان بن أبيه أبو عبد الله (ت 381هـ/991م)، وهو من أهل قرطبة، ويُعرف بالقَطني[2].

لقد كان القطن معروفا ومُتيسرا بشكل واسع لدى المجتمع الأندلسي لدرجة أنّه استخدم في كفن الموتى، ونستدل على ذلك بالإشارة التي أوردها القاضي عياض في ترجمة أبي القاسم بن نابل لما حضرته الوفاة سنة 401هـ/1011م كان قد "عهد إلى ابنه أنْ يُدرجه في كفنه، دون قطن؛ فخالفه وألقى القطن؛ فلما سوي فوق أكفانه على المشجب للبخور طارت شرارة، أحرقت القطن...؛ فكفن دون قطن"[3].

إنَّ ظهور هذه الإشارات ما هي إلاّ دلالة على استعمال القطن في مجال النسيج قبل القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي بكثير، ولعله يكون مع المنتجات التي أدخلها عبد الرحمان الأول (138-172هـ/756-788م) إلى الأندلس في انتظار أدله تُثبت أو تنفي ذلك، كما كان يُصنع من القطن أقصمة تُعرف بالذراريع يرتديها كثيرا أهل البادية[4]؛ فثياب القطن أدفأ من ثياب الكتان لكونه شديد الإسخان وناعم في نفس الوقت، كما أنّه مجفف للعرق لذا استعمل كثيرا في الجانب الطبي لتنشيف الجراحات[5].

1- ابن الفرضي أبو الوليد عبد الله محمد بن يوسف الأزدي، تاريخ علماء الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، بيروت، ط1، 1983، ج2، ص 616.

2- نفسه، ج2، ص ص 777- 778.

3- القاضي عياض أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998،ج2، ص300.

4 - E. Levy Provençal, Histoire de l'Espagne Musulmane, T.III p. 424.

5- ابن البيطار ،الجامع لمفردات الأدوية والأغذية،ج3،ص 271.

أمّا الحلفاء والقنب فقد صنعت منها عدة أشياء ضرورية في الحياة اليومية للأندلسيين كالنعال الخاصة التي تنتعل في قوارب الصيد، والحبال القوية وشباك الصيد[1]، واشتهرت مدينة لقنت بإنتاج الحلفاء التي خُصّصت لصناعة الحبال، وتجهزّ به إلى معظم المدن[2]، كما اختصت مدينة طليطلة بنوع آخر من نبات القنب يًعرف بقنميل كان يقلعه الصيادون، ثم ينقعونه في الماء ويدقونه، ويصنعون منه شباكا خاصة لصيد نوع من الأرانب يُعرف بالقُنْلية[3]، كما استخدموا نبات الأدخر الذي يُعرف في المغرب الإسلامي بنبات الديس في صنع الحصر؛ فمنه الغليظ ومنه الدقيق[4]، يقول المقري عن مُرسية التي عُرفت بحصرها المُبهجة للبصر كان يُغلف بها الحيطان[5]، كما صنعوا المكانس لتنظيف الديار من نبات الجُمار الذي أغفله ديقوريدس في كتابه، ويُعرف في اللغة العربية باسم الدوم أو أغازاز بالبربرية[6]، كما مُلئت الفُرش والوسائد من نبات يُسمى هَمَجية الذي يشبه الصوف المنحل، ويكثر بفحص اشتبر[7].

4- صناعة الأصباغ: كانت الصناعة النسيجية ترافقها صناعة أخرى لا تقلُّ أهمية عنها، وهي استخراج الألوان من المادة الصبغية؛ فقد أشاد ابن حوقل ببدائع الأصباغ التي تستخرج من حشائش الأندلس، وهي تتوفر في بعض النباتات كنبات الزعفران والفوة والنيلج والعصفر[8]، ومن أجل الحصول على اللون الأصفر والذهبي استعملوا العصفر والزعفران، غير أنّ الصبّاغين لم يُعوّلوا كثيرا على مادة الزعفران رغم توفرها بكثرة في بلاد الأندلس، وذلك لصعوبة استخراج المادة الصبغية منها، التي تحتاج

1- Laura Rodriguez Peinnado, La producción textil en al-Andalus: origen y desarrollo, Anales de Historia del Arte Medieval, U. Complutense de Madrid, Vol. 22, 2012, p. 214.

2- الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، ص284.

3- أبو الخير الإشبيلي، عمدة الطبيب، ج2، ص512.

4- ابن البيطار، جامع لمفردات الأدوية و الأغذية، ج1، ص22.

5- نفح الطيب، ج3، ص221.

6- الإدريسي، الجامع لصفات أشتات النبات، ورقة 43.

7- أبو الخير الإشبيلي، عمدة الطبيب في معرفة النبات، ج2، ص608.

8- ابن حوقل، صورة الأرض، ص109.

إلى كميات كبيرة جدا من شعيرات الزعفران، وغلاء ثمنها، وكان يُصبغ به الأنسجة الفاخرة ذات النوعية الجيدة[1].

أما نبات النيلج[2] الذي يكثر تواجده ببلاد الأندلس فكان الصباغون يقومون "بغسل ورقه بالماء الساخن؛ فيجلو ما عليه من الزرقة، وهو يشبه الغبار على ظاهر الورق، ويبقى الورق أخضر، ويترك ذلك الماء الحار، ويرسب النيلج في أسفله كالطين؛ فيصب عنه الماء ويجفف"[3]، وقد حظي اللون الأزرق باهتمام كبير لدى الأندلسيين على عهد المرابطين والموحدين حيث كان اللون المفضل في فترة دولتهما[4].

وللحصول على اللون الأحمر استعملوا مادة القرمز، وهي مادة موجودة على شكل حبيبات، تنتجها حشرات خاصة بها تلتصق خصيصا على أغصان أشجار البلوط، وبالتالي يمكن القول إنَّ هذه الصبغة ثنائية المصدر (حيوان ونبات)، وكان الفلاحون يخرجون لجمع القرمز المُتساقط من أشجار البلوط في شهري مايو وأغسطس من كل سنة بأمر من السلطة الأموية آنذاك لصالح دار الطراز[5]، كما استخلصوا اللون الأحمر من لحاء شجرة **فُوَّة الصبغ** (Rubiatinctorum)[6]، ولأهمية هذا النبات كانت تخرج الكتب في شهر سبتمبر لجمع نبات الفوه[7]، ممّا يعطينا تصورا بأنَّ نباتات الصباغة والنسيج كانت تحظى برعاية خاصة من قبل السلطة الأموية آنذاك، وأنَّ استخراج المنتجات الصبغية من

1- Laura Rodriguez, ibid, p272.

2- النيلج: صباغ أزرق يستخرج من نبات النيل حيث استمد اسمه من نهر النيل، ويعرف أيضا بنبات العِظلم، وهو نبات له ساق، وفيه صلابة، وله شعب دقاق عليها ورق صغار مرصعة من جانبين يشبه ورق الكبر إلاّ أنه أكثر استدارة منه، ولونه إلى الغُبرة والزرقة. ابن البيطار، المصدر نفسه، ج4، ص488.

3- نفسه، ج4، ص488.

4- كمال السيد أبو مصطفى، النشاط الاقتصادي في عصري المرابطين والموحدين، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، د. ت، ص239.

5- عريب بن سعد، تقويم قرطبة، ص58.

6- نبات فُوَّة (Rubia tinctorum): وتشتهر أيضا باسم فوة الصِّبغ أو العروق الحمر، منها ما يزرع ومنها ما لا يزرع، فالمزروع له ساق معقدة خَشنة، وهي قضبان طِوال تخرج من أصل واحد، بعضها يكون قائما، وبعضها يمتد على الأرض، ولها عروق حُمر طوال مستعملة في صبغ الثياب. الغساني، حديقة الأزهار، ص217/أبو الخير الإشبيلي، عمدة الطبيب، ج2، ص428، 489.

7- عريب بن سعد، المصدر نفسه، ص92.

أصولها العضوية البيولوجية أصبح مطلبا ينادي به العلماء والخبراء لما فيه من فائدة صحية على جسد الإنسان.

5- الصناعة الخشبية: اشتهر صناع الأندلس بمهارة فائقة في مجال صناعة الخشب، وتفننوا في صناعة السفن والقوارب، وأثاث القصور المزين والأواني المنزلية، وأدوات العمل الخشبية...، وقد أثار المؤرخ مريس لومبار (Maurice Lombard) في الستينيات من القرن الماضي مسألة مهمة تعلقت بالصعوبات التي تواجها الصناعة الخشبية في المدن التي تفتقد إلى الثروة الغابية أو إلى نوع منها، ولعلّ أبرزها مسألة نقل المادة الخام إلى مراكز المدن سواء عن طريق النقل البري أو النقل البحري بسبب ثقل القطع الخشبية التي امتازت بالصلابة، وطول قطع الألواح التي تتطلبها صناعة السفن، أو التي تُستخدم في بعض المرافق الدينية كمسجد قرطبة الذي سُقّف بأشجار الصنوبر الموجود بطرطوشة[1]، ويؤكد الإدريسي ذلك في قوله: "وسقفه كله سماوات خشب مُسمّرة في جوائز سقفه، وجميع خشب هذا المسجد من عيدان الصنوبر الطرطوشي"[2]، ومقصورة جامع قرطبة التي كانت مؤلفة من خشب الأبنوس والصندل الأحمر والأصفر والعناب والنبق والبقم والعاج والعود الهندي[3]، ولا غرو في ذلك إذا علمنا أنَّ ميزة هذه الأخشاب أنّها تتحمّل الأمد الطويل، كما أنها مقاومة للماء والتعفّن.

كما أشارت كتب الجغرافيا إلى الخشب الذي كانت تُصنع منه المُستلزمات اليومية والأثاث المنزلي، كالخشب الذي كان يُقطع "من حبل قَيشاطة الذي تخرط منه القصاع والأطباق والمخابي (يُقصد بها جرة أو وعاء يُحفظ فيه الماء)، وغير ذلك مِمّا يَعُمُّ بلاد الأندلس وأكثر بلاد المغرب"[4]، وفي مُرسية كانت تُصنع الأسِرَّة المرصّعة[5].

1-Maurice Lombard, Un Probème cartographié: le bois dans la Méditerranée musulmane (VIIe-XIe), Annales ´Economies, Sociétés, Civilisations, C .N.R .S, France, 14e année, N.02, 1959, p245.

2- الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، ص303.

3- مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص212/ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، المصدر السابق، ج2، ص250.

4- الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص165/الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، ص296.

5- المقري، نفح الطيب، ج1، ص201.

أ- دور الثروة الغابية في صناعة الأساطيل البحرية: تدرجت صناعة السفن البحرية إلى أن تطورت وازدهرت في بلاد الأندلس عبر تاريخها؛ فلقد التفت أمراء بني أمية إلى استغلال الثروة الغابية لدعم النشاط العسكري البحري، وقد أولى عبد الرحمان الأوسط (206-238هـ/821- 852م) عناية خاصة بصناعة السفن الحربية، بعد أنْ تعرضّ لغارة مفاجئة ومُفجعة من قبل النورمان سنة 230هـ/844م في حق أهل إشبيلية[1]، وبعد هذا الغزو مباشرة أمر بتسوير مدينة إشبيلية، و"إقامة دار صناعة بإشبيلية، وأنشأ المراكب، واستعد برجال البحر من سواحل الأندلس؛ فألحقهم ووسّع عليهم؛ فاستعدّ بالآلات والنفط"[2]، ليتوالى بعد ذلك إنشاء مختلف السفن الحربية التي تختلف وظيفتها وحمولتها وعدتها؛ فالأمير محمد بن عبد الرحمان (238- 273هـ/852- 886م) أنشأ 700 مركبا غرابيا[3] تَحسبا للغزو الروماندي الثاني[4].

وشهد عهد عبد الرحمان الثالث (300- 350هـ/912- 961م) عناية خاصة بالمدن البحرية بسبب الأخطار الخارجية التي كانت تواجه الأندلس آنذاك، والمتمثلة في الخطرين الفاطمي والنورماندي المرتقب على حدّ سواء، لذلك قام الخليفة الأموي بحركة نَشِطة وواسعة في مجال إنشاء دور الصناعة في المدن البحرية في كل من طرطوشة والجزيرة الخضراء ومالقة ولقنت وشِلب ودانية وقصر أبي دانس وشنتمرية الغرب والمرية[5]، وكانت هذه الأخيرة مرفأ لأساطيل الأندلس، وصُنعت فيها أكبر سفن

1- يُنظر تفاصيل هذه الحادثة عند ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج2، ص87.

2- ابن القوطية أبو بك، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص62.

3- السفن الغُرابية أو سفن الغراب: عبارة عن مراكب قوية شديدة البأس تعتمد على المجاديف والأشرعة، ويعتقد أنّ هذا الاسم مأخوذ من الغراب لأن مقدمة هذه المراكب تأخذ شكل الغراب. خميسي بولعراس، فن الحرب بالغرب الإسلامي خلال عصري المرابطين والموحدين، رسالة دكتوراه غير مطبوعة، جامعة حاج لخضر، باتنة، 2013-2014، ص191.

4- ابن الكردبوس التوزري أبو مروان عبد الملك ، الاكتفاء في أخبار الخلفاء، تحقيق عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2009،ج2، ص381.

5- السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، 1969، صص173- 175.

الشواني[1] التي يصفها ابن حيان بقوله: "بها خمسة شواني تامّة الشحنة والعُدّة"[2]، وشكلت هذه السفن سدّا منيعا في وجه مطامع الفاطميين في حوض البحر الأبيض المتوسط[3].

واصل كل من الخليفة الحكم المستنصر بالله والحاجب المنصور محمد بن أبي عامر إنشاء السفن وبناء دور الصناعة لها؛ فالمنصور بن أبي عامر أنشأ أكبر أسطول بغرب الأندلس لغزو شنت ياقب سنة 387هـ/997م، وفي ذلك يقول ابن عذاري: "وقد كان المنصور تقدم في إنشاء أسطول كبير في الموضع المعروف بقصر أبي دانس من ساحل غرب الأندلس، وجهّزه برجاله البحريين، وصنوف المترجلين، وحمل الأقوات والأطعمة والعُدَد والأسلحة"[4].

رغم التمزق السياسي الذي ميزّ فترة ملوك الطوائف، إلاّ أنَّ سلاطينها كانوا يمتلكون أساطيل يُعول عليها؛ فقد "أنشأ المعتمد بن عباد سفينة ضاهى بها مصانع الملوك القاهرين، بَعُد العهد بمثلها، شدّة أسر وسعة بطن وظهر"[5]، واتفق الأمر أنْ استنجد يوسف بن تاشفين (456- 500هـ/ 1065- 1106م) بسفن المعتمد بن عبّاد سنة 476هـ/1083م في القضاء على الإمارة البرغواطية المتمركزة في مدينة سبتة، وبذلك تخلّص الأندلسيون من مشاكل القرصنة التي كانت تشكلها هذه الإمارة في حوض البحر الأبيض المتوسط[6].

كما واكبت الدولة المرابطية التطور الذي كانت تشهده الأندلس في مجال الملاحة البحرية، واستعانت هي أيضا بالخبرات الأندلسية في تطوير أسطولها البحري، وكان لها صولات وجولات مع النصارى؛ فقد كانت المرية مركزا لقيادة الأسطول المرابطي، وبها كانت ترسانتهم، وأصبحت ميناء حربيا

1- **الشواني:** مهمة هذه المراكب هو نقل البحارة والمخزون الغذائي من قمح وصهاريج المياه الصالحة للشرب، وهيكلها يشبه الحوت. خميسي بولعراس، المرجع نفسه، ص198.

2- ابن حيان الأندلسي، المقتبس، نشر وتحقيق: بدرو شالميطا وآخرين، المعهد الإسباني العربي للثقافة، كلية الآداب الرباط،، مدريد، 1979، ج5، ص323.

3- يُنظر: السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي، المرجع نفسه، صص173- 190.

4- ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص295.

5- مجهول، مفاخر البربر، تحقيق عبد القادر بوباية، دار أبي رقراق، الرباط، ط1، 2005. ص148.

6- نفسه، ص148/السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية، ص238.

وتجاريا في آن واحد[1]؛ غير أنَّ الشأو العظيم الذي شهدته هذه الصناعة التي اتسمت بالجودة والإتقان بلغتها في العهد الموحدي بعد أنْ استولى الموحدون على الأسطول المرابطي بعدته ورجاله، وشرعوا في إنشاء قطع أخرى من السفن بلغ عددها أربعمائة سفينة ألقت بثقلها على سواحل البحر بموجب مرسوم أصدره الخليفة عبد المؤمن بن علي سنة 557هـ/1162م، وبلغت شهرة هذا الأسطول مشارق الأرض ومغاربها؛ فاستنجد به الناصر صلاح الدين الأيوبي (532- 589هـ/1138- 1193م) في حروبه ضد الصلبيين في المشرق[2]، وإن اضطربت الروايات في مدى صحة تجهيز المنصور الموحدي لأسطوله البحري الذي زوّده بمائة وثمانين وحدة بحرية، وهل فعلا أمدّ بها صلاح الدين على حسب رواية ابن خلدون[3].

وفي عهد بني الأحمر شهدت غرناطة أيضا اهتماما واسعا بالأساطيل البحرية فقد تحدث العمري عن أسطول غرناطة بقوله: "وبالبلاد البحرية أسطول حراريق[4]، للغزو في البحر الشامي يركبها الأنجاد من الرماة والمغاورين والرؤساء المهرة، فيقاتلون العدو على ظهر البحر، وهم الظافرون في الغالب"[5]، كما تحدث أيضا عن دار الصناعة بألمرية التي اختصت بصنع سفن الحراريق[6]،التي استعدتها ظروف العصر آنذاك و كان يعول عليها في رمي بالقذائف قبل الاحتكاك بالمعركة[7].

1- إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط1، 2000، ج1، ص212.

2- يُنظر فتحي زغروت،الجيوش الإسلامية وحركة التغيير في دولتي المرابطين والموحدين، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ط1، 2005، ص166/خميسي بولعراس، المرجع السابق، ص200/كمال السيد أبو مصطفى، المرجع السابق، صص252-254.

3- يُنظر تفاصيل مناقشة هذه الحادثة: الطاهر قدوري، المنصور الموحدي وصلاح الدين الأيوبي: مسألة طلب المساعدة البحرية، مجلة عصور الجديدة، إصدار مختبر تاريخ الجزائر جامعة أحمد بن بلة 1، وهران، مج8، ع2، 2018، ص89.

4- **سفن الحراريق**: هي سفن مخصصة لحمل الأسلحة النارية كالنار الإغريقية، وكان بها مَرام تُلقى منها النيران على العدو، و**المنجنيقات** التي ترمي بالنفط المشتعل على العدو. محمد ياسين الحموي، تاريخ الأسطول العربي، مطبعة الترقي، دمشق، 1945، ص35.

5- العمري أبو العباس شهاب الدين أحمد بن فضل الله ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2010، ج 4، ص122.

6- العمري، نفس المصدر، ج4، ص124.

7- خميسي بولعراس، فن الحرب بالغرب الإسلامي، ص199.

ما يميّز السفن الحربية أنها تمتاز بالضخامة والقوة وسعة المساحة، ممّا يعطينا حجم الأخشاب التي كانت تستهلكها هذه الصناعة، ونوعية الثروة الغابية التي تعتمد عليها، والخبرة التي تَستوجب توفرها في مُمْتهِن هذه الصنعة[1]، وأدركت إسبانيا النصرانية أهمية المهارات التي يتمتع بها المسلمون في هذه الصنعة، ومحترفو البحر الذين كانوا يسمون في ذلك الوقت بالنواتية التي تعود إلى أصل يوناني Nauta بمعنى الملاّح[2]؛ فقامت سلطاتها بإصدار قانون استبعادي يمنع المسلمين من تعلم صناعة الخشب استجابة لبيان قدمته نقابة تشحيم السفن؛ فأصدر قرار في بلنسية سنة 827هـ/1424م يقضي بحظر تعليم مهنة التجارة أو نشر أو قطع الخشب لأي مسلم أو يهودي أو ملحد آخر يكون خادما خاصا للمعلم أو اليهودي أو أي شخص غيره؛ لأنهم إذا عادوا إلى بلادهم قد يصنعون أخشابا تصلح مجاذيف أو أشياء أخرى[3].

رغم أهمية الملاحة البحرية في حوض البحر الأبيض المتوسط في العصر الوسيط إلاَّ أننا نفتقد إلى تفاصيل مهمة تخص هذه الصناعة من حيث كمية الخشب المستخدم ونوعه، والكيفيات التي يتم بها إنجاز السفن، إلاّ أنَّ الذي يمكن أن نجزم به هو أنَّ الثروة الغابية كانت عصب الملاحة البحرية لبلاد الأندلس في حوض البحر الأبيض المتوسط.

ب-صناعة الأسلحة الخشبية: لطالما عُرِف عن الأندلسيين شغفهم بصنع الأسلحة، وقد أثنى المقري عليهم بقوله: "وأمّا آلات الحرب من التّراس والرّماح والسّروج والألجم والدروع والمغافر فأكثر همم أهل

1- وصل إلينا أقدم كتاب في الفقه البحري يتناول مختلف أوجه التشريعات البحرية المنظمة لمجال الملاحة البحرية والأحكام والعاملين عليها، كما تناول المؤلف مسائل تتعلق بأهوال البحر، وعطب السفن، وما يُطرح في البحر من سلع بسبب ثقل الحمولة وتردي أحوال المناخ. القروي الإفريقي أبو القاسم خلف بن أبي فراس، أكرية السفن، تحقيق عبد السلام الجعماطي، دار الأمان، الرباط، ط2، 2009، صص88- 112.

2- Jorge Lirola Delgado, El poder naval de Al-Andalous en la época del Califato Omeya, Universidad de Granada, 1993, p 284.

3- دولورس برامون، المسلمون واليهود في مملكة فالنسيا، ترجمة رانيا محمد أحمد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2004، ص95.

الأندلس"[1]، كما اكتست الأسلحة البيضاء كالخناجر والسيوف محل تهاتف لديهم استوجبتها ظروف العصر آنذاك، فضلا عن توفر المعادن النفيسة بعدة مدن كطليطلة وسرقسطة[2]، ولكن بدخول المرابطين إلى الأندلس عَرف أهلها مَهَارات وفنّيات أخرى في أسلوب القتال والمواجهة الذي كان يعتمد على الخفة والسرعة؛ فاستخدم المرابطون النبال والنشاب المصنوعة من الخشب، وقد كان لهذه النبال فرق خاصة تسمى النبالة لا تبرح مكانها أثناء المعركة، وحققت نجاحات مُبهرة في معركة الزلاقة 479هـ/1087م[3].

في ظلّ سقوط معظم المدن الإسلامية في يد الممالك النصرانية، وانحسار ملك المسلمين في منطقة غرناطة، عرف الغرناطيون نوعا آخر من السلاح لم يُستخدم في بقية الأقطار الإسلامية، وقد أفادنا ابن هذيل الأندلسي بالقوس الإفرنجية التي استعملها الأندلسيون في جهادهم وحروبهم التي تختلف كل الاختلاف عن القوس العربية، وانفرد ابن هذيل بتقديم وصف لهذه الأقواس بقوله: "القوس العربية أنسب للفارس، لأنها أسرعُ وأقلّ مؤنة؛ والقوس الإفرنجية أنسب للراجل، لأنها أبلغ وأكثر مَعُونة، ولا سيّما في الحصار والمراكب، وهي خاصة بأهل الأندلس، بها يصيدون، وعنها يَرْمون، وفيها يتنافسون، وعليها يعتمدون فرسانا ورجالا"[4]، الذي يهمنا في هذه الأقواس أنّها كانت تعتمد على قسي أو ما يعرف بالنبال التي كانت تصنع من أصول نباتية، وفيها قال ابن هذُيل: "والقسي تُنتخب من عشرة عيدان: خمسة برية، وخمسة بساتنية؛ فالبرية: الطخش هو النبع بلغة العرب، والزنبوج والدردار والكتم والبشر، البستانية: النارنج، النّسمان، التفاح، الرمان والسفرجل"[5].

1- المقري، نفح الطيب، ج1، ص 202.

2- نفسه، ج1، ص200/فتحي زغروت، الجيوش الإسلامية وحركة التغيير، ص166.

3- نفسه، ص167.

4- ابن هذيل الأندلسي علي بن عبد الرحمن، حلية الفرسان وشعار الشجعان، تحقيق: محمد عبد الغني حسن، دار المعارف للطباعة والنشر، 1951، ص211.

5- ابن هذيل، المصدر السابق، ص212.

6- صناعة الصابون ومواد التنظيف: عُرف عن أهل الأندلس حبهم للنظافة، حتى وصفوا بالبخل من أجلها، وفي ذلك يقول المقري: "وأهل الأندلس أشد خلق الله اعتناء بالنظافة ما يلبسون وما يفرشون...، وفيهم مَنْ لا يكون عنده إلاَّ ما يقوت يومَهُ؛ فيطويه صائمًا، ويبتاع صابونا يغسل به ثيابه"[1]، وأحياء الأندلس عجّت بدور النظافة، فقد كان بقرطبة فقط أكثر من سبعمائة حمام[2].

ومن الأفكار والسنن التي نقلها زرياب من المشرق إلى الأندلس استعمال المرتك المتخذ من المرداسنج[3] لطرد ريح الصنان من مغابنهم[4]؛ فقد كانت لهم حوانيت تختص بصناعة الصابون كالفقيه عبد الله الصابوني (ت 370هـ/980م) الذي كانت له دكاكين يصنع فيها خدمته الصابون[5]، ومن المواد الخام النباتية التي يصنع منها الصابون نذكر ما يلي:

نبات الأشنان: هو نبات يقع على كل ما يُجعل في الأشانين، وهي آنية تُصنع من الصُّفر يُجعل فيها النّقاوى، وكل ما تُجْلى به اليد من الدُّسم وغيره؛ فسميت الآنية باسمه[6]، وتحدث ابن رزين على أنواع مختلفة من الغاسولات أو الأشنان بعضها مخصص للعامة، والآخر مخصص لطبقة الملوك، فمن ذلك قوله: "يطحن الحمص ويغربل، وتغسل به الأيدي بعد الطعام فإنه صالح لذلك، وهو الأشنان الذي يستعمله الناس"[7].

1- المقري، نفح الطيب، ج1، ص223.

2- ابن غالب الأندلس، فرحة الأنفس، ص296.

3- **مرداسنج**: هو المرتك أو المراتق منه الذهبي ومنه الفضي، وهو مادة المراهم، إلاَّ أنَّ الفضي مسكن لأوجاع القروح مُبرّد لها، قاطع الرطوبات الفاسدة منها خصوصا مع الخل، ينبت اللحم في القروح العميقة ويملأها لحما خصوصا إن كان معه السمن والصبر، ويذهب باللحم الزائد ويدملها، وينفع من احتكاك الأفخاذ ومن عروق الإبطين ورائحتهما، وأكلهما سم قاتل يعرض لشاربه حبس البول، وينفخ البطن، ويقتل القمل من الرأس. ابن حمادوش، المرجع السابق، ص156.

4- المقري، المرجع نفسه، ج3، ص127.

5- القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج2، ص266.

6- أبو الخير الإشبيلي، عمدة الطبيب في معرفة النبات، ج1، ص76.

7- ابن رزين، المصدر السابق، ص279.

أما ما يغسل به الملوك أيديهم فهي غالبا ما كانت مواد مركبة من أزكى التوابل والأزهار العطرة كالورد والقرنفل والصندل، وقشور الفواكه المجففة المطحونة؛ مع معطرات أخرى كالمسك والكافور[1].

نبات الشَّبُنيره: وتعني الصابونية، سميّت بذلك لأنَّ غسّالي الصوف وغيرهم يستعملون أصل هذا النبات في غسل الثياب، يدقونه ويضربونه بالماء حتى تقوم رغوة مثل رغوة الصابون، وتُغسل به الثياب؛ فتنقّيه و تُبيّضه، وغالبا ما ينمو هذا النبات قرب الأنهار[2].

حشيشة الزجاج: هو نبات له قضبان، أوراقه تشبه ورق الزيتون، وغالبا ما ينمو هذا النبات بين الحجارة والجبال المَحصبَة، ويسمى أيضا الحريشة من أجل خشونتها، ورقه ينفع في غسل الزجاج وتنظيفه[3].

ما يلاحظ على هذه النباتات أنّها تحتوي على مواد طبيعية نَشِطة تُدعى بمركبات الصابونين (saponins) تُنتج رغوة صابونية بعد خلطها بالماء، وقد تنبّه المجتمع الأندلسي لمثل هذه النباتات في الحصول على الرغوة الصابونية للتنظيف، وإزالة الدسم والودك، كما حرص أهل الاحتساب على نظافة السوق والمخبزات والحمامات، وكانوا يُقرّعون ويُعاقبون كل من يُخالف قواعد النظافة، وشدّدوا على الحمّامات أن يُبيتوا محاكهم في الملح والماء كل ليلة لئلا تكتسب روائح، ويغسلوا ميازرهم كل عشية بالصابون[4].

غير أنَّ الذي تَجِبُ ملاحظته أنَّ الأندلسيين لم تعد معارفهم تقتصر على نباتات تفرز عصارات رغوية فقط، وإنمّا تبلورت في شكل صنعة كيميائية امتزجت فيها مواد الطبيعة من نبات ومعدن وحيوان، وظهرت في شكل مؤلفات ورسائل خاصة اندرجت تحت علم قلع الآثار[5].

1- نفسه، ص ص277-279.

2- أبو الخير الإشبيلي، عمدة الطبيب في معرفة النبات، ج2، ص ص566-635.

3- نفسه، ج1، ص260-261.

4- السقطي المالكي أبو عبد الله محمد بن أبي محمد ، آداب الحسبة، المطبعة الدولية، باريس، 1931، ص62.

5- علم قلع الآثار: هو علم شريف يقدر به الإنسان على إزالة الأدهان والصموغ والألوان التي يعسر إزالتها عن الثياب ونحوها بأدنى شيء أو أدنى حيلة، ويقدر أيضا على إزالة الخط من الأوراق من غير كشط، ولا بقاء لأثر فيها، وهذا من أعظم الحيل، ولابد من كتمانها إذ

وإنّ كان هذا العلم يحتاج إلى مواد معدنية أكثر ما هي نباتية، ولكن هذا لم يمنع أهل الصنعة من الاستعانة ببعض النباتات التي لها فاعلية في قلع الآثار من الثياب والأحبار من الدفاتير، يقول القَلّلوسي الأندلسي: "تمحى الدفاتر المكتوبة بنخالة العُصفر الذي يرمي بها الصباغون مع ماء السلق المطبوخ، أو يُغسل بالخل، أو تأخذ قليا أبيض مسحوقا، ويُصب عليه حماض الأترج حتى يرق، ثم يُمسح به الكتاب"[1]، كما نظفوا الثوب الأبيض سواء كان صوفا أو كتانا من الوسخ والصدأ، وكان يمتهن هذه الحرفة عُمّال يُعرَفون بالقصّارة، مهمتهم معالجة الثياب ودلكها وتليينها وتبييضها بعد خروجها من المناسج[2]، وكانت هذه العملية تتم عادة بالقرب من ضفاف الأنهار والأودية[3]، ومن النباتات التي لها القدرة على تبييض الثياب نذكر دقيق الخردل وحماض الأترج وحصرم العنب ونبات الحرض[4]، أمّا قلع صديد الحديد من الثياب فكان يتم بغسل الموضع بخل الليمون وعرضه للشمس، وتُكرّر العملية حتى يزول الصدأ عن الثوب.

7- صناعة الورقّ: غالبا ما ترتبط صناعة الورق بكلمة نبات البردي (Papyrus)[5]، الذي يُعدُّ أهم إنجازات الحضارة المصرية القديمة؛ فورق البردي كان حكرا على الطبقة الحاكمة، وكان مادة باهظة الثمن، ولذلك لم يشجع هذا الأمر على انتشاره في باقي الأقطار إلاّ بشكل محدود، لِيحلَّ مَحلّه ورق أقل ثمنا هو رق البرشمان (Parchemin)، وهو إصطلاح فني يُطلق على جميع أنواع الجلود المُشتخدمة

يؤول إلى إبطال الصكوك والسجلات وأمثالها. أبجد العلوم، مج2، ص434، ومن أهم الرسائل المشرقية الموضوعة في هذا الفن نذكر: يعقوب بن إسحاق الكندي (ت 260هـ/883م)، رسالة في قلع الآثار من الثياب وغيرها/مجهول، رسالة في فوائد قلع الآثار، مخطوطة بخزانة السليمانية، إسطنبول، رقم 2092.

1- القللوسي الأندلسي أبو بكر محمد بن محمد، تُحف الخواص في طرف الخواص (في صنعة الأمِدّة والأصباغ والأدهان)، تحقيق حسام أحمد مختار العبادي، مكتبة الإسكندرية، مصر، 2007، ص41.

2- أبو الخير الإشبيلي، عمدة الطبيب في معرفة النبات، ج1، ص179.

3- جهاد الزغول، المرجع السابق، ص84.

4- القللوسي، تُحف الخواص، ص41/أبو الخير الإشبيلي، عمدة الطبيب، ج1، ص182.

5- من أوائل الكيفيات التي وصلتنا عن صنع ورق البردي ما نقله كوركيس عواد عن أحد المستشرقين ألفرد بتلر بقوله: "كان في مصر السفلى عدد عظيم من غياض فسيحة تُنبت البردي، ذلك النبات الطويل الحسن، وكان الورق يتخذ لبابه، يُشق شرائح تُجعل منها صحائف بالضغط، ثم تُصقل بآلة من العاج، وكانت الصحائف بعد ذلك يُوصل بعضها بعض؛ فتكون لفائف يسهل استعمالها"، ويُضيف قائلا: "ولسنا ندري متى ضعف أمر هذه التجارة، ولا الأسباب التي أدت إلى القضاء على هذا النبات في مصر". كوركيس عواد، الورق أو الكاغذ صناعته في العصور الإسلامية، مجلة المجمع العلمي، مجمع اللغة العربية، دمشق، 1948، مج 23، ج3، ص412.

للكتابة[1]، الذي استخدمته مختلف الحضارات على تعاقبها (اليونانية والرومانية والإسلامية)، غير أنَّ هذه الجلود لم تَسلم من عاديات الزمن بسبب الروائح التي تنبعث منها، والتلف الذي يُصيبها خصوصا إذا تعرّضت للرطوبة أو الحرارة أو الماء، وسهولة ما يلحقها من تزييف[2].

في ظل تطور الحضارة الإسلامية أوجد المسلمون مادة أخرى للكتابة وهي الكاغد، الذي ظهر مع نهاية القرن الثاني للهجرة إثر غزوات المسلمين في آسيا الصغرى، واتقنوا هذه الصنعة من الأسرى الذين وقعوا في قبضة الجيوش الإسلامية؛ فقد نوّه النويري بأهمية ورق سمرقند بقوله: "من خصائصها الكواغد التي عطلت قراطيس مصر والجلود التي كان الأوائل يكتبون عليه، لأنها أحسن وأنعم وأرفق وأرق، ولا تكون إلاَّ بها وبالصين"[3]، وقد بني أول مصنع للورق على عهد هارون الرشيد سنة 178هـ/794م[4]، وقد عرفت بلاد المغرب والأندلس صناعة الورق على غرار بلاد المشرق؛ حيث يشير المنوني إلى أنّ فاس لوحدها كان بها 400 معملا لإنتاج هذه المادة أيام يعقوب المنصور (580-595هـ/1184-1199م) غير أنها تعرضت للخراب بسبب المجاعات والفتن التي اجتاحت بلاد المغرب أواخر العهد الموحدي[5].

أمّا عن الأندلس فيشير الدارسون إلى أنَّ بداية صنعه وانتشاره بدأت في منتصف القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي[6]، ومن النصوص التي تعضّد هذا القول ظهور أسماء أشخاص في فترة الحكم

1- دونالد جاكسون، أصل الكتابة، ص18.

2- خير الله سعيد، موسوعة الوراقة والوارقين في الحضارة العربية الإسلامية، دار الانتشار العربي، بيروت، ط1، 2011، مج 2، ج3، ص16.

3- النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004، ج1، ص340.

4- خير الله سعيد، المرجع نفسه، ج3، ص27.

5- محمد المنوني، تاريخ الوراقة المغربية صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط1، 1991، ص33.

6-N. Salvador Miguel, El papel en España medieval: Tecnologia y economia, Actas de Las Jornadas sobre mineria y tecnologia en la Edad peninsular, Madrid, 1996, p 605/Hamid Triki , La cuestion del papel en el Occidente musulmán en la época medieval, Los Manuscritos Ārabes en Espana y Marruecos, FundaciȮn, Actas del Congreso International, Granada, El legado andalusi, 2005, p 286 .

المستنصر اختصوا بصناعة الورق كعباس بن عمرو بن هارون الكناني الورَّاق (ت 379هـ/ 941م) الذي خرج من صقلية إلى القيروان، ثم دخل الأندلس، وأقام بقرطبة، واتصل بولي العهد الحكم المستنصر؛ فتوسع له في الورق، وصار من جملة الوَرَّاقين[1]، وإبراهيم بن سالم الورّاق الذي حذق في صناعة الورق على عهد المستنصر أيضا[2]، ويعيش بن سعيد بن محمد عبد الله الوراق (ت 394هـ/1003م)[3]، والمقدسي الذي كان صريحا وواضحا في هذا الشأن بقوله: "وأهل الأندلس أحذق الناس في الوراقة، خطوطهم مدوَّرة"[4]، كما أكدّ الباحث أحمد مختار العبادي وجود مخطوطات في مكتبة الإسكوريال مكتوبة باللغة العربية والإسبانية على أوراق مصنوعة من القطن تعود إلى بدايات منتصف القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)[5].

إنَّ هذه الإشارات التي تزامنت مع منتصف القرن الرابع الهجري دليل على المعرفة الجيدة لأهل الأندلس في صنع الورق؛ فقد ذكر كل من الإدريسي وصاحب تاريخ الأندلس أنَّ مدينة شاطبة "يُعمل بها الكاغد ما لا يوجد له نظير بمعمور الأرض"[6]، وقد طبقت شهرته الآفاق، وكان يُصدّر خارجيا إلى بلاد المغرب والمشرق[7]، والمرجّح أنَّ شهرة ورق شاطبه بالكاغد ترجع لتوفر الكتان الجيد بأراضيها[8]، ويتميز الورق الشاطبي عن بقية أنواع الأوراق الأخرى باللمعان، وصبغه باللون الوردي الشاحب[9] (ينظر الشكل رقم 2)، ويُذْكر أنَّ مكتبة ابن يوسف المتواجدة بمراكش تحتفظ بثمانية أجزاء للمصحف

1- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ج2، ص509.

2- ابن الأبار الأندلسي أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر، التكملة لكتاب الصلة، ضبط وتعليق جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2008، ج1، ص124.

3- ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص930.

4- ابن قدامة المقدسي موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد، المغني، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي وعبد الله محمد الحول، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط3، 1997، ص192.

5- أحمد مختار العبادي، الحياة الاقتصادية في الدولة الإسلامية، ضمن كتاب دراسات وتاريخ الحضارة الإسلامية العربية، ذات السلاسل للطباعة والنشر، الكويت، ط2، 1986، ص356.

6- الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، ص281/مجهول، تاريخ الأندلس، ص134.

7- نفسه، ص281.

8- كمال السيد أبو مصطفى، تاريخ الأندلس الاقتصادي، المرجع السابق، ص 24.

9-Hamid Triki, La cuestion de papel, p 286.

الشريف تَعود إلى العهد الموحدي، تمّ نسخها على الورق الشاطبي، وحُبّست هذه الأجزاء فيما بعد في مسجد الكُتبية بمراكش سنة 650هـ/1252م[1].

تحدثت المراجع الإسبانية عن شخص في غاية الأهمية، لا أثر له في مصادرنا العربية على حد ما توفر لنا من مادة، والأمر يتعلق بأبي المصايفة (Abù Massaifa) الذي قام ببناء مصنع خاص بالورق بشاطبة سنة 448هـ/1056م، وكان يعمَل فيه ثلاثون فردا من الأيدي العاملة، غير أنّه تبين أنّ هذا الخبر ليس له أساس من الصحة، وأنّ هذا الشخص مجرد شخصية وهمية من نسج خيال الباحث فيرو بلاقير (Ferro Balaguer) الذي نشر الخبر سنة 1931 في مجلة مدريلينيا (Madrileña)[2]، ويبدو أنّ هذه الحادثة لم يُسدل عليها الستار؛ فقد نشر المؤرخ كارلوس سارتو (Carlos Sarthou) سنة 1948 تتمة الخبر وقال: "إنَّ أبا المصايفة هذا قد رحل وانتقل إلى دانية بعد دخول السيد القمبيطور المدينة، وقام بهدم مصنعه سنة 475هـ/1084م[3].

على الرغم من أنّ هذا الخبر ظهر في المراجع الإسبانية لأول المرة من قبل الباحث فيرو (Ferro)، ولا وجود له في مصادرنا العربية، وحاولت المراجع الإسبانية تكذبيه، كما أنّه لم يناقش من قبل المراجع العربية لعدم استناده على وثائق ومصادر موثقة، إلاّ أنّ ظهوره مرة ثانية بعد مرور سبع عشرة سنة من قبل المؤرخ كارلوس سارتو مقدما فيه تفاصيل دقيقة لا تختلف عن الواقع الذي كانت تعيشه الأندلس آنداك، وهو دخول القبيمطور إلى مدينة شاطبة، ومحاولته فرض ضرائب باهظة على السكان وأصحاب المال والعقارات، يجعلنا نميل إلى صحّة الخبر الذي رواه الباحثان رغم تغييب مصادرهما في ذلك.

1-Hamid Triki, Ibid, p 286.

2 -Maria Carolina Larrea jorquera , El Papel en el Geidō Enseñanza praxis y creación desde la mirada de Oriente, Tesis Doctoral, Universitat Politècnica de València, junio 2015, p 100.

3- Maria Jorquera, Ibid, p100.

كما عُرفت مدن أندلسية أخرى بصناعة الورق كإشبيلية ودانية والمرية وقرطبة ومرسية وسرقسطة وغرناطة[1]، وغالبا ما ارتبطت هذه الصناعة بمطاحن الحبوب التي كان يُعتمد عليها في سحق الخرق البالية وغزارة المياه؛ فقد التفت الجرسيفي في إشارة خاطفة إلى صانعي الكاغد بقوله: "في اختيار الخرق وتمييزها، والمبالغة في خبطها وتنظيفها من جميع الشوائب والتخمير"[2]؛ فالنص يكشف بوضوح عن دور المطارق الخشبية التي اعتمد عليها الأندلسيون في ضرب الخرق البالية، وهي تقنية حاول الباحث لوسيان (Lucien) أنْ يَنْسِبها إلى الإيطاليين بقوله: "وقد سمح هذا المبدأ (يقصد تزويد الطواحين بروافع تحول حركتها الدائرية إلى حركة متناوبة) من قبل وراقي فابر يانو (منطقة بإيطاليا) باستبدال الرحى القديمة، التي كان يستخدمها العرب لسحق الخرق البالية، بمطارق خشبية تُحسن المردود مع تخفيض سعر التكلفة"[3]، ومن المعروف أنَّ عملية الخبط هذه تساعد في عملية تليين المادة الخام، وفصل الألياف منها، والتخلّص من الشوائب، وبالتالي تساعد في الحصول على ورق أملس ذو لمعان، وهو ما تميز به ورق الأندلس عموما وشاطبة خصوصا.

تجدر الإشارة إلى أنَّ صناعة الورق قد انتقلت إلى أوروبا عن طريق مسلمي الأندلس وصقلية في القرن 7هـ/13م، حيث أدخل ألفونسو العاشر صناعة الورق إلى مملكة قشتالة[4]، ولكنهم لم يستعملوا مواده الأولية الأصلية المتكونة من ألياف النباتات، وإنّما اكتفوا فقط بتحويل الخرق والملابس البالية غير الصالحة للاستعمال، وذلك بسبب عدم إقامتهم علاقات تجارية مع البلدان الأخرى التي تزودهم بالمواد الطبيعية[5].

1- عزّ الدين عمر موسى، المرجع السابق، ص225.

2- الجرسيفي عمر بن عثمان ، رسالة في الحسبة، تحقيق ليفي بروفنصال، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، مصر، 1955، ص124.

3- لوسيان فافر هنري وجان مارتان، ظهور الكتاب، ترجمة محمد سميح السيد، دار طلاس، دمشق، ط1، 1988، ص42.

4- كمال السيد أبو مصطفى، المرجع السابق، ص246.

5-Maria jorquera, op.cit p 81

أ_ طريقة تصنيع الورق: إنّ المادة الخام للورق هي نباتية بامتياز تختص بها نباتات لها القدرة على التحمل وامتصاص الماء كنبات الكتان والقطن والقنب والتبن والقصب...، والتي تدعى اصطلاحا بألياف السيلولوز المتكونة أساسا من وحدات سكر الجلوكوز؛ وهي المادة الخام للعديد من الصناعات المختلفة لعدم قابليتها للذوبان في الماء[1]؛ وقد فصّل مؤلف كتاب "عمدة الكتاب" في كيفية صنع الورق والمراحل التي يمرّ بها، ويمكن إيجازها فيما يلي: ينقع القنب ويسرّح بمشط حتى يلين، ثم ينقع بماء الجير، ويفرك باليد ويجفف، وتكرر هذه العملية ثلاثة أيام، ويبدل الماء في كل مرة حتى يصبح أبيضا، ثم يقطع بالمقرض، وينقع بالماء حتى يزول عنه الجير، ثم يدق في الهاون، وهو نديّ حتى لا تبقى فيه عقد، ثم يحلّل في الماء، ويصبح مثل الحرير، ويصب في قوالب حسب الحجم المراد، وتكون قطع الورق مفتوحة الخيطان، ثم يرجع إلى القنب، ويضرب ضربا شديدا، ويُغلى في قالب كبير بالماء، ويحرك على وجهيه بشدة حتى يكون ثخينا، ثم يصب على قالب لوح، ويلصق على حائط حتى يجف ويسقط، ويؤخذ منه دقيق ناعم ونشاء في الماء البارد، ويغلى حتى يفور، ويصب على الدقيق، ويحرك حتى يروق فيطلى به الورق، ثم تلف الورقة على قصبة حتى تجف من الوجهين، ثم يرش بالماء، ويجفف ويصقل"[2].

وحتى لا يمتص الورق الحبر المكتوب عليه، كان لزاما من مرحلة أخرى في المعالجة النهائية للورق، وذلك بغمسه في محلول نباتي يُفرز مادة لزجة غرائية تكون بمثابة طبقة علوية للورق كماء الأرز أو ماء النخالة أو ماء الكثيراء[3]، وحتى يحافظ الورق على سلامته رافقت هذه الصناعة الكثير من التقنيات والفنيات كصناعة التجليد، أو ما يعرف بالتسفير التي تعتمد على أفضل أنواع جلود الحيوانات.

1- أحمد فؤاد النجعاوي، الألياف الصناعة وخلطها، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط1، 1998، ص ص26- 33.

2- المعز بن باديس التميمي الصنهاجي، عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب، تحقيق نجيب مايل الهروي وعصام مكية، مجمع البحوث الإسلامية، طهران، ط1، 1989، ص90-89.

3- المعز بن باديس الصنهاجي، نفس المصدر، ص90.

9- صناعة مواد التجميل والعطور: تختلف معايير الجمال من شخص لآخر، ومن منطقة إلى أخرى؛ فمعايير الجمال تبقى نسبية لا يتفق عليها اثنان؛ فالجمال جمال الروح الذي لا يزول؛ وقد أبان ابن هذيل الأندلسي في رسالته عن التفاوتات الجوهرية بين الحسن والجمال بقوله: "الحُسن أعمُّ من الجمال، والفرق بين الحسن والجمال أنَّ الصورة تراها في نهاية الجمال، وليس يُقبل قلبك عليها، ولا يميلُ خاطرك إليها، ولا لها من الطلاوة شيء، ولا من الرونق زيٌّ؛ فكل حسن جميل، وليس كلُّ جميل بِحسن"[1].

تكاد المصادر الأندلسية تجمع على جمال المرأة الأندلسية؛ فقد قُرِّظتْ بأحسن الأوصاف؛ "فالأندلسيات أجمل صورة، وأذكى روائح، وأحمد عاقبة، وأطيب أرحاما"[2]، وَمَا عُرِف عن المرأة الأندلسية الحرة أنّها لا تخرج من بيتها إلاَّ وهي مُستترة الوجه، غير أنَّ هذا الإسدال لم يمنع الشعراء من التغنّي والتفنّن بمحاسن وجهها؛ فمن الأشعار الأندلسية التي قيلت في حق المرأة الأندلسية التي تكشف عن جمال وجهها: بحر الكامل

بَرزتْ بِوَجْهِ مِثْلَ بدْرٍ مُكْمَلِ مِنْ تَحْتِ سِتْرٍ كَالْظلامِ المُقبِلِ[3]

قد رقّ ذاك الستر فوق جبينها فكأنـه من رِقّـةٍ لـم يُسْدّلِ

فالجمال مطلب يُراود الإنسان منذ الأزل، وإذا كانت الزينة والتجمّل بالنسبة للرجل من الكماليات إلا أنَّ الأمر بالنسبة للمرأة من الحاجيات الفطرية التي لا يمكن لبعضهن الاستغناء عنها؛ فسحر الطبيعة الأندلسية زاد من رغبة المرأة في التجمّل؛ فقد استعانت غالبية نساء الأندلس، ونخصّ بالذكر الغرناطيات منهن بمختلف النباتات التجميلية التي ساهمت في إظهار محاسنها والحفاظ عليه؛ فقد ورد عند ابن الخطيب الأندلسي عن نساء غرناطة أنهن "قد بلغن من التفنن في الزينة لهذا العهد،

1- ابن هذيل الأندلسي علي بن عبد الرحمان ، صفات الحُسن والجمال وسمات الملاحة والكمال، تحقيق أحمد بوغلا، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2013، ص37.

2- التيفاشي شهاب الدين أحمد- أوصاف النساء- تحقيق محمد رجب- دار الحرية للصحافة والطباعة- 2006. ص21

3- ابن سعيد المغربي، رايات المبرزين وغايات المميزين، ص148.

والمظاهرة بين المصبَّغات، والتنافس في الذهبيات والديباجيات، والتماجن في أشكال الحَلْي إلى غاية بعيدة"[1]، ولعلَّ التفسير التاريخي لهذه الظاهرة هو انحلال المجتمع الغرناطي، واندماجه مع الأطياف المسيحية واليهودية، ولا سيما أنَّ الفترة الغرناطية (633هـ-987م) قد شهدت ضياع معظم مدن الأندلس، كما يجب أنْ لا ننسى أنَّ تحوّل غرناطة إلى عاصمة لمملكة بني الأحمر قد فرض على سكانها وقاطنيها نمطا معيشيا يتسم بالتحضر، ومختلفا عن الحياة القروية، وهو ما أثّر في سلوكيات المجتمع الغرناطي[2].

تعرفت المرأة الأندلسية على مواد التجميل مثل غيرها من النساء؛ غير أنّ الذي يميز مواد التجميل الأندلسية أّنها كانت تحضر بعناية خاصة وبإشراف طبي؛ فقد ألّف ابن زهر كتاب "الاقتصاد في إصلاح الأنفس" الذي عُرف بكتاب الزينة لشدّة إلحاح المؤلف فيه على الزينة والتجميل[3]، وإنّ كان أحد الباحثين يرى أنَّ الزينة عند ابن زهر هي الطب الوقائي بمفهومها الحالي، وهذا لضمان دوام الصحة وسيرورة عمل الإنسان[4]، بل إنّ المرأة الأندلسية ترددت على الطبيب من أجل أنْ يزودها بوصفات تجميلية آمنة تزيد في بهاء منظرها ومنها نذكر:

أ- حمرة الخدود بمركبات نباتية: يبدو أنَّ نساء قرطبة تميزن بجلاء الوجه ونضارته، وللحفاظ على هذه الإشراقة بذلن جهدا في العناية بنبات "أحريش" الذي ينبت بناحية قرطبة كالطحلب؛ حيث يتم جمعه وتجفيفه من طرف النساء، ليصبح مسحوقا كالتراب؛ فيستعملنه في جلاء الوجه وتحميره وإلهابه[5]، كما عرف نساء الأندلس نباتا آخر يزيد في حُمرة الوجه يُعرف بنبات أذن الغزال، وهو نوع من

1- ابن الخطيب، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، ص66.

2-Rachel Arié, L'Espagne musulmane au temps des Nasrides, éd, E. de Bocard, Paris, 1973, p382.

2- عبد الكريم الباقي، المداواة والتغذية بالعقاقير النباتية في كتاب التيسير في المداواة والتدبير لأبي مروان عبد الملك بن زهر، مجلة اللغة العربية بدمشق، مجمع اللغة العربية، دمشق، 1984، مج59، ج3، ص508.

4- غازي الشمري وجعفر يايوس، ابن زهر دراسة في الكتابة والتطبيب، منشورات مخبر البحث التاريخي مصادر و تراجم، جامعة وهران، 2013، ص83.

4- أبو الخير الإشبيلي، عمدة الطبيب، ج1، ص46.

البقل منبته التخوم والأرض الغامرة والجدران، يظهر في زمن الربيع، ويسمى بعجمية الأندلس مخيشله ديّه، لأنه إذا حُكَّ الوجه بأصله غضاً كما قُلع حَمَّره وحسَّنه[1]، وقصدت امرأة الطبيب الهاشمي تشتكي إليه شحوبا أصاب وجهها لأزيد من أربعة أشهر، وبعد أنْ تأكد من عدم وجود أي سبب مرضي "أعطاها الطبيب حمرة تدخل بها الحمام متكونة من القرمز ونبات الفوة والشب الأبيض، وأشار إلى أنَّ مثل هذه الوصفات التزينية موجودة بكثرة في كتاب الزينة لابن الجزار[2].

ب- ترطيب البشرة وإزالة النمش والكلف: يشير الطغنري إلى قشر البطيخ إذا يبس، وأخذ وماؤه إذا طليت به الوجوه صقلها وحسّن البشرة، وأزال النمش من الوجه"[3]، غير أنَّ أطباء الأندلس أدركوا أنَّ هذه العيوب سببها مرضي؛ فلا تكفي المستحضرات التجميلية التي تُستعمل من الخارج، وإنّما يجب مُداواة علتها من الداخل، والمتمثلة في استفراغ الخلط السوادي[4].

ومن العقاقير المُزيلة للنمش والكلف الشبيه بالبرص أنْ يقوم المريض بطلاء وجهه المكون من مسحوق بعض النباتات الطبية بعد عجنها بزيت السيرج المعروف بزيت السمسم مثل : لوز المر المقشر، ودقيق الترمس، وبزر كرنب،[5].

ج_ تخضيب الشعر بمركبات نباتية: يعد الخضاب عادة عربية شرقية اختصّ بها أهل الجزيرة العربية، ويكشف لنا صاحب أخبار مجموعة أنَّ الإسبان كانوا يجهلون الخضاب قبل ذلك، ولم يعرفوه إلاَّ بدخول المسلمين إلى الأندلس؛ فقد ذكر أنّ سكان ماردة أرادوا مُصالحة موسى بن نصير؛ "فخرجوا إليه فألفوه أبيض اللحية، فراضوه على شيء لم يوافقه ثم رجعوا؛ فلما قبل العيد خرجوا إليه ليراضوه؛ فإذا هو قد شبّب لحيته بالحناء؛ فألفوه أحمر اللحية، فعجبوا، وقال قائلهم: أظنه يأكل ولد

5- نفسه، ج1، ص48.

2- الهاشمي أحمد بن عيسى ، كتاب مجالس في الطب، تحقيق سمير القدوري، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد، 2005، ص57-58.

3- الطغنري، كتاب زهرة البستان، ص497.

4- بنظر الفصل الثالث المتعلق بالمعارف الطبية من هذه الدارسة.

5- الأمير الشريف عبد الله بن أحمد بن إسماعيل الحسني العلوي السجلماسي المغربي، نُزهة النفوس فيما يصلح للعريس والعروس، تحقيق إبراهيم بن عبد العزيز اليحي، الدار العربية للموسوعات، بيروت ، ط1، 2001، ص145.

آدم، أو ما الذي رأيناه بالأمس، ثم خرجوا إليه يوم الفطر؛ فإذا اللحية سوداء، ثم خرجوا إليه يوم الفطر؛ فإذا اللحية سوداء؛ فرجعوا إلى أهل مدينتهم؛ فقالوا: يا حمقاء، إنما تقاتلون أنبياء يتخلقون كيف شاءوا ويتشبَّبون، قد صار ملكهم حدثا، بعد أن كان شيخا"[1]، ويذهب المقري أيضا بالقول إلى: "أنهم كانوا لا يعرفون الخضاب، ولا كيفية استعماله"[2]؛ فالنص يكشف أنّ العرب هم أول من أدخل عادة التخضيب أو صبغ الشعر إلى بلاد الأندلس.

يُعدُّ نبات الحناء أشهر مواد التخضيب في الفترة الإسلامية، ولأهمية هذا النبات في المجتمع الأندلسي؛ فقد خَصّصَتْ له كتب الفلاحة الأندلسية فصولا خاصة في كيفية زراعته والعناية به[3]، كما زودتنا المصادر التاريخية بإشارات مهمة ومقتضبة عن رجال من أمراء وخلفاء بني أمية الذين تخضّبوا بالحناء وغيرها من النباتات، مثل الأمير عبد الرحمن بن الحكم بن هشام[4]، والإمام المنذر بن محمد بن عبد الرحمن الذي كان يخضّب بالحناء والكتم[5]، فضلا عن قضاة وفقهاء عُرفوا أيضا بتخضيب رؤوسهم ولحاهم[6]؛ فكانت الحناء تُخلط بالعديد من النباتات من أجل الحصول على لون مختلف عن لونها؛ فكانوا يخلطونها بنبات الكتم سابق الذكر، ونبات الوسمة الذي كان يجفف ويدق ويطحن، ويخلط مع الحناء، ويُخضّب به، ويرى أبو الخير الإشبيلي أنها سميت بالوسمة لوسامتها لأنها تُسَوِّد

1- مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1981، ص26.

2- المقري، نفح الطيب، ج1، ص270.

3- يًنظر على سبيل المثال: الطغنري، زهرة البستان، صص457-459.

4- مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص183.

5- الكتم (Buxux diocia): يعرف في لغة البربر بالزنبوج، من جنس الشجرّ العظام النابتة بالجبال التي لا تتعَرىّ من ورقها في زمان ما، وله أنواع: فيه ما يُشبه ورقه ورق الزيتون، ويعلو مثل ما يعلو الزيتون، له ثمر مثل ثمر الفلفل إذا نضج اسْوَدَّ، ويعتصر منه زيت كزيت الزيتون يُستصبح به معروف، ولا ثمر له وإنما يُنوّر ولا يعقد. نفسه، ص194/الغساني، حديقة الأزهار، ص153.

6- مثل الفقيه عبد الله بن سعيد بن خيرون الذي كان يخضب بالسواد، والفقيه محمد بن عبد الجبار الطرطوشي، وكان يخضب بسواد الرمان، يخضب بأقبح سواد خضب به. ابن بشكوال، الصلة، ص220/المقري، نفح الطيب، ج2، ص90.

الشعر وتُحِّسنه، وفيها زينة[1]، ويوجد به بالأندلس النوع الأندلسي الذي يُعرف بالعِظلم، منابته البياضات من الجبال، ويسمى عند الناس بالحّناء الجبلية[2].

على الرغم من شهرة الأندلسيات بالشعر الأسود المُرسَلِ، إلاَّ أنّهن كنَّ يتعاهدن شعورهن بصباغته لمّا يغزوه الشيب[3]؛ حيث كنّ يستعملن السُماق الأندلسي في تسويد لون الشعر عن طريق طبخ ورقه، وتجدر الإشارة إلى أنَّ هذا النبات يكثر بقرطبة وجيان[4]؛ فأهل المغرب الإسلامي كانوا على اطلاع طبي حول مسألة حدوث الشيب قبل أوانه، والذي يكون إمّا من كثرة البلغم المتولد في المعدة والرأس، أو من تواتر الهموم والأحزان على النفس حتى يبرد المزاج[5]، كما استعملت نساء الأندلس بعض النباتات التي تزيد في تثبيت خضاب الحناء لفترة أطول كنبات حبربان، وهو نوع من أصناف الخروع، ورقه يشبه ورق التوت أول خروجه، يُتخذ في البساتين والدور، وهو كثير بطليطلة وشَنْتَ مريه[6].

يبدو أنّ نساء الأندلس لم يكتفين بالحناء في تخضيب شعورهن وتجميل أيادهن، وإنمّا توفرت لديهن معارف أخرى لنباتات أخرى خصّصت للتزين كنبتة دم الغزال، وهو نبات البقلة الحمقاء الذي يسمى أيضا بالطرخون، وله عرق أحمر كعرق الأرطأة، تخطط الجواري بمائه في أيديهنّ ووجوهن فتبدي فيها حُمرة جميلة"[7].

1- أبو الخير الإشبيلي، عمدة الطبيب في معرفة النبات، ج2، ص620.

2- نفسه، ج2، ص621.

3- ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، ص40/أحمد محمد الطوخي، المرجع السابق، ص87.

4- أبو خير الأندلسي، عمدة الطبيب، ج2، ص543.

5- ابن عرضون أبو العباس أحمد بن الحسن، مُقنع المحتاج في آداب الأزواج، دراسة وتحقيق عبد السلام زياني، مركز الإمام للدراسات والنشر للتراث، الجزائر، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2010، مج1، ص290.

6- أبو الخير الإشبيلي، عمدة الطبيب، ج1، ص156.

7- نفسه، ج1، ص231.

إنَّ للون الأحمر مكانته بين الألوان من حيث مواد التزيين على جسد المرأة؛ حيث ترى الباحثة الفرنسية كامبس فابرير أنَّ "اللون الأحمر الذي فرض احترامه بين المجتمعات البدائية لاعتباره يجسد رمزا وقائيا يفصح عن القوة والحيوية والنشاط"[1].

بقيت عادة التخضيب عادة متوارثة حتى بعد سقوط الأندلس سنة 897هـ/1492م، ونستشف ذلك من خلال الأحكام الصادرة في حق الموريسكيين التي تمنع فيها النساء المسلمات من استعمال الخضاب في أيدهن وشعورهن، والتنظيف بالحمامات[2]، محاولة في طمس الهوية والذاكرة الأندلسية الإسلامية.

د_ فن التجميل في صنف الجواري: عجّت المجتمعات الإسلامية بأجناس مختلفة من الجواري، وظلَّ الجمال معيارا أساسيا في تملك الجارية؛ فضلا عن أمور أخرى يبتغيها المالك، ولكثرة الطلب على الجواري شاع الغش والتدليس في بيعين؛ وقد حذّرت كتب الحسبة من كشف الجمال الطبيعي للجارية من المزيّف منه مع براعة أهل النخاسة في إخفاء عيوب جواريهن، والحرص على عرضهن في السوق وفق قاعدة العرض والطلب؛ فعلى حسب تقدير الباحث جبور عبد النور أنَّ "عرض الجواري في الأسواق يحطُّ من قدرهن، لأنَّ البارعات في الجمال لا ينزلن هذه المنازل المهينة، وإنمّا يُسعى وَراءَهُنّ، وتُرسل الرسل في التفتيش عنهن، لذلك كانت هذه الأسواق تنحصر بالجواري معتدلات الجمال، ويندر أنْ يكون في النساء حسناوات أو فاتنات"[3]؛ فقد كان العرف التجاري يعتمد صفة الجمال في التمييز بين إماء المتعة (العلية) وإماء الخدمة، أو ما يعرف بجواري الوخش[4].

1- Camps- Fabrer Henriette, Parure des Préhistoriques en Afrique du Nord, Imp officielle, Alger, 1962,P 34 .

2- أنور الدين الصغير، محنة المرأة الموريسكية، أعمال المؤتمر العالمي السابع للدراسات الموريسكية الأندلسية حول العائلة الموريسكية للنساء والأطفال، جمع وتقديم عبد الجليل التميمي، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، أبريل، 1997، ص58.

3- عبد النور جبور،الجواري، دار المعارف للطباعة والنشر، مصر ، أكتوبر1947، ص28.

4- توفيق بن عامر، الحضارة الإسلامية وتجارة الرقيق خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 1998، ص439.

ولهذا عَمد النخّاسون في إعمال الحيل، وتعلّم فنون التزيين وإخفاء العيوب؛ فاستخدموا مختلف مستحضرات التجميل من أجل المغالاة في أسعارهن؛ فالقاعدة الربحية عند النّخاسين تقول: "ربع درهم حِنّاء يزيد في ثمن الجارية مائة درهم"[1]، كما عَمدوا إلى التسمين السريع للجواري النحيفات، وفي ذلك يقول ابن سمجون: "ورأيت كثيرا من المتطببين إذا أراد أن يزيد في لحوم الجواري القضاف والنحيفات الأبدان يسقونهن نقيع حبّ الأثل ثلاثة أيام أو سبعة أيام متوالية، ثم يتبعون ذلك بالأقراص المبردة المرطبة المستعملة في زيادة لحوم المسلولين سبعة أيام، ثم يلزمونهن شُرب مَحض لبن البقر، ويعطونهن إيّاه بالكثيراء[2] المسحوق أيامًا، ثم بالكعك المعمول من دقيق السميد المحكم الصنعة؛ فيزيد ذلك لحومهن زيادة بيّنة حسنة، ويحسّن ألوانهن ويطريها، ويفيدها نضارة ورونقا[3]، كما أخفوا علة البرص؛ حيث كان النخاسون يغرزون في مواضع البرص بالإبرة، ويخضبون عليه ببعض النباتات التي تصبغ البرص بخليط بعض النباتات كالعفص[4] ومعدن الزنجار، وتعجن بالماء ولبن التين؛ فيبقى مصبوغا أربعين يوما[5].

من هنا تأتي أهمية رسائل العلماء التي ألفت في فن فَحْص الجواري لمعرفة الطبيعي من المصطنع، ويوضح لنا النص الآتي أنواع الحيل والخدع التي يجنح لها النخاسون بقوله: "كنْ على حذر من شَرْي الرّقيق في المواسم؛ ففي مثل تلك الأسواق يتم للنسّاخين الحِيل؛ فكم من قصيفة بيعت بخَصْبة،

1- ابن بطلان المتطبب البغدادي أبو الحسن المختار بن الحسن بن عبدون ، رسالة جامعة في الفنون نافعة في شرى الرقيق وتقليب العبيد، ضمن نوادر المخطوطات، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط1، 1954، ص356.

2- **شجر الكثيراء (Astragalus massiliensis)**: شجرة الكثيراء هو أصل عريض خشبي يظهر منها شيء على وجه الأرض، يخرج منه أغصان صلبة تنتشر على وجه الأرض كثيرا، لها ورق صغار رقاق كثيرة فيما بينها شوك مستتر بالورق أبيض مستوي القيام صلب، والرطوبة التي تظهر عن هذا الأصل هي الكثيرا. ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج4، ص309.

3- ابن سمجون، المصدر السابق، مج1، ص192.

4- **العفص (Quercus ilex)**: من جنس الشجر العظام، وهو من أنواع البلوط، له ثمر في قدر الجوز أو أثل، كثير اللحم، صُلب بين الصُّفرة والحُمرة وبين البياض والسواد، وهو كثير بأرض الأندلس، سنة تُثمر بلوطا وسنة عفصا، كما يشير أحد الباحثين أنّ بالعفص مادة سوداء غنية بحامض التّنيك، إذا نقعت في الخل سودت الشعر، كما وردت عدة وصفات لهذه المادة في صنع مداد الكتابة. الغساني، حديقة الأزهار، ص210/عبد الستار الحلوجي وعلي عبد المحسن زكي، عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب المنسوب للمعز بن باديس، مجلة الوعي الإسلامي، عدد خاص بعلم المخطوط العربي بحوث ودراسات، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ع 79، 2014، ص679.

5- السقطي، المصدر السابق، ص51.

وسمراء كَمِدة بيعت بصفراء مُذهبة، وممسوح العجز بثقيل الروادف، وبطين بمجدول الحشا، وأبخر الفم بطِّيب النكهة، وكم صفروا البياض الحادث عن القروح في العين، والبرص والبهق في الجدل، وجعلوا العين الزرقاء كحلاء، وكم من مَرّة حمَّروا الخدود المصفَرّة، وسمَّنوا الوجوه المقمعة، وكبروا الفِقاح الهزيلة، وأعدموا الخدود شَعر اللِّحى، وأكسبوا الشُّعور الشُّقر حالك السواد، وجعَّدوا الشعور السّبْطة، وبيَّضوا الوجوه المسرّة، ودَمْلَجُوا السَّيقان المعرَّفة، ورطَّلوا الشعور الممرّطة، وأذهبوا آثار الجدري والوشم والنَّمش والحِكّة"[1]، وعلى الرغم أنَّ النص يعبر عن حيل وأساليب الخداع التي يستعملها النخّاسون من الاستزادة في وسامة وجمال وبهاء الجواري اللواتي يُبعن في سوق النخاسة، إلاَّ أنَّ عملهم في هذه الأمور يدل على براعة عملية وعلمية تضاهي عمليات التجميل وأساليب التحسينات المستعملة في عصرنا، وربما تتفوق عليها إذ لا مجال للخطأ فيها، ولا سيما أنهم استخدموا مواد طبيعية آمنة لعلاج عيوب جسم النساء، وتحسين جماليته على حسب متطلبات العصر آنذاك.

من المفيد أن نُنَبّه إلى أنَّ السلطات الإسبانية بعد حركة الاسترداد اتبعت سياسية التمييز العنصري من خلال إخضاع لون البشرة إلى بعض المستحضرات التجميلية التي كانت مستعملة عند مسلمي الأندلس، تقول الباحثة لوسي بولنز (Lucie Bolens): ".بعد توحيد ممالك إسبانيا وطرد اليهود والمسلمين؛ أي الموريسكيين، اتبعت السلطات الإسبانية سياسة نقاء الدم (pureza de sangre)، وذلك بقبول ذوي الأصول الإسبانية النقية من خلال المطالبة بالبياض الناصع للبشرة باستعمال قناع الرصاص"[2]، ويبدو أنَّ ميزة قناع الرصاص هذا تمثلت في كشفه عن درجة بياض البشرة، وعليه يتم عزل كل ذوي البشرة السمراء التي تُعدُّ غير مُطابقة لشروط المجتمع الكاثوليكي الجديد، ورغم غرابة وسذاجة الطريقة للكشف عن السلالة البيضاء المتبعة آنذاك، إلاَّ أنّ الذي يهمنا في المسألة أنّ

1 - ابن بطلان، المصدر السابق، ص355.

2-Lucie bolens, L'Andalousie du quotidien au sacré Xle - XIIIe siècles,. Variorum Gower House, Great Britain, 1990, p161.

مستحضرات التجميل بكل أنواعها سواء كانت نباتية أو معدنية وحتى حيوانية كان لها دور بارز في إظهار سمات الجمال على حسب معاييره في تلك الفترة.

10 _الصناعة العطرية: ما لا يختلف عليه اثنان أنَّ غالبية العطور تعود إلى أصل نباتي؛ لأنَّ الأصل الحيواني لبعض العطور كالمسك[1] ما هو في الحقيقة إلاَّ امتداد للنباتات العطرية، ذلك لأنّ بعض الحيوانات كالغزال مثلا من خلال تغذّيها على بعض النباتات العطرية كالشيح ونبات الناردين العطري؛ أو ما يعرف بالسنبل، تفرز لنا عطورا في غاية الجودة[2].

ترتبط العطور بجمال المرأة وطيب رائحتها، ومن وصايا أبي بكر التيفاشي قوله: "اعلم أنَّ الرائحة التي تطيب رائحة البدن والثياب من المرأة جالبة لمودة الرجل، وباعثة له على الموافقة، ولا يفيد ما قدمنا من أنواع الزينة مع عدم الطيب، ولا سيما إذا كان عرق المرأة سَهكا ذفرا(خبيث الرائحة) كريها أعرض عنها كل من يحبها؛ فاعلم ذلك"[3].

عرفت بلاد الأندلس بالمطيب لطيب عقاقيرها الطيبة الرائحة؛ فنافست العقاقير الهندية الرفيعة في بخورارتها، كعود اليَلَنجوج والسنبل الذي كان يوضع في الصناديق التي تُجمع فيها الثياب لطيب رائحته، وعود الآراك الذي كان يُستاك به وعود الجَنِيطيانا[4].

لم يتوانَ العطارون في تحضير عطور فواحة من مختلف النباتات العطرية؛ فقد اختصَّ ابن الجزار القيرواني في صنع العطور لمختلف الطبقات بين عطور ملوكية وأخرى عادية[1]، وقد كان للعطر

1- يشرح ابن البيطار طريقة استخراج المسك بقوله: "إنَّ سرة الغزال يتولد فيها دم هو المسك؛ فإن اصطيد ولم ينضج الدم في سرته لا يكون مسكا جيدا، وسبيله سبيل للثمار إذا قطعت قبل النضج، وأجود المسك ما ألقاه الغزال، وذلك أنَّ الطبيعة تدفع مواد الدم إلى سُرّته؛ فإذا نضج الدمُ فيها يجد الغزال منه حلة؛ فيفزع حينئذ إلى صخرة حادةٍ يحتك بها ملتذا بذلك؛ فحينئذ ينفجر الدمُ من السرة انفجار الدم من الخراج والدماميل، والناس يتبعُون مراعيها في الجبال؛ فيتخذون ذلك الدم وقد جمد على الصخور؛ فيأخذونه ويدعُونه في النوافج فذلك أجود المسك". ابن البيطار المالقي، منافع الحيوان وخواص المفردات، مخطوط المكتبة الوطنية الفرنسية، تحت رقم 2772، ورقة 20 و21.

2- Lucie Bolens , Ibid, p. 152.

3- أبو بكر التيفاشي، أوصاف النساء، تحقيق محمد رجب، دار الحرية للطباعة و الصحافة، 2006،ص61.

4- ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، ص17/أبو الخير الإشبيلي، عمدة الطبيب، ج1، ص50/نفسه، ج2، ص447.

ميزة خاصة في التفريق بين طبقات المجتمع، ولعلنا نستحضر الحدث التاريخي الذي وقع للخليفة الأموي الحكم الربضي (180- 206هـ/796- 822م) لما تربص الثائرون بقصره، وأوشك على الهلاك؛ "فطلب قارورة الغالية فأبطأوا عليه، وقالوا له: هذا وقت غالية! فقال: ويحكم بما يُعرف رأسي إذا لم يكن مضمخا بالغالية"[2]، ممَّا يدل على ما للعطر من مكانة في فرز طبقات المجتمع، كما ميَّزوا بين عطور يختص فيها الرجال، وعطور تختص فيها النساء، وذلك من خلال العطريات التي تفرزها النباتات العطرية كالورد والنرجس والسوسن والخيري، لأنَّ هذه توافق مزاج المرأة، وكلّ ما كان من الأرايح التي تلائم الطبائع، وتحرّك العز والجود والكرم كرائحة العود والآس والياسمين والبنفسج والمرزنجوش؛ فإنها مشاكلة ملائمة لرائحة الرجال"[3].

كما ألف أحمد بن عبد الملك ابن شهيد الأندلسي (توفى سنة 403هـ/1013م) كتابا لم يصل إلينا موسوم بـ"حانوت العطار"[4]، وابن الجزار الذي ألف كتاب "فنون الطيب والعطر"، ممّا يدل على أن العطارة تبوأت مكانة هامة في الثقافة الأندلسية، ولا سيما النساء اللواتي كانت أكثر تجمعاتهن بباب العطارين الموجود بمدينة قرطبة[5].

1- ذكر ابن الجزار أنّه صنع أشنانا لأبي عبد الله بن المهدي بقوله: "صفة أشنان آخر أطيب من الذي قبله ألفته لأبي الله بن المهدي بالله، رحمه الله تعالى: يؤخذ من المسك وزن عشرين مثقالا، وقشور البطيخ وورق مرزنجوش يابس وقشور التفاح مجفف وقشور الأترج مجفف و ميعة يابسة، من كل واحد عشرة مثاقيل، وسعد وبسباسة وقاقلة وكبابة وقرنفل وعود من كل واحد وزن مثقالين، يدق ذلك ويُنخل، ويعجن بالشراب الجيد الأحمر، ويعمل قرصا ويجفف في الظل...". ابن الجزار، كتاب في فنون الطيب والعطر، تحقيق الراضي الجازي وفاروق العسلي،المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، تونس، 2007، ط1، ص118.

2- عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص35

3- ابن الجزار، المصدر نفسه، ص94.

4- الحميدي أبو عبد الله بن فتوح بن عبد الله، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، الدار المصرية، القاهرة، 1966، ص133.

5- ابن حزم الأندلسي علي بن أحمد بن سعيد، طوق الحمامة في الألفة والألاف، دار المحبة، دار آية، دمشق، بيروت، ط1، 2007، ص41.

وتتم صناعة العطور بمراحل أهمها التقطير:

أ_ **التقطير (distillation)**: وهي طريقة عملية يتم فيها سحب العطر من النبتة العطرية بواسطة بخار الماء، وأهم أدوات التقطير القرعة والأنبيق وجمع ما يقطر بالقابلة[1]، ويشرح لنا الخوارزمي بشيء من التفصيل آلة التقطير بقوله: "من آلات التقطير: القرع والأنبيق، هما آلتا صناعة ماء الورد، والسفلى هي القرع، والعليا على هيئة المحجمة، هي الأنبيق الأعمى الذي لا ميزاب له... والقابلة: شيء يحمل رطلا أو نحوه، يُجعل فيه ميزاب الأنبيق"[2].

وجهاز التقطير كان معروفا في بلاد الأندلس، إذْ تَحدّث الزهراوي عن درجات التقطير على حسب ألوانها بقوله: "فإذا كان الماء مقطر أبيض يصلح للخلفاء والأمراء والحجاب، والأصفر يصلح لمن دونهم، والثالث الذي يقصد به الأحمر فهو يصلح للنساء"[3]، ممّا يدل على أنَّ عملية التقطير تمرُّ عبر مراحل، ويحتاج إلى صبر ومتابعة؛ فالعملية الأولى عند بداية التقطير تسمى برأس التقطير لأننا نتحصل على عطر خالص وممتاز؛ في حين يكون في المرحلة الثانية أقل جودة، أما المرحلة الأخيرة التي يمكن أن نسميها بذيل التقطير فإنّ العطر المتحصل عليه يكون ثقيلا وثخينا.

ويُعد ماء الورد من أكثر المواد تقطيرا في بلاد الأندلس نظرا لكثرة الطلب عليه، ولغنى الأندلس بمختلف أنواع الزهور والورود الطيبة؛ فثمة مبالغة مفرطة في استهلاك ماء الورد من قبل طبقة الخاصة، ومن الإشارات الدالة على ذلك ما ذكر عن المنصور محمد بن أبي عامر الذي وصل إلى مُرسية، واستضافه أحمد الخازن لعدة أيام؛ فكان ماء الحمام من ماء الورد الطيب إكراما للمصور[4]، والمعتمد بن عباد الذي بالغ في إرضاء زوجته اعتماد الرميكة؛ فجهزّ لها موضعا تلهو فيه مع بناتها،

1- الأب شحاتة قنواتي، المرجع السابق، ص47.

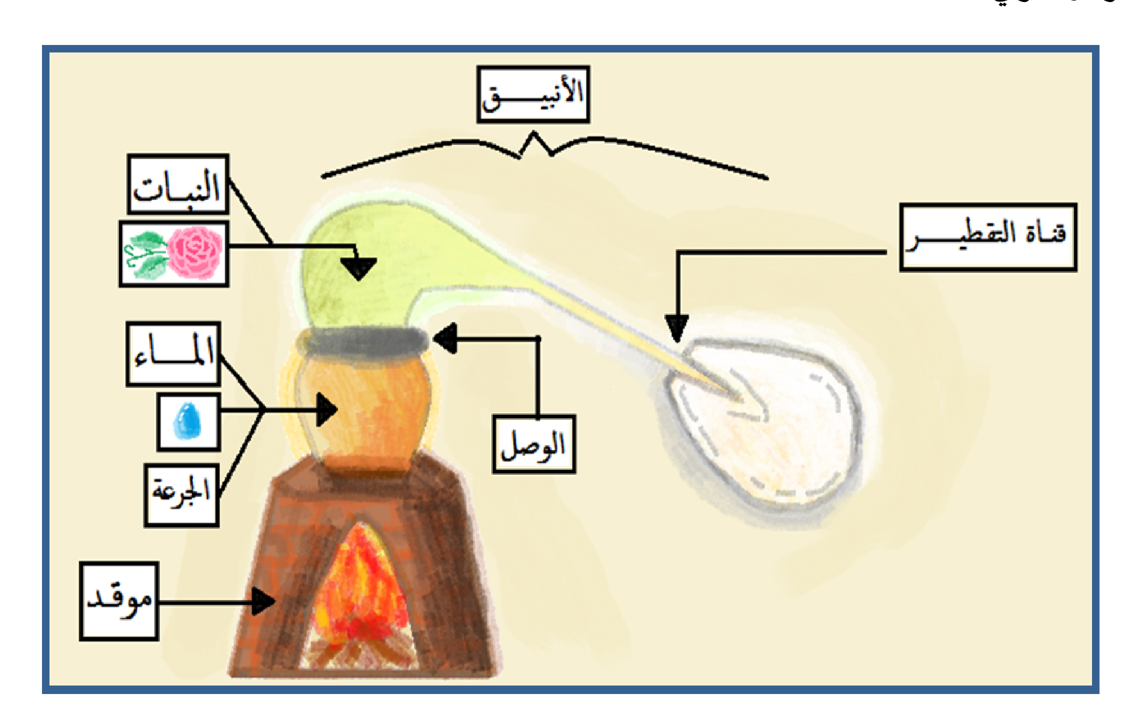
2- الخوارزمي محمد بن أحمد بن يوسف ، مفاتيح العلوم، نشر فان فلوتان، ليدن، 1885.ص146.

3- الزهراوي، التصريف لمن عجز عن التأليف، المقالة التاسعة عشر، تحقيق محمد العربي الخطابي، ضمن كتاب الأدوية والأغذية بالغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص288.

4- العذري، المصدر السابق، ص15.

ترابه مبللا بماء الورد حتى أصبح مثلا جاريا في المجتمع الأندلسي: "ولا يوم الطين"[1]، إنّ ورود مثل هذه الإشارات التاريخية لدليل قاطع على أهمية ماء الورد في الثقافة الأندلسية.

والشكل التالي يوضح لنا الكيفية التي كان يُعمل بها تقطير الأزهار للحصول على أنواع مختلفة من العطور والغوالي:



رسم توضيحي لآلة التقطير

ويمكن الحصول على العطر من مختلف النباتات الزهرية والعطرية التي تفرز لنا زيوت طيارة؛ فاستخرج الأندليسون عطورهم من أنواع مختلفة من الرياحين والأزهار مثل الآس والورد والنرجس والياسمين والسوسن والنسرين والنيلوفر والخيري والمردقوش...

نستخلص ممّا سبق أنَّ الإرتقاء الصناعي والحرفي النباتي بالأندلس كان بدعم قوي من السلطة بهدف إنعاش وتطوير الإقتصاد، إضافة إلى جانب المعرفة والخبرة لدى الأندلسيين في عالم النبات، وإدراكهم لخصائصه وطرق استغلاله لصالح معاشهم من تحويل الثروة النباتية إلى موارد أولية أساسية في مختلف الصناعات، وبذلك نجح الأندسيون إلى حدّ كبير في دمج ما هو علمي نظري، وما هو

1- المقري، نفح الطيب، ج4، ص272.

تجريبي صناعي إزاء ما توفر لديهم من ثروات طبيعية ونباتية، وبذلك أضحى العمل الحرفي الصناعي رديفا حقيقيا للعلم والعلماء في النظر والتقصّي.

خامسا- علاقة النباتات بالأزمات الطبيعية والإجتماعية:

1- أزمة الجوع: على رغم ما خلفته المجاعات من وفيات ومآسي على المستوى الاجتماعي والصحي والاقتصادي وحتى الأخلاقي، إلاّ أننا لم نظفر بمؤلف يخصّها[1]، وقد طرح أحد الدارسين انشغالا مهما عن سبب غياب المجاعات رغم شدتها وتواترها في كتابات المؤرخين على خلاف أدب الطواعين، مؤيدا رأيه في المسألة باستفهام آخر: هل فاقت الآثار التدميرية للأوبئة بكثير تلك التي خلفتها المجاعات[2]؟ وإنْ كان هذا التساؤل يحمل جانبا مهما من الحقيقة، غير أنَّ ما يمكن تسجيله وملاحظته في هذا الصدد أنَّ المجاعات مست بشكل كبير طبقة المعوزين والفقراء والضعفاء وما شابه ذلك، في حين أنَّ الأوبئة ولا سيما الطاعون، مسّت كل الطبقات بأشرافها وأعيانها ورجالاتها، بدليل أنَّ معظم الإحصائيات التي احتفلت المصادر بذكرها جاءت للمترجم لهم في كتب الطبقات والتراجم، ولم تول اهتماما بالعامة إلاّ ما ورد جُزافا، كما أنَّ أسباب المجاعات كانت معروفة في حين أنَّ أسباب الأوبئة ولا سيما الطاعون كانت مجهولة، ولهذا استدعى الأمر اجتهادا وهمّة من قبل العلماء في ذلك الوقت لتأريخ لها.

لقد جاء الحديث عن المجاعات في بلاد الغرب الإسلامي على شكل أخبار متناثرة تقاسمتها المصادر الإخبارية وكتب التراجم والطبقات في سياق الخبر العام، ولهذا رصدنا مجموع المجاعات التي وقعت في

1- باستثناء كتاب الجوع لمؤلفه ابن أبي الدنيا المتوفي سنة 281هـ/894م، الذي اتخذ المنهج الديني في تأليفه حيث ركز صاحبه على فضائل الجوع من الجانب الديني، واهتم بالاستشهاد ببعض الروايات والقصص التي حدثت في فترة النبوة والصحابة رضوان الله علهم، والمقصود بالجوع عند صاحب المؤلف هو أنه ليس فرضا شرعيا، ولا مطلبا أساسيا يكمل به إيمان المرء، لكنه دأبُ أهل الآخرة الذين يتقلّلون من شهوات الدنيا. ابن أبي الدنيا أبي بكر عبد الله بن محمد، الجوع، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 2000م، مقدمة المحقق، ص13.

2- محمد ياسر الهلالي، أثر القحط والمجاعات والأوبئة على الأنشطة الاقتصادية في المغرب الأقصى خلال أواخر العصر الوسيط، **أعمال الندوة الوطنية** "المجاعات والأوبئة في تاريخ المغرب"، الأيام الوطنية العاشرة للجمعية المغربية للبحث التاريخي الجديدة: 25-26 أكتوبر 2002، سلسلة ندوات ومناظرات، ع 4، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء، 2002، ص172.

الأندلس في شكل جدول أوضحنا فيه تاريخ المجاعة، والمنطقة التي مستها ببلاد الأندلس مع بيان سبب المجاعة إن كان طبيعيا أو بشريا.

2_ مخطط تفصيلي لسنوات المجاعة من عصر الولاة إلى السقوط:

	نوع الجائحة	سنة	المجال الجغرافي	ملاحظة	مصدر المعلومة
01	قحط	131إلى 136هـ	الأندلس	باستثناءسرقسطة/مجاعة/هجرة/سميت سنة برباط، فتك الجوع بالمدن والقرى.	البيان المغرب، ج2، ص38
02	محل شديد	139هـ	الأندلس	لم يرد ذكرها في المصادر باستثناء مؤلف مجهول.	مجهول،تاريخ الأندلس، ص165.
03	قحط	147هـ	الأندلس	قحط عظيم.	نفسه،ص166
04	قحط	161هـ	الأندلس والمغرب	قحط عظيم.	نفسه، ص166
05	سيل	161هـ	قرطبة	حمل نهر قرطبة حملا عظيما.	ابن عذاري،البيان ج2، ص56
06	سيل	177هـ	قرطبة	سيل عظيم عُدَّ في أمهات السيول، جاء بأمطار وابلة.	تاريخ الأندلس، ص172
07	سيل	182	قرطبة	ذهب بربض القنطرة، ولم يبق فيه دارا إلا حطمها.	ابن عذاري ص 70
08	قحط ومجاعة ووباء	189	الأندلس والمغرب وإفريقية	ذهب فيها ثلث الناس/وباء.	تاريخ الأندلس، ص180
09	مجاعة	197	الأندلس	مات خلق كثير بشرق الأندلس.	نفسه، ص180
10	مجاعة	207هـ	الأندلس	جوع شديد، مات به الكثير من الخلق/صلاة استسقاء.	ابن عذاري، ج2، ص81
11	قحط ومجاعة وجراد	232	الأندلس	ضرر بالمواشي والزرع، ارتفاع الأسعر، جلب الميرة والطعام من عدوة المغرب.	نفسه،ج2، ص89، ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص118
12	سيل	235هـ	الأندلس	أهلك 16 قرية من إشبيلية / وحمل وادي تاجه أهلك 18 قرية.	ابن غذاري، ج2، ص89
13	محل	236هـ	كورة تدمير	عدم تحصيل السلطة الجباية المستحقة	المقتبس، تحقيق مكي ص148
14	قحط ومجاعة	253هـ	الأندلس	انتشر الوباء وانعدمت الأقوات	ابن عذاري، ج2، ص100
15	مجاعة	260هـ	الأندلس	مات فيها أكثر الخلق/ وباء عظيم/ سميت بسنة ستون.	ابن أبي رزع، ص119، ابن عذاري، ج2، ص102

16	قحط	274هـ	الأندلس	دام ثلاثة أشهر/خروج من أجل صلاة الإستسقاء/أصيب الناس بقنوط ويأس	ابن عذاري، ج2، ص119
17	مجاعة شديدة	285 هـ	الأندلس	أكل الناس بعضهم بعضا/وباء/أمراض كثيرة سميت "سنة لم أظن"/دفن في القبر الواحد مجموعة من الناس دون غسل...	ابن أبي زرع، ص120 /ابن عذاري، ج2، 139
18	وباء بسبب مجاعة 285	288هـ	الأندلس	كثر الموت والمرض بالأندلس، هلك ما لا يحصى من العدد، دفن في القبر الواحد عدد كبير من الناس من غير غسل وصلاة.	مجهول، تاريخ الأندلس، ص200.
19	قحط	302هـ	الأندلس	قلت الميرة والحنطة في الأسواق، وغلت الأسعار/مهاجمة الأمير عبد الرحمن الناصر لابن عمه أبان لمنطقة رية فقام بإهلاك زرعها وثمارها.	ابن عذاري، ج2، ص166. ابن حيان المقتيس، تح شالميطا، ص103
20	قحط،مجاعة وفتن	303هـ	الأندلس	كثر الموت في أهل الفاقة/كثرت صدقات الناصر/كثرة الإغارات على ضعاف المسلمين بسب الجوع/شبهت بسنة ستين/أودى الموت بخلق من وجود قرطبة وعلمائها وخيارهم، قصرَّ المؤرخون بيانهم لكثرتهم/مات الناس جوعا، وكثر التباغض والتقاطع بين ذوي الأرحام.	ابن حيان، المقتبس، تح شالميطا، ص109، 124/ابن عذاري، ج2، ص168/ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص121
21	وباء وطاعون	307هـ	الأندلس	ينفرد ابن ابي زرع وتاريخ الأندلس بهذا الطاعون.	ابن أبي زرع، ص 121/ تاريخ الأندلس، ص203
22	قحط	314هـ	الأندلس	دام القحط والمحل مدة سنةوانكشفت الغمة.	ابن عذاري، ج2، ص192
23	محل واحتباس المطر	317 هـ	قرطبة	ضرر في الزرع وغلاء الأسعار.	ابن حيان، المقتبس، شالميطا، ص250
24	بَرَد رياح وأمطار	323هـ	قرطبة	اقتلاع أشجار الزيتون والتين..و بَرَد غليظ قتل كيرا من الوحش والطير والمواشي وأتلف الزرع.	ابن عذاري، ج2، ص211.
25	سيل	.334 هـ	قرطبة	بلغ الماء في برج الأسد و هدم القنطرة.	ابن عذاري، ج2، 213
26	قحط	335	قرطبة	لم ترد أخبار بشأنه	نفسه، ج2، ص 214
27	بَرَدْ	338هـ	قرطبة	وزنه وزن الحجارة، وأكثر ما قتل الطير والوحوش والبهائم وكسر الثمار، وأهلك جملة من الناس.	تاريخ الأندلس، ص209
29	وباء	344هـ	الأندلس	مات فيه أكثر الخلق، ينفرد ابن أبي زرع بهذا الخبر، ولكن بالموزاة نجد أنَّ الناصر علق 5 ألاف رأس ورفعها على خشب حوالي سور قرطبة ممّا يكون لها أثر كبير في انتشار أمراض وبائية بسبب ارائحة التي تبعث منها.	ابن أبي زرع، الأنيس، ص124/ابن عذاري، ج2، ص220
30	مجاعة	353هـ	قرطبة	مجاعة عظيمة تكفلَ بها الحكم المستنصر بضُعفائها بسبب مد النهر الطامي بقرطبة.	ابن عذاري، ج2، ص236

31	ريح	355هـ	الأندلس	ريح شديدة هدمت الديار وقلعت الأشجار وقتلت الرجال.	تاريخ الأندلس، ص213.
32	مجاعة	358هـ	الأندلس	أمر الحكم أن يفرق في ضعفاء قرطبة اثني عشر ألف خبزة في كل يوم.	تاريخ الأندلس، ص214
33	وباء وسيول	373 هـ	الأندلس	موت شنيع ومطر عام وسيول.	تاريخ الأندلس، ص222
34	مجاعة	379هـ إلى 381 هـ	الأندلس	دامت ثلاث سنين، أمر المنصور بأن يفرق 22 ألف خبزة كل يوم بقرطبة، قام باسقاط الأعشار وتكفين الأحياء.	تاريخ الأندلس، ص223
35	جراد	381 هـ	الأندلس	عمَّ جميع بلاد الأندلس، وكثر أذاه خصوصا بقرطبة/المنصور جعله وظيفة لمن يقوم بجمعه وعقره، وأفرد له سوقا لبيعه من جانب السوق/تمادى أثره ثلاث سنوات.	تاريخ الأندلس،ص223/ إبن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص146.
36	رياح وسيول	382 و385هـ	الأندلس	ريح شديدة هدمت الديار، وقلعت الأشجار، وأهلكت الناس/سيل عارم جرف أسواق قرطبة، وعلا على الزهراء.	تاريخ الأندلس، ص225/ ابن أبي زرع،الأنيس المطرب، ص148
37	سيل عظيم	401هـ	قرطبة	سيل عظيم بوادي نهر الوادي الكبير أدى إلى تحطيم 200 دار بأرباض قرطبة ووفاة 5آلاف شخص ردما و غرقا في ظرف ثلاثة أيام.	ابن عذاري، ج3، 105
38	مجاعة	401هـ	الأندلس	بسب الفتنة الأندلسية /قطع الميرة على أهل قرطبة، واشتد بهم الجوع وانعدمت المآكل/محاصرة البربر لأهل مدينة الزهراء ومات أكثرهم جوعا/ أكلوا المحرمات كالميتة ودم الذبائح وأكلوا لحوم البشر/ طال النهب والتخريب والدمار والحرق عدة مدن كمالقة وإلبيرة والجزيرة...	ابن عذاري، ج3، ص102، 105/عبد القادر بوباية ، البربر في الأندلس وموقفهم من فتنة القرن الخامس الهجري، ص503.
39	مجاعة	402هـ	بلنسية	ارتفاع الضرائب/هلاك الأراضي/ أصبحوا يبلسون الجلود ويأكلون البقل والحشيش.	ابن بسام، الذخيرة، ق3، مج1، ص19.
40	مجاعة	407هـ	الأندلس	قحط شديد ومَسْغَبَة عامة ووباء كثير.	ابن أبي زرع، ص149/
41	مجاعة	441هـ	تطيلة وبطليوس	غلاء في الأسعار ضيق الحال بمنطة تطيلة/بسبب الصراع القائم بين المعتضد وابن الأفطس	ابن بسام، الذخيرة، ق1. ج1. ص298-299.
42	قحط ومجاعة	في منتصف القرن 5هـ	إشبيلية	بلغ قفيزهم 11 مثقالاً والزيت ثمانية مثاقيل	ابن بشكوال، رقم 1210، ج2، ص166
43	مجاعة	487هـ	بلنسية	محاصرة القنبيطور لها مدة 20 شهرا/وصل ثمن الفأر بدينار/مات الناس جوعا/ترمق الناس بالجلود والأصماغ وعروق السوس، ومن دون هؤلاء بالفئران والقطط وجيف بني آدم/استحكم	ابن الكردبوس، الإكتفاء في أخبار الخلفاء،ج1، ص 414/ابن عذاري، البيان، ج4، ص34،29.

				الوباء.	
44	قحط	498هـ	الأندلس	حتى أيقن الناس بالهلاك.	ابن عذاري، ج4، ص39
45	قحط	524 هـ	غرناطة	لم ترد خسائر حول هذا القحط.	ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، س8، ص545/ابن الزبير، صلة الصلة، ص164
46	قحط وجراد	525 هـ	غرناطة	هجوم أسراب الجراد على المزارع والحقول خاصة سنة 526هـ.	ابن عبد الملك المراكشي، المصدر نفسه، س8، ص525
47	مجاعة	525 هـ	قرطبة	لم ترد تفاصيل بأخبار هذه المجاعة.	ابن القطان، نظم الجمان، ص226.
48	مجاعة	543 هـ	قرطبة	محاصرة من قبل النصارى/لم يتم الخبر ابن عذاري توقف عند "وأكلوا...".	ابن عذاري، ج4، ص121.
49		543 هـ	إشبيلية	كثرة الفتن/محاصرة إشبيلية برا وبحرا/غلاء الأسعار/قدح القمح 36 دينار.	ابن عذاري، ج4، ص 116
50	سيل عظيم	597 هـ	إشبيلية،و ضفتي الوادي من قرطبة إلى جزيرة قادس	هلك فيه أمم لا يحصيهم إلاَّ الله تعالى، أذهب 6 ألاف دار من دور إشبيلة، وعثروا على 700 من الغرق.	ابن عذاري، ج4، ص310، طبعة جديدة
51	مجاعة	892 هـ	مالقة	حصار عظيم من قبل ملك قشتالة/نفاذ ما عندهم من أطعمة وزاد، وأكلوا ما عندهم من المواشي والخيل والبغال والحمير والكلاب وورق الشجر وغير ذلك/أثر فيهم الجوع أثرا عظيما و مات كثير من نجدة رجالهم الذين كانوا يولون الحرب والقتال. تسليم مالقة للعدو.	مجهول، نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، 2006 ، ص 24.
52	مجاعة	897هـ	غرناطة	حصار غرناطة من قبل ملك قشتالة/اشتدَّ الغلاء، وامتنع عنهم الطعام والزرع والحرث/ واشتد الحال على الناس بالجوع وقلة الطعام .	مجهول، نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، ص39- 40

3_ تحليل الجدول: يتضح لنا من خلال الجدول أنَّ المجتمع الأندلسي في العصر الوسيط كان مهددًا بنفاذ قوته طوال فترة الأزمات التي تتربص به، بسبب ما يتعرض له من ظروف مناخية وحروب قاسية، فرضت عليه تغيير نظامه الغذائي المُعتاد؛ فالطعام يُعبّر عن هوية راسخة للمكانة الاجتماعية وعلى الحضارة والثقافة المحيطة به[1].

1-Fernand. Braudel, civilisation materielle economie et capitalisme, XVe-XVIII siècle, les structures du quotidien, édition Armand Colin, Paris.1979,p81 .

لقد بلغ من أهل الفاقة من أهل قرطبة في أيام الخلافة الأموية لإسكات آلام البطن من الجوع بجمع مَا يُرمى من فضلات الطبيخ الملكي، ويحتفظ لنا كتاب الطبيخ بهذه الصورة المزرية بنص فريد لم يرد في المصادر التاريخية بقوله: "وفي أيام عبد الرحمان الناصر لدين الله، وفي أيام ابنه الحكم، يطبخ خارج القصر كل يوم من الحمص المطبوخ خمس أغضرة قد أخذ ماؤها، وصرف في الطبخ، أو رمي بجرمه؛ فكان يرفعه الضعفاء والمساكين"[1]؛ فالنص يكشف عن سياسة الإسراف والتبذير المفرط في المطبخ السلطاني التي دأب عليها السلاطين في كل زمان ومكان، ولكن بالمقابل مزابل وفضلات المطابخ السلطانية شكلت قوت الضعفاء والمساكين بامتياز؛ فكرامة الإنسان توضع على جنب في بعض الأحيان في سبيل تحقيق غريزة البقاء، ولعلّ الباحث الاجتماعي جوديه دي كاسترو كان محقا بقوله: "ليست هناك كارثة أخرى تحطّم شخصية الإنسان وتدمرها كما يفعل الجوع"[2].

وترى الدراسات الفيزيولجية أنَّ الجوع يتطور إلى حدة الألم؛ فيجف اللسان، وتبرد الأطراف، وتبطئ حركة القلب، ويضعف النبض، ويتمدّد الصدر بعناء، وتنخفض حرارة الجسم؛ فيحدث انكماش ويبُس بالأمعاء، بهذه الكيفية يتسلل الوهن والضعف، وباستمرار هذه الحالة يصاب الإنسان بنوع من الهذيان التهيجي؛ فيفقد الإدراك[3]، وتؤول به الحال إلى أعمال ترتجف منها الطبيعة البشرية؛ فيصبح الإنسان الجائع حيوانا مفترسا بامتياز؛ ويلتهم كُلْ ما يُنفَرُ منه ويقزز النفس البشرية؛

لقد أباح الإنسان لنفسه في الأندلس الكثير من المحرمات كشرب الدم وأكل الميتة والقوارض من الحيوانات ذوات الناب كالفئران والقطط والكلاب، والحشرات التي تقشعر منها النفوس.

وتذكر إحدى الدراسات أنَّ لجوء الإنسان إلى استعمال وأكل المحرمات ما هو في الواقع إلا سلوك فرضته قوة تأثير الكوارث الطبيعية والبشرية لطرد شبح المجاعة، وقد يخلق ذلك من إشكاليات

1- مجهول، كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس عصر الموحدين، ص81.

2- جوزيه دي كاسترو، جغرافية الجوع، ترجمة زكي الرشيدي ومراجعة محمود موسى، دار الهلال ، القاهرة، د.ت، ص59.

3- أنطون جميل، الجوع والمجاعات، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2014، ص26.

التكيف والمواءمة[1]؛ فالجوع كافر يدفع الإنسان إلى أكل كل شيء؛ "فهو فقر النفس الذي يولّد الجزع والسّخط والتَبرّم حتّى يحمل الرّجلُ نفسهُ على الدخول في المحْظور"[2]، إلاّ أنه يبقى حالة استثنائية قد تطول وقد تقصر بحسب الظروف التي خلقته، ومن هنا سنتعرف على أهم النباتات التي استطاع الإنسان في الأندلس تكييفها مع وضعه الجديد في أوقات المجاعات وسوء الحال،

وقد تراءى لنا من خلال البحث أنَّ هناك عاملين أساسيين ساعدا على خلق بديل غذائي جديد في أوقات المجاعات؛ أولهما مرتبط أساسا بالتركيبة البشرية، والتنوع العرقي الذي ميز المجتمع الأندلسي كان له دور في تشكيل الثقافة الزراعية، وبالتالي لم يعدم من وسائل جديدة في توفير خبزه رغم ضيق الحال، وثانيهما ميزة ضفتي الحوض المتوسطي المتمثلة في انتقال العادات الغذائية بين أرجائه ممّا أضفى تقاربا غذائيا في الممارسات الغذائية[3]؛ وعليه فإنه حريّ بنا أنْ نتساءل عن نوعية النباتات التي ساهمت في تغيير ثقافة الاستهلاك، وتغيير الأذواق أوقات الأزمات ببلاد الأندلس خلال الفترة الوسيطة؟

4_ طعام المجاعات: إنَّ دورات الأزمات الطبيعية والسياسية أجبرت الأندلسيين على تغيير نظام غذائهم المعتاد؛ فاستغلوا الكثير ممّا جادت به الطبيعة الأندلسية في صنع أنواع من الخبز تؤكل في أوقات القحط والغلاء[4]؛ فالبعض من هذه النباتات والمزروعات كانت تستعمل كعلف للماشية بدرجة

1- تواتية بودالية، البيئة في الأندلس عصري الخلافة الأموية وملوك الطوائف، أطروحة دكتوراه مرقونة، جامعة وهران 1، 2013-2014، ص135.

2- المازوني أبو عمران موسى بن عيسى، مناقب صلحاء الشلف وهو مختصر كتاب ديباجة الافتخار في مناقب أولياء الله الأخيار، دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية، دار الرشاد للطباعة والنشر، الجزائر، ط1، 2017 ، ص218.

3-M .H Sauner- leroy , Les traditions culinaires de la Méditerranée: modéles, emprunts, permanences, in D.Albera , A.BLOK et Ch. Bromberger, dir. , L'anthropologie de la Méditerranée, Paris, 2001, p.491/

محمد حبيدة، انتقال الأغذية في الحوض المتوسط/ملاحات تاريخية ضمن كتاب انتقال الأفكار والتقنيات في المغارب والعالم المتوسطي، تنسيق عبد الرحيم بنحمادة وآخرين، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2009، ص91.

4- من المفيد أن نُنبّه إلى أنَّ بعض الدراسات المعاصرة قد انكبّت على دراسة ما يسمى بتاريخ علم الأغذية لكونه يمثل معيارا لتقدم حضارات الأمم؛ فبفضل هذا العلم تتعزز صورة واضحة عن مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية، كما ترسم لنا صورة واضحة

أساسية، ثم اضطروا على مضض إلى تناولها بسبب الحاجة، مثل حبّ الآس وخبز الشيلم وخبز الجلبان وخبز الحمص وخبز التين والسفرجل وخبز الأرز وخبز اللوبيا، وهذه الأنواع يتم صنعها بطرق مختلفة، وتناول أطعمة معينة معها قد يحقق أقصى استفادة غذائية[1].

وما هو متوفر من معلومات حول ثقافة الطعام في المؤلفات الأندلسية أوقات المجاعات لا توفرها كتب الطبيخ[2]، التي من وظيفتها تدوين فن الطهي وصناعة الطعام وتبويبها، وتصنيفها إلى وصفات منتظمة وموزعة حسب قواعد تنشئ نمطا من الخطاب اصطلح عليه "خطاب الطعام" (discours culinaire)[3]، ويعود إلغاء الطبقة المعوزة من خطاب الطبيخ في نظرنا إلى أنَّ المؤلفات التي ظهرت عُنيت بالطبيخ الملوكي أو الطبيخ السلطاني، واهتمت مواضيعها بالوصفات الفاخرة وأدوات المائدة وآدابها.

تُعدّ كتب النبات والطب من أحسن المصادر في تقديم مادة طيبة حول موضوع طعام المجاعات؛ حيث نجح الإنسان الأندلسي وحتى المغربي خلال أوقات الجدب والمجاعات بشكل كبير في "تبيئة بعض الحشائش والنباتات، واكتساب مهارة في خلق انسجام بين مكوناتها لصنع الرغيف والخبز، الذي شكل- ولا يزال- أساس التغذية في بلدان الغرب الإسلامي على حد قول الباحث بوتيشيش[4]، وهذا إن دلَّ على شيئ فإنّما يدل على مدى معرفة الإنسان الأندلسي لقوى وخصائص مفردات النبات والتوابل المستعملة من حيث الطب والغذاء مستمدا إياها من ثقافة إسلامية قحّة؛ ففي إشارة مهمة بسط لنا السيوطي نوعية من الطعام الذي لا يصنع إلاّ مع ندرة الأطعمة العادية، ونعني بذلك خبز الخبط،

للصحة الجسمانية والعقلية والنفسية للشعوب من خلال ثقافتها الغذائية. يمكن مراجعة الدراسات التالية: سليمى الحبيب، تاريخ الأطعمة عند العرب، منشورات معهد التراث العلمي العربي، حلب، 1986م.

1- حسن القرني، المجتمع الريفي في الأندلس، ص220.

2- ككتاب الطبيخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين لمجهول وابن رزين التجيبي في فضالة الخوان في طيبات الطعام.

3- سهام الدبابي الميساوي، وسام العربي، خطاب الطعام في الثقافة الإسلامية، أعمال اليوم الدراسي بكلية الآداب والفنون والإنسانيات، منوبة، 15 فيفري، 2013، ص9.

4- إبراهيم القادري بوتشيش وعبد الهادي البياض، ثقافة الطعام وتنوع خطاباتها في زمن المجاعات: المغرب والأندلس من القرن 6 حتى القرن 8 هـ/12- 14م نموذجا، مجلة عصور الجديدة، مختبر تاريخ الجزائر، جامعة وهران1، العدد 7-8، 2013، ص45.

وتتمثل طريقة إعداده في جمع أوراق الشجر، ثم تخبط بالعصي حتى تلين وتتفتت، وبعدها تأتي مرحلة المزج بالماء حتى يصبح عجينة تصلح للأكل[1]، وبناء على ما سبق ذكره جمعنا ما تفرق من النصوص لنباتات استخدمت لغرض صنع الخبز أوقات الأزمات الغذائية والمجاعات.

نبات الشيلم[2]: يقترن اسم الشيلم حاليا باسمه العلمي (secale cereale) بمنافع أخرى كعلف للحيوانات، وتستخدم حبوبه في صنع بعض المشروبات الكحولية مثل بيرة الشيلم وفودكا الشيلم وويسكي الشيلم[3]، إلاّ أنّ هذا النبات قدّم خدمات جليلة في المغرب الإسلامي أوقات الأزمات الحالكة؛ فقد كان "يطحن ويُختبز ويُعتصد، ويُعاش منه في المحْل، ويُعلف الطير الصغير كالعصافير والحمام"[4].

وينبّه أبو الخير الإشبيلي إلى الخطأ الذي وقع فيه أبو حنيفة الدينوري حين جعل الشيلم والزوان واحدا، وهو خطأ على حد قوله؛ لأنّ الزوان ينبت مع الكتان، والشيلم ينمو مع الحنطة[5]، والشيلم يعرف أيضا باسم العلس أو السلت؛ كما يُعرف أيضا عند عامة أهل الأندلس بالإشقالية المنطوق بلسان العامة بالكاف[6]، الذي يوجد على نوعين: أبيض وأحمر، ويُعرف هذا الأخير بالماوردي الذي يصلح للأكل والإدخار، ويتغذى به في أعوام المحق وفي أوقات الشدة[7].

إنّ المصادر العربية التي تناولت نبات الشيلم لم تذكر لنا مخاطره وأضراره على جسم الإنسان، إلاّ أنّ أحد الباحثين تعرض إلى مرض وبائي انتشر خلال الفترة الوسيطية جراء تناول هذا النبات بشكل

1- السيوطي أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر، الديباج على صحيح مسلم، تحقيق أبو إسحاق الجويني الأري، دار ابن عفان، السعودية، 1996، مج3، ص40.

2- **الشَّيْلَم (Secale cereale)**: هو الزوال والبراقة والغلاب، وهو نبات يُشبه الزرع إلاّ أنّ ورقه مائل إلى البياض، تخرج له قصبة كقصبة الزرع إلاّ أنّها أصلب وأطول، تعلو كما يعلو الزرع. أبو خير الإشبيلي، عمدة الطبيب، ج2، ص602/ابن حمادوش، كشف الرموز في شرح العقاقير، ص102.

3-Yves Clerget, la biodiversité des céréales et leur utilisation par l'homme, publié dans le bulletin 2011 de la Société d'Histoire Naturelle du Pays de Montbéliard, p 4.

4- أبو الخير الإشبيلي، عمدة الطبيب، ج2، ص 602.

5- نفسه، ج2، ص602.

6- ابن العطار الأموي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبيد الله بن سعيد، الوثائق والسجلات، تحقيق: بيدرو شالميطا، فيديريكو كورينطي، محمد صبح، المعهد الإسباني العربي للثقافة، مدريد، 1973، ص58/الطغنري، زهرة البستان، ص429.

7- نفسه، ص429.

مفرط، وتناوله على شكل خبز لم يصفى جيدا أثناء عملية الطحن والغربلة، وعرف في تلك الفترة بمرض "التسمّم الغرغيني"، الذي هو عبارة عن فطريات طفيلة تسبب التهابات نارية على مستوى الجسم[1].

نبات ينبوت (Prosopis farcta): يُعرف أيضا باسم خروب الماعز أو الخروب النبطي، وهو شجر كريه الرائحة[2]، يُشبه شجر التفاح في عِظمه وشكل ورقه، إلاَّ أنَّ ورقه أصغر قليلاً، وله ثمر كثمر الزعرور، إذا اسّود سوادا حالكاً، شديد الحلاوة، يسمى ثمر الينبوت، ولا يؤكل إلا في المَحْل[3].

نبات أستب (Halimium halimifolium): هو جنس من الورق الأسي، ونوع من التمنس، يخلفه حب مدور صلب مفرق في قدر الباقلى، أصهب اللون، يؤكل في المحْل، وهو قوت سكان الجبال يختبزونه ويعتصدون، ويسمى بزره هناك البزليل، ويُسمى بالبربرية نرحله، وبالعجمية برتلاقش، وبرتقش مأخوذ من براتق وهي العصي، لأنَّ نباته كالعصي، ويعرف ثمره بالجُلجل لشبهه بالجلاجل الصغار[4]، ويتواجد هذا النوع من النبات بناحية شعراء المُنت من عمل لبلة وجبال رُندة، ويصنع منه اللاذن الرفيع[5]، كما أنَّ لهذا النبات أنواعا كثيرة من جنسه منتشرة في أنحاء الأندلس كحصون الجوف وجبل طارق وناحية قرمونة، وجبال الجزيرة الخضراء الذي يسمى بتلك المنطقة بورد الحمار[6].

نبات جُميز (Ficus sycomrus): من جنس الشجر، ثمرها يشبه التين في الخلقة إلاَّ أنه أعظم منه، ورقه يشبه ورق التوت، وهذا الثمر فجّ لا ينفع حتى يُطحن، ويؤكل في السنين المجيعة؛ وقد يكون ثمره أسود حالك، ولبنه كثير جدا، من صفاته أنه يبثر الفم[7].

1-Yves Clerget, la biodiversité des céréales d'Histoire, Op.cit, p05.

2- ابن حمادوش، كشف الرموز، ص176.

3- أبو الخير الإشبيلي، عمدة الطبيب، ج2، ص640

4- نفسه، ج1، ص72.

5- نفسه، ج1، ص72.

6- نفسه، ج1، ص73.

7- الغساني، حديقة الأزهار، ص80/أبو الخير الإشبيلي، عمدة الطبيب، ج1، ص137.

نبات طَهفة: الطهف عشب ضعيف، رقيق، لا ورق له إلاّ ما يكاد يظهر من دقته، يختبز جُملتها في المَحْل[1].

نبات النبق (Rhamnus): هو ثمرُ السّدر، كثير بثغر الأندلس في حيز مدينة أقليش ومدينة سالم وغيرها، تؤكل هناك ويتخذ منها خبز في الجدب[2].

نبات البلوط (Quercus): من الأشجار البرِّية الجبليَّة النابتة لنفسها على الجبال والحجارة، وفي الأراضي الصّلبة وغير الصّلبة[3]، ولهذا النبات عناية خاصة عند أهل الأندلس خاصة عند أهل الحصون، ولا سيما حصن بطروش الذي عرفت جباله وسهوله بشجر البلوط، وقد زودنا ابن العوام بمختلف طرق تخزينه، إما بالنشر أو التذخين أو الغلي...[4]، ويبدو أنَّ الإدريسي استحسن البلوط الأندلسي الذي ينبت بحصن بطروش، وفضّله على جميع أنواع أشجار البلوط التي تنمو في الأقطار بقوله: "فاق طعمه طعم كلَّ بلوط على وجه الأرض، وذلك أنَّ أهل هذا الحصن لهم اهتمام بحفظه وخدمته، لأنَّه لهم غلة وغياث في سنين الشدة والمجاعة"[5]، إلاّ أنَّ ابن زهر له رأي طبي حول خبز البلوط بقوله: "إنّه غليظ يابس، يميل إلى البرد، يسدد الكبد ويفسدها، كما أنه يسبب أوجاعا بالمعدة، وتنطبق ملاحظته على خبز الشاه أيضا المعروف بالقسطل[6].

وهي الملاحظات نفسها التي يوردها ابن خلصون عن نبات البلوط بقوله: "عاقل للبطن، قاطع للدم، يولّد الصداع والقولنج، أفضله الكبير السريع التقشير"[7]، غير أنَّ ابن العوام الأندلسي يشرح طريقة إصلاحه بقوله: "ولإصلاحه وعمل الخبز منه ينبغي أنْ يُطبخ بالماء العَذبْ، بعد أنْ ينقع فيه أربعة

1- الغساني، نفسه، ص187/أبو الخير الإشبيلي، نفسه، ج1، ص291.

2- الغساني، نفسه، ص 187/أبو الخير الإشبيلي، نفسه، ج2، ص605/ابن حمادوش، كشف الرموز، ص168.

3- ابن العوام الأندلسي، الفلاحة الأندلسية، ج2، ص136.

4- نفسه، ج3، ص512.

5- الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص306.

6- ابن زهر، الأغذية، ص19.

7- ابن خلصون، كتاب الأغذية، ص102.

وعشرين ساعة، وليكن وحده دون ملح، ثم يبدل الماء، ويطبخ بنارٍ لينة نحو سِتّ ساعات، ويبدل الماء مرة أخرى، ويطبخ به نحو تلك المدة"[1].

إنّ الغاية المرجوة من هذه العملية هو سحب الخاصية القابضة لثمر البلوط التي تسبب عسرا على الجهاز الهضمي، وبعد التجفيف والطحن بهذه الطريقة يصبح خبزا جيدا للأكل؛ فقد اعتبرت ثمار البلوط مصدرا من مصادر الغذاء لأهل البوادي والأرياف في بلاد المغرب والأندلس خلال العصر الوسيط في أوقات الأزمات والغلاء، ولا يمكن الاستغناء عنه حتى صار يضرب به المثل في واقعهم المعاش نظرا للفوائد الجمّة التي يقدمها لهم، وأصبحوا يقولون: "سنة عفص وسنة بلوط"[2]؛ فالأندلسيون يستفيدون من شجر البلوط في كل مراحل نموه؛ فسنة يستفيدون بعفصه، وسنة بثمره وخشبه.

كما أنّ السلطة الموحدية لما ضاق بها الحال لم تعدم من الوسائل بتوجيه خطاب رسمي للعامة في فترة الخليفة المستنصر الموحدي سنة 612هـ/1215م تحثهم وترشدهم إلى أشجار البلوط التي خصّ بها الله تعالى منطقة إشبيلية، "وكان من جميل صنع الله وفضله... أن أغاث أهلها في هذا العام بالبلوط؛ فإنَّ شجرها حملت كثيرا؛ فاتخذها أهلها قوتا لأنفسهم ودوابهم، وسدت لهم مسدا كثيرا حتى لا يكاد يوجد عندهم دقيق إلاَّ منها؛ فعظمت بها عند أهل الثغور النعمة...، ويغني المجذبون ببركتها عن الأنواء والأنداد"[3]؛ فالنص يعكس مدى أهمية ثمرة البلوط مقارنة مع باقي النباتات الأخرى التي تحتاج إلى وقت كثيروجهد عضلي مضني مقارنة بالكمية الضئيلة المرجوة منها وقيمتها الغذائية.

1- ابن العوام الأندلسي، الفلاحة الأندلسية، ج2، ص138.

2- الخشني أبو عبد الله محمد بن الحارث بن أسد، قضاة قرطبة، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت، ط2، 1989، ص113.

3- أحمد عزاوي، رسائل موحديه (مجموعة جديدة)، منشورات جامعة ابن طفيل، القنيطرة، 1995، رسالة رقم 82، ج1، ص301-302.

نبات اللوف (Arum): المسمى أرون، ويسمى ببلاد الأندلس باسم الصارة، يختبزه ويأكله أهل الأندلس في أوقات المجاعات، لكن ابن رشد يشير إلى خطورة هذا النبات لأنه يعود عليهم بضرر كبير[1]، ويبدو أنَّ هذا النبات يلجأ إليه أهل الفاقة والمساكين، ويذم ابن زهر هذا النبات مع نبات اللاذن، ويصفهما بالنباتات الرديئة التي لا يجوز أكلها لكثرة مضرتها[2]؛ فالأخباز الرديئة في رأي ابن زهر تولد الحيات في البطن[3]، ورغم تنبيه الطبيبين على خطورة هذا النبات على صحة الإنسان، إلاَّ أنَّ ابن العوام الأندلسي المتأخر عنهما بقرنين من الزمن يمتدح هذا النبات، وقدّم مجموعة من التدابير حتى يصبح نباتا صالحا للأكل والاختباز؛ فهو يؤكد على خطوات مهمة علمية تخفف من خطورته كالتجفيف والطحن والسلق بقوله: "بأن يجفف جيدا، ثم يدقُّ ويطحن، والذي يتخذ من أصله وبذره من الخبز أطيب وأغذى...، وليس ينبغي إلى علاج أكثر من سَلْقَة واحدة طويلة محكمة مع ملح والبورق...، كما أن الطحن يزيل عنه زعارة فيه، ولا تزول عنه إلأ بالدق"[4].

إنّ هذه الخطوات التي قدمها ابن العوام الأندلسي ما هي في الحقيقة إلا دليل على التطور المعرفي في معالجة النباتات والتعاطي معها، وتأقلم المجتمع الأندلسي مع مأكولات جديدة لا تضاهي قيمة الأخباز العادية، ولكنها كفيلة بأنْ تلبي وترضي ذوقه، وتسد رمقه أوقات الأزمات الغذائية والاقتصادية.

نبات الدخن (Pennisetum): تظهر مساوئ هذا الخبز في كونه يسبب إمساكا شديدا إذا أديم أكله[5]، ويذكر ابن العوام في معرض حديثه عن نبات الدخن خبر نجاح طبخه عصيدة في داره من دقيق دُخن، كما نجح في اختبازه فجاء خبزه رطبا ليناّ[6].

1- ابن رشد القرطبي أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد، الكليات في الطب، تحقيق أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2005، ص289.

2- ابن زهر، كتاب الأغذية، ص13.

3- نفسه، ص109.

4- ابن العوام الأندلسي، كتاب الفلاحة الأندلسية، ج 5، ص 141.

5- ابن هر، المصدر نفسه، ص11.

6- ابن العوام، المصدر نفسه، ج4، ص135.

نبات الكرسنة (Vicia ervilia): اهتمت كتب الفلاحة الأندلسية بأهمية زراعة هذا النبات و الإعتناء به، لأنه يعتبر علفا جيدا للمواشي؛ لاسيما الأبقار التي تسمن عليه[1]، رغم الأضرار الصحية التي يُصيبها هذا النبات في حالة الإكثار من أكله؛ فهو يُصيب آكله بنزيف دموي شديد[2]، ويصف لنا ابن زهر أضرار هذا النبات في أوقات المجاعة بقوله: "لمّا منَّ الله علي وصلت الأندلس، رأيت في حال اغترابي في المجاعة قوما يأكلون الكِرسنة؛ فيصيبهم منها أوجاع المعدة"[3].

يبدو أنَّ النباتات الرديئة التي كانت تتخذ على شكل أخباز لم تكمن خطورتها فقط في إحداث ألام على مستوى البطن وغير ذلك؛ وإنما تعدى الأمر إلى أنّها تسبب الوفاة لبعض الأشخاص، فابن زهر كعادته يحتفظ لنا بأدق التجارب التي عايشها بسجن مراكش أين كان بعض المساجين يأكلون نوعا مذموما من أنواع اليَتُّوع[4]، وغير ذلك لألم الجوع، وكان يموت كل يوم منهم عدد من عشرة إلى ما حول ذلك[5]، ممّا يكشف الحالة المزرية للسجناء، ولا سيما في أوقات المجاعات.

نبات آأكثار: اسم بربري (بالكاف مضمومة بعدها ثاء منقوطة بثلاث نقط من فوقها، وهي مفتوحة ثم ألف وراء مهملة)، جزري الشكل، فيه حرافة يسيرة، وينبت كثيرا في المزارع وفي الجبال، ويكثر تواجده بجبال رندة وما والاها، وبشعراء قرمونة من أعمال إشبيلية منه شيء يسير، يجمعه البربر في سنين المجاعة، ويعملون من أصوله رغفا تؤكل حارة بالزبد، يشبه نوعا من الخبز المسمى بالبربرية آيرني[6].

1- الطغنري، زهرة البستان ونزهة الأذهان، ص440-441.

2- ابن حمادوش، كشف الرموز في شرح العقاقير والأعشاب، ص149.

3- ابن زهر مروان ابن عبد الملك، التيسير في المداواة والتدبير، تحقيق: ميشيل الخوري، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، دمشق، ط1، 1983، ص430.

4- اليتوع: اسم خاص لكلّ ما له لبن حاد/ الغساني، حديقة الأزهار، ص 135

5- ابن زهر، التيسير، ص430.

6- ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية و الأغذية، ص8.

نبات التابودا (Chlorophyta): أو ما يعرف بالطحلب، وهو نبات يتكون على الماء الراكد، يكون أخضرا على شكل الصوف المنفوش، كما ينبت في الصهاريج والأنهار والسواقي، وعلى الحجارة الندية[1]، يُنتقى منه ما جَفَّ، ويُطحن كما تطحن الحنطة[2].

فاكهة السفرجل (Cydonia oblonga): ويسمى عند الأندلسيين بلوز الهند، منه مدحرج كبير وصغير، ومنه ما هو إلى الطول، ويسمى المنهّد، يتخذ منه الأندلسيون خبزا يؤكل في الغلاء والمجاعة[3].

نسنخلص ممّا سبق أنّ دورات الأزمات والمجاعات التي حلّت بالأندلس اضطرّ فيها الإنسان أنْ يقتات بنباتات الأرض وغيرها من الأشياء التي قد تعافها النفس، دون مراعاة الجانب الصحي والقيمة الغذائية لهذه النباتات.

1- أبو الخير الإشبيلي، عمدة الطبيب، ج1، ص283.

2- ابن سمجون، جامع الأدوية المفردة، مخطوطة أكسفورد الثانية، رقم بروس 48، ضمن سلسلة عيون التراث، مج54، ج1 ص263 /ابن حمادوش، كشف الرموز، ص115.

3- المقري، نفح الطيب، ج5، ص135.



الفصل الثالث:

المعرفة الطبية والصيدلانية للعقار النباتي

أولا _ المعرفة الطبية للعلاج النباتي ببلاد الأندلس:

ثانيا_ العلاج النباتي للأمراض ببلاد الأندلس

ثالثا - المعرفة الصيدلانية للعقاقير النباتية ببلاد الأندلس:

رابعا_ -نظرة تاريخية عن الأمراض الوبائية والطواعين وطرق احتوائها بالعلاج النباتي

أولا_ المعرفة الطبية للعلاج النباتي ببلاد الأندلس: اتخذ الطب الإسلامي من المدرسة الطبية اليونانية قاعدة نظرية انطلق منها، ومن النظريات الأساسية في الطب: نظرية الأخلاط التي لاقت رواجا واستحسانا في فكر الحضارة الإسلامية،كان معمولا بها علميا وسط الأطباء المسلمين في تشخيص الأمراض، ومعالجتهم الدوائية، إذْ ارتبطت ارتباطا وثيقا بتوازن أخلاط الجسم واعتداله.

1_ نظرية الأخلاط الأربعة وأثرها في الطب الإسلامي: ما أقرّته المدرسة العلمية اليونانية براعتُها في صياغة نظرية الأخلاط[1]، التي ظلت هذه منذ عهد أبقراط إلى القرن الثامن عشر تُشكل القاعدة الأساسية في فهم الأمراض ومعالجتها. وتدور أسس هذه النظرية حول توازن الجسم كمًّا وكيفًا، كانت هذه المدرسة ترى أنَّ الكون مخلوق من أربعة عناصر هي: النار والهواء والتراب والماء، وقد أُطلق عليها في المصطلح اليوناني اسم الأسطقسات[2]؛ كما أنَّ هذه العناصر تعززّت بأربع طبائع: الحرارة واليبوسة والبرودة الرطوبة[3]، ويشرح ابن رشد ميزة هذه الطبائع بشيء من التفصيل فيقول: إنَّها "قوى فاعلة منفعلة، ليست توجد منحلة إلى شيء، ولا بعضها إلى بعض لأنه ليس الحار من البارد، ولا البارد من الحار، ولا الرطب من اليابس، ولا اليابس من الرطب"[4]، وبذلك فهو يؤكد من خلال هذا الشرح أنَّ هذه الطبائع أصلية غير متحولة فيما بينها.

1- يُعد كتاب طبيعة الإنسان من أهم مؤلفات أبقراط التي تناولت نظرية الأخلاط الأربعة، حيث تحدث عن الأمراض التي تصيب الإنسان نتيجة زيادة أو غلبة خِلط معين في الجسم، فيؤدي إلى اضطراب في وظائف الجسم، وبالتالي إلى مرض معين، ولأبقراط كتاب آخر معنون بكتاب الأخلاط، إلاّ أنّ الشارحين له يرون أنّه من الكتب المنحولة على أبقراط، كما أنّ محتوى الكتاب لا يعبر عن العنوان؛ فهو لا يبحث في موضوع الأخلاط بعينها، بل يتحدث عن مجموعة من الأمراض، ويعتقد أنّه كتب في عصره من أحد مريديه، وألحقه بمؤلفات أبقراط. كمال السامرائي، مختصر تاريخ الطب، دار النضال للطباعة والنشر، بيروت، 1990، ج1، صص99- 102.

2- الأسْطُقسات: الأسطقس هو الأصل البسيط الذي يتكون منه المركَّب، وهي العناصر الأربعة عند القدماء، وللمزيد من التفصيل عنها ينظر محمد العربي الخطابي، الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1990،ص 544/شخوم السعدي، أصول الطب، النشر الجامعي الجديد، تلمسان، 2018، ص101.

3- ابن حبيب الإلبيري القرطبي عبد الملك، العلاج بالأغذية الطبيعية والأعشاب في بلاد المغرب أو مختصر الطب، وضع حواشيه وعلّق عليه: محمد أمين الضنّاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004، ص61.

4- ابن رشد الحفيد، جوامع الكون والفساد، تحقيق: أبو الوفا النغيمي التفتازاني وسعيد زايد، مراجعة إبراهيم مدكور، المجلس الأعلى للثقافة بالتعاون مع الاتحاد الدولي للأكاديميات، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1994، ص23.

وبالمقابل أيضا فإنَّ الجسم مكون من أربعة عناصر أو سوائل، والأخلاط بالاصطلاح الفلسفي الطبي عبارة عن أجسام أو رطوبات يستحيل إليها الغذاء، وتتمثل في: **الدم والبلغم والمرّة الصفراء والمرّة السوداء**[1]؛ ويرى الزهراوي أنّها تنشأ من الأغذية التي تتركب من العناصر التي تم ذكرها أعلاه؛ فما كان من هذه الأغذية استقصى الهواء صارت أجسامنا دمًا، وما كان مائيا صار بلغما، وما كان ناريا صار صفراء، وما كان أرضيا صار سوداء[2].

إنّ المدرسة اليونانية الطبية كانت ترى أنّه إذا امتزجت هذه العناصر، وتوافقت وتناسبت في الكمية والكيفية؛ فهو دلالة على تمتع الجسم بصحة جيدة[3]، بمعنى أنَّ صحة الجسم وتعرضه للمرض مرتبطة أساسا بهذه الأخلاط الأربعة، وأنّ الأمراض التي تعتري الإنسان تكون بسبب فساد خلط معين فتنشأ الصحة من انسجام هذه الأخلاط، كما ينشأ المرض من تدهورها واضطراباتها[4]، وطَرَق أطباء الأندلس العمل بنظرية الأمزجة والأخلاط في الأدوية والأغذية منذ عهد مبكر، ويرى عبد الملك بن حبيب السلمي (ت 238هـ/853م) أنّ على الإنسان ألاَّ يُصيب من الأطعمة والأشربة إلاَّ ما وافق منها طبائع جسده، وعدلها حتى يكون مزاجها معتدلا[5].

1- الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص106.

2- الزهراوي أبو القاسم خلف بن عبَّاس ، التصريف لمن عجز عن التأليف، فصول مختارة من المقالة الأولى، تحقيق محمد الخطابي، ضمن كتاب الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1988، ج1، ص137.

3- لعلَّ أشهر بيت شعري طبي في هذا المجال ما قاله ابن سينا : الجسم مخلوق من الأمشاج   مُختلفات اللون والمِزاج

منْ بَلغم وَمرَّة صفراء وَمِنْ دَم ومُرَّة سَوْداءِ. الأرجوزة الطبية، ص72، وقد لخص ابن سينا قانونه في قالب شعري فألف "الأرجوزة في الطب"، وهي تشتمل على 1229 بيتا، والتي كانت بمثابة دستور في الطب وأقسامه، ويشغل القسم الخاص بالأدوية بالأبيات، يبدأ رقمها من 977 إلى 1119، وقد ترجمت هذه الأرجوزة إلى اللاتينية في العصر الوسيط، وأحرزت شهرة فائقة. جورج شحاتة قنواتي، إسهام ابن سينا في نقد العلوم، مجلة التاريخ العربي، ع 4-5، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1981، ص30.

4- ابن النفيس، شرح فصول أبقراط، تحقيق: ماهر عبد القادر محمد علي ويوسف زيدان، دار العلوم العربية للطباعة النشر، بيروت، ط1، 1988، ص23.

5- عبد الملك بن حبيب القرطبي، المصدر السابق، ص61.

ونستشف هذا الأمر من خلال التعريف الذي قدّمه ابن بُكلارش الأندلسي (ت 529هـ/ 1134م) للصحة حيث يقول: "هو تكافؤ الطباع، واستواء الأخلاط وثباتها في الاعتدال، وألاّ ينقص الإنسان شيئا من أموره المعتادة طبيعية أو غير طبيعية"[1].

وعليه فقد اتفق الأطباء أنَّ حدوث أي اختلال في جسم الإنسان بناء على علامات يكشفها خلطه أو مزاجه هي علامة من علامات المرض؛ **فالمزاج المعتدل** هو الذي تكون فيه المقادير من الكيفيات المتضادة متساوية متقاربة من حرارة وبرودة ويبوسة ورطوبة، والمزاج غير المعتدل هو الذي يكون فيه غلبة أو زيادة عنصر من هذه العناصر، ويطلق عليه اسم العنصر الزائد[2]، وما يلاحظ على التفسير العلمي لنظرية الأخلاط أنّها ذات اتجاه فلسفي محض، استساغه أطباء الأندلس بكل مرونة، ويُؤكد أحد الدارسين الإسبان ذلك بقوله: "إنَّ الطب العربي استطاع أن يشهد ويبلغ أوجَّ ازدهاره العلمي في بلاد الأندلس خلال القرن 12م؛ فقد اعتاد الفلاسفة أن يمتهنوا الطب ويكونوا أطباء أيضا"[3].

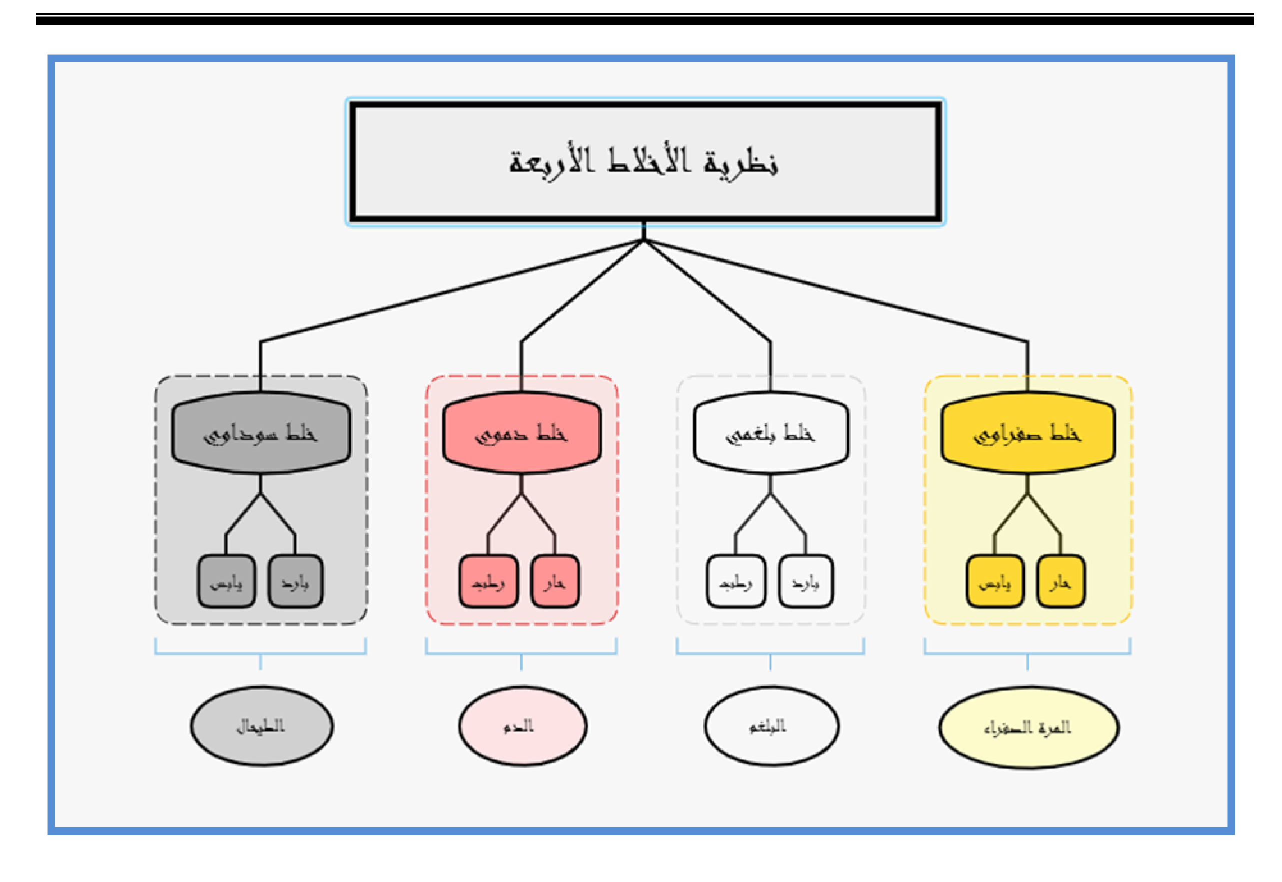
على قاعدة الأخلاط الأربعة يُصنف بدن الإنسان في خانة المرض أو الصحة؛ فالمرض لا يحدث إلاَّ بخروج الأخلاط الأربعة عن اعتدالها، وتَمكُّن خِلط على بقية الأخلاط، وهي على النحو التالي: المزاج الصفرواي، والمزاج الدموي، والمزاج البلغمي، و المزاج السوداوي.

والمخطط التالي يوضح ذلك:

1- ابن بكلارش، المستعيني في الطب، ضمن كتاب الطب و الأطباء في الأندلس الإسلامية، ص345.

2- جورج شحاتة قنواتي، المرجع السابق، ص31.

3-Francisco Franco-Sanchez, Evolucion de la medicina en al-Andalus , R. d 'etudes andalouses, N°12,199 4, P21-22.



أ-المزاج الصفراوي وأشهر امراضه: مقرّه المرارة الصفراء التي تكمن منفعتها في إنضاج ما في المعدة والكبد، ودفع الفضول، وتنقية العروق من الأوساخ، وتفتيح السدد[1]، أصلها متولد من عنصر النار؛ فطبيعتها حار يابسة، تكثر في فصل الصيف، وتعمّ فيها الحميات[2]، أمَّا علامات الخِلط الصفراوي أي البدن الذي يكثر فيه هذا الخِلط تظهر من خلال تغير لون البول إلى أصفر ناري وشدة حرارته، وصُفرة البراز ويبوسته، كما استدلوا بارتفاع حرارة جسد البدن ومرارة الفم وكثرة السهر وقلة النوم وشدة العطش، وغالبا ما يشتد المرض بالنهار، ويسكن بالليل.[3] ومن أشهر أمراضه: الحمى الحارة، الأورام الصلبة، اليرقان الأصفر، الحمرة، الصداع العظيم والشقيقة، الرمد، والتي سيتم التطرق إلى ماهية بعضها وأعراضها، ومنها نذكر:

1- الزهراوي، التصريف لمن عجز عن التأليف، المقالة الأولى، ص136.

2- ابن البيطار المالقي، الدرة البهية في منافع الأبدان الإنسانية، تحقيق: محمد عبد الله الغزالي، دار العلم للجميع، القاهرة، ط3، 1987، ص54.

3- نفسه، ص59.

اليرقان: يقال اليرقان والأرقان، وهو الصفار، ويتميز باصفرار العينين والوجه والبول، وكل شيء في الإنسان، ويقع في الجسم فُتور وهُزال في القُوّة، وذلك نتيجة استحكام الخِلط الصفراوي على البدن، وأصله من الرغوة الصفراوية التي تمتصها المرارة، وتصبها في المعدة، كما تختلط المرة الصفراء بالدم، وتسير في جميع العروق[1]. ويرى أحد الباحثين أنَّ الأعراض والعلامات التي ذكرها الزهراوي في مرض اليرقان مُطابقة لحالة التهاب الكبد الحاد في العصر الحديث[2]، ويبدو أنَّ أطباء الأندلس تفوقوا في علاج هذا المرض رغم المضاعفات التي ترافقه؛ حيث نجح الطبيب أبو محمد التَيْمي (القرن 5هـ/11م) في تقديم علاجات ناجعة قضت على المرض، ونستدل على ذلك من خلال تصريحات المرضى بتحسن حالاتهم، وتقديم تشكراتهم لطبيبهم المعالج[3].

الورم الصفراوي (النملة): هو النملة الحادثة من كثرة الصفراء المتولدة في البدن المنصبة إلى بعض الأعضاء، ويستدل عليها بالحرارة القوية، وكون الحَمرة مشوبة بصفرة، وقلَّة الألم، وسرعة انتشار الورم، وقلة الانتفاخ والتمدد، وهذا الورم تسير معه بثور صغار تتبعه حَكَّة وحرقة وحرارة، ويسرع إليه التقرّح[4].

الشقيقة: هي الصداع العظيم، يحدث في الشّق، وأكثر ما يحدث من زيادة الصفراء[5].

الإستسقاء الصفرواي (الحبن): إجتماع الماء الأصفر في البطن[6].

الإسهال: سببه ضعف الكبد، وضرر لاحق بالقوة الهاضمة، ومن علامته تغيّر اللون وقلة الشهوة للطعام، والثقل العارض في الجانب الأيمن[1]، ويُدرج ضمنه نوع من الإسهال يُعرف عند أهل الطب

1- الأزرق إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي بكر ، تسهيل المنافع في الطب والحكمة، وزارة التراث والثقافة، مسقط، سلطنة عمان، ط1، 2006، ج2، ص 150/ ابن البيطار، الدرة البهية، ص 80.

2- عبد الحميد حسين أحمد السامرائي، العلوم الطبية الأندلسية، دار دجلة، عمان، ط1، 2018، ص 291.

3- الهاشمي،المجالس في الطب،المصدر السابق، ص 79.

4- ابن رشد، الكليات في الطب، ص 94/ بن هبة الله سعيد، المُغني في الطب تحقيق عبد الرحمن الدَّقاق، إشراف جيرار تروبو، دار النفائس، بيروت، ص 218.

5- ابن البيطار، الدرة البهية، ص 68.

6- محمد جميل زكور، اصطلاحات الطب القديم،دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2018، ص 31.

ب"إسهال دوستناريا" أو الزحار، وينجم عنه تبرز منقطع معظمه دم ومخاط ويصحبه ألم[2]، يُعدَّ هذا المرض من الأمراض الخطيرة القاتلة خصوصا إذا حدث خطأ في تشخيص هذا الإسهال، حتى أنَّ الشقوري يستغرب من عدم وجود مصنفات خاصة بهذا المرض لكثرة انتشاره ببلاد الأندلس، وفي ذلك يقو ل: "فلعمري لو أنصف الأطباء أنفسهم لأجادوا البحث والنظر في هذا المرض حتى يقفوا منه على تحقيق، لا سيّما في بلادنا هذه التي هو أكثر أمراضها، ولا أدري كيف لم يذكر المتقدمون هذا المرض ذكرا كافيا، ولم يُبيّنوه بيانًا شافيا، ولا أعلم أكان ذلك منهم لشدّة معرفتهم به وظهوره عندهم، أو لصعوبته عليهم وشدّة خفائه إذ هو مَظِنّة الغلط منهم، والغلط فيه قاتل مُهلك"[3]، ويبدو أنَّ هذا المرض تفشى في فترة بني الأحمر بكثرة نتيجة تلوث مصادر المياه، وتعفن الأغذية للإضطرابات الأمنية، وتعاقب الحصار عليهم من قبل الجبهة النصرانية؛ ولا يمكن لأطباء الأندلس الأوائل تغافله خصوصا أنّه من الأمراض القاتلة.

الحمى المُحرقة: تحدث من زيادة خلط الصفراء، من علامتها صداع قوي، ونبض عظيم متواتر في العروق، وحرارة شديدة، وعلامتها ارتفاع الحرارة والعطش الدائم[4].

داء البيضة: هو وجع مؤذ يحدث في الجمجمة؛ حتى كأنَّ العليل يَشْعر كأنَّ رأسه يُضرب بالمطراق، ولا يقدر أنْ يسمع منه صوتا شديدا، ولا يستطيع أن ينظر إلى الضوء، ويكون ذلك من حدة المْرّة الصفراء[5].

السرسام (Frénisie): هو ورم يعرض في بعض سفاقات الدماغ، يلحقه دائما أرق وهذيان واختلاط العقل، أمّا السبب الثاني فيحدث من غليان دم القلب وفورانه؛ لأنّ الدم إذا غلا والتهب بحرارة المرّة

1- الشقوري أبو عبد الله اللخمي، فصول من تحفة المتوسل وراحة المتأمل، تحقيق: محمد العربي الخطابي، ضمن كتاب الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1988، ج2، ص272.

2- نهاد عباس زبيل، المرجع السابق، 565.

3- الشقوري، تحفة المتوسل، ص272.

4- ابن البيطار، الدرة البهية، ص65.

5- ابن الجزار القيرواني أبو جعفر ابن إبراهيم بن أبي خالد، زاد المسافر وقوت الحاضر، تحقيق محمد سويسي وآخرون، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، تونس، 1999، ج1، ص95.

أحدث ورما صفروايا حادا في الدماغ[1]، ومن علامته العطش الشديد، وجفاف الفم، وخشونة اللسان وسواده والكرب والضجر، والخفقان والإعياء...[2].

ب- المزاج الدموي وأشهر أمراضه: وهو حار رطب أي سائل، أصله متولد من الهواء الطبيعي، ومقره الأوردة النابتة في الكبد[3]، يزيد الخلط الدموي في فصل الربيع، وعلامة البدن المصاب بالإفراط في خلطه الدموي غالبا ما يغلب عليه ارتخاء الجسم، وارتفاع حرارته، وحمرة وغلظة في البول، وحمرة العينين، وشدة نبض العروق، وحلاوة الفم، وكثرة الكسل، وبلادة الجسم والحواس، وكثرة النوم وزيادة الدم، وتكثر في أحلامهم الألوان الحمراء والدماء[4]، أكثر ما يسرع إليهم الأمراض الدموية، ولهذا نصحوا فيه بالاستفراغ والفصد، وينصح به حتى للأصحاء[5]، ومن أهم أمراض هذا الخِلْط نذكر: الرمد، الدماميل، الإستسقاء اللحمي، الرعاف.

الاستقساء (Hydropisie): هذا اللفظ يُطلقه الأطباء على علَّة ينتفخ بها البدن كلّه ويَتَرهَّل، وفي هذا اللفظ تحريف عن وضعه في اللغة، يقال استسقى بطنه إذا امتلأ ماءً[6]، وهو على نوعين: اللحمي والطبلي، أمَّا اللحمي فهو ورم شديد في جميع البدن، وعلامته أنّك إذا طعنت بأصبعك في مَوضِع الورم لم ينخفض، ويتورّم الجلد سريعا، وسبب هذا خلط دموي زائد من الدم الفاسد، يسير مع دم الغذاء في جميع العروق حتى يورم البطن وجميع البدن ويتجنب[7]، ورغم غياب إحصاءات ترصد خطورة هذا

1- ابن الجزار القيرواني، زاد المسافر وقوت الحاضر، ج1، ص107.

2- نفسه، ج1، ص108.

3- بالنسبة لعنصر الدم نلاحظ أنَّ الزهراوي يفرق بين الدم النقي والدم الخلطي؛ فالدم النقي الأرجواني الحافظ لطبيعته الذي لا يمازجه شيء من الأخلاط، وهو الذي ينشأ من القلب، وينبت في الشَّريانات، والذي من دسمه تكون الحرارة الغريزية ومادّتها، أمّا الثاني فهو المقصود أعلاه في المتن، واتفقت المصادر الطبية على أن منشأه من الدم المخالط للمِرّتين الصفراء والسوداء، والبلغم الكائن في العروق الساكنة التي منشأها الكبد. الزهراوي، التصريف لمن عجز عن التأليف، المقالة الأولى، ص137.

4- ابن البيطار، الدرة البهية، ص60.

5- كمال السامرائي، مختصر تاريخ الطب العربي، ج1، ص114.

6- محمد العربي الخطابي، الطب والأطبّاء في الأندلس الإسلامية، ج2، ص291.

7- ابن البيطار، الدرة البهية، ص80.

المرض في الأندلس، إلا أنَّ اجتهاد الطبيب أبو العلاء زهر في تقديم وصفات ومُجرّبات مختلفة وفق تطورات المرض تُثبت دون شك أنَّ فئة من المرضى ليست بالقليلة عانت من هذا المرض[1].

الرعاف: خروج الدم من الأنف، سببه حرارة شديدة داخل البدن[2].

الدماميل (Abcés: furoncle): وهي نوع من الورم الفلغموني[3]، تتولد من دم غليظ فاسد[4]، وإذا تطور المرض إلى مراحل متقدمة أحدث ورما عظيما يَصعبُ برؤه[5]،وهي دماميل صنوبرية الشكل لونها أحمر مؤلمة في البداية[6]، وقد تعامل الطبيب الشقوري مع حالة مرضية من هذا النوع لامرأة أصبيت بأربعة دماميل في الجانب الأيمن من الرأس، واجتمعت وصارت ورما واحدا، وتفادى علاج هذه الحالة لمعرفة الطبيب أنّه ورم سرطاني متأخر، قلَّ من ينجو من صار به الحال لمثل ذلك؛ غير أنَّ أهل المريضة عرضوها على الحجام، وقطع ما فسد من اللحم؛ فماتت المريضة[7]؛ إنَّ هذه الحادثة تعكس بعمق خطورة الأورام السرطانية، وتجاهل العامة لتوجيهات الطبيب تُجاه هذه الأمراض التي يتعارض فيها تشخيص الطبيب وتحذيراته وثقافة العامة حول الأمراض وأعراضها الشائعة التي كانت غالبا ما تؤدي إلى خسارة المريض لجهلهم بحقيقة المرض.

1- أبو العلاء زهر بن عبد الملك بن محمد بن مروان بن زهر الإيادي، كتاب المجربات، دراسة وتحقيق: كرستينا ألبريث ميّان، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي، مدريد، 1994، صص76-80.

2- ابن الجزار القيرواني، زاد المسافر وقوت الحاضر، ج1، ص174/محمد جميل زكور، اصطلاحات الطب القديم، ص245.

3- **الأورام الفِلغمونية:** لفظ يوناني اشتق من الالتهاب، وهو اسم لكل ورم حار يَعرض من الدم أو من الصفراء، ويكون على أنواع منها ما يحدث لكثرة الدم حتى لا تسعه العروق التي في العضو؛ فيرشح في المواضع الفارغة التي توجد فيما بين الأعضاء، ونوع يكون عن دم غليظ وتحجر في العضو، ونوع يكون عن دم رقيق خالطته مرّة الصفراء، ونوع يكون عن دم غليظ، وتحجُّر في العضو وتعفّن. القربلياني، الإستقصاء والإبرام في علاج الجراحات والأورام، ص40.

4- ابن الجزار، نفسه، ج2، ص663.

5-القربلياني، المرجع نفسه، ص51.

6- محمد جميل زكور، اصطلاحات الطب القديم، ص219.

7- القربلياني، الإستقصاء والإبرام، ص51.

الحمى الحارة الرطبة: تحدث من زيادة خلط الدم، ومن علامتها صداع عظيم، ونبض قوي في العروق، وحمرة في العينين مع عظم عروقها، ومنها تحدث الشقيقة[1].

داء الثعلب (Aléopécie -pelade): مرض جلدي يتصف بسقوط الشعر في بقعة صغيرة من فروة الرأس أو جلد اللحية أو الرقبة، ويظهر الجلد بلون أحمر محتقن[2].

البرص والبهق (Lépre achromique et vitiligo): البرص هو فساد الدم الذي تتغذى منه جلدة البدن، ويكون في عمق العضو وفي اللحم، والبهق هو فساد الدم أيضا الذي تتغذى منه جلدة البدن الظاهرة من غير أن يكون ساد تحتها، والبهق الأبيض يكون في ظاهر العضو وفي الجلد[3].

وقد حذّر الأطباء من غائلة الأدوية الباردة لأنّ من شأنها أن تحبس الداء داخل البدن وتجمده، ولهذا نجد ابن زهر ينبه مريض البرص والبهق من أكل الفواكه لأنّ خاصيتها البرودة والرطوبة مثل التين الأخضر والعنب والعُنّاب والتفاح...[4]. وينفرد ابن البيطار الأندلسي بعلاج البهق أو ما يُعرف بالوضح بنبات بربري ينمو في أراضي قبيلة بني شعيب في بجاية بالمغرب الأوسط، والذي بقي سرّا محفوظا عندها إلى أن اشتهر أمر هذا النبات المتعلق بنبات آأطريال البربري[5]، وقد صرّح بقوله: "قد جرّبته غير مرّة؛ فصحّ فحمدت أثره وسر عجيب في هذا المرض[6]، والتي سنفصل في كيفية العلاج به في الجدول لاحقا.

1- ابن البيطار، الدرة البهية، ص65.

2- نفس المصدر، ص 468.

3- ابن الجزار القيرواني، زاد المسافر وقوت الحاضر، ج2، ص 655.

4- ابن زهر، التيسير في المداواة والتدبير، المصدر السابق، ص 364.

5-نبات آأطريال: اسم بربري يُقصد به رجل الطائر، ويُعرف في مصر برجل الغراب أو بجزر الشيطان، صفته أنّه يشبه الشبث في ساقه وحمته وأصله، غير أنّ حمة الشبث زهرها أصفر، وزهر نبات آأطريال أبيض، وبذره صغير يشبه حب المقدونس هو المستعمل في المداواة/ ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والاغذية، ج1، ص 06.

6- سبق الإدريسي في ذكر نبات آأطريال في علاج البهق غير أنّه بدا لنا الأسبقية تعود إلى ابن البيطار، لأنّ الإدريسي ذكر النبات من غير أنْ يعرفه ويصفه بشكل غير صحيح ويتبين ذلك من خلال قول ابن البيطار: " وزعم الشريف أنّ هذا الدواء هو بزر أحد النبات المسمى زعي الإبل وعندي فيه نظر لأنَّ ديسقوريدس يقول في رعي الإبل أنّ ساقه مزوّى بالحشيشة المسماة آاطريال ساقها مدوّر لينظر ذلك/ ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج1، ص 07.

ج- المزاج البلغمي وأشهر امراضه: هو بارد رطب يكثر في فصل الشتاء، مقره الرئة، واستدلوا على معرفة البدن المصاب بأنه ذو مزاج بلغمي من امتلاء الجسم باللحم والشحم، ويكون بارد الملمس، كثير النوم، ضعيف الإدراك، بطيء الحركات، ويتميز بالبلادة وكثرة الريق والبصاق والنخام، وكثرة الرطوبة وملوحة الفم وبياض البول، وتكثر في أحلامه المياه والسيول والأنهار والسباحة والغرق، وتسرع إليه الأمراض البلغمية كالفالج والنقرس والسعال[1]؛ فهناك من يرى أنَّ البلغم بعضه يتولد في الدماغ، وبعضه يسري في الجهاز التنفسي؛ فيسبب البرد والالتهابات، ومن أهم أمراض هذا الخلط: أمراض المفاصل، والسعال والزُكام[2] والنسيان والاستسقاء الطبلي والقولنج، والداحس، والنقرس البارد، وأمراض الرئة والسل، والتهاب المعدة، وارتجاع المرئ، والاستسقاء البلغمي (الطبلي)[3].

وسنركز على أمراض البلغم التي تولد العلل الباردة، وما ينجم عنها كالنقرس والسعال وداء المفاصل[4] لكون هذا المرض سجلَّ حضوره بكثرة بسبب طبيعة مناخ الأندلس البارد في بعض الأقاليم؛ فقد أشار المقدسي إلى ذلك بقوله: "والغالب على أرض الأندلس البرد الكثير"[5]، وظروف المجتمع الأندلسي التي كان يعيشها من حروب وفتن، وما تسببه من أزمات مرضية؛ فغالبا ما تتفشى هذه الأمراض في الطبقات الضعيفة والفقيرة والهشة اجتماعيا.

أ- علة النقرس: (la goutte): يعدُّ من أخطر العلل الباردة، وهو وجع مخصوص بالقدمين شديد الألم، يصحبه امتداد في العصب وضربان دائم، وأكثر ما يحدث هذا الداء إذا أدمن الإنسان الدعة والترف،

1- ابن البيطار، الدرة البهية، ص56.

2- كمال السامرائي، تاريخ الطب العربي، ج1، ص114.

3- مراجعة الملحق رقم 5 للتعرف على هذه الأمراض.

4- توفرت الأندلس على عيون حارة وحمات كثيرة تردد عليها أهل الأندلس من أجل العلاج والإستشفاء ومنها نذكر: حمة بأشبونة، وحمة في منطقة لكة من كورة شذونة، وحمة بمنطقة بسطة، وحمة بجانة، أمَّا عن عيون العلاج، والتي كانت تسمى بالعيون المباركة نذكر: عين بكورة تدمير وعين بقرية باغة من كورة إلبيرة، وتُعد دراسة محمد حقي من أهم الدراسات التي فصلت في العلاج الطبيعي عن طريق العيون والحمّات في المغرب والأندلس. محمد حقي، الموقف من المرض في المغرب والأندلس في العصر الوسيط، مطبعة مانبال، بني ملال، 2007، صص81-85.

5- المقدسي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003، ص190.

وترك الرياضة مع الإكثار من الأكل والشرب[1]، ومن أجل هذا الأمر سمي بداء الرؤساء[2] أو داء الملوك[3]، وما يلاحظ من خلال هذا التعريف أنَّ الأطباء تنبَّهوا إلى أنّه يختص بطبقة الأثرياء أكثر من غيرها من طبقات المجتمع بسبب الراحة ونوعية الأكل الفاخر كاللحوم بأنواعها، وهو الذي أكّده الطب الحديث على أنّه مرض روماتزمي يظهر بسبب تركز نسبة كبيرة من حمض اليوريك في الدم؛ فتناول كمية كبيرة من اللحم والسمك اللذان يحتويان على نسب عالية من البروتينات التي تتحلل في الدم؛ يصعب طرحها خارجا؛ فتشكل ترسبات بلورية يوراتية داخل المفصل التي تسمى "الترسب اليوراتي"[4]، وهو النقرس التحجّري عند أطباء الفترة الإسلامية، وأينما تولدت الحجارة أو ما يُعرف بالترسبات فلا يمكن رجوع المفصل إلى وضعه الطبيعي[5].

ووفق نظرية الأخلاط فإنَّ داء النقرس يُدرج في الخلط البلغمي والسوداوي، ومن علامات النقرس الناتج عن الخلط البلغمي برودة الملمس وقلة الالتهاب، كما يتميز أيضا بعدم تغير لون الجلد وبياضه مع ملازمة الألم له[6]، ومن الإشارات التاريخية التي تدل على إصابة شخصيات أندلسية بهذا الداء خلال فترة الدراسة نذكر الحاجب المنصور بن أبي عامر الذي كان يشكو من داء النقرس، ووردت عند ابن عذاري بـ"علة العصب"[7]، وفي موضع آخر أكد صاحب البيان أن المرض كان مُصاحبا للمنصور في معظم غزواته حين قال: "إنَّ "غزواته ست وخمسون غزوة باشرها كلّها بنفسه، وهو في أكثرها يشكو

1- ابن الجزار، زاد المسافر، ج2، ص579.

2- الوزان الفاسي الحسن بن محمد، وصف إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الاخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1983، ص83.

3- اين الجزار، زاد المسافر،ج2، ص579.

4- عبد الخالق بن رجب ونجاة الغزواي، علم الأمراض في الطب العربي الإسلامي، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، قرطاج، تونس، ط1، 2010، ص234.

5- الرازي، الحاوي في الطب، ج11، ص683.

6- بن هبة الله، المغني في الطب، ص179/علم الأمراض، ص232.

7- ينفرد ابن عذاري بهذا العدد من غزوات المنصور في حين أن صاحب تاريخ الأندلس يفصل بعض الشيء في غزوات المنصور، ويحصرها في ست وخمسين غزوة آخرها غزوة بطريوش سنة 392هـ/1002م. البيان المغرب، ج2، ص298/مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص235-236.

علة النقرس"[1]، ويبدو أنَّ هذا الداء شغل المنصور بن أبي عامر كثيرا، وبحث له عن علاج، وينفرد الوزير الطبيب أبو العلاء زهر(ت 525هـ/1130م) بمرهم جربه في داء النقرس يُنسب إلى المنصور بن أبي عامر في حلّ صلابة العصب والنقرس[2]، ومن علماء الأندلس أيضا يحي بن يحيى المعروف بابن السمينة، من أهل قرطبة (ت 315هـ/926م)، الذي أصابه النقرس؛ فكان ملازما لداره[3].

الفالج: يقصد به الشلل النصفي، وذهاب الحس والحركة من أحد شقي البدن، وسلامة الشقّ الآخر، أو هو استرخاء أحد الجانبين من الإنسان[4]، غير أنَّ الزهراوي كان أكثر دقة وعلمية في التعريف بعلّة الفالج عندما قال: "إنّه انسداد مجاري العصب التي تسلك فيها الروح النفساني بلزوجة البلغم؛ فإن تكوّن هذا البلغم في جزء واحد من أجزاء الدّماغ بطلت تلك الجهة يمُنة كانت أو يَسْرة[5]، وفي حالة ما إذا وقع الفالج في الوجه فقط وذلك باعوجاجه؛ فحينئذ يسمى بعلة اللقوة، ويكون ذلك من الدماغ[6].

وما يلاحظ على أطباء الفترة الإسلامية أنهم اكتفوا بمسببات خارجية تؤدي إلى الإصابة بمرض الفالج كالسقوط من مكان مرتفع، وتعرّض الإنسان لرياح باردة، غير أنّه كثيراما عانى أهل الأندلس من برودة بعض أقاليمها كما أشرنا سلفا، وهذا ما نلمسه في بعض كتب التراجم؛ حيث "كان ابتداء علة الناصر، طرقت أمير المؤمنين الناصر علّته الصعبة من الريح الباردة؛ فأرجف به، وخيف عليه، وأكبّت الأطباء على معالجته، إلى أن ظهر عليه تجفيف...، والقضاء قد سبق بموته من علته؛ فلم تفارقه،

1- ابن عذاري، نفس المصدر، ج2، ص301.

2- أبو العلاء زهر، كتاب المجربات، المصدر السابق، ص115.

3- ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص913.

4- ابن هبة الله البغدادي، المغني في تدبير الأمراض ومعرفة العلل والأمراض، تحقيق محمد ياسر زكور، دار المنهاج، جدة، ط1، 2011، ص163.

5- الزهراوي، التصريف لمن عجز عن التأليف، المقالة الثانية، ص154-155.

6- ابن الجزار، زاد المسافر، مج1، ص140.

تخف حينا وتَثْقُلُ حينا، إلى أن قضت عليه في سنة 350هـ"[1]، وذلك ما ذهب إليه ابن حيان الأندلسي حين قال: إنَّ الحكم المستنصر الأموي كان يشتد عليه الفالج بسبب برد الزهراء؛ فيغادرها إلى قرطبة[2].

وفسّر ابن عذاري سبب مرض وموت يعقوب المنصور الموحدي (554-595هـ/1160-1199م) بكثرة تعرضه لأهوية الأقاليم المختلفة لفترة طويلة[3]، ويحتفظ لنا ابن الخطيب الأندلسي بحادثة مرضية لأخطر أمراض الفالج أصيب بها أمير منطقة جيان ابن هَمُشْك الأندلسي (ت 572هـ/ 1176م)[4]؛ حيث ابتلي بفالج غريب شديد الأعراض؛ فقد قال ابن الخطيب عنه: إنّه "كان يدخل الحمام الحارّ؛ فيشكو حرّه بأعلى صراخه؛ فيخرج فيشكو البرد كذلك، إلى أن مضى إلى سبيله"[5].

إنَّ تفشي هذا المرض في الطبقة الحاكمة رغم توفر رغد العيش لديهم من تدفئة ومأكل وملبس، يوحي لنا أنّ هذا المرض كان منتشرا بكثرة في الطبقة العامة رغم غياب عينات تاريخية تُثبتها المصادر التاريخية، غير أنَّ كتب التراجم تحتفظ بقائمة لابأس بها من علماء توقفوا عن مهامهم العلمية، ولزموا بيوتهم بسبب علّة الفالج وما نحوها؛ ففي سنة 313هـ/925م اعتلَّ الفقيه أحمد بن بهلول بعلة أبطلته عن الحركة[6]، كما عُزل أسلم بن عبد العزيز عن قضاء الجماعة بقرطبة لعلّة أقعدته سنة 341هـ/529م[7]؛ كما أُصيب أحمد بن قاسم بن محمد بن قاسم بن أصبغ البيّاني الذي كان من

1- ابن عذاري، البيان المغرب، ح2، ص223.

2- ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، دار الثقافة، بيروت، 1965، ص211/ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص251.

3- ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، القسم الموحدي، تحقيق مجموعة من الأساتذة، بيروت، 1985، ص230.

4- هو ابراهيم بن أحمد بن مفرج بن همشك، من أجداده، نصراني، أسلم على يدي أحد ملوك بني هود بسرقسطة، وكان مقطوع إحدى الأذنين، فكان النصارى إذا رأوه في القتال قالوا: هامشك: التي تعني مقطوع الأذن، عرف بجبروته وقسوته، وعظيم الجرأة والعبث بالخلق،انقلب على ابن مردنيش وقاتل الموحدين إلاّ أنّه في آخر أيامه طُلب منه أن يرحل إلى مكناسة سنة 571هـ. ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، صص151-154.

5- نفسه، ج1، ص155.

6 - ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص191.

7- نفسه، ج2، ص193.

أهل قرطبة، وكان قد تعطلَّ قبل موته بمدة بعلة فالج لحقته؛ فأودت بحياته سنة 430هـ/1038م[1]، ولم يسلم محمد بن أحمد بن إسحاق بن زيد بن طاهر القيسي، الذي كان متأمِّرًا ببلده مرسية، بعد طول علته الفالجية حيث توفي سنة 455هـ/6310م[2]، أمّا صهيب بن عبد المهيمن بن أبي الجيش قاضي جيان فقد أصابه فالج في آخر عمره أقعده عن التصرف؛ إلى أن توفي سنة 631هـ/1233م[3].

إنَّ هذه العينات التي تمَّ رصدها لفترات تاريخية مختلفة تُثبت دون شك أن برودة بعض أقاليم الأندلس كان له دور بارز في تفشي بعض الأمراض البلغمية المُزمنة التي لها علاقة وطيدة ببرودة الطقس؛ كما أنّه ثمة أمراض أخرى تنتمي للخِلط البلغمي نتعرف على ماهيتها مثل:

الورم الصلب: وهذا الورم يُعرف عند اليونانيين باسم "**سقريوس**" لثباته ودوامه وبطء انحلاله، وسببه بلغم غليظ خالص[4].

القولنج: سمي هذا الداء قولنجا باسم العضو الذي يكون فيه، وهو من الأمعاء الغلاظ، وسببه أنَّ يكون البلغم اللزج قد كثر مِعاء القولون ولحج فيه؛ فسدّ طريقه ومنع انحدار الفضلات[5].

المفاصل: هو اعتقال في الركبتين وفي الأطراف والمرفقين، ونحو ذلك من المفاصل حتى تعوج بسبب البرد واليبس[6].

الحمى الباردة الرطبة: تحدث بزيادة خِلط البلغمي، ومن علامتها صداع خفيف ونبض ضعيف[7].

1- ابن بشكوال أبو القاسم بن عبد الملك، الصلة في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق صلاح الدين الهواري، المكتبةالعصرية، بيروت، ط1، 2003، مج1، ص55/نفسه- ص98.

2- ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1 ص236.

3- ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج4، ص196.

4- القربيلياني، الاستقصاء والإبرام في علاج الجراحات والأورام، ص74- 75.

5- ابن الجزار، زاد المسافر، ج1، ص359-360.

6- ابن البيطار، الدرة البهية، ص76.

7- نفسه، ص65.

النسيان: النسيان حمى ضعيفة ساكنة يَتبعها سُبات، وهذا المرض يَخُصُّ المُتخيّلة لا القوة الذّاكرة، سببه ورم يحدث في مقدَّم الدماغ من خلط بلغمي، ومن أعراضه ثقل الرأس، وطنين الأذنين، وحمى ليّنة، وتهيّج الوجه، وكثرة النوم، ونسيان ما قَرب عهده، وغِلظ البول[1].

الجرب: اختلفت وتضاربت آراء الأطباء حول نوع الخِلط الذي ينتمي إليه هذا المرض؛ فابن الجزار مثلا يرى أنَّ المادة التي تندفع إلى الجلد إنْ كانت رقيقة أحدثت حكة، وإن كانت غليظة أحدثت جربا، ومن علامات الجرب الصفراوي أنْ يكون قحلا يابسا لا مِدّة فيه البتّة، ومعه أكْل ولدغ وشقاق[2]، في حين يتفق أطباء آخرين أنَّ الجرب يتولد من مخالطة بلغم مالح غليظ للدم يتعفن تحت الجلد لطول لُبثه، وتعجز القوة عن دفعه، أو خلط لذّاع محتبس تحت الجلد أو مخالط للدم المحتبس في العروق[3]، ومن أعراضه بثور حمراء صغيرة ، ويكون معها حكة شديدة، وأكثر ما تعرض في اليدين وما بين الأصابع وفي المرفقين وفي العُصْعُص(أسفل الظهر)، وقد ينتقل إلى سائر الجسد خصوصا مع قلة النظافة وتناول الأغذية الفاسدة[4].

غير أنَّ ابن زهر كان أول طبيب عربي يتجاوز نظرية الأخلاط، ولا ينسب مرض الجرب إلى أي خلط من الأخلاط الأربعة؛ لما أشار إلى أنّه جرثومة طفيلية؛ حيث وصفه تحت اسم الصؤاب بقوله: "ويحدث في الأبدان، ظاهرها شيء يعرفه الناس بالصؤاب، وهو حكة تكون في الجلد، ويخرج إذا قشر الجلد من مواضع منه حيوان صغير جدا يكاد يفوت الحس"[5].

إنّ مسبّبات المرض للجرب التي توصلّ إليها ابن زهر لا ينبغي أنّ ننظر لها بشكل عادي في وقت غابت فيه كل أجهزة التقانة الطبية المتطورة.

1-ابن هبة الله، المصدر السابق، ص50.

2- ابن الجزار، زاد المسافر وقوت الحاضر، ج2، ص661.

3- بن هبة الله، المغني في الطب، ص231.

4- حنا توفيق بشور،طب الجلد عند العرب، دار المستقبل، دمشق، ط1، 1990، ص145.

5- ابن زهر، التيسير في المداواة والتدبير، ص364.

4- المزاج السوداوي وأشهر أمراضه: هو بارد يابس، مقرّه الطحال، يكثر في فصل الخريف؛ فإذا استحوذ هذا الخِلط على الجسم صار مزاج المرض سوداويا؛ فالبرودة سببها في الغالب؛ إمّا لورود شيء بارد عليه بالقوة كالثلج مثلا، أو تناول الأشياء الباردة، أو لقلة الغذاء؛ فتقل الحرارة الطبيعية للجسم، كما تنقطع الحرارة عن عضو في الجسم بسبب الربط أو الشدّ العنيف أو بسبب خلل داخلي؛ فيبرد ذلك العضو لإنطفاء الحرارة الغريزية عنه[1].

أما بالنسبة لليبوسة فقد عللَّ الأطباء سبب خروج الجسم عن اعتداله إلى اليبوسة إمّا لملاقاة هواء حار؛ أو بسبب الحركة المفرطة للجسم إلى حدّ التعب، وعلامات نفسانية كالغم والهم وقلة الغذاء أيضا، أو الميل إلى الأغذية والأدوية اليابسة التي تجفف البدن[2]، واستدلَّ الأطباء بعلامات لصاحب هذا المزاج، منها أنْ يكون صلب البدن بارد الملمس؛ يابس الجسم قليل اللحم والشحم، وغالبا ما يغلب عليه قلة النوم وكثرة السهر وحموضة الفم، وتلون البول مع حمرة وسواد، ويبس الطبيعة، ويرى في أحلامه الظلمات والمغارات والأشياء المهولة والمفزعة والخوف والهرب[3].

ومن أشهر أمراض هذا الخلط: حمى الربع، والحزاز الأسود[4]، وداء الثعلب[5]، والكلف[6]، وأمراض العشق[7]، والأروام السوداوية، وداء الماليخوليا الذي يُعدُّ من أهم أمراض هذا المزاج.

1- المسيحي، المائةفي الطب، ص331.

2- المسيحي، نفسه، ص331.

3- ابن البيطار، الدرة البهية، ص56.

4- الحزاز: أو الأبرية الهبرية في الرأس شيء كالنخالة. الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص95.

5- داء الثعلب: سمي كذلك لعلتين: أحدهما أنَّ للثعالب شعرا رقيقا على لون النّحاس إذا انقلبت على الأرض وانتفضت تناثر شعرها، والعلة الأخرى أنَّ هذا الداء أكثر ما يعرض للثعلب، ويسمى بالأندلس بداء قُروعة إذا استحكم الفساد في جلدة الرأس، وظهر على موضع الفساد بياض يشبه الجص. الزهراوي، المقالة الأولى من كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف، ص149.

6- الكلف: هو تغير لون الجلد إلى السواد، وحدوث آثار كمدة فيه، وأكثر ما يُصيب وجه النساء الحبالى. محمد ياسر زكور، إصطلاحات الطب القديم، ص468.

7- يُعدّ ابن حزم من المؤرخين الذين اعتنوا بتوثيق عينات أشخاص أصيبوا بمرض العشق بسبب إدمان الفكر، وتمكن الخلط السوداوي منهم: فمن أخباره كان يعرف جارية من ذوات المناصب والجمال والشرف من بنات القواد، وقد بلغ بها حُبُّ فتى من أبناء الكتاب مبلغ هيجان المرار الأسود، وكادت تختلط، واشتهر الأمر وشاع جدّا حتى علمه الأباعد، إلى أن تدوركت بالعلاج، وهذا إنما يتولد

سجلت المصادر الأندلسية حالات كثيرة أصيبت بهذا المرض؛ ممّا استدعى الوقوف عنده بشيء من التفصيل مع داء الجذام الذي استوقفتنا حالات كثيرة سنفصل فيه هو الآخر:

داء الماليخوليا (ويُقال أيضا المالنخوليا)(mélancolie): إنَّ التعريف العلمي لهذا المرض يتمثل في كونه يُحدث للإنسان أفكار رديئة وظنون، ويغلبه الحزن والخوف، وخلط في الأفكار والكلام[1]؛ فيدخل المريض في حالة شديدة من الحزن العميق ومن الاكتئاب، ويصبح لا يستجيب لمعظم المثيرات، وربما صرخ ونطق بتلك الأفكار الرديئة، وأخلط في كلامه بسبب تغير الفكر والظنون من المجرى الطبيعي إلى الفساد[2]، وتبدو على المريض علامات الحزن دون وجود أسباب ظاهرة له، ويغلب على المريض فقدان الحيوية والمزاج، والاهتمام بما يجري حوله، وقد يصاحب هذه الحالة بعض أعراض الهلاوس التي نعني بها المدركات الحسية السمعية والبصرية والذوقية واللمسية التي لا توجد إلاَّ في خيال المريض[3].

وقد وصفها الطبيب إسحاق بن عمران بالأحاسيس الكاذبة التي تُصيب المريض على مستوى الشم والذوق[4]، وهو الأمر نفسه الذي ذهب إليه عبد الملك بن مروان بن زهر؛ حيث قال: بأنّه "رأى أقواما موسوسين يتحدثون بما لم يروا، ويتخيّلون أنهم قد رأوه"[5]، ومن أسوء حالات الوسواس القهري أن يدخل المريض في حالة من حالات الضلالة أو الهذيان، وهي عبارة عن اضطراب عقلي مؤقت يتميز بأفكار شاذة زائفة يعتقد المريض في صحتها وأنَّها حقيقية، رغم أنَّ الواقع يُفيد بعدم صحّتها، كأن يعتقد المريض أنّه تحوّل إلى بقرة وعليه أن يذبح، أو يتوهّم أنَّ لا رأس له[6]، ومن الحالات التي عالجها

عن إدمان الفكر؛ فإذا غلبت الفكرة، وتمكّن الخلط وتُرك التداوي، وخرج الأمر عن حدّ الحب إلى حدّ الوله والجنون". ابن حزم الأندلسي، طوق الحمامة، ص149-150.

1- الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص96.

2- جيرار جهامي، موسوعة مُصطلحات العلوم عند العرب، مكتبة لبنان ناشرون، بروت، ط1، 1999، ص1317.

3- فرج عبد القادر وآخرين، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، دار سعاد الصباح، الكويت، 1993، ص110.

4- ابن عمران إسحاق ، مقالة في الماليخوليا، تحقيق عادل العمراني والراضي الجازي، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، تونس، 2009، ص59.

5- ابن زهر، التيسير في المداواة والتدبير، ص97.

6- ابن عمران إسحاق، مقالة في الماليخوليا، ص49/الزهرواي، التصريف لمن عجز عن التأليف، المقالة الثانية، ص157.

الزهرواي في القرن الرابع الهجري نتيجة الوهم بقوله: "ومنهم من يظن أنَّ في بطنه حيّة تنهش أمعاءه؛ وقد رأيت من منهم إنسانا عالجته من ظَنّه الكاذب"[1].

من خلال العينات التي وقفنا عليها في كتب التاريخ والتراجم، يبدو أنَّ هذا المرض سجَّل حضوره بقوة بين مختلف طبقات المجتمع في العدوة الأندلسية؛ حيث تعرّض أحد الجنود من شنتمرية لفكر فاسد؛ فتخيّل أن يصنع حريرة في قعر بئر، ونهض إلى السوق فاشترى أعدالا من دقيق، وهو لا ينكر من أمره شيئا، وسَاق الحمّالين إلى الدار، وأمرهم بصبّ الدقيق في البئر، وانتهى به الأمر إلى ربطه، والذهاب به إلى الطبيب أبو العلاء زهر[2].

ويتعدد الهذيان، وتشمل أنواعا مختلفة كثيرة كهذيان العظمة (Delution of Grandeur)، وهذيان الاضطهاد، وهذيان الغيرة، وهذيان الأثيم أو الذنب[3]، ويبقى الهذيان ظاهرة شاذة تحتاج إلى العلاج حتى وإن وُجدت لدى الأشخاص الأصحاء، واحتفظ لنا الطبيب عبد الملك ابن زهر بالعديد من الحالات التي وقع فيها أفراد المجتمع الأندلسي فريسة هذا المزاج السوداوي؛ فأودت بهم إلى الانتحار والغرق؛ فمن ذلك أنّه قال: "وقد رأيت قوما كثيرا منهم من خنق نفسه بالوهق (أي الحبل)، وبعضٌ أثقل نفسه وتردى في الماء"[4].

كما احتفظت لنا كتب التراجم بمجموعة من الأسماء تعود لوجهاء وعلماء لهم صيت في بلاد الأندلس أصيبوا بعلة المالنخوليا بمختلف درجاتها، ونذكر منهم الأمير هشام بن عبد الرحمن الداخل (ت 180هـ/796م) الذي كان سبب موته خلط سوادي اعتراه منه وسواس أفسد فكره وأفرط به؛

1- نفسه، ص158.

2- عبد الملك ابن زهر، المصدر نفسه، صص96-97.

3- عبد الرحمن محمد العيسوي، الطب العقلي في الفكر السِنَوِي دراسة مقارنة مع الفكر السيكولوجي الحديث، أعمال مؤتمر الطب والصيدلة عند العرب، مركز التراث القومي والمخطوطات، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1998، ص230.

4- ابن زهر، التيسير في المداواة والتدبير، ص96.

فأسلَّه وطاوله حتى أهلكه"[1]، والفقيه مزين بن جعفر بن مزين الذي كان من زهّاد الأندلس، وكان ابن جهور يأتيه كثيرا، ويتعاهده بالزيارة، متبركا به، عرض له اختلاط قبل وفاته بثلاث سنين أو نحوها أذهله عن العبادة، وألزمه بيته إلى أنْ توفي سنة 441هـ/1049م[2].

يروي لنا ابن الآبار لقاءه بالفقيه محمد بن غلبون بن عمر الأنصاري في مرسية سنة 636هـ/ 1238م، والذي أطلعه على كتاب التكملة، وكان لهذا الفقيه "خزانة مملوءة من الأصول العتيقة والدفاتر الأنيقة؛ فضاعت كلها في حياته لاختلاله في عقله، وبقي على حاله إلى أن أدركته الوفاة سنة 650هـ/1252م"[3].

ويبدو أنَّ أولئك المرضى المصابين بهذه العلل لم يشفع لهم مرضهم؛ حيث تعرّضوا إلى الكثير من المضايقات التي وصلت إلى حدَّ الزجّ بهم في غياهب السجن بمجرد عبثهم بأمور الدولة والسياسة، كما حدث للفقيه عبد الله بن محمد بن عبد الله، ويعرف بابن ذمام، الذي كان يصاب في عقله أحيانا، وتعرض للسجن على عهد الموحدين، لأنه كان ينال منهم بلسانه؛ "فسُجن عل سبّ المهدي رضي الله عنه، وإنّما كان ذلك منه حين يُصيبه ذلك الألم، ويخرجُ عن التكليف"[4].

وقد يتطور داء الماليخوليا إلى مرض أشدّ خطورة عرف في المصادر الطبية بداء البهتة أو **المانيا**، وهو نوع من الجنون تفسيره الجنون الهائج وداء الكلب، ويُستدل عليه بعلامات منها السهر والتفرغ والاختلاط والتوثب، والعبث الشديد، والنظر الدّال على الجرأة والإقدام، ويُعرف أيضا بالوسواس السبعي لشبهه بتصرفات السباع[5].

1- مجهول، تاريخ الأندلس، ص175.

2- ابن الزبير، صلة الصلة، ص36.

3- ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج2، ص132.

4- ابن عسكر وابن خميس، المصدر السابق، ص232.

5- ابن هبة الله، المغني في الطب، ص48/الزهراوي، التصريف لمن عجز عن التأليف، المقالة الثانية، ص157.

ومن أشهر الأندلسيين الذين ابتلوا بهذه العلة الأمير المقتدر بالله أحمد ابن هود (ت 457هـ/ 1065م) الذي عُرف بجبروته على العامة، وسخطه على العلماء؛ فرماه "الله بعلة في جسده أذهبت حسه وعقله؛ فيقال إنّه كان ينبح كما تنبح الكلاب"[1]، وعبد الرحمن بن أبي بكر مجد الدين بن الجزري الفقيه النحوي الصوفي، كان من كبار النحاة، ابتلي بحب شاب، وغلبت عليه السوداء؛ فألقى بنفسه من السطح؛ فمات في يوم الجمعة ثاني عشر رمضان سنة 698هـ/1298م[2]، كما أنّ السلطان النصري أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل (733-755هـ/1333-1354م) فقد حياته، وهو في ريعان شبابه يوم عيد الفطر، لما "هجم عليه رجل ممرور (يقصد مجنون)، ورمى نفسه عليه، وطعنه بخنجر"[3]، ممّا يدل على أنَّ المصابين بهذا المرض في درجته المتأخرة يشكلون خطرًا على أنفسهم والمجتمع معا، ولم تسلم منهم مختلف طبقات المجتمع، ولسان حال التي وقفنا عليها لشخصيات أرخ لها المؤرخون، ولنا أنْ نتصور عامة المجتمع الأندلسي التي أصيبت بهذا المرض.

مرض الجُذام (La lèpre): هو مرض خطير من قبل خلط سوداوي محترق، شديد العفونة والاحتراق إذا اندفع إلى سطح البدن؛ فيحدث في البدن تعفّنا وتشنّجا وتقرّحا[4]، ومن علامات ظهوره: تمرّط الشعر، بحّة في الصوت مع الغنة، أكل الحرف من الأنف، نخول الأصابع من اللحم، تآكل الأطراف، ويبس في الطبيعة[5]، كما يُنبّه ابن البيطار إلى أنَّ الجذام الذي يستحكم في البدن أكثر من سبعة أشهر يَصْعُبُ علاجه[6].

1- ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص229.

2- ابن القاضي أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي، درة الحجال في أسماء الرجال، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، المكتبة العتيقة، تونس، ط1، 1981، ج3، رقم1039، ص105.

3- ابن الخطيب، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، ص135.

4- الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص95.

5- ابن البيطار، الدرة البهية، ص79/ابن الأزرق، تسهيل المنافع في الطب والحكمة، ج2، ص159.

6- ابن البيطار، الدرة البهية في منافع الأبدان الإنسانية، ص79.

يُعَدُّ الزهراوي من أوائل الأطباء الأندلسيين الذين اهتموا بدراسة مُسبّبات هذا المرض سواء كانت باطنية أو ظاهرية؛ حيث يُرجعها إما إلى أسباب وراثية من جهة الآباء والأجداد، وإمّا بسبب نوعيات محددة من الأغذية التي تُهيّج السوداء كلحوم البقر والتيوس والكرنب والباذنجان، أمّا السبب الثالث فيرّده إلى العدوى التي تُصيب المجذومين، ويستنشقون الهواء الفاسد[1].

من عادة الكتابات الوسيطية أنّها لا توفر أرقاما إحصائية للأمراض، وبالتالي يصعب تحديد حالة المرض، ومدى انتشاره في ساكنة ما؛ لكن ما يميز علة الجذام بالأندلس أنّها خلقت نوعا من التذمر والتنكر للفئة المُصابة بها وسط العامة مخافة العدوى، ولسان حالها في حق المجذوم الذي يتستر عن مرضه، وأنَّ وضعه لن يتغير بقولها: "أقُلْ لِلْمجْذامْ: تكل المكشوف؟ قال: لن يزيد النحس ولا ينقص"[2]، ولتفادي استفحال العدوى وسط المجتمع خصّصت السلطة الأموية حارة للمجذومين بقرطبة؛ ليتم نقلهم إلى مُنية عجب قبل عام 329هـ/939م، خوفا من انتقال العدوى إلى الأصحاء، ممّا يوحي أنَّ هذا المرض كان منتشرا وسط العامة الأندلسية؛ حتى أنَّ الغرباء الذين زاروا بلاد الأندلس لاحظوا ذلك؛ فالمقدسي يصفها بقوله: "بلد كثير المجذومين"[3]، ويبدو أنّ الأسباب التي كشفها الزهرواي ليست وحدها كافية لانتشار هذا المرض في الأندلس، وإنما هناك سبب آخر سنرجىء الحديث عنه إلى الفصل الرابع.

داء الفيل (Elephantiasis): ورم سوداوي يحدث في الساقين والقدم، سببه المِرّة السوداء المحترقة، ويُستدل عليه بِعظم الرجل وكبرها حتى يصير شكلها كشكل رجل الفيل، هو من الأمراض الخطيرة إذا استحكم في جسم المصاب لأنه ورم سرطاني يصعب علاجه[4].

1- الزهراوي، التصريف لمن عجز عن التأليف المقالة الأولى، ص202.

2- الزجالي أبو عبد الله بن أحمد القرطبي، أمثال العوام في الأندلس مستخرجة من كتابه ري الأوام ومرعى السوام في نكت الخواص والعوام، تحقيق: وشرح ومقارنة محمد بن شريفة، منشورات الثقافة، دار المناهل، القسم الثاني، 2006، ج2، ص123.

3- المقدسي، المصدر السابق، ص190.

4- ابن هبة الله سعيد، المُغني في الطب، ص191.

السرطان (Cancer): تناولنا في الخِلط البلغمي أنّ من أمراضه الورم الصلب الذي يكون نتيجة خِلط بلغمي، غير أنّ الورم يتطور إلى ورم سرطاني إذا تقادم وصَلب، وامتزج بالخلط السوداوي؛ فيكون لونه إلى السواد مع بَرْدِ المَجسَّة، وتظهر فيه عروق حمراء وسوداء فيها حرارة دنية، وسمي سرطان لشبهه بالسرطان البحري[1]، ويفصل لنا الزهراوي كيفية حدوثه حين يقول: إنه "يبدأ مثل حبّة الباقلاء، ثم يتزايد مع الأيّام حتى يَعْظُم وتشتدُّ صلابته، ويصير له في الجسد أصل كبير مستدير كَمِد اللون تضرب فيه عروق خُضر وسود إلى كلّ جهة منه، وتكون فيه حرارة يسيرة عند اللمس"[2].

ما يُلاحظ أنّ أطباء تلك الفترة قد اعتمدوا على تشخيص الورم السرطاني من خلال دقة الملاحظة المتمثلة في خفقان أو وضربان العضو؛ مع الحرارة التي تُصيب العضو المُصاب، كما يفرّق الزهراوي بين الورم السرطاني القابل للعلاج والسرطان الذي لا علاج له بقوله: "إنّ الورم إذا كان مع صلابته عديم الحسّ جدّا فإنه لا علاج له أصلاً، وإنْ كان به حسّ شُفي؛ فإن كان قليل الحسّ أمكن علاجه إلاّ أنّه أعسر بُرءًا[3]؛ ويؤكد لنا الزهراوي أنَّ معظم السرطانات المتقرّحة تحدث نتيجة تحجّر الأورام الحارة.

لهذا حذّر الأطباء من مغبّة استعمال النباتات والأدوية من غير علم، لأنّ هذا الورم ينشأ من ذاته أو ينشأ عَقِب ظهور الأورام الحارة[4]، وهو الخطأ الذي يقع فيه الأطباء الجهلة في تبريدهم وتقبيضهم للأورام الحارة من دون استفراغ خلطها؛ فيتحلل الرقيق منها ويبقى الغليظ؛ فتتصلب وتصير ورما سرطانيا.

1- الزهراوي، التصريف، المقالة 2، ص198/القربلياني، الإستقصاء، ص75.

2- الزهراوي، المصدر نفسه، ص199.

3- الزهراوي، التصريف، المقالة 2، ص198.

4- نفسه، ص198.

الحمى الباردة اليابسة: تحدث من زيادة خلط السوداء، علامتها سخونة لينة، وصداع خفيف، ونبض ضعيف متباعد، ثم يشتد شدة عظيمة، ومنها حمى الربع التي تنوب يوما وتغيب يومين[1].

الطحال (Rate): يُستدل عليه باللمس لأنه ظاهر، وكلما عَظُم الطحال هَزُل البدن، خروج القيء دما يضرب إلى السوداء بعينها، كسل في البدن، الكآبة وقلة الضحك[2].

النار الفارسية (Anhtrax): تُعرف بالقرحة الحجرية، وتحدث عن دم غليظ سوداوي، وهي بثور تحدث في سطح البدن، تكون في أكثر الحالات سوداء، وربما كانت كلون الرماد، فعلها كفعل النار[3].

البواسير (Hémorroïdes): هي قروح تخرج على أدوار فم المقعدة، ومنها سائل ومنها جامد، وأصل الجميع من فضلات الدم السوداوي المتعكّر[4]، ومن أعراضها تغير لون صاحبها إلى الصفرة، وثقل في الفخذين والساقين، ونفخ في الجنبين من كثرة الرياح التي تصحبها[5].

الإسهال السوداوي: من علامته خروج الخِلط الأسود، وغليانه على الأرض إذا جُعل عليها، وتَنفر منه الذباب، وهو إسهال خطير قاتل[6].

ثانيا_ العلاج النباتي للأمراض ببلاد الأندلس: على الرغم من أنَّ العلم الحديث تجاوز نظرية الأخلاط، وأبطلها بظهور أسس أخرى أكثر تطورا وتعمقا في علم الأمراض والوقاية؛ حيث اكتشف ما يُعرف بعلم الجراثيم وعلم أمراض الخلايا، إلاّ أنّ الباحث في نظرية الأخلاط بعين فاحصة يتجلى له مدى التفوق الطبي الذي حققه أطباء الفترة الإسلامية وفق نظرية الأخلاط؛ فقد كان في علمهم وحدسهم وخبرتهم العملية ما ضمن نجاح ممارستهم للطب، وغالبا ما كانوا يتوصلون إلى نتائج جيدة ومُرضية بشكل

1- ابن البيطار، الدرة البهية، ص65.

2- ابن الجزار، زاد المسافر وقوت الحاضر، ج2، ص459.

3- يُناقض القربلياني نفسه في هذا المرض، ويرى أنَّ النار الفارسية هي نوع من مرض الحمرة الذي يتولد عن المِرّة الصفراء، التي تعرض في جلدة الجسم. الاستقصاء والإبرام في علاج الجراحات والأورام، ج2، ص47/نفسه، ص140.

4- ابن البيطار، الدرة البهية، ص76.

5- ابن الجزار، المصدر نفسه، ج1، ص375.

6- الشقوري، مقالة في الطب، ص435.

كبير[1]، إذ أنَّ للنباتات وظائف جمة في بدن الإنسان، منها المُسكّنات للألم، والمُسهّلات والقابضات، والمُقيّئات والمُعرّقات، والمنبّهات والمُشهّيات، ونباتات تساعد على الهضم وطرد الدود من البطن...

ويشير أحد الدارسين أنَّ تسعة أعشار العقاقير التي كانت تُستعمل في العلاج إنّما هي نباتات أو خلاصات نباتية[2]؛ حتى أنّ هذا العلاج كان علما قائما بذاته لدى اليونانيين، ويعرف بالفيتوتيرابي(phytothérapie)، وهي مشتقة من الكلمة الإغريقية "Phuto"، وتعني نباتات، وكلمة "Therapeia" والتي تعني علاج[3]، وعليه فليس بإمكان البحث استيعاب جميع النباتات الدوائية، ولا جميع الأمراض التي عرفتها الأندلس خلال الفترة الإسلامية، لكثرة العلل والأمراض؛ فضلا على كثرة النباتات، وتشابه خواصها و منافعها؛ فنحن أمام تراث نباتي طبي ضخم.

عَمدنا إلى اتباع نهج علمي يستوعب أهداف البحث، وهي ذكر أشهر النباتات[4] التي تداوى بها أهل الأندلس وفق أسلوب العينيات المنتظمة لأنها تمثل الوسط التي تنتمي إليه، تماشيا مع قاعدة أبقراط المشهورة التي تقول: "يتداوى كل عليل بعقاقير أرضه؛ فإنّ الطبيعة تفزع إلى عادتها"[5].

وبالموازاة مع ذلك ركزنا على أهم الأمراض التي عرفتها بلاد الأندلس وفق نظرية الأخلاط التي لا يمكن فهم علاجاتها بمعزل عنها، مُستدلين على ذلك بشواهد تاريخية حفلت بتسجيلها المصادر التاريخية.

1- جورج شحاتة قنواتي، المرجع السابق، ص32/ملاتيوس جغنون، الصيدلة وصناعة الأدوية في أوروبةالقَرَوَسَطية (1200-1500)، مجلة المعرفة، العدد 598، 2013، ص165.

2- فريد جحا، تراث العرب القديم في ميدان علم النبات، الدار العربية للكتاب، 1989، ص35.

3-Taoufik Saoud, Etude préliminaire sur quelques plantes medicinales en ifriqya à l'époque médièvale: préparation et utilisation, colloque international sur les ressources naturelles au Maghreb durant l'antiquité et le moyen âge: exploitation, gestion et usage, Tunis, 2004, P114.

4- من أقوال الرازي المأثورة " إنَّ العمر يقصر عن الوقوف على كل نبات الأرض، فعليك بالأشهر ممّا اجمع عليه، ودع الشاذ، واقتصر على ما جرّب/ **الحاوي في الطب**، **المصدر السابق، ص ز**

5- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص 40.

أ_ النباتات المُسْهِلة للأخلاط الأربعة: لقد اهتم معظم أطباء الأندلس بعلاج الأمراض من حيث البحث في الأدوية التي تُسهل الأخلاط؛ فأظهروا عناية فائقة في مجال التصنيف في الأدوية المفردة كما سبق أنْ فصّلنا ذلك في الفصل الأول، وكانوا يرون أنّه يُمكن للبدن أن يسترد صحته وعافيته- إذا لم يستحكم ويستفحل خلط معين في بدن المريض- وذلك بإعادة توازن أخلاطه من خلال استعمال الأدوية الني تُصنف حسب خصائص قواها: جفاف أو برودة أو رطوبة أو يبوسة، لاعتقادهم أنَّ استفراغ الأخلاط من بدن المريض هو مربط العلاج لأي داء؛ فقد قال أبو العلاء زهر على لسان جاليونس: "استفرغ أولا الأسباب التي هي فاعلة للأوجاع؛ فإنّك إنْ سكنتها قبل ذلك لم تنفع العلة، وربما زدت عنها"[1]، وبالتالي لا معنى لأي دواء إذا لم يستفرغ خلطه الزائد، ويكون ذلك عن طريق البول أو البراز أو العرق أو القيء.

أخذ الأطباء المسلمون هذه القاعدة، واعتبروها أساس العلاج؛ حيث قال الطبيب أمية بن أبي الصلت الداني (ت 529هـ/1134م): "إن كان المرض حارّا برّدناه، وإنْ كان باردًا أسخناه، وإنْ كان يابسا رطّبناه، وإن كان رطبًا جفّفناه"[2]، وما يلاحظ على هذه الطريقة العلاجية أنّها تتبع قاعدة الأضداد، لاعتقادهم أن الخِلط ينطفئ بضده مثل قوة الحرارة يُضعفها الماء، وفي ذلك قال ابن رشد: "إنَّ الأضداد من شأنها أن يُفسد بعضها بعضًا عندما يستولي أحدها على الآخر"[3].

إنَّ دراسة جميع النباتات الطبية والتفصيل فيها أمر يستعصي الإلمام به، والإحاطة به في فصل واحد من موضوع الدراسة، لذا اكتفينا بدراسة تصنيفية لأشهر النباتات الأندلسية الطبية المُسهِّلة وفق نظرية الأخلاط.

1- **العلاج النباتي لاستفراغ للخلط الصفراوي** (حارة جافة): غالبا ما يحتاج هذا الخلط إلى نباتات لها خاصية في إفراز المرارة الصفراء، ومن أهم النباتات قوية المفعول على الخلط الصفراوي، واتفق

1-كتاب المجربات، المصدر السابق، ص 29.

2- **أبو الصلت الداني**،كتاب الأدوية المفردة، المصدر السابق، ص 367.

3- ابن رشد الحفيد، جوامع الكون والفساد، ص37.

الأطباء على أنّها تكون باردة رطبة ومُسهلة للصفراء بالدرجة الأولى، وأنْ يتجنب المريض جميع الأدوية والأغذية الحارة والحرّيفة(لاذعة للفم واللسان)، ومن أشهر النباتات التي اعتمد عليها أهل الأندلس، واتفقت المصادر على خواصها ومنافعها نذكر:

نبات السقمونيا (Convolvulus)**:** هو لبن شجرة صغيرة ذات أغصان تعلو من الأرض تُعرف بالمحمودة، وقيل المحجوبة، وغالبا ما تُحشى في سفرجلة أو تفاحة مشوية، وتتخذ أقراصا، وتجفّف في الظل حتى تُحمد غائلتها، تنفع للصداع القديم، وهي مُسهِّلة للصفراء بقوة شديدة من جميع الأعضاء حيث كانت[1].

نبات أفسنتين (Artemisia absinthium)**:** يُعرف في المغرب الأوسط بشجرة مريم، وفي فاس بشيبة العجوز[2]، هو من التمنس أي ليس بشجر ولا بقل، وقيل يُلحق بالشجر الصغير، وهو نوع من أنواع الشيح الرومي تتفرَّع منه أغصان كثيرة، وعلى الأغصان أوراق كثيرة، ساقه خضراء إلى رمادية اللون، وأوراقه مركبة تشبه الريشة في الشكل، مغطاة بشعيرات كثيفة دقيقة بيضاء اللون، يسهل الخلط الصفرواي، وينقي المعدة؛ حيث فيه مرارة بليغة تكمن فائدتها في قتل ديدان البطن، وهو دواء مجرّب للمعدة شربا وضمادا، وهو محسن للون، وينفع من داء الحيةّ وداء الثعلب[3]، و هو دواء نافع جدا لأصحاب علل الكبد والطحال والكلى واليرقان، ومن يُبطئ انهضام الطعام في معدته[4].

نبات إهليلج الأصفر (Terminalia) : نافع لداء السل واسترخاء العين، مطفئ للمرّة الصفراء، مُقوّي للمعدة ودابغ لها بالتنشيف والتنقية[5].

1- الغساني، حديقة الأزهار ، ص282/ابن وافد، الأدوية المفردة، ص28/أبو الصلت، الأدوية المفردة، ص393.

2- ابن حمادوش، كشف الرموز، ص11.

3- أبو الصلت، الأدوية المفردة، ص393/ابن وافد، الأدوية المفردة، ص28/الغساني، حديقة الأزهار، ص11/ابن زهر عبد الملك، كتاب الأغذية، ص85.

4- ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج1، ص60.

5- حديقة الأزهار، ص97/أبو الصلت، ص392/اين وافد، الأدوية المفردة، ص28.

نبات البنفسج (viola odorata): هو نوع من الجنبة، ينبت من أرومته في العام المقبل، وهو على نوعين بستاني وبرّي، له ساق رقيقة، وعليها زغب يسير يمتد على وجه الأرض، وله نور أسمانجوني يميل تارة إلى البياض، وتارة إلى الحُمرة على حسب اختلاف أصنافه، يُسهّل الصفراء إذا استعمل شرابا، ينفع من مرض الخناق الذي يحدث للأطفال، مُسكّن للصداع الناتج عن الحرارة[1].

نبات خيارشنبر (Cassia fistula): نوع من الخروب من جنس الشجر العظام، خشبه صلب لونه إلى الحمرة، نباته بأرض الهند والشام، له ثمر طويل ينفع من الحميات الحارة، ينقي المعدة والأمعاء من المرار والرطوبات، مُسهّل المرة الصفراء، ينفع من اليرقان ووجع الكبد ويُفتح سددها، وإذا شُرب أخرج المَرّة المحترقة، وأسهل إسهالا من غير أذى ولا لذع[2].

تمر هندي (Tamarindusindica): هو ثمر شجرة الهند، ورقها يشبه ورق الموز، نافع من كثرة القيء والعطش في أدوار الحميات، قابض للمعدة المسترخية بسبب القيء، يُسهل المَرَّة الصفراء، ويمنع حِدَّتها، ويُطفئ لهيبها، ويُسكِّن غليانها[3].

نبات البَرْشياوُشان (Adianthumcapillusveneris): يسمى بقصبرة البير، هو نبات ينبت بالحيطان والأسوار والآبار، له ورق كورق الكزبرة البستانية إلاَّ أنه أدق وأصغر، طبيخه نافع من الربو واليرقان، وعُسر التبوّل، مُعين على إسهال المَرّة الصفراء الكائنة في المعدة والأمعاء[4].

نبات الريباس (Rheum ribes): من جنس الحمّاض، لونه أصفر يتميز طعمه بشيء يسير من المرارة مع القبض، من منافعه الدوائية في الخلط الصفرواي أنّه دابغ للمعدة، عاقل للبطن، مُطفئ للعطش، قاطع للإسهال، والقيئ الكائن من المرّة الصفراء، مُشهٍّ للطعام، ومُنقٍ للمعدة[1].

1- حديقة الأزهار، ص44/أبو الصلت، ص392/ابن وافد، الأدوية المفردة، ص28.

2- ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج2، ص357/حديقة الأزهار، ص392/أبو الصلت، الأدوية المفردة، ص393/ابن وافد، الأدوية المفردة، ص28.

3- الغساني، حديقة الأزهار، ص298/أبو الصلت، الأدوية المفردة، ص393/ابن وافد، الأدوية المفردة، ص28.

4- الغساني، حديقة الأزهار، ص50/أمية أبو الصلت، الأدوية المفردة، ص395/ابن وافد، الأدوية المفردة، صص28، 35.

الرمان المز (punicagranatum): شرابه يُطفئ حِدّة المرّة الصفراء والتهابها، نافع لالتهاب المعدة، نافع من القيئ الناتج عن المرّة الصفراء.

نبات السرمق (Atriplex)**:** هو نبات معروف بالسرمج أو البقلة الذهبية، وأشهر أسمائه عند العامة **القَطف**، من جنس البقل: منه البساتني والبري، هو نبات له أصل غائر في الأرض رقيق، وأغصان رقاق حُمر، نافع من الأورام الحادثة من المرّة الصفراء، وإذا شرب منه وزن درهمين بعسل وماء ساخن قيّأ مرّ الصفرواية[2].

2_ جدول للمجرّبات النباتية في علاج الأمراض بعد استفراغ الخلط الصفرواي:

المرض حسب المزاج	العلاج النباتي
اليرقان الأصفر	السقمونيا، الأفستنين، الأهليلج الأصفر، البنفسج، الخيارشنبر، التمر الهندي، الإجاص، الُقراسيا، كزبرة البير، ماء اللبلاب، الرمان المز، التوت الحامض، رُب الحصرم، البقلة الحمقاء، الرّيباس، نبات السرمق[3].
الورم الصفراوي (النملة)	علاجها بالأدوية التي تُسهل الصفراء، والفصد إذا تطلب الأمر ذلك، وتُعالج بخليط مكون من الزعفران والجُلَّنار وقشور الرمان مع دواء معدني (قشور النحاس)، تسحق وتُخلط جميعا مع الخلّ ويُضمد به[4].
الشقيقة	يُضمد موضع الوجع والجبين بدقيق الحُوَّارى والسمسم مدقوقا معجونا مع الماء، أو يقطر في الأنف بدهن الناردين، ويُدهن به مع كثرة الدلك لنصف الرأس[5]، وفي حالة صاحبت الشقيقة الدوي والطنين والثقل والبرد تعالج بخليط من النباتات (الورد والأسطوخودس والخشخاش)، تُغلى في ثلاثة أرطال ماء حتى يتبخر، ويبقى منه رطل ماء[6]، ودهن نبات العاقر قرحا ينفع من الصداع البارد والصداع البارد[7]
الاستقساءالصفرواي	علاجاته كثيرة ومنها: طبخ نبات قثاء الحمار مع رّب، ويُسقى منه العليل ملعقة واحدة في اليوم

1- حديقة الأزهار، صص157-258.

2- ابن حمادوش، كشف الرموز، ص92/الغساني، حديقة الأزهار، ص284/ابن البيطار، الجامع لمفردات الأغذية، ج3، ص272.

3- ابن بكلارش، الأدوية المفردة، صص391- 396/ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج3، ص272.

4- القربلياني، الاستقصاء والإبرام في علاج الجراحات والأورام، ص55.

5- الشقوري أبو عبد الله اللخمي، مقالة في الطب، تحقيق محمد العربي الخطابي، ضمن كتاب الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص423.

6- الشقوري، مقالة في الطب، ص423.

7- ابن العزفي عبيد الله محمد بن يحي بن أبي طالب، الاكتفاء في طلب الشفاء، تحقيق محمد العربي الخطابي، ضمن كتاب الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1990، ص446.

ويعرف أيضا بالحَبن	الأول، وملعقتين في اليوم الثاني، وملعقتين في اليوم الثالث؛ فإنّه يطلق البطن، ويُخرج الماء الأصفر من البطن غير أنّ هذا الدواء يصلح للأبدان القوية[1]، ومنها أيضا: طبخ التين اليابس مع ورق العرعار طبخا جيدا، ويوضع ضماد على البطن ممّا يلي الكبد[2]، ومن العلاجات أيضا سقي المريض بهذا المرض شراب القطف مدة ثلاثة أسابيع.
الإسهال الصفراوي	شراب الورد اليابس بالورد اليابس ببزرقطونا محمصة صحيحة غير مدقوقة[3]، ومنها أيضا: نقع الكمون في الخل ليلة كاملة، ثم يجفف، ويُسحق سحقا ناعما، ويُضاف إليه نفس الكمية من نشاء محمصة مسحوقة، ويُستف منه كل يوم على الصوم خمسة دارهم[4].
الجرب الصفرواي	ماء نبات الشاهترج إذا نُقع فيه الإهليلج الأصفر ينفع من الجرب والحكّة والبثور[5]، إذا غُمست الأيدي الجَربة الصَفرواية في ماء طُبخ فيه نبات السرمق أو ما يُعرف بالقطف نفعها[6]. أغصان دفلى طرية، ورق الكرفس يُرشان بكمية من الخل، ويصفى ماؤهما، ويضاف عليه نفس كمية زيت الورد، وثلاث أوقية من الرماد الزرجون، ويُعجن عجنا جيدا، ويُطلى به الجسم ليلا، ويُغسل نهارا مع تجنب أكل الأطعمة الحلوة والحارة[7].
الحمى الحارة يابسة وتمسى بالحمى المُحرقة	يُسقى العليل بماء التمر الهندي والأجاص والعنّاب ولب خيارشنبر[8].
داء البيضة	يستفرغ العليل بالنباتات التي تُكسر وتُسهل المرة الصفراء، ثم يغسل رأسه بماء طُبخ فيه زهر البنفسج والطُحلب وورق البزرقطونا أو قشور للخشخاش والشعر المقشور، ويُسعط المريض بدهن الورد أو دهن البنفسج[9].

3- العلاج النباتي لاستفراغ الخِلْط البلغمي: سبق وأن أشرنا أنه ذو مزاج بارد رطب، لهذا فهو يحتاج إلى أدوية وأغذية حارة بالدرجة الأولى سواء نباتية كالثوم والفلفل، أو حيوانية كاللحم والعسل، ومن أهم النباتات لاستفراغ هذا الخلط نذكر:

نبات الحنظل (citrulluscolocynthis): يُعرف أيضا بالحدج، حار يابس، هو على نوعين: ذكر وأنثى، من الفصيلة القرعية، يمتد على الأرض، لا ساق له، وثمره كثمر النارنج أملس، ولونه أخضر مسود به

1- ابن الجزار، طب الفقراء والمساكين، تحقيق الرضي الجازي فاروق عمر العسلي، المجمع التونسي للعلوم والآداب والحكمة بيت الحكمة، قرطاج، تونس، 2009، ص188.

2- ابن جزار، طب الفقراء والمساكين، ص191.

3- الشقوري، مقالة في الطب، ص435.

4- أبو العلاء زُهر، كتاب المجربات، ص103.

5- ابن أبي الصلت الداني، الأدوية المفردة، ص343.

6- ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج3، ص273.

7- أبو العلاء زهر، كتاب المجربات، ص98.

8- ابن الجزار، زاد المسافر، ج2، ص599.

9- نفسه، ج1، ص95- 96.

خطوط خضراء وصفراء، بداخله لحم أبيض وبزر كما في داخل الدلاع، من منافعه الطبية: أنّه مُسهل للبلغم من المفاصل والعصب، كما ينقي الرأس والعصب والمفاصل من الكيموسات اللزجة، مفيد جدا

في أمراض الفالج والقولنج المتولد من البلغم، وعرق النَّسا والنقرس البارد[1]، ومن أهم الملاحظات التي احتفظ لنا بها أمية أبو الصلت في التفريق بين النافع والسام منه قوله: "ويتجنب مما حمل أصله حنظلة واحدة؛ فإنها رديئة قتّالة"[2].

نبات تُربد (Ipomoeaturpethum)**:** هو نبات ينمو بالسواحل في الأماكن التي إذا فاض البحر غطاها، من فصيلة المحموديات، زهره يتلون باليوم أكثر من مرة، من خواصه الطبية أنّه مُسهل للبلغم، ومفيد لآلام الوركين، مجفف البدن، ويُخرج رطوباته، وذلك لأنه ينقي البدن من الرقيق والغليظ من البلغم، كما أنّه نافع من أمراض العصب[3].

نبات الفربيون (Euphorbia): يُعرف بالبربرية بنبات التاكوت، وهناك من يسميه الشبرم، من فصيلة الفربيونيات (أي اليتوعات التي يخرج منها سائل شبيه باللبن)، هو صمغ شجرة كثيرة اللبن لونها أبيض، ومن ذلك اللبن يتكون الصمغ إذا جَمد، وهو المستعمل في الدواء، وتجدر الإشارة إلى أنَّ هذا النبات لا ينبت حوله نبات إلاَّ أحرقه من شدة حَرّه، ولا يستعمل هذا النبات إلاَّ بإصلاحه وتعديل خواصه لشدة غائلته، ولهذا فهو يُدرج في خانة السموم إذا أفرط في استعماله، من منافعه الطبية أنّه نافع في علاج عِرق النَّسا والفالج والخدر، ويُسهّل البلغم الغليظ واللزج الناشب في الوركين والظهر والأمعاء[4].

1-الغساني، حديقة الأزهار، صص115-117/ابن وافد، الأدوية المفردة، ص28/أمية أبو الصلت، الأدوية المفردة، ص382.

2- أمية أبو الصلت، الأدوية المفردة، ص382.

3- الغساني، حديقة الأزهار، ص293/ابن وافد، الأدوية المفردة، ص28/أبو الصلت، الأدوية المفردة، ص383.

4- الغساني، حديقة الأزهر، ص224/أبو الصلت الداني، الأدوية المفردة، ص385/ابن وافد، الأدوية المفردة، ص28.

نبات الغاريقون (polyporusofficinalis): ويسمى أيضا أغاريقون من فصيلة متعددة المسام، هو نبات من جنس الفطر، حجمه في قدر جمجمة رأس الإنسان، مدحرج الشكل كأنّه ثؤلول عظيم، ينبت في أعلى شجرة الأرْز، من خواصه الطبية أنّه يُسهل البلغم، ويُسرّع نفاذ الأدوية إلى أقاصي البدن، ومفيد في وجع المعدة والمفاصل وعرق النَّسَا، ونافع من الرَّبو ومن فساد لون البدن، وهو بالجملة نافع من جميع الأمراض البلغمية[1]، ونبّه الطبيب أمية أبو الصلت الداني أن يُختار منه الأنثى الأملس الظاهر السريع التفرّك الذي يوجد في مذاقه مرارة وحلاوة عند تذوقه[2].

نبات الأنْجُرة (urticapillulifera): ويسمى أيضا بالحريق أو القريص، وبعجمية الأندلس أنفيس[3]، من الفصيلة القراصية، نوع من البقول، ينبت بالخرب والمزابل والدِّمن، وهو على نوعين: حرشاء وملساء، والحرشاء لدَّاعة للجسوم عند ملاقاتها، من منافعه الطبية أنّه يُطلق الطبيعة باعتدال، ويُسهل البلغم، ضماده مع الفجل يُفجرِّ الدبيلات ويدملها، وينفع بزره من السرّطان ضِمادا، وكذلك في القروح والجراح يدملها ويُبريها[4].

نبات القرطم (Carthamustinctorius): وهو على نوعين: البرّي ويسمى الباذورد، ينفع في إسهال البلغم اللزج، والبستاني الذي يزرع في البساتين هو نفسه حب العصفر[5]، وهو على نوعين: أحدهما مُشوك جدّا وزهره أحمر قاني، والآخر زهره أصفر ، قليل الشوك، من منافعه الطبية يُسهّل البلغم، وينفع أصحاب الإستقساء اللحمي والزقي (الطبلي)، ومن منافعه الطبية أيضا أنّه يُنقّي الكلف من الوجه والبهق من البدن، ومن مرض القوباء أيضا[6].

1- الغساني، حديقة الأزهار، ص35/ابن وافد، الأدوية المفردة، ص28/أبو الصلت الداني، الأدوية المفردة، ص384.

2- نفسه، ص384.

3- ابن ميمون، شرح أسماء العقار، ص5.

4- الغساني، حديقة الأزهار، ص10/أبو الصلت الداني، ص388/ابن وافد، الأدوية المفردة، ص28.

5- ابن حمادوش، كشف الرموز في شرح العقاقير، ص59.

6- الغساني، حديقة الأزهار، ص ص247-248/أبو الصلت الداني، الأدوية المفردة، ص386/ابن وافد، الأدوية المفردة، ص28.

نبات الأنزروت (Astragalusarcolla): هو صمغ شجرة تنبت ببلاد الفرس من فصيلة القرنيات، يعرف بالمغرب الأوسط باسم " العتروت"[1]، من منافعه الطبية أنّه يُسهل البلغم الغليظ الذي يجتمع في مفاصل البدن، ويُخرج أيضا البلغم المتراكم بين الوركين والركبتين، ويُختار من صمغه سريع التفتت[2].

نبات الأنجدان (Ferula asaa-foetida): صمغه هو الحلتيت، وأصله يسمى المحروث، من فصيلة الخيميات، يعرف بالدرياس أو أدرياس بالبربرية[3]، في حين يقول ابن حمادوش: إنّه يعرف بالغرب باسم "أزبر" بلسان المغرب، ونبات الدرياس يقع على نبات آخر يعرف باسم "بونافع"[4]، من منافعه الطبية علاج النقرس وعرق النسا، قاطع لسيلان الرطوبات من الرحم، أوجاع المفاصل، مسهل للبلغم الخام والأخلاط الغليظة، وله فوائد جمة في أمراض الخلط الصفراوي والدموي[5].

نبات الزوفا (Hyssopus): يعرف في المغرب الأوسط بالنابطة[6]، وهو نوع من الصَّعاتر: جبلي وبستاني، من فصيلة الشفويات؛ فالبستاني ورقه كورق المردقوش إلاَّ أنَّه أكبر وأعرض، والجبلي قريب منه له رائحة طيبة وطعم مُرّ، ويُجمع في أيام الربيع[7]. من منافعه الطبية أنَّه مُسهل للبلغم وحب القرع والديدان، وينفع من الفالج والقولنج[8]، كما أنّه مفيد للربو والسعال الحّاد[9].

1- ابن حمادوش، كشف الرموز في شرح العقاقير والأعشاب، ص14.

2- الغساني، حديقة الأزهار، ص25/أبو الصلت الداني، الأدوية المفردة، ص385/ابن وافد، الأدوية المفردة، ص28، 45.

3- الغساني، حديقة الأزهار، ص17.

4- ابن حمادوش، كشف الرموز في شرح العقاقير والأعشاب، ص ص21، 76.

5- الغساني، حديقة الأزهار، ص17.

6- ابن حمادوش، المصدر نفسه، ص85.

7- ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج2، ص481.

8- الغساني، حديقة الأزهار، ص105/أبو الصلت الداني، المصدر السابق، ص389.

9- ابن حمادوش، المصدر نفسه، ص85.

نبات عَاقِر قَرْحَا (Anacycluspyrethrum): يقول عنه ابن البيطار: إنّه دواء معروف للجميع، وهو المسمى بالبربرية "**تاغندست**"، وبدمشق باسم "**عود القَرْح المغربي**"[1]، أمَّا ابن حمادوش فيسميّه باسمه البربري "**تيفنطست**"[2]، وهذا النبات مفيد جدا في استخراج البلغم، ويسهله من الدماغ والمعدة، وينفع من الفالج واسترخاء العصب وسائر الجسد، وبطلان الحركة العارضة من غلبة البرد على الأعضاء[3].

نبات حاشا (Thymus vulgaris): يُعرف عند شجّاري الأندلس بصعتر الحمير، ينمو بالمناطق الصخرية[4]، وهو نوع من الصعتر أو الزعتر، من فصيلة الشفويات، منافعه أنّه إذا شرب بالماء والخل والملح أسهل كيموسا بلغميا مائيا[5].

4_ جدول للمجرّبات النباتية في علاج الأمراض بعد استفراغ الخلط البلغمي:

اسم المرض حسب المزاج	العلاج النباتي
الورم البلغمي (الرَّخو) ويعرف أيضا الاستقساء البلغمي.	قبل العلاج النباتي يُعالج المريض أولا بالفصد من الباسليق من اليد المقابلة للرجل العليلة، واستفراغ الخلط السوادي بالنباتات المزيلة له (ذكرنا بعضها سابقا)
النقرس	يستفرغ المريض بالنباتات المزيلة للخلط البلغمي (ذكرنا بعضها سابقا)، ويعالج المريض بماء الكرنب وورق الحناء، والحرمل والصعتر، دهن القدمين بالثوم البري المخلوط مع الخل، ويتغذى بالأغذية سريعة الهضم[6].
القولنج (البلغمي)	شراب البابونج ينفع للنفخ والقولنج[7]، حقن المريض بحقنة فيها خليط من النباتات المطبوخة مثل: الحلبة وبزر الكتان وبزر الخكمي واللوز المر[8].

1- ابن البيطار، المصدر نفسه، ج3، ص157.

2- ابن حمادوش، المصدر نفسه، ص122.

3- ابن البيطار، المصدر نفسه، ج2، ص404/ابن حمادوش، المصدر نفسه، ص122.

4- ابن البيطار، المصدر السابق، ج2، ص249.

5- ابن حمادوش، كشف الرموز، ص55/ابن البيطار، المصدر نفسه، ج2، ص251.

6- ابن الجزار، زاد المسافر وقوت الحاضر، ج2، ص585.

7- ابن بُكلارش، المستعيني في الطب، مخطوط المكتبة العامة بالرباط، تحت رقم: d2976، ورقة 102.

8- أبو العلاء زهر، كتاب المجربات، ص91.

السعال و الزكام	مغلي نبات عود السوس وشراب النيلوفر وشراب الخشاش، ونبات الأنجدان (الحلتيت) إذا خلط مع البيض[1]، إذا أُكل التمر مع الصنوبر نفع من السعال، وإذا طبخ مع الحلبة وشُرب طبيخه نفع من أوجاع الصدر والسعال القديم[2]، نبات الزوفا (النابطة) إذا طبخ بالماء والتين والعسل والسذاب نفع من السعال المزمن[3].
العصب	مغلى نبات الأسطوخودس (الحلحال) مسكن لأوجاع العصب، وسحقه بالعسل يُبرئ من ارتعاش الرأس، نبات العَاقِر قَرْحَا (تاغندست) ينفع من استرخاء العصب وبطلان الحركة[4]، نبات السندروس (صمغ شجر الصندل) ينفع من استرخاء العصب الناجم عن إفراط البرودة والامتلاء[5].
وجع المفاصل والفالج	نبات الغاريقون ينفع من وجع النسا وألم المفاصل[6]، دهن التاغندست[7].
النسيان	نبات الجعدة[8] والكّندر تّذكيان الذهن، وتنفعان من النسيان[9]. نبات النمام (يقصد به الحبق) الذي هو نوع من النعنع إلاّ أنّ رائحته قوية وشديد الخُضرة إذا ضمّد به الرأس نفع من النسيان وحتى الصداع[10].

5_ العلاج النباتي للخِلْط الدموي: هو حار رطب، والنباتات التي تُعطى للمريض على حسب حالته، إمّا أن المريض له نقص في الدم بسبب نزيف أو مشكل صحي آخر، أو أنَّ لدى المريض فرط في الدم أو

1- أبو العلاء زهر، نفس المصدر، ص133/ابن بَكلارش ، المستعيني في الطب، (الجزء المحقق)، ص331.

2- الغساني، حديقة الأزهار، ص 115، 182.

3- ابن البيطار، المصدر السابق، ج2، ص481.

4- أمية بن صلت الداني، الأدوية المفردة، ص349.

5- ابن العزفي، الاكتفاءفي طلب الشفاء، ص448.

6- ابن أبي الصلت الداني، الأدوية المفردة، ص343.

7- **دهن التاغندست**: يحضر بأوقيتين من التاغندست وأوقيتين من الفربيون، ونصف رطل من الزيت، يُطبخ الجميع في رطلين من ماء عذب حتى يتبخّر الماء ولا يبقى إلاّ الدهن. ابن العزفي، الإكتفاء في طلب الشفاء، ص506.

8- **نبات الجعدة**: يسمى بالجعيدة في منطقة سرقسطة، هو على ثلاثة أنواع، هو تمنس صغير أبيض دقيق، طوله نحو شبر مليئ بالبذور، وعلى طرفه رأس صغير على الإستدارة شبيه بالشعرة البيضاء، ثقيل الرائحة مع شيء من طيب الرائحة، ومنه نوع أعظم منه في الشكل وأضعف رائحة، طعمها مر. ابن بُكلارش، المستعيني في الطب، مخطوط الخزانة العامة بالرباط، رقم d297، ورقة 143/ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية و الأغذية، ج1، ص224.

9- ابن العزفي، الاكتفاء في طلب الشفاء، ص453- 454.

10- الغساني، حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار، ص183.

احتقان في الدم، وكل نوع من هذه الأنواع التي تُصيب الخلط الدموي لها فئة معينة من مسميات الأمراض تندرج تحته، كما أنّ لها عقاقير خاصة ذات مزاجات معينة لكل عارض من هذه العوارض؛ فأحيانا تكون نباتات باردة رطبة أو باردة جافة، وأحيانا تكون حارة جافة، ومن أهم النباتات التي اتفقت المصادر الطبية على ذكرها في تصفية الدم نذكر:

نبات العنّاب (ziziphusjujuba): هو نبات من فصيلة السدريات، من جنس الشجر العظام، برّي وبستاني، زهره بنفسجي اللون على شكل زهر الياسمين، وثمرته بيضوية محمرة اللون، ويعرف عند العامة بالزفزوف، طيب الرائحة، يظهر في فصل الربيع، من منافعه في الخلط الدموي أنّه يسكن الدم الذي تغلب عليه الرطوبة، وجيد لأصحاب الدم الضعيف الذين لا قوة لهم عن احتمال الفصد، وإذا شرب طبيخه سكّن الحرارة التي من الدم الحار الحِرّيف، احتفظ لنا الغساني بمقولة جالينوس عن العناب بقوله: "ما رُئي للعناب في حفظ الصحة على الأصحاء ولا في رَدّها على المرضى كبير العمل، وخاصيّته قمع حِدّة الدم"[1]، كما أنّ له منفعة كبيرة في علاج السعال الحاد ومن وجع الكلى والمثانة والصدر.

ومن بين النباتات التي سبق التعريف بها، ولها منفعة كبيرة في علاج الخلط الدموي وتنقية الدم الفاسد، واتفقت المصادر الطبية على منافعها نذكر: **خيار شنبر، والتمر الهندي، ونبات الريباس**التي تشترك كلها في تخفيف وإطفاء حدّة الدم المتوهج[2].

6_جدول للمُجرّبات النباتية في علاج بعض الأمراض الدموية بعد إطفاء حدة خِلطها:

المرض حسب المزاج	العلاج النباتي
الإستسقاء اللحمي	يتجنب كل البوارد والحوامض والقوابض.
الرعاف	يُسعط بدهن الورد، أنْ يُجعل على الجبهة والأصداغ، طلاء مكون من الصندل والورد ودقيق

1- الغساني، حديقة الأزهار، ص207.

2- أبو الصلت الداني، الأدوية المفردة، صص379-381.

	الشعير، قطع النزيف بالأدوية المجففة القابضة كالجلنار واللُّبان والأقاقيا والشيّان[1].
الرمد	ماء الرمان الحلو يُنقى من شحمه، ويُعصر باليد، ويُضاف له مقدار من نبات الكثيراء مسحوقة ويُقطر في العين شيء بعد شيء لأنه يصلح في أكثر أحوال الرمد[2].
الدماميل (مفرده الدمل)	تبليل دقيق القمح حتى يفشها، تضميدها بالحُرف والماء والملح، يوضع عليها التين الفج بعد دقه وخلطه بالشمع[3].
داء الثعلب	قصبرة البير مفيدة في إنبات الشعر لداء الثعلب[4].
البرص والبهق	نبات الوَلبُ[5] يُطلى به الجسم لمدة 6 ساعات، ويستعمل بعده دقيق الشعير[6]، في حين يستحسن ابن البيطار نبات آأطريال، يتم ذلك بعد استفراغ الخلط بدواء مناسب لذلك، ثم يقوم بعرض المريض في شمس الحارة بعد شربه لهذا النبات لمدة ساعتين أو أكثر حتى يعرق؛ لأنّ من خاصية هذا النبات دفع المرض إلى سطح البدن من المواضع البرصة؛ فينفطها ويقرحها، ولا يصيب من المواضع السليمة من البرص شيء، ويواصل ابن البيطار شرحه بالقول: "فإذا تفقأت تلك النفاطات، وسال منها ماء أبيض يميل إلى الصفرة؛ وقتئذ يتوقف المريض عن الوقوف إلى الشمس، وينتظر اندمال تلك القروح، ويتغير لون الموضع الأبيض إلى لون الجلد"، وينصح ابن البيطار بتكرار العملية في الحالات التي لا يستجيب فيها المريض للعلاج[7]، ويخالف ابن البيطار الإدريسي الذي ادّعى أنَّ هذا النبات هو دوفس باليونانية أو رعي الإبل[8].

7_ **العلاج النباتي للخلط السوداوي:** أشرنا سلفًا أنَّه ذو مزاج بارد يابس، وإذا أصيب المريض بهذا الخِلط تتعطلّ وظيفة العضو المُصاب لفقدانه الحِس الطبيعي، أو ما يُعرف بالحرارة الغريزية، ولهذا

1- ابن الجزار، زاد المسافر، ص175/الزهراوي، التصريف لمن عجز عن النأليف، المقالة 19، ص270.

2- أبو العلاء زُهر، كتاب المُجرّبات، ص13.

3- ابن الجزار، نفس المصدر، ج2، ص664.

4- الإدريسي، الجامع لصفات أشتات النبات، ورقة 113.

5- **نبات الولب**: هو نوع من اليتوع، يشبه البقلة الحمقاء (الرجلة)، تُعرف في الأندلس باسم الفرفخ البرّي، والماء واللزوجة التي تخرج من هذا النبات هي التي توضع على مريض البرص. أبو العلاء زهر، كتاب المجربات، ص108.

6- أبو الخير الإشبيلي، عمدة الطبيب، ج2، ص629.

7- ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية و الأغذية، ج1، ص ص6 - 7.

8- نفسه، ص ص6- 7.

يحتاج المريض إلى أغذية وأدوية مضادة لخِلطه السوداوي، والتي غالبا ما تندرج في المُسخنات و المُرطبات، ومن أهم النباتات المُسهلة للسوداء نذكر:

نبات الأفيثمون (cuscutaepithymum): كلمة يونانية يُقصد بها دواء الجنون، واسمه المشهور في الأندلس الصعيترة[1]، من جنس الصّعاتر، من فصيلة اللبلابيات، هو نبات لا أصل له بالأرض، ولا ورق، إنمَّا ينتسج على الأشجار والحشيش كخيوط النحاس، يميل لونه إلى الحمرة، يتغذى برطوبة الهواء، عليه رؤوس بيض صغار رخوة كأنها زهرٌ له، يخلفها بزر دقيق متدحرج كالخردخل بين الصفرة والغُبرة[2]، ومن منافعه الطبية أنّه يُسهّل الخلط السوداوي، ونافع لأمراض السوداء كالمالنخوليا وأمراض التشنج والكوابيس، ويُذهب الكلف من الوجه والنمش و الآثار السوداء، كما ينفع لداء البهق والجرب السوداوي[3].

نبات الفوذنج (Menthapulegium)**:** اسمه عند أهل الأندلس وباللغة العربية الفصيحة "الضومران"، **ويعرف** بالبربرية باسم "**تيمرساط"**، من جنس الأحباق، من فصيلة الشفويات، يتواجد على عدة أنواع: البرّي والنهري والجبلي، منابته الجنّات والأماكن الرطبة وقرب المياه، من منافعه الطبية أنّه مسهل للسوداء، نافع من داء الفيل والدوالي إذا أكل ثم شرب بعده ماء الحبق أياما متوالية[4].

نبات الأسطوخودس (lavandulastoechas): ويقصد به موقف الأرواح، هو نوع من الصعاتر، من فصيلة الشفويات، ويعرف في بلاد الأندلس وبلاد المغرب باسم **الحلحال.** من منافعه الطبية أنّه مسهل وهو من النباتات التي تفرح النفس وتُحسن مزاجها، كما ينفع من الوحشة والغمِّ والهمّ، ويُذكي الفكر[5].

1- ابن ميمون، شرح أسماء العقار، ص6.

2- الغساني، حديقة الأزهار، ص27.

3- الغساني، نفس المصدر، ص14/ العلائي إبراهيم بن أبي سعيد، تقويم الأدوية المفردة أو المنجح في التداوي من جميع الأمراض والشكاوي، تحقيق هشام الأحمد ومراجعة محمود المصري، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ط1، 2011، ص104/حديقة الأزهار، ص27.

4- الغساني، حديقة الأزهار، ص214.

5- الغساني، نفس المصدر، ص14/العلائي إبراهيم، تقويم الأدوية المفردة، ص104/المائة في الطب، ص267.

للمَرّة السوداء[1]، وينقي الدماغ شربا وتسعيطا، وينفع من داء الصرع وداء المالنخوليا[2].

الإهليلج الأسود (Terminalianigrovenulosa) : يفيد في علاج الماليخوليا[3].

الأهليلج الكابلي (Terminaliachebula) : هو شبيه بمزاج الإهليلج الأصفر إلاَّ أنَّ له خاصية الاستفراغ عن طريق الإسهال الخلط السوداوي[4].

لم يكتف الأطباء بوصف الأدوية التي تُسهل المرة السوداء، بل كانت لهم آراء ونصائح للمريض في أن يبتعد عن بعض المأكولات التي من شأنها أن تهيج المرة السوداء، كبعض الخضر والنباتات التي تزيد في حرارة الدم؛ ممّا يجعله قريبا إلى المُرّة السوداء، مثل القنبيط والكرنب والكرفس الرطب؛ فإذا أدمن أكلها، جمعت المرة السوداء وأوقعت في داء الماليخوليا[5]، كما يرى بعض الأطباء أنَّ الباذنجان مولد للسوداء ومُفسد للون البشرة ومولد للكلف[6].

8_ جدول للمجرّبات النباتية في علاج أمراض السوداء بعد استفراغ خِلطها:

المرض حسب المزاج	العلاج النباتي
داء الفيل	يعالج المريض بعد الفصد من الباسليق من الرجل المقابلة للرجل المُصابة، ويستفرغ الخلط بالنباتات المسهلة ذكرنا بعضها سابقا، مع تجنب المشي والوقوف الكثير، وتُطلى ساق المريض بالقاقيا والصبر وعصارة لحية التيس بعد بَلّها في الخل، وتُطلى على العضو المُصاب، وتربط بالعصائب القوية بعد الطلاء[7].
اختلال العقل	نبات الحندقوقا، ويُعرف أيضا باسم النفل أو الشْنَانْ بالمغرب الأوسط، إذا دقّ وسَّعط به نفع الجنون والصرع[8].
الحمى الباردة اليابسة	يُسقى المريض ماء الهندباء وماء الرازيانج وماء الكرفس، ويسقى أيضا شراب

1- ابن حمادوش، كشف الرموز في شرح العقاقير والأعشاب، ص12.

2- الإدريسي، الجامع لصفات أشتات النبات، ورقة 9.

3- إسحاق بن عمران، مقالة في الماليخوليا، ص81.

4- ابن زهر ، كتاب الأغذية، المصدر السابق، ص84.

5- إسحاق بن عمران، المصدر نفسه، ص33.

6- ابن بُكلارش، المستعيني في الطب، ورقة 110.

7- ابن هبة الله سعيد، المُغني في الطب، ص191.

8- ابن حمادوش، كشف الرموز في شرح العقاقير والأعشاب، ص60.

	الأفسنتين، ويستفرغ الخلط السوداوي بالأدوية المسهلة له رويدا رويدا[1].
الطحال	شرب مطبوخ الطرفاء[2]، نبات الجعدة إذا شربت بالخل نفعت من ورم الطحال، وعروق نبات الفوة إذا شربت بسكنجبين حللّت ورم الطحال[3].
النار الفارسية	بعد إخراج الدم عن طريق الفصد، يعالج المريض بالأدوية التي تُطفئ حرارة الدم بحساء الشعير وماء الخيار والدلاع وماء القرع ولُعاب بزرقطونا، ثم يطلي المريض بدنه بدقيق قشور الرمان الحامض الممزوج بالخل، أو يطلي بدنه بالعفص الفج الممزوج بالخل[4].
الماليخوليا	شرب عصير أو نقيع نبات شحمة الدجاجة[5].
الكلف	يُسحق أصل اللوف البري ويُخلط بالعسل، يوضع على مواضع الكلف[6]. مسحوق اللوز المر، بزر الجرجير يًطلى على الوجه، دقيق الترمس يُنقع في ماء المطر أياما، ويُطبخ في مائه الذي نُقع فيه حتى يتهرأ، و يُطلى به الوجه[7].
الجذام ويسمى بداء الأسد	يُسقى المريض شراب الأفثيمون، وأفضل علاج للجذام هو الترياق المعمول بشحوم الحيوانات.
البواسير	دهن فم المقعدة بعصارة البصل الحار الحرّيف، ويُسقى المريض بالأدوية التي تجدب الدم مثل الأهليلج والأطريفل الأصفر، ويجلس المريض في ماء طُبخ فه نبات البنفسج والبابونج[8].
الإسهال السوداوي	يعالج بالنباتات التي ذكرت في علاج الإسهال الصفراوي مع وضعها في شراب التفاح[9]، ومن الوصفات النباتية أيضا: شرب ماء دافىء مُضافا إليه ماء الورد[10].

1- ابن الجزار، زاد المسافر وقوت الحاضر، ج2، ص616.

2- ابن الجزار، نفسه، ص461/ابن هبة الله، المغني في الطب، ص153.

3- الن الجزار، كتاب طب الفقراء والمساكين، ص192.

4- القربلياني، الاستقصاء والإبرام في علاج الجراحات، ج2، ص55.

5- أبو الخير الإشبيلي، عمدة الطبيب، ج2، ص579.

6- الزهراوي، التصريف المقالة 19، ص293.

7- ابن الجزار، زاد المسافر وقوت الحاضر، ج1، ص198.

8- ابن هبة الله سعيد، المُغني في الطب، ص168.

9-الشقوري، مقالة في الطب، ص 436.

10- أبو العلاء زُهر، كتاب المجربات، ص 142.

إنَّ عناية المؤلفات الأندلسية بالعلاجات النباتية، واحتلالها الصدارة في اللائحة الطبية ضمن موضوع المفردات[1]- الأدوية المفردة- أعطانا صورة جلية عن ذهنية المجتمع الأندلسي الذي جعل الصحة من أساسيات الرقي بصحة الفرد والمجتمع معا.

ثالثا- المعرفة الصيدلانية للعقاقير النباتية في بلاد الأندلس:

أ- علم العقاقير بالأندلس: طرق المسلمون أبواب المعرفة الصيدلانية، وقطعوا فيها أشواطا بعيدة حتى يُخيّلُ للباحث فيها أنّها من مكتشفات العصر الحديث؛ فلا مندوحة من تنبيه العلماء المسلمين إلى قضية ترابط وتكامل العلوم فيما بينها، وإلى حاجة بعضها البعض إلى الآخر؛ فعلم النبات تقاطعت فيه التخصصات والمجالات العلمية، وأصبح لكل مجال مُسمَّياته؛ فالفرق الجوهري بين علم الصيدلة وعلم النبات عندهم: "أنَّ الأول بالعمل أشبه، والثاني بالعلم أشبه، وكل منهما مشترك بالأخر"[2]؛ فالصناعة الصيدلانية ضرب من ضروب صناعة الطب التي لا يمكن للطبيب الاستغناء عنها، وقبل أن نَلج في الموضوع بأبعاده التاريخية في بلاد الأندلس سنحاول الوقوف على ماهية المصطلح.

1_الصيدلة لغة واصطلاحا: إنَّ تتبع المدلول اللغوي لكلمة الصيدلة يجُرنا إلى تعاريف متفرقة ومتباعدة في أصل الكلمة؛ حيث يرى ابن منظور أنَّ الصيدلة مشتقة من الصَّيْدَن، والذي يُقصد به البناء المُحكم، ومنه سُمي الملك صيدنا لإحكامه أمره[3]، وتارة يقدم لنا تفسيرا آخر لمدلول كلمة الصيدن والصيدل أنّها تعني حجارة الفضة، شبه بها حجارة العقاقير؛ فنسب إليها الصَّيدناني والصيدلاني لجمعه العقاقير[4]، بينما ذهب الفيروزآبادي في شرح مدلول كلمة الصيدلة من الصيدن أنها تعني دويبة تعمل لنفسها بيتا من أنواع مختلفة من النباتات، أو دويبة تعيش تحت الأرض كثيرة الأرجل لا يمكن

1- فمن وصايا الأطباء لتلاميذتهم أن لا يكثروا من استعمال العقاقير فقد قال الطبيب أحمد بن عيسى الهاشمي " أنا أوصيك، إياك و كثرة العقاقير، فلو استطعت، أن تعالج بعقير واحد، فلا تعالج باثنين"/الهاشمي، كتاب مجالس في الطب، ص41.

2- زكريا هاشم، فضل الحضارة الإسلامية العربية على العالم، ص452./ محمود الحاج قاسم محمد، ماذا أضاف العرب لعلم الصيدلة، مجلة المورد، اصدار وزارة الإعلام، الجمهورية العراقية، ع 03، أغسطس 1973، ص 49.

3- ابن منظور، لسان العرب، مج13، ص 346.

4- ابن منظور، نفس المصدرمج 13، ص 346.

إحصاء عدد أرجلها[1] .ويبدو أنّ هذه التعاريف تشترك في دقة العمل، و كثرة المواد التي يستعملها الصيدلاني في تحضير أدويته.

ويرى البيروني أنَّ أصل كلمة الصيدلة مشتق من نبات الصندل، لأنَّ العرب الذين كانوا يمتهنون هذا النشاط، كانوا يُضيفون مادة الصندل المتميز برائحته الزكية على مستحضراتهم الطيبة[2]، فَطُبِع هذا الاسم على مُمتَهِني هذه الحرفة الذي لم يكن لهم اسما معروفا من قبل في لغة العرب حيث يقول: "لم يكن للعرب اسما أو نسبة أو لقبا؛ فنقلوا هذا الاسم المُعَرّب من مُزاولي العطر إلى مزاولي عَمل الأدوية"[3].

أمَّا التعريف الاصطلاحي الذي أدلى به البيروني فهو ما جاء في قوله: "إنَّها معرفة العقاقير المفردة بأجناسها وأنواعها وصورها المختارة لها، وخلط المركبات من الأدوية بكنه نسخها المدونة أو بحسب ما يريد المؤتمن المُصلح"[4]، في حين وقف المؤرخ التركي طاش كبري زادة (ت 1026هـ/1617م) على دلالة العمل المنوط بمهنة الصيدلة بقوله: "إنّه علم باحث عن التمييز بين النباتات المشتبهة في الشكل، ومعرفة منابتها بأنّها صينية أو هندية أو رومية، ومعرفة زمانها بأنّها صيفية أو خريفية، ومعرفة جيّدها من رديئها، ومعرفة خواصها، إلى غير ذلك"[5]؛ فالعمل الصيدلاني يرتكز على المنتجات الطبيعية سواء كانت من أصل نباتي أو حيواني أو معدني، وهذه المواد الثلاث هي أساس تحضير الدواء، وتعرف بالأدوية المفردة كما سبقت الإشارة سلفا، وغالبا ما يطلق على الأصل النباتي في المستحضر الدوائي اسم "العقار"، وجمعها "عقاقير"، وقد نتساءل عن علاقة هذا المصطلح بالنباتات الطبية؟

1- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص 1210.

2- البيروني أبو الريحان محمد بن أحمد ،الصيدنة، تحقيق محمد سعيد ورانا إحسان، كراتشي،1983، ص 05.

3- البيروني، كتاب الصيدنة، ص 05

4- البيروني، نفس المصدر، ص09.

5-طاش كبري زادة، مفتاح السعادة، ج1، ص 324.

2_ أصل مصطلح العقار: يرى الباحثون أنَّ كلمة عقار مُشتقة من الكلمة العبرية الأرامية التي تعني أصول النبات، لأنَّ أساس الأدوية عند الشرقيين كان من أصل الأعشاب، وقد اتسع معنى هذه الكلمة بعد ذلك؛ فدلّ على جميع أجزاء الأعشاب المستعملة للعلاج، ثم ضمت إليه بعد ذلك الأدوية الحيوانية والمعدنية[1].

ومن خلال هذا التعريف نلاحظ أنَّ النباتات الطبية هي تلك المحاصيل التي يستفاد ويُنتفع من أزهارها أو قضبانها وأوراقها أو ثمارها أو جذورها، أو من أجزائها كاملة مع دراسة تأثيراتها العلاجية؛ فالنبتة الواحدة تختلف في احتوائها على نسبة المواد الفعالة في أجزائها، وتختلف تبعا للوقت الذي جُنيت فيه، ولهذا أوصى الصيادلة والعشّابون باتخاذ مجموعة من الوصايا والتدابير في جمع الأجزاء المختلفة من النباتات الطبية.

3_طرق صناعة وحفظ العقّار: تختلف أنواع النباتات وعناصرها، وثمار الأشجار في خصائصها الوظائفية وقيمتها الدوائية، لذلك تعددت طرق استخلاصها وحفظها ما بين نبات وآخر، ومن أجزائها نذكر:

أ_الأوراق والحشائش: ينصح الصيادلة والعشابون بجمع الأوراق عند اكتمال بلوغها ونموها، ويفضل جمعها من أرض جبلية صلبة قليلة الرطوبة، وتكون مكشوفة للشمس وهبوب الرياح، كما يُراعى جمعها قبل أن تسقط وتنتثر[2]، ويجب أن تجمع في وسط النهار، ولا تكون قريبة العهد بالمطر؛ فإنَّ ذلك يُضعف قواها[3]؛ فجمع النباتات في غير وقتها يُفقدها الكثير من عناصر الفعالية والنشاط.

1- علم العقاقير اليوم لا يقتصر فقط على الأصل النباتي، وإنما يشمل جميع العناصر الطبيعية؛ فيعرفه أهل الاختصاص بقولهم: هو علم يتعرف على الأدوية، وطرق تحضيرها من مصادر الطبيعة النباتية أو الحيوانية أو المعدنية، وأصبح يطلق عليه اسم Pharmacology، وتدل كلمة Pharmaco على الدواء وكلمة logy تعني التعرف عليه. ناصر حسين صفر، النباتات الطبية عند العرب، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد، 1984، ص11/إياد أحمد الخزاعي، علم الأدوية السريري، ص2/محمد كامل حسين، الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، الجمهورية العربية الليبية، طرابلس، د.ت، ص282.

2- محمد كامل حسين، المرجع السابق، ص329.

3- ابن سلوم، صالح بن نصر الله الحلبي، غاية الإتقان في تدبير بدن الإنسان، تحقيق محمد ياسر بن محمد جميل زكور، دار الكتب العلمية، بيروت، ص69.

ويجب أن تجفف في الظل، أو توضع قليلا في الشمس، ثم ترفع إلى الظل، وتوضع في أكياس من الكتان أو علب من الخشب، ولا توضع في مكان رطب حتى لا تتعفن، ولا توضع في مكان حار حتى لا يفقدها قواها[1]، أمَّا الأوراق التي يؤتى بها من بلاد بعيدة فيجب أن يختار منها ما لم يتغير لونه وطعمه، ولم تذهب رائحته، ولم يبدأ فيه الفساد والتعفن[2].

الأزهار: هي من أصعب الأجزاء حفظا في النبات، ولا سيما في الأماكن الرطبة أو القريبة من البحر، "وقوة الزهور لا تتجاوز السنة، إلاَّ زهر الرتم والبابونج والورد إذا اعتني بحفظها فربما جاوزت السنة"[3]، كما يَجب جنيها وهي متفتحة نضِرة قبل أنِ تذبل وتسقط[4].

ب_ الثمار: هي كثيرة بأنواعها، ويجب أن يُجنى كل ثمر وقت كماله بعد نضجه التام، ويُختار منه ما لم يبدأ في الفساد، ويجب أن تُجفف في الشمس، وتُحفظ في صناديق؛ في موضع خال من الرطوبة، ويوضع فوقها وتحتها الأوراق اليابسة[5]، وينبغي أن يُحفظ ما فيه دهنية منها، مثل اللوز والبندق والفستق والصنوبر، في موضع بارد لا تخترقه الأهوية، ويُحفظ الليمون والأترج والنارنج في الشعير أو الجوارس أو في الرمل، وأكثرها لا يبلغ سنة[6].

ج_ البذور: هي أصول النبات، وهي الحافظة للنوع، يختار منها ما بلغ الكمال، وكان ممتلئا إلى الصلابة، ويجب أن تُلتقط بعد أن يستحكم جرمها، وتُنفش عنها الفجاجة والمائية[7]، ويكون لونه وطعمه ورائحته ظاهرة باقية، وتحفظ في أماكن بعيدة عن الرطوبة ،و توضع في آنية من الزجاج أو الخشب أو من

1- نفسه، ص69.

2- نفسه، ص70.

3- نفسه، ص70.

4- جميلة واصل، العلاج بالنباتات الطبية، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1988، ص26.

5- عبد القادر حليمي، الصيدلة أو الأقرباذين لدى القدماء، دار البصائر، الجزائر، 2014، ج1، ص21.

6- ابن سلوم، غاية الإتقان، ص70.

7- ابن سينا، القانون في الطب، دار صادر، بيروت، ج1، ص238.

الجلود المدبوغة، أما البذور الباردة كالقرع وحب الخيار والبطيخ فيجب أن تنتزع من ثمارها بعد كمالها وجفافها، وترفع في مكان يخترقه الريح، وقوة البذور لا تتجاوز سنتين باستثناء البذور الخالية من الرطوبة، وبجب أن لا تتعرض للضوء حتى لا تتغير خواص المادة التي فيها، ولا تكون عُرضة للأكسدة[1].

د_ جذور النبات: يجب أن يختار من أصول النبات أو ما يُعرف بالجذور ما هو صحيح الطعم والرائحة، خالٍ عن الفساد، ويكون من النبات الذي في الأماكن الصلبة الجبلية المرتفعة البعيدة عن المياه، ويجب أن تغسل من الطين والرمل، وتُنظف من الشوائب، وتُجفف وتعلق في الخيوط، وقواها تمتد إلى ثلاث سنين إذا حفظت بشكل جيد[2].

هـ_ الأخشاب: أكثرها يأتي من بلاد بعيدة، ويجب أن يختار منها ما هو صلب ثقيل، ذكي الرائحة لم يتغير لونه[3].

و_ الصموغ أو العلوك: ما يخرج بالعصر يقال له عصارة، وما يخرج من الشجر بذاته، خصوصا إذا جرح ساق ذلك الشجر بسكين يقال له صمغ أو علك، ويجب أن يختار منه ما هو ليس شديد اليبوسة متفتتا، ولا شديد الرطوبة سائلا، ويجب أن يُجمع بعد الانعقاد، وقبل جفافه يكون قابلا للانفراك باليد[4]، ويكون طعمه ورائحته ظاهرتين بحسب قوته[5].

4- فحص العقاقير النباتية: كان لأهل الأندلس خبرة معرفية وعملية بالنباتات التي كانت تُنجبها أرض الأندلس، أو النباتات التي كانت تُجلب إليهم من أقطار أخرى، وكانوا يرون أن الدواء يمتلك خواصا كامنة، سرعان ما تتحول إلى قوى فاعلة في بدن الإنسان، والتي يطلق عليها مزاج الأدوية التي لا تؤخذ بثقة مُطلقة، وإنّما يُعتدُّ بها على مدى فاعليتها على تأثيرها في بدن الإنسان.

1- عبد القادر حليمي، الصيدلة، ص28.

2- غاية الإتقان، ص72/جميلة واصل، العلاج بالنباتات الطبية، ص26.

3- غاية الإتقان، ص72.

4- محمد كامل حسين، الموجز في تاريخ الطب والصيدلة، ص329، 330.

5- غاية الإتقان، ص73.

ولهذا كان لهم اعتناء واضح بما يسمى فحص قوة الدواء، ودرجة تأثيره في الجسم، وحرص الطبيب على معرفة درجات الأدوية؛ فقد "كان من الخطأ العظيم الانتقال من الدرجة الأولى من درجات الأدوية إلى آخرها دفعة واحدة؛ فكيف يكون الانتقال من أول درجة إلى آخر الثانية دون توسط"[1]، فكان على الطبيب أن يتعرف على مدى تأثير العقار (يقصد به غالبا الدواء النباتي) على الجسم، ولكل عقار قوى وصفات اهتمت المصادر الطبية بتعدادها، من حيث القوة والصفة.

وقدّم ابن زهر انتقادات لاذعة للأطباء المتطفلين على هذه المهنة، وأدرجهم في مرتبة العوام من الناس بقوله: "وما أقبح بالطبيب أنْ يَجْهلَ استخراج قوة دواء منه، ولا يعرف كيف يكسب الدواء قوى غيره بعد أن يسلبه قوته هذا فيما هو طبيعي في الأدوية من القوى؛ فكيف فيما هو عرضي فيها؛ وقد يكون في الدواء قوتان وثلاث و أكثر متضادات، ويقدر الطبيب أن يزيل أيها شاء، ويترك أيها أحبّ؛ فإن لم يقدر على هذا ولا عرفه فهو من عوام الناس"[2].

إنَّ وصف النباتات الطبية للمرضى لم يكن من باب الموروثات الشعبية التي تتداولها العامة، وإنّما من باب العلم فيها، وما يكتنزه النبات من مواد نشطة يفقهها الطبيب الحذق والصيدلاني المتمرّس، وإلاَّ سيصبح عمله أقرب إلى الدجل من العلم على حد قول الغافقي: "وما أقبح بأحدهم أنْ يطلب أدوية مفردة؛ فيؤتى بأدوية لا يعلم هل هي التي أرادها أم غيرها؛ فيركبها ويسقيها عليله مقلدا فيها الدجالين ومتعاطي الحشائش، قوم لا يقرؤون الكتب، ولا يعرفون من الأدوية إلاَّ أقلها"[3]؛ فالمعرفة الصيدلانية تقوم على أسس علمية وجب توفرها في الطبيب والصيدلاني بوجه أخص، وبما أنَّ موضوع بحثنا حول النبات فسنركّز على الخبرة الأندلسية في التحضير الصيدلاني من حيث فحص

1- ابن زهر، التَّذكرة، ضمن كتاب الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية، تحقيق: محمد العربي الخطابي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988 ط1، ج1، ص290.

2- ابن زهر، كتاب الأغذية ، ص72.

3- الغافقي، الأدوية المفردة، ص56.

ومعرفة العقار من عدة نواحي؛ فالعقاقير النباتية ترتكز على عاملين أساسيين هما قوة الدواء وصنف الدواء.

أ- القوة الفاعلة في النبات: اعتنى أطباء الأندلس بفحص قوة الدواء ومدى تأثيره على الجسم من خلال استجابته لعقار معين من حيث الحرارة والبرودة والرطوبة واليوبسة، ولكل عقار أربع درجات: فإذا لم يؤثر الدواء في البدن أثرا محسوسا فقوة هذا الدواء تُدرج في الدرجة الأولى، وبالتالي هو أقرب إلى الغذاء من الدواء، لأنَّ الفرق بين الدواء والغذاء هو "أنَّ الغذاء يزيد في جوهر البدن، والدواء يغير كيفية البدن"[1]؛ فجوهر البدن يقصد به ما يكون به نماء للجسد من طعام وشراب وتزويده بالطاقة من غير أن يضرّ به، أو يغير في الوظائف الفيزيولوجية لجسد الإنسان، ولهذا اعتبر العسل غذاء دوائي لأنّه يزيد في جوهره، ويغير في كفية البدن من حيث تسخين وتلطيف أخلاطه الغليظة[2]، أمّا في حالة ما إذا أثّر الدواء في البدن بشكل إيجابي ولم يضر؛ ففي هذه الحالة يُدرج الدواء في الدرجة الثانية، بمعنى أنَّ العقار هنا لا يستحق صفة دواء إلاَّ إذا كانت قواه أقوى من كيفيات البدن؛ فالدواء الحار مثلا هو الذي يسخن البدن أكثر ممّا عليه، وإذا أثر الدواء تغييرا مفرطا، ولكن غير مفسد بمعنى له عوارض وتأثيرات جانبية لم تصل إلى الموت؛ فيدرج في القوة الثالثة[3]، أمّا الدرجة الرابعة فهي للدواء القوي جدًّا، ونتائجه وخيمة على البدن قد تؤدي إلى الوفاة؛ فيدرج في زمرة السموم القاتلة[4].

وعليه فإنّنا أنْ نستخلص أنَّ درجات الأدوية غير ثابتة، ولا يمكن الأخذ بها مطلقا؛ بل تؤخذ وتراعى كيفياتها بالنسبة إلى البدن الإنساني؛ فالحكمة من فحص الأدوية هو حفظ صحة المريض عن

1- المسيحي،أبو سهل عيسى بن يحي كتاب المائة في الطب، حققه وقدم له فلوريال سناغوستان، المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق، دمشق، 2000، مج1، ص259.

2- نفسه، ص259.

3- المسيحي، نفسه ، ص 266.

4-محمد زهير بابا، فحص الأدوية بين القديم والحديث، أعمال العالمي الثالث عن الطب الإسلامي، نشر المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية و مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، 1984، ص 109.

طريق تغيير المرض إلى صحة، ولهذا كان الأطباء يرون أنَّ للنباتات الطبية أصنافا يجب تمييزها ومعرفتها، وهي التي سنتعرّف عليها في العنصر الموالي.

ب - **أصناف العقاقير النباتية**: اهتم أهل الطب والصيدلة بتقسيم العقاقير النباتية على حسب تأثيراتها على بدن الإنسان، وأثر المادة الفعالة على الداء، ولهذا قسموها إلى مجموعة من الأصناف نقتصر على أشهرها، ومنها:

1- **الأدوية الجذَّابة**: وهي تعمل على سحب وجذب الأجسام الدخيلة على البدن وتدفعه خارجا، وما يلاحظ على الأدوية الجذابة أنَّ غالبيتها تنتمي إلى الزمرة الحيوانية، وخصّها الإدريسي باسم فضلات الحيوانات[1]، ولم يمنع أنْ يُشرِك بعض النباتات الجذّابة التي تتميز بحرارتها ولطفها ومنها: الثوم وحب الرشاد، وغالبا ما تردد مصطلح الأدوية الجذّابة في العمليات الجراحية التي تحتاج إخراج شيئ ما من بدن المريض؛ فقد ورد عند ابن فرج القربلياني أحد أشهر جراحي الأندلس "متى رأيت سهما أصاب العظام وصَعُب جذبه؛ فاتركه واجعل عليه الأدوية الجذَّابة، وحرِّكه دائما حتى يسهل خروجه"[2].

لقد حذّر ابن فرج القربلياني، وهو خبير بعلاج الإصابات التي تكون عن طريق السهام، بالسحب العشوائي أو المباشر من جسم المصاب، لأنَّ هذه الطريقة ستتسبّب في نتائج خطيرة، وقد احتفظ لنا هذا الأخير بحوادث كثيرة حول هذه المسألة؛ فقد وقع لرجل من أهل غرناطة سهم في وسط الجبهة في أرض النصارى واختلط عقله؛ فأمر السلطان بإخراجه؛ فجُذب له فمات في الحين[3]، وآخر، رجل لبان، وقع به سهم على الثدي الأيسر؛ فعاش أربعة أيام، وكان يرمي الدم على حلقه، ومات في اليوم

1-وذكر منها: وهي أدوية حارة لطيفة مثل الأشق والجندبادستروالسكبنج ووسخ الكوز والمشطكراشيروزبل الحمام وخرو الخنزير وخرو الكلب الاكل للعظام والخردل وبعر التيوس وخرو الدجاج وخرو الاوز/الإدريسي، الجامع لصفات أشتات النبات، ورقة 4

2- ابن فرج القربيلياني، الإستقصاء والإبرام في علاج الجراحات والأورام، ج2، ص 101.

3- ابن فرج القربلياني، نفس المصدر، ج2، ص100.

الخامس[1]، ويبدو جليا أنَّ ضربة السهم لم تتسبّب في وفاته، وإنّما سوء التعامل مع الحالة واخراج السهم بالقوة هو الذي أدى بالضرورة إلى خروج دماء وفيرة من جسم المصاب.

وفي نفس السياق ورد أنَّ "رجلا آخر وقع به سهم في العين اليمنى؛ فبرزت العين وأبى أن يخرج له، وكان يضمَّد على العين بنبات السريس[2] مدقوقا، وكلما أراد أنْ يجف بُدِّل حتى كثر فيه القيح، وكان دائما يرقد على وجهه؛ فلما كان بعد شهر أو أزيد قليلاً شعر بشيء ثقيل فظهر السهم؛ فجذبته له، وبرىء الجرح، وفقد العين، وانحلّت رطوباتها وبقيت حُفرة"[3]، وما يلاحظ على القربلياني أّنه استعمل طريقة أخرى في سحب السهم إلى الخارج عن طريق التعفين وتَقيّح العضو المصاب؛ فيسحب معه الأجزاء الدخيلة التي تكون في العضو بفعل الحرارة التي تكون في قوة الدواء أو العقار، غير أنَّ الأمر يحتاج إلى الكثير من الوقت على حسب درجة ولوج السهم إلى الداخل، وعملية التعفين هنا تشبه منزلة التخمير التي تحدّث عنها ابن رشد عن الحرارة العفونية في الأدوية الجذّابة[4].

عادة مَا يُعتمد على الأدوية الجذابة في الحوادث غير المتوقعة مثل طعون السهام والنشاب كما ذكرنا سلفا، وما يبتلعه الإنسان، خصوصا الأطفال من أشياء عن طريق الخطأ أو اللعب؛ فيسوق لنا الطبيب أحمد بن عيسى الهاشمي الأندلسي حادثة وقعت لطفل ابتلع قطعة من الزجاج؛ فأمر والده بأن يطعم ابنه رطلين من التين ونصف رطل من الجوز المنقى مدة يوم كامل، ويرُاقب براز ولده؛ فلما

1- نفسه، ص101.

2- **نبات السريس**: يقول ابن حمادوش إنّه نوع من الهندباء، وهو نبات الطرخشقون، ولم يرد ذكره عند ابن البيطار، وانما ورد باسم طخشيقون، وهو نبات يُستعمل في سم السهام. ابن حمادوش، كشف الرموز، ص97/ابن البيطار، الجامع لمفردات الأغذية والأدوية، ج3، ص132.

3- ابن فرج القربلياني، المصدر نفسه، ص101.

4- ابن رشد، الكليات في الطب، ص249-250.

ألق عليه الماء ونظفه؛ فرأى زجاجة مربعة، وسأل الأب إن كان لاحظ دما متقطعا على البراز؛ فكان الجواب لا[1].

ألق عليه الماء ونظفه؛ فرأى زجاجة مربعة، وسأل الأب إن كان لاحظ دما متقطعا على البراز؛ فكان الجواب لا[2].

ما يمكن ملاحظته أنّ الطبيب لم يصف دواء قويا مسهلا، وإنما وصف دواء لطيفا ملينا لطبيعة الطفل حتى تخرج القطعة الزجاجية بلطف من دون أن تقوم بجراحات على مستوى الأمعاء، وفي حالة ما كان البزار بدم كان سيعطيه دواء آخر ملصقا ومكثفا للجراح؛ فحسب نظرية الطبائع استخدم الطبيب أدوية لها خاصية الإسهال بلطف أي الإعتدال لكونها تتميز بالحرارة؛ "فكل دواء أشد حرارة فهو أشد جذبا من قبل، لأنَّ حرارته تُعينه على ما يفعله بالمشابهة على حد قول ابن وافد[3]، وللإشارة فقد خصّص ابن الخطيب الفصل السادس من كتابه لعملية إخراج السهام والنصول والشوك والعظام التي تصيب البدن؛ مُنبّها إلى ضرورة التعرف على أنواع السهام إن كانت خشبية أو نحاسية أو فضية[4].

2- الأدوية المُغرية أو المُدملة: ويقصد بها الأدوية التي تُدمل الجروح، وتلصق الجراحات؛ فهي التي من "شأنها أن تجمع اللحم وتشدّه، وتُكثزهُ وتقبضه، وتجفّفه من القروح التي قد ساورت البدن، وتصلّب لحم الجراحة"[5]، وتندرج معها مثل الجلنار وورق البلوط وجعدة أو الجيعدة بمنطقة سرقسطة[6]، ودم الأخوين (تعرف بالعروق الحمراء) وزراوند، لسان الحمل، الكمون، وورق الدردار، وورق السرو[7]، وتُدرج

1- الهاشمي، كتاب مجالس في الطب، ص134.

2- الهاشمي، كتاب مجالس في الطب، ص134.

3- ابن وافد، الأدوية المفردة، ص22.

4- ابن الخطيب، عَملُ مَن طب لمن حَبّ، نشر ماريّا كونثبثيون بنيتو، جامعة سلمنقة، 1972، ص224.

5- ابن وافد، الأدوية المفردة، المصدر السابق، ص21.

6- ابن بُكلارش، المستعيني في الطب، ورقة 143.

7- المسيحي، المائة في الطب، ص314/ابن الخطيب، عمل من طب لمن حَبَّ، ص219.

معها الأدوية المُسدِّدة والمُلحمة في نفس الوظيفة، لأنها هي أيضا تلحج فوَّهات المسام، وتسدُّ القروح[1]، أمّا المُلحمة فتجمع بين شقي الجرح الطريِّ فتلحمه[2]، و في ذلك قيل عن نبات الأشنة الذي يُعرف أيضا بشيبة العجوز "إذا دُقَّ يابسه، وذُرَّ في الجرح أنبت لَحمها"[3].

3- الأدوية الأكالة: وهي التي تعمل على إزالة الزوائد اللحمية والبثور من الجلد، وغالبا ما تُستعمل الأدوية الأكالة خارج البدن، لأنها إذا استعملت داخله أحدثت إتلافا في وظائف البدن الداخلية؛ فقد ورد عند الطبيب أبي سهل المسيحي ما يلي: "وليس يجوز استعمال الدواء الأكال والمعفن داخل البدن، لأنه لا يمكن أن يصل مثل هذا الدواء داخل البدن إلى موضع العلة من دون أنْ يَمُرَّ بمواضع أخرى سليمة لا تحتاج إلى ذلك فيفسدها"[4].

يتضح لنا أنَّ الغاية من الأدوية الأكالة هو إذابة اللحم الزائد، وتنظيف الجروح وتجنب العدوى، ومن أجل إزالة الشوائب التي تدور حوله، والتي يمكن أن يكون لها دور كبير في تعفينه، وعليه فخواص هذه النباتات هي مطهرة بالدرجة الأولى، ومُضادة للميكروبات، ومن النباتات التي لها هذه الوظيفة نبات أَنْزرُوت[5] الذي قال عنه الغساني: أنّه "يأكل اللحم الميت، ويُجبر الوثء (إلتواء العصب)"[6]، ويروي لنا أبو العلاء زهر عن دواء دوّنه لأحد مرضى الأندلس شكا إليه لحما نابتا في أنفه؛ فصنع له فتيلا يطليه على أنفه مكون من بعض النباتات كالأفسنتين والصبر؛ فأكل ذلك اللحم الميت وبرأ[7].

1- أبو سعيد العلائي، تقويم الأدوية المفردة، ص79.

2- أبو سعيد العلائي المغربي، تقويم الأدوية المفردة، ص91.

3- مجهول، طب بعض منافع الأعشاب لابن البيطار، مخطوط أحمد باشا، رقم 181، ورقة 8.

4- المسيحي، المائة في الطب، ص316.

5- **الأنزروت**: يعرف أيضا باسم العتروت، وهو الكحل الفارسي، ويسمى زهر جشم، وهو صمغ شجرة شائكة كشجرة الكندر تنبت بجبال فارس، ومنه الأصفر والأبيض، وأجوده الأصفر، من مساوئه أنّه يُحدث الصلع إذا أُكثر من شربه. الأنطاكي، تذكرة أولي الألباب، مج1، ص150/ابن حمادوش، كشف الرموز في شرح العقاقير والأعشاب، ص14.

6- الغساني، حديقة الأزهار، ص25.

7- أبو العلاء زهر، كتاب المجربات، ص31.

ولكن رغم ذلك حذّر الأطباء من استعمال الأدوية الآكالة؛ فليس كل الزوائد اللحمية تستعمل فيها؛ فقد أوصى الطبيب التميمي تلميذه الطبيب الهاشمي القرطبي بأنْ لا يقرب الزوائد الشبيهة بالثآليل، قليلة الدم، كثيفة اللحم صلبة؛ التي تحدث في الأرنبة تحت الخياشيم، وتشبه التفاح؛ فإذا رأيت هذه الصورة، فإياك وعلاجها بشيئ من القطع، أو شيئ من المراهم الأكالة[1]، ممّا يدل على أنّه كان لأطباء الأندلس حذق ومعرفة في تشخيص المرض، ووصف الدواء المناسب له.

4-الأدوية المضيقة: وهي الأدوية التي تضيق أفواه عروق البدن عند أصحاب الأوردة المتسعة، وتضيق المنافذ بقبضه أي تجفف رطوبته وتقويه مثل الجلنار والعفص، وقشور الرمان، والحماض والأقاقيا[2] وعصير السماق[3].

5- الأدوية المُصلّبة: هي غالبا ما تقع على الأدوية الباردة الرطبة، لأنّها تمنع المادة عن التحلل بتجميدها إياها كنبات البزرقطونا، والبقلة الحمقاء، وحي العالم، وعصا الراعي، ولسان الحمل[4].

6- الأدوية المُسهّلة: سبق أنْ فصّلنا في شرحها، وهي قاعدة الأخلاط الأربعة التي تهدف إلى تنقية البدن من الخلط قبل أن يستحكم في جسم المريض، وذلك من شأنها أن تجتذب الأخلاط بخاصيتها نحو المعدة والأمعاء، ثم تدفعها[5]، والجدير بالذكر أنَّ الأطباء يفرقون بين الدواء المُسهِل وبين السم المُسهل فالمُسهل هو الذي يفرغ البدن من الرطوبات والفضلات، أمّا في حالة تجاوز هذه الوظيفة إلى إفراغ البدن من الأركان أو العناصر بكيفيته، هو يخرج من اسم الدواء المُسهل إلى السم المُسهل[6].

1- الهاشمي، المجالس في الطب، ص .50

3-الأقاقيا: قيل هو رُبُّ القَرَط، وقيل عصارته، و القَرط شجرة عظيمة شَوِكةَ تنبت بمصر ولها حبُّ وبهذا لحبٍّ مع الورق يُستعمل في الدباغة، ومن عُصارتها يُصنع الرُّبُّ، ويسمى بالعربية الفصيحة: السّبت ومنها النعال السبتية/ الغساني، حديقة الأزهار، ص 26.

3-السماق: شجرة عظيمة ورقها أحمر فيه حموضة تمنو في أرضي الترك وتسمى عندهم قزليجك/ ابن حمادوش، كشف الرموز، ص 91.

4- أبو سعيد العلائي المغربي، المصدر السابق، ص 89/ أبو الصلت الداني، تحقيق، محمد العربي الخطابي، ص 347.

5- أبو سعيد العلائي المغربي، المصدر السابق، ص 90.

6- ابن وافد، الأدوية المفردة، ص 28.

ويُعدُّ ابن زهر من الحريصين على اتقاء وصف المسهلات إلاَّ للضرورة القصوى، وقد حذّر ابن زهر من مغبّة استعمالها عن جهل، وقدَّم وَصَايَا مفيدة لابنه أبي بكر في الرسالة المعروفة بالوصية أو التذكرة لما زار مراكش عن كيفية اجتناب الأدوية المسهلة؛ فمن حرصه قوله: "وأقسم لك بالله أني ما سقيت دواء قط مُسْهلا إلاَّ واشتغل بالي قبله بأيام وبعده بأيام؛ فإنَّما هي سموم"[1]، ولهذا حرص الأطباء على تقديم أدوية وقائية مُسبقة من باب تقوية المعدة كالمصطكى والأفستنتين، وتقديم ما يحجب مضرّة المعي عن الأمعاء الغليظة كنبات المُخيطا ونبات الكُثيراء ولب الفستق[2]، كما اشترط الأطباء سَقيْ الدواء المُسهل مع خلو البطن من الإمساك للمخاطر التي يتعرض لها المريض من أمراض ومشاكل صحية أخرى، ويؤكد الزهراوي أنَّ الأدوية المُسهلة لا ينبغي وصفها إلاَّ لذوي الأبدان الصحيحة والقوية والسليمة من الأمراض[3].

7- الأدوية المُقيئة: هي التي من شأنها اجتذاب الأخلاط وإخراجها بالقيء[4]، ومن العقاقير التي تسهل القيء على حسب ابن البيطار الجوز؛ إذا أكل على الريق يسهل القيء خصوصا مع ماء العسل، وبذر الفجل إذا شرب بالخل[5].

8- الأدوية القاطعة للقيء: وهي الأدوية التي من شأنها تمسّك حركة المعدة، وتقطع القيء، وتقوّي ضعف المعدة، ومن النباتات المفيدة في ذلك نبات الأسطوخودس (الحلحال): يُحرق ويُخلط رماده بماء العفص ويعجن، ويُعمل منه أقراصا تُجفف في الظل، ويُستعمل لقطع الإسهال"[6]، كما أنّ نبات أسطرك الذي يُعرف باسم الميعة له فعالية في قطع الإسهال أيضا[7]، ويوصي الزهرواي بربوب الفواكه

1- ابن زهر، التذكرة، ص301.

2- نفسه، ص291.

3- الزهراوي، التصريف لمن عجز عن التأليف، المقالة الرابعة، ص254.

4- أبو سعيد العلائي المغربي، تقويم الأدوية المفردة، ص90.

5- ابن البيطار، الدرة البهية، ص107.

6- مجهول، الطب في منافع بعض الأعشاب، ورقة 9.

7- نفسه، ورقة 9.

والريايحين، كرُبّ الحِصرم، ورُبّ السفرجل، ورُبّ الخرنوب، ورُبّ الآس، وتنفع هذه الربوب من القيء الشديد والزحير وحتى الإسهال[1].

طرق فحص الدواء: يجب أنْ يخضع الدواء لشروط علمية صارمة حتى يتم قبوله، وإدراجه في الخزانة الصيدلانية، وَلهذا حَرِصَ الأطباء على معرفة التأثير البيولوجي للأدوية على المريض إيجابا وسلبا، وقد اهتم أهل الاختصاص[2] بترتيبها على النحو التالي:

1- أن يكون الدواء خاليا من كيفية مكتسبة مثل الحرارة أو البرودة، وأن يكون نقيا خاليا من أي مادة غريبة.

2- أن يكون مجرّبا على مرض مفرد وليس مرض مركب.

3- أن يكون الدواء قد جرّب على المضادة حتى إن كان ينفع في التصديق لم يحكم أنَّه مضاد لمزاج أحدهما، وربما كان نفعه من أحدهما بالذات، ومن الآخر بالعرض.

4- أن تكون القوة في الدواء مقابلا بها ما يساويها من قوة العلة.

5- أن يراعى الزمان الذي يظهر فيه أثره و فعله.

6- أن يراعى استمرار فعله على الدوام وعلى الأكثر؛ فإنْ لم يكن كذلك فصدور الفعل عنه بالعرض.

7- أنْ تكون التجربة على العلل المتضادة للتأكد من التأثير النوعي للمادة الدوائية.

إنَّ القارئ لجملة هذه الشروط التي وضعها أهل العلم في الخزانة الصيدلانية الإسلامية تدل بعمق على أنّه كانت هناك أبحاث علمية، وتجارب مستمرة وفحوصات دؤوبة بين الدواء وعلاقته بجسم الإنسان؛ فالاختبار الصيدلاني للدواء يقوم بالأساس على الانتقاء والاستبعاد وسيرورة المفعول ليستحق تسجيله في القائمة الصيدلانية، وقد ساهمت المصنفات الأندلسية في مجال الأدوية المفردة بقدر واسع في وضع وصفات علاجية لمختلف الأمراض، ويكفي أن نُحصي لأبي العلاء زهر في كتاب

1- الزهراوي، التصريف لمن عجز عن التأليف، المقالة الثالثة عشر، ص269.

2- شحاتة قنواتي، المرجع السابق، ص178، 179/محمد زهير بابا، المرجع السابق، ص106.

المجرّبات 340 وصفة صيدلانية[1]؛ وقد ساعدت البيئة الأندلسية بتنوع مناخها وأقاليمها، واتساع براريها، ووفرة نباتاتها، وتنوعها بين سهول وجبال على دراسة الخصائص العلمية للطبيعة الأندلسية، والوصول إلى ما يمكن استخلاصه لأغراض علاجية في الصناعة الطبية، والتفوق في مجال الأدوية المفردة عملا وتأليفا.

رابعا_ نظرة تاريخية عن الأمراض الوبائية والطواعين وطرق احتوائها بالعلاج النباتي

1- دور تغير المناخ و إنعكاسات الحروب في انتشار الأمراض الوبائية: إنَّ تغيرات المناخ، وما يصاحبه من دورات الجفاف وندرة الأمطار، وهبوب الرياح الجافةالشديدة التي يكثر فيها الغبار، وتقل فيها الرطوبة، وما يرافقها من حرارة ملتهبة، وما ينجم عنها من أمراض وبائية فتاكة حصدت عديد الأرواح عبر تاريخ البشرية.

لقد أشار أهل الاختصاص إلى أنَّ الجفاف الحاد، وانخفاض درجة الرطوبة في الهواء يهيئ مرتعا خصبا لظهور بعوضة "أنوفيليس" التي تترعرع في المستنقعات الملوثة مسببة بذلك أخطر مرض وبائي عرفته العصور الوسطى يعرف بحمى الملاريا[2]، وهو مصطلح إغريقي مكون من Mal Aria، ويقصد به الهواء الرديء أو الهواء الفاسد[3]، كما لوحظ أيضا أنَّ سقوط الأمطار الغزيرة لها علاقة مباشرة في استثارة البرك الراكدة التي تتسبب في تنشيط اليرقات[4]، ورغم الغموض الذي لفَّ هذه البعوضة لفترة طويلة من الزمن؛ فقد كشفت الدراسات الأثرية أنه تم العثور على بعض حفريات البعوض في تراكيب جيولوجية عمرها ثلاثين مليون سنة، وأنها أخذت في الانتشار مع الإنسان وهجراته في مختلف الاتجاهات، ووصلت منذ عهود ما قبل التاريخ إلى غرب آسيا وجنوبها، وإلى أراضي البحر المتوسط

1- أحصينا هذا العدد من كتاب المجربات، المصدر السابق.

2-M. Le Lannou , Le role géographique de la malaria, Annales de géographie, N° 254, année 1936,P 114.

3 -Ibid, P114 .

4-Ibid, P 114.

وجنوب أوروبا[1]، إلاّ أنَّ الأطباء تفطنوا للمستنقعات الراكدة، وما تحدثه من مرض وبائي حيث يقول ابن زهر: "وقد يتغير أيضا إذا كان الهواء راكدا، وكانت في البلد نقائع ومستنقعات للمياه القذرة حتى يشم من بعد نتنها"[2].

وشهدت الأندلس عبر تاريخها فترات من التطرف المناخي عكسته لنا المؤلفات التاريخية، وإذا سلمّنا بارتباط دورات المجاعات بالتقلبات المناخية، وما يترتّبُ عنها من ارتفاع في أسعار المواد الغذائية الأساسية، وبالتالي سوء التغذية والحالة الصحية على حد سواء؛ فقد نبّه ابن زهر إلى سوء التغذية وعلاقتها بظهور الوباء بقوله: "فيكون وباء، وإنْ كان الهواء لم يتغير إذا عمّ الناس أكلهم حبوبا فاسدة من البرّ والشعير، وأكل أشياء غير مألوفة"[3]، كما نبّه ابن الخطيب على أهمية ونوعية الماء في حفظ صحة الإنسان، وحذّر من مغبّة شرب الماء الراكد لما يولّده من أمراض صعبة، وضررها على الأحشاء والأمعاء[4]، وقد انتبه أحد الباحثين إلى نوعية الماء الذي يسود بكل منطقة، وعلاقته بحفظ صحة الإنسان من خلال إشارته الجلية في حرص بعض الأندلسيين على جمع مياه الأمطار في الخوان والقِرب الجلدية، وحملها معهم في الأسفار عند الانتقال بين الأقطار، وقد انتهى هذا الإجراء بتسميته "علم الماء الطبي"[5]، الذي يستحق دراسات جادة من قبل الباحثين في هذا المجال.

كانت الأوبئة بشكل عام تؤثر بالدرجة الأولى على النمو الديمغرافي نظرا لما كانت تخلفه من وفيات، وإنْ كان أحد الباحثين قد اعتبر هذه الحصيلة من الوفيات أمرا إيجابيا في صالح المجتمع بسبب

1- طريح شرف عبد العزيز، البيئة الجغرافية وعلاقتها بأمراض السودان، ومشكلاته الصحية، المركز القومي للبحوثن الخرطوم، 1972، ص 237..

2- ابن زهر، التيسير في المداواة والتدبير، ص421.

3- ابن زهر، كتاب الأغذية، ص145.

4- ابن الخطيب السلماني الأندلسي، الوصول في حفظ الصحة في الفصول، ضمن كتاب الطبّ والأطباء في الأندلس الإسلامية، تحقيق محمد العربي الخطابي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1988، ص210.

5- سعيد بنحمادة، الماء والإنسان في الأندلس خلال القرنين 7-8هـ/ 13-14 م، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2007ص 224.

النقص الحاصل في المواد الغذائية[1]، ويبدو أنَّ استنتاجه له ما يدعمه؛ فقد سبق وأن أشرنا إلى أنَّ الفقراء والمساكين في الأندلس كانوا يتخذون أخبازهم من أصول نباتات رديئة وسيئة جدا مثل أصول نبات الصارة وحبوب شجر اللاذن[2]، وأكل الفطر الذي ينبت على المزابل، وما يسببه من آثار قد تؤدي إلى التسمم والقتل عن طريق الإختناق[3]، واحتفظ لنا ابن زهر في كتاب التيسير بتجربة عايشها لمّا كان في سجن علي بن يوسف بقوله: "وقد شاهدت وأنا في أسر عليّ بن يوسف وفي سجنه قوما كانوا في أطباق سجنه المعروف بقرقيدن يتطارحون على أعشاب كانت تزال عن السقوف ويأكلونها...، يحدث كل نوع منها أمراضا وبلايا"[4].

إنّ هذه الأدلة التاريخية تعكس لنا مدى ارتباط التهدور الصحي لإنسان مجتمع المغرب الإسلامي بتهدور نظام غذائه عَقِب فترات الأزمات المناخية والاقتصادية.

2_ دور المحتسبة في حفظ المنظومة البيئية للحد من انتشار الأمراض الوبائية: عَجّت كتب الحسبة والنوازل الخاصة بالمغرب الإسلامي بالفتاوى التي تمنع تلوث الهواء باعتباره خرقا للمنظومة البيئية؛ حيث مُنع بناء دور للدبغ بجوار المساجد والمنازل لما ينتج عنها من أضرار وملوثات وروائح كريهة أثناء عملية دبغ الجلود، ولهذا كان من المهام الأولى للمحتسب قطع ونقل معامل الدبغ إلى خارج البلد، كما شدّدوا على منع مياه الصرف الصحي، والمتمثلة في حفر المراحيض أو المصارف غير المغطاة، وما ينتج عنها من روائح كريهة، وإحداث ضرر للجيران والمارّة[5]، ومن بين القضايا التي استوقفتنا نازلة سُئلَ عنها ابن رشد "عن ماء جارٍ في جنّات وعليه أرحى، وأهل الجنّات يسقون منه لثمارهم، ويصرفونه في

1- عز الدين جسوس، الكوارث الطبيعية والأوبئة ومدى تأثيرها على العلاقة بين الرعية والسلطة السياسية خلال حكم المرابطين، ضمن كتاب المجاعات والأوبئة في تاريخ المغرب، ندوة وطنية خلال الوطنية العاشرة للجمعية المغربية للبحث التاريخي: 25-26 أكتوبر 2002، سلسلة الندوات والمناظرات، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ع4، ص61.

2- ابن زهر، كتاب الأغذية، ص13.

3- نفسه، ص63.

4- ابن زهر، التيسير في المداواة و التدبير، ص430.

5- ينظر في هذا الموضوع: مصطفى البغزاوي، الإجتهاد الفقهي في حماية البيئة من خلال نوازل الغرب الإسلامي: الهواء أنموذجا، مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ع 416، أفريل، 2016، صص123- 129.

منافعهم وشرابهم؛ فبنى بعضهم كرسيا للحدث- أي مرحاض-، واحتج بأنه لا يغيره لكثرته، وقال الآخرون يقذره وينغصّه علينا، هل له ذلك أم لا"[1]؛ فكان رد ابن رشد المنع والحكم بقطع هذا الضرر، وتغليب المصلحة العامة لحاجة أصحاب الجنّات للماء النقي في سقي أرضيهم[2].

من خلال تتبع الموضوع يتضح جليّا أنَّ كتب الفتاوى والحسبة استطاعت إلى حدٍّ ما ضبط سلوك العامة الخارجة عن المنظومة القانونية، ولكن لم تستوقفنا- على حدّ علمنا بالموضوع- فتاوى تخص السلطة الحاكمة لمّا تتجاوز وتخترق المنظومة البيئية، ومن هنا تزايدت الأهمية لعلم البيئة بسبب تعاظم التأثير السلبي للحروب العسكرية والأنشطة البشرية لسلوكيات الإنسان على عناصر النظام البيئي ممّا يؤدي إلى الاختلال بالتوازن الطبيعي لها؛ فانتشار الجثث أوقات الحروب وتحللها دون دفن، هي حقيقة تاريخية لا يمكن التنكر لها رغم إحجام المصادر التاريخية عن التطرق لها إلاَّ ما ورد عرضا.

مِن المعلوم أنَّ تحلّل الجثث يؤدي إلى تشبّع الهواء والماء والأرض بالجراثيم التي تسبب مجموعة من الأمراض الوبائية، وهو الأمر الذي أشار إليه ابن زهر صراحة بقوله: "والوباء أيضا قد يتغير بأبخرة أجساد الموتى العَفِنة إذا كانت كثيرة جدا مثل ما يكون في الملاحم"[3]، وكأنَّ ابن زهر بهذا القول يمرر كلامه، ويتهم السلطتين المرابطية والموحدية على سواء في تسببهما المباشر في حدوث أوبئة كارثية نتيجة المعارك الدموية التي استبيحت في سبيل تقلد السلطة.

إنَّ قصور الفهم بالوعي البيئي للسلطة آنذاك في فترة الدراسة كان له أثر بالغ في الإخلال بالتوازن الطبيعي للبيئة؛ فثقافة التمثيل بالجثث رغم ذم الإسلام لها غيبت الشروط الصحية في بلاد المغرب الإسلامي؛ فقد أوجز ابن عذارى الحديث في إشارة خاطفة عن الروائح النتنة التي كانت تخرج من

1- ابن رشد الجد أبي الوليد محمد بن أحمد، فتاوى ابن رشد، تحقيق المختار بن الطاهر التليلي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1987، السفر الأول، ص1330.

2- نفسه، س1، ص1330.

3- ابن زهر، كتاب الأغذية، ص144.

الجثث المعلقة على شرفات الأسوار؛ حتى ضاق الناس بها ذرعا بقوله: "إنَّ المأمون عَلَّق على أسوار مراكش نحو أربعة ألاف رأس زمن القيظ؛ فشكا الناس روائحها"[1]، ورغم أنَّ النص يخص العدوة المغربية، إلاّ أنَّ الأمر لا يغير من واقع الأندلس شيئا؛ فغياب النصوص التاريخية لا يعني بالضرورة غياب الظاهرة التاريخية، ودليلنا في ذلك أنَّ بلاد الأندلس كانت من أكثر البلدان التي عَرَّضتْ ومثلت بالجثث بحكم أنها منطقة ثغرية متاخمة لحدود النصارى، وعرفت بكثرة الثوار والمنتزين عليها في دورات متعاقبة.

لقد كان التمثيل بالجثث من الأمور المألوفة عند الأندلسيين من باب إدخال الرهبة، وفرض هيبة السلطة؛ فعلى سبيل المثال قام الخليفة عبد الرحمن الناصر برفع خمسة ألاف رأس على خشب حوالي سور قرطبة سنة 344هـ/955م، ولنا أنْ نتصور الرائحة التي تنبعث من تلك الجثث المتغيرة بعد وصولها إلى درجة قصوى من التعفّن والتفسّخ، وإلاَّ كيف نفسر وقوع الوباء في السنة نفسها[2]، ونفس الأمر وقع أثناء الفتنة الأندلسية؛ فمئات الجثث لم تجد من يُواريها الثرى، كجثة العالم الجليل أبو الوليد ابن الفرضي[3]، التي تغيّرت وتحلّلت لعدم وجود من يواريه أوقات الفتنة الأندلسية من بين آلاف الجثث المغمورة التي لم تجد من يواريها تحت التراب وقتها.

لهذا شددت كتب الحسبة على حافري القبور بضرورة تعميقها قدر المستطاع لستر الموتى؛ حتى لا تنبعث روائحهم، ولا تتمكن السباع والكلاب من نبش قبورهم، كما أمر السقطي أن يُستر ما خرج لهم من عظام الموتى في التراب، ولا يتركوه ظاهرا[4]، ومن المعايير التي أُتفق عليها، وأُلزم بها حافري القبور أن

1- ابن عذاري، البيان المغرب، القسم الموحدي، ج4، المصدر السابق، ص 289.

2-ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص 124.

3-ابن الفرضي: الفقيه الأديب الراوي المحدث المؤرخ العلامة أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأدزي، المعروف بابن الفرضي، له مجموعة من المؤلفات أهمها تاريخ علماء الأندلس والمؤتلف والمختلف، قتل أيام الفتنة الأندلسية بقرطبة سنة 401هـ، ووري متغيرا من غير غسل و لا كفن ولا صلاة بمقبرة مؤمرة/ ابن بشكوال، الصلة، رقم 578، ص 224.

4- السقطي، آداب الحسبة، ص 68.

يتروواح عمق القبر بين متر ونصف حتى مترين، وعرضه في حدود ثمانين سنتيمترا، وهي قياسات تحفظ سلامة الجثة وتمنع انبعاث رائحة منها[1].

خامسا- طاعون 749هـ/1348م في بلا الأندلس وسبل الوقاية منه: في منتصف القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي، وتحديدا سنة 749هـ/1348م "مات في تلك السنة كل شيء؛ حتى السنة نفسها"[2]. لعلها أوجز وأبلغ عبارة مريرة تصف حال البشر في العالم بأسره في تلك الفترة. إنّه الطاعون[3] الذي انتشر في العالم انتشار النار في الهشيم؛ فهو ظاهرة مرضية عالمية خلّفت إرثا حضاريا عُرِف بأدب الطواعين[4].

1-L . Balty et V. Caron, Risques biologiques et chimiques encourus par les fossoyeurs, Revue Grand Angle, juin 2012, n 130, Anp26 /www.rst-sante-travail. fr> TI-RST-TC-140

2- أحمد بن علي المقريزي،كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة، لجنة التأليف للترجمة والنشر، القاهرة، 1958ج2، ق3، ص773.

3- ظهر أول طاعون في العالم سنة 541م وهو طاعون جوستنيان، وقتل خلال قرنين من الزمن نصف سكان المعمورة، ظهر بوادي النيل، وانتقل منه إلى دلتا الرافدين، ثم سوريا فآسيا الصغرى، ثم اجتاح أوروبا وشمال إفريقيا ومعظم بلاد المعمورة أنداك، أما عن أول طاعون في الإسلام فهو طاعون عمواس سنة 18هـ، ظهر في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وسمي طاعون عَمَواسْ لأنّه عمّ جميع الناس وتواسوا فيه، توفي فيه 25 ألف من جند المسلمين، ومات فيه خيرة الصحابة آنذاك مثل أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل وأبي مالك الأشعري رضوان الله عليهم. جلال الدين السيوطي، ما رواه الواعون في أخبار الطاعون، تحقيق محمد علي البار، دار القلم، بيروت، الدار السامية، دمشق، 1997، مقدمة المحقق، ص24.

4- **أدب الطواعين:** لقد خلَّف العالم الإسلامي تراثا فكريا، ومجموعة من الكتابات التي حاولت أن تقدم تفسيرات دينية وغيبية وطبية لأسباب ظهور هذا المرض، وكيفية الاحتراز منه والقضاء عليه؛ فظهر ما اصطلح عليه بأدب الطاعون نظرا لكثرة المؤلفات سواء الإسلامية أو الأجنبية، أما عن المؤلفات الأندلسية نذكر منها المفقودة والموجودة: كتاب في الطاعون لأبي جعفر بن أحمد بن صفوان المالقي (ت 763هـ)، ورسالة إصلاح النية في المسألة الطاعونية لأبي عبد الله محمد البلياني الأندلسي (ت 764هـ)، رسالة تحصيل غرض القاصد في تفضيل المرض الوافد لابن خاتمة الأندلسي (ت 770هـ)، رسالة ابن الخطيب المسماة مقنعة السائل عن المرض الوافد، ورسالة تحقيق النبأ عن أمر الوباء لأبي عبد الله محمد بن علي بن عبد الله الشقوري (كان حيا 776هـ)، وتعد من الرسائل المهمة المفقودة، ولها مختصر اقتصر على العلاج الطبي والوقائي بعنوان "تقييد النصيحة، وقد اهتم مجموعة من الباحثين بتخصيص مباحث وفصول حول أدب الطواعين بالأندلس يمكن العودة إلى الفصل التي خصصته الأستاذة حياة قارة من خلال تحقيقها لكتاب مقنعة السائل المعنون "تراث الطاعون الوبائي أو المرض الوافد في الغرب الإسلامي". ابن الخطيب الأندلسي، مقنعة السائل عن المرض الهائل، تحقيق حياة قارة، دار الأمان، الرباط، 2015، صص15-40، ودراسة الباحث محمد حسن، ثلاث رسائل أندلسية في الطاعون الجارف، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، قرطاج، 2013.

1_ الطاعون لغة واصطلاحا: عبارة عن قروح تخرج من الجسد تتمركز في مواضع مختلفة، تظهر في المراق أو الآباط أو الأيدي أو غيرها من مواضع الجسم، ويصحب ذلك أورام وآلام شديدة، وأعراض مختلفة كالحمى والقيء، وخفقان القلب وسُعال، وسواد اللسان، والتهاب وعطش وثقل، وضيق في الصدر، ونفث الدم، واختناق وعدم القدرة على الإبتلاع، وبرد في الأطراف، وقيء مراري، ووجع في الرأس ودوار وغثيان...[1].

2_ مسمياته: سُمي هذا الوباء بعدة مُسمّيات مثل الطاعون وجمعها طواعين، وسُمي بالفناء الكبير أو العظيم، والوباء الأسود، والطاعون الجارف، وسُمّي عند أهل الأندلس والمغرب بالمرض الوافد والجارف، والموتان لأنه يقتل الإنسان والحيوان[2]. أما الكتابات الأجنبية فقد أطلقت عليه اسم الطاعون (PESTE) من اللاتينية PESTIS، وسمي بالإنجليزية الموت الأسود (Black Death)، لأنّه قلّما ينجو منه أحد. كما أنَّ القروح التي تظهر على الجلد في الآباط والمراق وفي الرقبة كانت سوداء، وما حولها من الجلد أكمد وبه حُمرة داكنة[3].

3_ أنواع الطاعون:

أ_ الطاعون الغددي أو الدبلي: وهو عبارة عن نتوء وعُقد تظهر في المناطق الرخوة، تحت الإبطين أو في الأُرْبيّتْين أو خلف الأذنين[4].

ب_ الطاعون اللمفاوي: عبارة عن قروح لونها أسود أو أكمد تظهر في مواضع معينة من الجسد كالرقبة والعنق والظهر، وقد تحدث أيضا في أطراف البدن[1].

1- النووي أبو زكريا يحي بن شرف، صحيح مسلم بشرح النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1973م، ج14، ص204/ابن خاتمة أبو جعفر بن علي بن محمد، تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد، تحقيق محمد حسن، ضمن كتاب ثلاث رسائل أندلسية في الطاعون الجارف، تحقيق محمد حسن، ضمن كتاب ثلاث رسائل أندلسية في الطاعون الجارف، ص130.

2- نفسه، صص127،129.

3- محمد علي البار، العدوى بين الطب وحديث المصطفى صلى الله عليه وسلم، دار الفتح للدراسات والنشر، الأردن، ط1، 2011، ص43.

4- الرازي، الحاوي في الطب، ج17، ص2516/ابن خاتمة، تحصيل غرض القاصد، ص130.

ج_ **الطاعون الرئوي:** الذي يظهر في ثلاثة أيام، وتكمن أهم أعراضه في ارتفاع درجة الحرارة وارتفاع نبضات القلب، وعسر التنفس، ونفث الدم[2]، واضطرابات عصبية، ودخول المصاب في حالة غيبوبة، وينتقل هذا النوع من المرض من شخص إلى آخر عن طريق اللعاب والسعال والعطاس[3].

إنَّ هذا التقسيم الذي أتينا على ذكره لا يخص الفترة المعاصرة، وإنّما هذه الأعراض كانت معروفة منذ فترة مبكرة، وقد تنبهوا إلى أنواعه وإلى أعراض كل نوع منها، يصف أبو المحاسن بعض أنواعه وأعراضه بالقول: "كان يخرج خلف أذن الإنسان بثرة فيخرّ صريعا، ثم صار يخرج للإنسان كبّة فيموت أيضا سريعا، ثم خرجت بالناس خيارة فقتلت خلقا كثيرا، ثم صار الآدمي يبصق دما ويموت من وقته؛ فاشتد الهول من كثرة الموت حتى أنّه أكثر من كان يعيش ممّن يصيبه ذلك خمسين ساعة"[4]، ممَّا يدل على أنَّ الطاعون الرئوي كان الأخطر والأشد فتكا إذ لا ينتظر صاحبه إلا أقلّ من ثلاثة أيام.

4_التفسير العلمي لظهور طاعون سنة 749هـ/1348م: يعود سبب الطاعون إلى بكتيريا "**يرسينيابيستس** (yersiniapestis)[5]، نسبة إلى مكتشفها الفرنسي ألكسندر يرسين سنة 1894، وارتبطت هذه البكتيريا ببراغيث الجرذان والفئران السوداء، التي كانت دائما من الركاب الدائمين للسفن التجارية، وذلك لغياب مفهوم العدوى والاهتمام بجانب النظافة، ولذلك عُدَّتْ رحلات السفن

1- نفسه، ص131.

2- ابن خاتمة، تحصيل الغرض القاصد في تفصيل المرض الوافد، تحقيق محمد حسن، ضمن كتاب ثلاث رسائل أندلسية، المصدر السابق، ص182.

3- محمد فتحة، الوباء الجارف بالغرب الإسلامي: معطيات ومواقف، ضمن كتاب المعرفة الطبية وتاريخ الأمراض في المغارب، التنسيق العلمي: آسيا بنعدادة، منشورات عكاظ، الدار البيضاء، 2013، ص91.

4- ابن ثغري بردي أبو المحاسن جمال الدين الآتابكي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي المؤسسة العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر،مصر، 1963، ج10، ص198.

5-DuchеminJ-B, Fournier P. E. ParoleP, les puces et maladies transmises a l'homme, Revue médecine tropicale, Vol. 66, n'1 , 2006, P23.

البحرية من أهم وسائل نقل الوباء إلى الآخرين[1]؛ كما زادت عوامل أخرى في حدّة هذا الوباء، أهمها الحروب والمجاعات وقسوة المناخ، والجهل العلمي في احتواء هذا الوباء.

وفي سياق متصل عن التفسير العلمي لهذه البكتيريا المسماة بجرثومة يرسينيا، فإنها تعود إلى نوع من البكتيريا التي تعيش داخل أجسام القوارض كالجرذان مثلا، ولها مناعة خاصة ضد هذه البكتيريا، ولوجود نوع من الحشرات والبراغيث الطفيلية[2] التي تتغذى من دماء الفئران والجرذان، كانت هذه الأخيرة تتسمّم لعدم وجود مناعة لها، وبسبب تكاثر البكتيريا في معدة البراغيث، وعدم قدرتها على امتصاص الدم، تقوم هذه الأخيرة بلدغ الحيوانات والإنسان معا لتستفرغ جزءا من الدم في مكان اللدغة؛ فتنتشر في دم الإنسان، ثم ينتقل المرض من إنسان لآخر عن طريق الرذاذ الناجم عن جهازه التنفسي[3].

أسباب انتشاره: إنَّ غياب التشخيص الجاد للمرض، وعجز الطب عن فهم الآليات التي كانت وراء انتشار هذا الوباء المُتمثل في العدوى عن طريق الفيروسات التي تنتقل من الشخص المُصاب إلى الشخص السليم، فُسح المجال لطغيان التفسير الغيبي واللاعلمي في كتاباتهم؛ فقد تلخصت مجمل الكتابات الأوروبية والإسلامية في تلك الفترة حول تفسير ظهور الأوبئة الفتاكة والطاعون أو الموت الأسود أنَّها تعود بالدرجة الأولى إلى العقاب الإلهي للبشر بسبب كثرة ذنوبهم...، وانتشرت في أوروبا بما

1- حسام مختار العبادي، وباء الطاعون في بلاد المشرق، أعمال ملتقى ابن خلدون البحر المتوسط في القرن الرابع عشر قيام وسقوط إمبراطوريات، مكتبة الإسكندرية، 2007، ص260.

2- هذا النوع من الحشرات لا يمكن ضبط أصنافه لكثرته، وإنَ الحكمة الإلهية اقتضت صرف العفونات والمواد الفاسدة إلى هذه الأنواع ليصفو الهواء منها، وتسلم من الوباء، ثم جعل صغارها مأكولة لكبارها، وإلا إمتلا وجه الأرض منها. القزويني زكريا محمد بن محمود، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، تحقيق محمود عبد الإله سعد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2013، ص418.

3- Norman G. Gratz, lutte contre la transmission de la peste, Revue manuel de la peste Epidémiologie, répartition, surveillance et lutte. CSR, P 101-102.

مصطفي عاشور، الميكروبات والحرب البيولوجية، منشأةّ المعارف، الأسكندرية، د.ت، ص32/كما يفصل العلامة محمد علي البار بشكل علمي مبسط في سبب الطاعون لمّا قال: إنّه ميكروب صغير يبلغ طوله ميكرونا ونصف، والميكرون واحد من المليون من المتر، وهو يشبه العصا، وعليه غلاف، وهو من فصيلة تُدعى الباستوريلا، ويمكن صبغه بصبغة خاصة كما يمكن زرعه في مزراع خاصة من جلسرين؛ فتهاجم هذه البكتيريا الحيوانات القارضة كالفئران والجرذان، وتنتقل بواسطة براغيث الفئران إلى غيرها من الحيوانات أو إلى الإنسان. العدوى بين العلم وحديث المصطفى صلى الله عليه وسلم، ص51.

يمكن تسميته بالهستيريا الجماعية، حيث كانت الكنائس تمتلئ بالمصلين، وتُسمع الصلوات الممزوجة بالأنين والصرخات في كل مكان[1]، كما انتشرت الكثير من الخرافات التي لا يتقبلها العقل كاللجوء إلى عصائب من الجلد المشدودة على الذراع أو الجبين، ومكتوب عليها بعض الجمل من الإنجيل أو التوراة، وتعليق الضفادع المجفّفة والمَخِيطة داخل حافظات جلدية صغيرة تعلق في أماكن من الجسم كالعنق مثلا[2]، كما انتشرت ظاهرة هوس الرقص لاعتقادهم أنَّ الجسد تسيطر عليه وتتملكّه الأرواح الشريرة[3]، ممّا يدل على مدى سيطرة الكنيسة على عقول العامة.

أما التفسير الإسلامي فتمحور في مجمله حول الغضب الإلهي أيضا لانتشار الفواحش والمُبيقات، والتسليم بقضاء الله وقدره، وطغى الفكر الصوفي الذي يُلزم المصابين بالتسليم للمرض والإذعان له رغبة في البحث عن الأجر والثواب[4]، وامتزج فكر العامة بالتفسير الروحاني للمرض، وحصّنوا أنفسهم ببعض التمائم، والتَّفلْ على المريض، والتمسح بالتراب الأرميني، وأخذ البركة من بعض الزهّاد والصلحاء والمتصوّفة[5]، وانتشر ما عُرِف بـ"**فقهاء البدن**"[6]؛ فقد سجلت لنا بعض الكتب المناقبية طريقة الاستشفاء عند أطباء فقهاء البدن؛ فقد روى لنا ابن عبَّاد الرُندي في هذا المجال كيف أنَّ أحد الآباء جاء عنده بماء وحناء برسم أن يرقي له ليشفي أبناءه الثلاثة. إلاَّ أنَّ عملية العلاج باءت بالفشل، ومات الأبناء الثلاثة لتفشي مرض الطاعون فيهم[7]؛ فكتب المناقب تخلو من الحالات الإستشفائية

1- Walker Kenneth, histoire de la medecine, bruxelles, 1962, pp. 97-98

2- حسين بوجرة، الطاعون وبدع الطاعون الحراك الاجتماعي في بلاد المغرب بين الفقيه والطبيب والأمير، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2011، ص487.

3- عبد الرحمن محمد العيسوي، الطب العقلي في الفكر السنوي دراسة مقارنة مع الفكر السيكولوجي الحديث، أعمال مؤتمر الطب والصيدلة عند العرب، دار المعرفة، إصدارات مركز التراث القومي و المخطوطات، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، 1998، ص221.

4- محمد حقي، الموقف من المرض في المغرب والأندلس خلال العصر الوسيط، مطبعة مانبال، بني ملال، 2007، ج1، ص35.

5- الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ص85.

6- دلال لواتي، عامة القيروان في عصر الأغالبة، دار الرؤية للنشر التوزيع، مصر، 2015، ص401.

7- الرندي ابن عباد ، الرسائل الكبرى، مطبعة المعلم الأزرق (حجرية)، فاس، 1320هـ، ص203.

لحالات الطاعون ممَّا دعا للاستنتاج من قبل الباحثين أنَّ كرامات المتصوفة في العلاج لم تستطيع أنْ تجاوز وتخترق مرض الطاعون[1]، ممّا يؤكد عجز الأولياء في درء الأمراض الوبائية.

إنَّ التفسيرات العلمية التي قدمها الأطباء الأندلسيون تفاوتت بين هذا وذاك؛ فعبد الملك بن زهر؛ رغم ما عُرف عليه من تضلّع في مجال الطب، وتفوقه في الكشف عن ماهية الأمراض، والتفريق بين المتشابه فيها إلاَّ أننا نجده يستسلم، ويدافع عن عجز الطب، وقصوره عن فهم مسببات بعض الأمراض؛ مُرجعا إيّاها إلى "غضب من الله- عز وجل-، وهذا إذا وقع ليس للطبيب فيه مجال"[2]، ونفس الأمر ذهب إليه الطبيب أبو العباس أحمد الصّقلي حيث قال: "هذه الأمراض لا نستطيع طبّها لأنها تدخل على الهراقة، كل ما في الأمر أنَّ الأدوية تبرد"[3]، أما ابن خاتمة الأندلسي الذي ألف رسالته المشهورة عن طاعون المرية، والتي تكونت من عشرة أسئلة وجهت إليه ليجيب عنها، وقد ورد إليه سؤال صريح عن سبب بداية ظهوره بالمريّة دون غيرها ببلاد الأندلس، ورغم تفطنه لمسألة العدوى- والتي سنرجئ الحديث عنها لاحقا- إلاَّ أنه لم يستطع أن يقدم جوابا علميا مقنعا؛ فعزا ظهور الطاعون بالمرية للعامل الجغرافي والفلكي باعتبار أنَّ المرية مدينة ساحلية، منصوبة على سمت القطب الجنوبي، مكشوفة من جهة الشرق؛ ممّا يجعلها تتعرّض للرياح الجنوبية وتتأثر بالأمور الفلكية[4]. وكأنَّ ابن خاتمة يحاول أن يوضح العلاقة بين مواقع المدن من حيث الحرارة والرطوبة والرياح، وغيرها من العوامل البيئية وعلاقتها بصحة الإنسان، والأمراض التي تصيبه.

1- مصطفى نشاط، من صعوبات البحث في الديموغرافيا التاريخية للمغرب الوسيط، الطاعون الأسود نموذجا، مجلة كلية الآداب وجدة، محور خاص عن الديمغرافيا التاريخية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، ع5، 1996، ص34/سمية مزودر، المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008-2009، ص178.

2- ابن زهر، كتاب الأغذية، ص146.

3- المواق محمد الرصاع محمد ، نص جديد حول الأندلس وإفريقية قبيل سقوط غرناطة الأجوبة التونسية على الأسئلة الغرناطية (886هـ/1481م)، تحقيق: محمد حسن، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط1، 2007، ص57.

4- ابن خاتمة، تحصيل الغرض القاصد في تفصيل المرض الوافد، صص152،155.

ولا يختلف ابن الخطيب عن صاحبه بقوله: إنَ "الأمور الفلكية من القِرانات التي تؤثر في العالم، حسبما يزعمه أرباب صناعة النجوم، ويأخذه الطبيب مُسَلّما عنهم"[1]؛ فلا غرو في ذلك؛ فقد سبق لأرسطو أنْ اعترف في كثير من المناسبات بإمكانية وجود تأثيرات نجمية على الحياة اليومية[2].

اهتم الإنسان منذ القدم بالأجرام السماوية اهتماما بالغا لاعتقاده بتأثيراتها على مسار حياته؛ فشاع عن مجتمع العصر الوسيط عامة والأندلس خاصة بأنَّ الظواهر العلوية المتمثلة في الدلالات الفلكية وحركة الكواكب والنجوم تؤثر عل على حظوظ الملوك والأفراد والشعوب، وتنذر بقدوم الأوبئة والحروب والقحط والفيضانات؛ فقد ذكر أهل الاختصاص[3] أنَّ هذا النوع من التنجيم يُعرف بعلم معرفة الأحكام الذي يعتمد على رصد الظواهر السماوية، ولا سيما النجوم والكواكب والمذنبات وعلاقة بعضها البعض، مثل الاقتران والتقابل وعلامات الأبراج.

غير أنَّ الطبيبان الأندلسيان ابن خاتمة وابن الخطيب لم يكتفيا بالسبب الفلكي والموقع الجغرافي للمدن فقط، وإنمَّا فسرا ظهور الطاعون بفساد الهواء وتلوثه[4]، وهي أفكار لاقت رواجا كبيرا في الفترة الوسيطة، واصطلح عليها بـ**"نظرية الأبخرة"**، وسببها في الغالب "فساد الهواء بكثرة العمران لكثرة ما يخالطه من العفن والرطوبات الفاسدة"[5]، ونظرية الأبخرة ليست وليدة ذلك العصر، وإنّما لها امتداد زمني يعود لتاريخ الأقدمين، والغريب في الأمر أنَّه انساقت العديد من الدراسات خلف هذه النظرية دون اطلاعها على مستجدات البحث العلمي!

5_ إحصاءات الطاعون: لا نتوفر على مادة إحصائية مصدرية خلال الفترة الوسيطية يمكن الركون إليها لمعرفة الخسائر البشرية التي حصدها الطاعون في تلك الفترة بشكل موثوق ورسمي في بلاد

1- ابن الخطيب، مقنعة السائل، تحقيق حياة قارة، ص65/ابن الخطيب، مقنعة السائل عن المرض الهائل، تح محمد حسن، ص108.

2- عبد الأمير مؤمن، الفلك والفضاء من الخرافات والتنجيم إلى تلسكوب هابل، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط1، 2002، ص13.

3- حميد مِجْول النعيمي، أثر الأجرام السماوية بالإنسان بين الفلك والتنجيم، وحدة بحوث الفلك، جامعة بغداد. موقع: www.maaber.org

4- ابن الخطيب، مقنعة السائل، تح حياة قارة، ص65/ابن خاتمة، تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد، ص130.

5- ابن خلدون عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2003، ص288.

الأندلس خاصة والغرب الإسلامي عامة، ولكن ما يمكن تصوره أنَّ الكارثة كانت عظيمة، والحصيلة أعظم؛ حيث بلغ الأمر في أيام الطاعون "أنَّ الرجل كان لا يخرج من منزله حتى يكتب اسمه ونسبه وموضعه في براءة، و يجعلها في جيبه؛ فإن مات حمل إلى مَوضِعه"[1]، وهذا النوع من "الكارني" الذي سبق إليه الموحدون في استعماله لدلالة واضحة على براعة الموحدين في ميداني الابتكار، والنظام في مجال الطب على حدّ قول أحد الباحثين[2].

إنَّ توفر الإحصاء الرسمي من شأنه أنْ يَكْشف عن الاختلافات والتطورات الديموغرافية للمنطقة، كما أنَّه يساهم في رسم الوضع الصحي لهذه الساكنة، غير أنَّ غياب مثل هذه الأرقام في المصادر الوسيطة يشكل عقبة معرفية في مجال البحث التاريخي؛ فقد أدرك الباحثون مزالق البحث في المسائل الديمغرافية للمجتمعات خلال العصر الوسيط مما أثار امتعاض أحد الباحثين ليذهب به القول: "إنه من الإكراهات الطبيعية للكتابة التاريخية التي تتوخى في الغالب الاختصار والشمول والتجاوز عما لا يشكل في منطق المؤرخ القديم سوى ظواهر رتيبة ومتكررة"[3].

ولكننا من خلال هذه الدراسة نطمح إلى أن يتم تجاوز هذه العقبة ولو بشكل تقريبي، وذلك من خلال لمِّ شتات المعطيات بناء على بعض الإشارات الرقمية التقريبية التي قدّمها لنا ابن خاتمة وغيره من المؤرخين، نحاول من خلالها أنْ نحصي عدد الوفيات طوال فترة الطاعون بمنطقة المرية، التي كان بها أول ظهور للطاعون، وذلك "في ربيع الأول من عام تسع وأربعين وسبعمائة بموافقة شهر يونيه"[4]،

1- محمد المنوني، حضارة الموحدين، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 1989، ص93-94/عبد الباقي السيّد عبد الهادي، الظاهرية والمالكية وأثرهما في المغرب والأندلس في عهد الموحّدين، دار الآفاق العربية، مصر، ط1، 2014، ص377.

2- جمال بامي، المعرفة النباتية والطبية بالمغرب بين التراث العلمي والعلاج التقليدي دراسة تاريخية أنثروبولوجية، مجلة الإحياء، الرابطة المحمدية للعلماء، مطبعة المعارف الجديدة، الدار البيضاء، ع 39-40، 2013، ص145.

3- محمد المغرواي، نفس، ص76.

4- ابن خاتمة، تحصيل غرض القاصد في المرض الوافد، ص141.

وكان عدد الوفيات في اليوم الواحد بهذه المنطقة سبعين نسمة على حد قوله[1]، وعليه فإن حصيلة الشهر ستقدّر بما يقارب أو يفوق 2100 نسمة.

وبناء على ما تقدّم فإنّ عدد الوفيات بمدينة المرية وحدها خلال 17 شهرا هو 35200 نسمة؛ آخذين بعين الاعتبار أنَّ ابن خاتمة ألف كتابه هذا والطاعون لم ينكشف بعد عن المرية وبلاد الأندلس؛ ويؤكد ذلك قوله: "فاستمر تمام فصل الرّبيع وجميع فصليْ الصيف والخريف، وطائفة من فصل الشتاء إلى تاريخ كَتْب هذا، وهو منتصف ذي القعدة بموافقة أوائل شهر فبراير (4 فيفيري 1349م)، وإلى الآن لم يقلع، لكن مخائل لُطف الله بادية، وتباشير رحمته ظاهرة"[2]، وإذا أخذنا بعين الاعتبار أنَّ آخر شخص توفي بالطاعون وترجم له ابن القاضي هو: "أبو عبد الله محمد بن سعيد بن يحي الأنصاري، من أهل المرية، ويعرف بالشدّاد، توفي آخر الطاعون العام بالمرية في أوائل رجب الفرد سنة 750هـ، وهو آخر من مات بالمرية بالطاعون رحمة الله عليه"[3].

وعليه نستطيع القول إنَّ الطاعون حصد بمدينة المرية لوحدها في مدة 17 شهر 33600 شخصا، غير أنَّ هذا الرقم يبقى تقريبيا وغير ثابت لعدة اعتبارات، وهي الفترات التي اشتد وضَعُف فيها الطاعون، وقد صرّح ابن خاتمة بهذا الوضع بقوله: "وكان بدؤه خفيفا في يسير من الناس، ومازال يتزيد بتدريج ضعيف إلى آخر جمادى الآخرة بموافقة شهر شتنبر، ثم اشتدّ واتّصلت حاله على ذلك بتناسب وتقارب إلى تاريخ كَتْب هذا المذكور"[4]، ولنا أنْ نتوقع ازدياد عدد الوفيات في حالات اشتداد الطاعون؛ فالوسط الجرثومي لا يمكن أن يُصبح هجوميا وأكثر شراسة إلاَّ في الوقت الذي يصبح فيه البشر منهكي

1- نفسه، ص143.

2- ابن خاتمة، المصدر السابق، ص142.

3- ابن القاضي أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي، جذوة الإقتباس فيمن حلَّ من الأعلام مدينة فاس، تحقيق محمد بن عزوز، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2014. ج2، ص88.

4- ابن خاتمة، المصدر نفسه، ص142.

القوى بسبب سوء التغذية، وعاجزين عن مقاومة المرض[1]، وهي حقيقة أكدها أطباء الأندلس بآلاف السنين لما تحدثوا على ضرورة تقوية جهار المناعة؛ فهذا الشقوري يقول: "وإذا سقطت شهوة الغذاء في مرض الوباء جُبر على الأكل"[2]، في حين عبرّ ابن خاتمة على ضعف جهاز المناعة في أكثر من موضع بمصطلح الاستعداد[3]، أمّا ابن الخطيب الذي كان أكثر وضوحا وشفافية فقد شرح لنا معنى الاستعداد بقوله: "هو تهيؤ الشيء لقبول شيئ بمناسبته ومُشاكلته حتى يلبس صورته"[4]؛ فابن الخطيب يتحدث هنا على مزاج الشخص في تقبل المرض من عدمه على حسب قوة جهازه المناعي ومقاومته، أو ضعف تقبله للمرض؛ فهو القائل بصريح العبارة: "فعلى بُعْد على ما بينهما في عرض المضادّة تكون الممانعة والموافقة"[5].

ومن المُلفت حقًّا أنْ نُنبه على إشارة ابن خاتمة لما انتهى بالقول بأنّ فترة اشتداد الطاعون وتفشيه بين الناس، والذي يكون بين فصلي الخريف والشتاء[6]، وسبق أن أشرنا إلى أنَّ العالم يرسين قد اكتشف جرثومة الطاعون الناتجة عن البراغيث والحيوانات القارضة، وأنَّ انتشارها رهين بالظروف المهيئة لترعرعها؛ إلاَّ أنَ هذه الجرثومة لا تتحمل كثيرا ارتفاع درجة الحرارة، وهذه الحقائق العلمية تجرنا للحديث عن ابن الخطيب الذي أكد منذ مئات السنين على مسألة حرق الثياب، وإشعال النار في الجو للقضاء على الجراثيم وانتقالها، قبل معرفة الأحياء الدقيقة المجهرية بمئات السنين، وهي الحقيقة العلمية التي أكدها العلامة الموسوعي محمد علي البار[7] حين قال: إنَّ ميكروب

1- أندري بورغيير، الأنثروبولوجيا التاريخية، ترجمة محمد حبيدة، مجلة أمل (التاريخ، الثقافة، المجتمع)، ع5، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1994، ص97.

2- الشقوري، النصيحة، ص263.

3- ابن خاتمة، تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد، صص149، 152.

4- ابن الخطيب، مقنعة السائل، تح محمد حسن، ص112.

5- نفسه، ص112.

6- ابن خاتمة، تحصيل غرض القاصد، ص142.

7- ولد العلامة محمد علي البار في مدينة عدن في 29 ديسمبر 1939، تقلد منصب إستشاري الأمراض الباطنية، ومستشار قسم الطب الإسلامي في مركز الملك فهد للبحوث الطبية، جامعة الملك عبد العزيز بجدة، ألقى مئات المحاضرات عن المخدارات والتدخين والخمور،

الطاعون لا يحتمل الحرارة الشديدة، كما أنَّه نبّه إلى ملاحظة علمية مهمة تحسب لصالحه في علاقة تاريخ الميكروب بالحرارة لدى المسلمين حيث قال: "إنَّ العلماء المسلمون تفطنوا إلى هذه الحقيقة العلمية، ولذا قلَّ أنْ يظهر الطاعون بصورة وباء في الجو الحار الجاف، وأكثر ظهوره في الخريف وأوائل الشتاء حيث تنخفض حرارة الجو، وتكثر الأمطار"[1].

وما يمكن استنتاجه في مجال إحصائيات الطاعون ببلاد الأندلس، أنه استطاع أنْ يُحدث نزيفا ديمغرافيا ليس على مستوى بلاد الأندلس فقط، وإنَّما على كل أرجاء المعمورة التي حلَّ بها؛ فقد استطاع الطاعون أن يقضي على جيل كاملٍ من البشر ترتب عنه نشأة خلق جديد، وهو ما عُرف في الكتابات الأجنبية بمصطلح الميلاد الجديد (Renaissance)[2]، مُستلين هذا الفكر العميق من شيخ المؤرخين ابن خلدون المغربي الذي دوَّن أفكاره الاستشرافية للإنسانية والتاريخ بقوله: "وإذا تبدلت الأحوال جملة؛ فكأنما تبدل الخلق من أصله، وتحول العالم بأسره، وكأنه خلق جديد، ونشأة مستأنفة وعالم محدث"[3]؛ فابن خلدون أدرك بعمق مدى خطورة الأوبئة الفتاكة في إحداث الشرخ الديمغرافي، وتأثيرها على العمران، وبالتالي الانهيار الحضاري، وظهور عصر الانحطاط، وهو ما جعل أحد الباحثين يستنتج أنَّ اجتياح الوباء الأسود قارة أوروبا كان سببا في إعادة وهيكلة توزيع الثروة المالية داخل المجتمع الأوروبي؛ وكانت فترات الأزمات الخانقة والجوائح تفرز بدورها أسيادًا جددًا يتحكمون في النفوذ الاقتصادي[4].

والأمراض الجنسية، والإعجاز الطبي في القرآن، وفي الأدب والتاريخ، وله مؤلفات عديدة في عدة اختصاصات: في الطب النبوي، الصحة العامة، وأخلاقيات الطب، وتاريخ الطب، والقضايا الطبية الفقهية وقضايا دينية، ونذكر منها على سبيل المثال: خلق الإنسان بين الطب والقرآن، الخمر بين الطب والفقه، المشاكل الأخلاقية والفقهية في زرع الأعضاء، علم التشريح عند المسلمين، مشكلة الإجهاض، سياسة ووسائل تحديد النسل في الماضي والحاضر، الوجيز في علم الأجنة، الإمام السيوطي وكتبه في الطب النبوي، العدوى بين الطب وحديث المصطفى، المسلمون في الإتحاد السوفييتي عبر التاريخ. https:// ar.m.wikipedia.org

1- محمد علي البار، العدوى بين الطب وحديث المصطفى صلى الله عليه وسلم، ص124.

2- حسام مختار العبادي، المرجع السابق، ص263.

3- مقدمة ابن خلدون، ص46.

4-Triki Hamid, Famine et épidémies au Maroc aux XVIe et XVIIeS, Hespéris, 1978, p114.

6_مناقشة مسألة العدوى والعزل الصحي: إنَّ عجز الطب في تلك الفترة عن الوقوف في وجه هذا الداء مع غياب الحلول العلمية ترك انطباعات لدى المؤرخين اتسمت بالذهول من شدة وقع الأحداث، وعدم الوعي بأنَّ سبب تفشّي بعض الأمراض بين الناس هو العدوى، وتحتفظ لنا في هذا الصدد إحدى المصادر المناقبية عن غياب مفهوم العدوى، وانتقالها بين الأفراد بسبب بعض الأمراض المعدية؛ "فأحمد بن قاسم الفهري التياني، كان من أهل الطلب والأدب، توفي من مرض السُّل، وذلك في حدود 707هـ أو 708هـ، وكان ثالث ثلاثة إخوة، وماتوا من علة واحدة في زمن قريب"[1]، ولم يقتصر الأمر على أهل الغرب الوسيط فقط، وإنما تَعدّى الأمر أيضا إلى بلاد المشرق في تلك الفترة؛ فقد وردت بعض الأبيات الشعرية التي تبرز موقف العامة من المرض، وعدم وعيها أنَّ سبب انتقاله هو العدوى؛ فقد جاء على لسان أحد الشعراء قوله:

حَلبْ والله يَكْفِي   شَرُّهَا أَرْضَ مَشَقّه

أَصْبَحَتْ حَيّة سُوءٍ تَقْتُل النَّاسَ بِبَزْقَةٍ[2]

ولا عجب في ذلك؛ فإنَّ الرذاذ هو الطريقة المثلى في انتقال وانتشار العدوى، ومن الأحداث التاريخية العسكرية المفصلية التي تؤكد عدم اكتراث السلطة بحجم معضلات الأمراض الوبائية سوء اختيار توقيت تجهيز الحملات؛ كالتي قادها أبو الحسن المريني سنة 749هـ/1348م نحو إفريقية، والتي كُللت بالفشل الذريع إثر انهزامهم أمام عرب بني هلال، وهلاك قسم من جيشه، وكثير من العلماء

1- ابن القاضي، درة الحجال، ج1، ص126.

2- أبو الفدا عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن عمر الشافعي، المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، مصر، 1907م، ج4، ص153.

الذين رافقوه[1]، وفسرَّ الباحث محمد قبلي ذلك بأنَّ الجيش المهزوم هو الذي ساهم بشكل مباشر في نقل عدوى الطاعون من إفريقية إلى باقي مناطق المغرب[2].

إنَّ هذه الإشارات تؤكد على عدم فهم مسببات الأمراض في تلك الفترة، حيث كانت مخالطة المريض، والاحتكاك به وبلوازمه الملوثة لفترة طويلة من الزمن، وعدم الأخذ بسبل الوقاية من أكبر الأمور التي أدَّت إلى استفحال المرض، وتحوله إلى حالة وبائية، وهو واقع ترجمه منتصف القرن الثامن الهجري (الرابع عشر ميلادي).

أقرّ ابن الخطيب بوجود العدوى، وأعلنها ثورة علمية لا هوادة فيها على طبقة الفقهاء بقوله: "فإن قيل: كيف نسلم دعوى العدوى؟ وقد ورد الشّرع بنفي ذلك، قلنا: وقد ثبت وجود العدوى بالتجربة والاستقراء والحسِّ والمشاهدة والأخبار المتواترة"[3]، مستقيا أدلته من واقعه ومشاهداته اليومية، وضرب مجموعة من الأمثلة التي تدعم رأيه في ثبوت العدوى حيث قال: "وفي مدن السواحل المُستصحبة حال السَّلامة؛ إلى أن يَحُلَّ بها في البحر من عُدوة أخرى قد شاع عنها خبر الوباء رجل مُتوفّ؛ فيكون تاريخ ظهور المرض بها"[4].

ما يمكن أن نستوضحه من هذا النص أنَّ ابن الخطيب تنبَّه إلى أنَّ المدن الساحلية كانت عرضة للوباء لكثرة الداخلين إليها من المدن الموبوءة، وبالتالي نقلوا الطاعون إلى أراضيها، كما يستدل أيضا بواقع أسرى المسلمين الذين صَحبتهم السلامة في هذا الوباء بسجن إشبيلية رغم أن هذه المدينة قد استشرى واستفحل فيها الطاعون، ولم يتعجّب من ذلك لأن العدوى لم تنتقل إليهم لعزلتهم عن العالم الخارجي، "ولا أعجب لهذا العهد من سجن الأسرى من المسلمين أنقذهم الله بدار صنعة إشبيلية، وهم

1- ابن مرزوق أبو عبد الله محمد التلمساني الخطيب، المسند الصحيح الحسن في محاسن ومآثر مولاي أبي الحسن، تحقيق ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم محمود بوعياد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، صص355 -357/نفسه، ص496.

2- Mehamed Kably, Société, Pouvoir et Religion au Maroc à la fin du «Moyen-age» (XIVe-XVe siècle), préface de Claude Cahen, edition Maisonneuve et Larose, Paris, 1986, p14.3.

3- ابن الخطيب مُقنِعة السائل عن المرض الهائل، تحقيق حياة قارة، ص7.

4- ابن الخطيب، مقنعة السائل، ص73.

ألوف، لم يصبهم الطاعون، وقد كان يستأصل المدينة"[1]، وفي نفس الوقت استدل بالبيوت التي تعرضت للإبادة الكاملة من خلال استخدام مقتنيات قد تكون بسيطة تخص المريض المصاب بالطاعون؛ فورد على لسانه: "ووقوع المرض والمحلة لثوب أو آنية؛ حتى إنَّ القُرط أتلف من عُلِّق بأذنه، وأباد البيت بأسره"[2].

ويسوق لنا ابن الخطيب أمثلة أخرى من بلاد المغرب، ويجادل الفقهاء الذين تصدوا لفكرته، ورفضوا فكرة انتقال العدوى من شخص موبوء إلى شخص سليم، ويستشهد بقصة الزاهد ابن أبي مدين[3] المقيم بمدينة سلا، الذي عزل نفسه عن محيطه، وبالغ في الخلوة والابتعاد عن الناس، "وكان من القائلين بالعَدوى، وقد تزود لمدّة، وبنى باب منزله على أهله وهم كثيرون، وفنيت المدينةُ، ولم يُرْزا نسمة واحدة بطول تلك المُدَّه"[4]، إلاَّ أنَّ فقهاء تلك الفترة صمّوا أذانهم، ورفضوا فكرة التسليم بوجود عدوى الطاعون خشية أن يعتبر ذلك هروبا من القدر على حد تعبير إحدى الدراسات[5]، كما أنه ابتلاء من رب العالمين، وضحاياه بمنزلة الشهداء[6].

لم يكن كلام ابن الخطيب في ذلك الوقت من باب الصدف، وإنّما تبلورت نظريته في سياق تطبيق المنهج التجريبي الذي يقوم على حقائق علمية وقوانين علمية؛ فقد اتفق الدارسون على أن القانون

1- ابن الخطيب، مقنعة السائل،ص74.

2- نفسه، ص73.

3- هو الزاهد أبو الحسن محمد بن عبد الله ابن أي مدين، من أهل القرن الثامن الهجري، من بيت أبي مدين الشهير، سار على سنن أبيه في خدمة السلطان، وُصِف بالتقي الزاهد. ابن القاضي، جذوة الإقتباس، ج1 ص232.

4- ابن الخطيب، المصدر نفسه، ص73.

5- من باب الفائدة نود أنْ نوضح أنّه وقع جدل بين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) والصحابي الجليل أبي عبيدة بن الجرّاح حول الوباء الذي وقع بأرض الشام، فقال لعمر: "أفرارا من قدر الله"؛ فأجاب عُمر: "نعم نفرُّ من قدر الله إلى قدر الله"، إجابة عمر بن الخطاب رضي الله عنه تحمل بعدا وعمقا علميا قلّ من يستوعب حيثياته في تلك الفترة؛ فاتخاذ الأسباب هو من قدر الله، وأنَّ التوكل على الله والثقة به، والاعتماد عليه لا ينافي اتخاذ الأسباب، بل اتخاذ الأسباب هو نفسه من الإيمان بالله لأنَّ الأسباب كلها بيد الله، وهي من سنن الله الكونية. محمد علي البار، العدوى بين حديث المصطفى، ص34.

6- مجهول، بلغة الأمنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبتة في الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1404/1984م، ص55.

العلمي هو الفَرْض الذي ثبتت صحته بالتجربة تحت ظروف معينة[1]، وابن الخطيب وجد نفسه في مواجهة معلنة يُحمِّل فيها طبقة الفقهاء كثرة الوفيات أوساط العامة بسبب تعنتهم وعدم الاحتكام للمنهج العلمي، "والكلام في القول بالعدوى أو بعدمها، ليس من وظائف هذا الفن...، **وبالجملة فالتَّصَامُمُ عن مثل هذا الاستدلال زَعَارةٌ[2] وتصاقُرٌ[3] على الله، واسترخاص لنفوس المسلمين**"[4].

أمَّا إذا قَلّبْنا في آراء ابن خاتمة؛ فنجده سار في نفس درب ابن الخطيب، وقد تمسك هو أيضا بفكرة انتقال العدوى؛ إلاَّ أننا نجده قد عبرَّ عن طرحه العلمي بشكل سلس من دون أنْ يؤلب على نفسه طبقة الفقهاء، عن طريق الملاحظة والمشاهدة بضربه لمثال حي عن أهل المرية بقوله: "ولقد شوهد أهل سوق الخلق بالمرية الذين كانوا يبتاعون بها من ملابس الموتى وفُرشهم، مات أكثرهم ولم يسلم منهم، ولا من الذين خلفوهم إلى الآن إلاَّ القليل"[5]؛ فابن خاتمة لم يجادل أو يعاند الفقهاء، أو يُجَرِّح في موقفهم النافي للعدوى مثلما فعل ابن الخطيب، ولكنه أقرَّ بوجودها بالتجربة والملاحظة والبرهان.

قدّم ابن خاتمة مثالا حيّا عايشه في سوق المرية حول انتقال العدوى من خلال وفاة معظم الذين قاموا بابتياع واقتناء لوازم الموتى الذين توفاهم الطاعون من ملابس وفرش وأثاث، واستعملوها مباشرة؛ فابن خاتمة لم تعوزه الأدلة والشهادات والقرائن في إثبات عدوى الطاعون ليضرب مثالا آخر عن فائدة العزل أو الحجر الصحي بقوله: "واطلعت من حال البلدان التي حرص أهلها على أن لا يدخل

1- أحمد الصفدي، تصنيف المعرفة والعلوم في ضوء خصائص الأمة الإسلامية، مطابع المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، 1991، ص64.

2- **زعارة:** يقال زعر فلان أي ساء خلقه وقل خيره. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط4، 1426هـ/2005م، ص393.

3- صقارة: يقال صقر فلانا أي سبه بغير حق. نفسه، ص518.

4- ابن الخطيب، مقنعة السائل، تحقيق حياة قارة، ص75.

5- نفسه، ص159.

إليهم أحد من بلاد الوباء، وحافظوا على ذلك، أنْ استصحبوا السلامة زمانا"[1]، مستدلا بمثال حي عن الحصون المحيطة بمدينة المرية التي لم يدخلها الطاعون إلاّ بدخول أشخاص من مدن موبوءة بقوله: "وإنّ أكثر أهل الحصون التي تلي المريّة، ونزل بها هذا الحادث، لَيُؤرّخون زمان نزوله بهم، بقدوم فلان أو فلانة عليهم من بلاد الوباء، وموته بين أظهرهم"[2]؛ فمنهجه قائم على التجربة إذ لم ينطلق من جانب تنظيري أو استند إلى مصنفات سبقته في الكتابة في هذا المجال، بل انطلق من واقعه المعيش، والمشاهدة العينية عاصرها في مدينته المرية.

لقد انطلق كل من الطبيبين من فهم آليات المرض من مرحلة الملاحظة والتبصير إلى التحليل والوصف الكمي للمرض الذي وقع على منطقة المرية وباقي بلاد الأندلس، وهذا الفعل بحدِّ ذاته لا يختلف كثيرا عمَّا يقوم به المختصون اليوم في علم الأوبئة؛ الذين "يراقبون ما يحدث في مجموعة من الناس، يسجلون الأحداث المتعلقة بالصحة، ويطرحون الأسئلة عليهم"[3]، لم يُكتب للطبيبين الأندلسيين ابن خاتمة وابن الخطيب الحياة، حتى يُشاهدا أنَّ أقوالهما طبقت على أرض الواقع، وظهر ما يعرف في أوروبا بالكرنطينة[4]، وهو مصطلح مستمد من اللغة الإسبانية curantena أي الحجر الصحي على الوافد مدة أربعين يوما، وهو الأمد الأقصى لظهور الأمراض الفتاكة كوباء الطاعون[5].

1- ابن خاتمة، تحصيل عرض القاصد، ص159.

2- نفسه، ص159.

3- رودولفو ساراتشي، علم الأوبئة، ترجمة أسامة فاروق حسن، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة، ط1، 2015، ص21.

4- وردت عدة شروحات عن مصطلح الكرنتينة في مصادر التاريخ الحديثة؛ فقد قال عنه حمدان خوجة عثمان: "اشتهر في بلاد الفرنج الإحتماء عن الوباء، وأعدّوا لذلك موضعا وسموه " كرنتينة"، وحقيقتها إنما هو الإحتماء والإحتراز، وجعلوا ذلك المحل في مداخل إليهم. إتحاف المصنفين والأدباء في الإحتراس عن الوباء، تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 1968،79. ولا يختلف المكناسي محمد بن عثمان (1214هـ- 1779م) في الوصف السابق إلاَّ أنّه كان أكثر تفصيلا بقوله: "دخلنا المدينة فإذا أزقتها وسككها وسطوح ديارها مشحونة نساء ورجالا؛ فسار معنا أعيان بلدهم إلى أن وصلنا الدار التي أعدوها لنزولنا، وذكروا لنا الكرنطينة، ومعناها عندهم أن يقيم الذي يَرِدُ عليهم في موضع معروف عندهم مُعدّ لذلك أربعين يوما لا يخرج ولا يدخل منه أحد، وسبب ذلك أنهم يتحرزون أن يدخل الوباء أرضهم لتوهمهم أنّه في بلادنا أعاذنا الله منه. الإكسير في افتكاك الأسير، ص9، نقلا عن أحمد حدادي، أخبار الأوبئة والأمراض في الرحلات السّفارية المغربية، مجلة كنانيش، ع3، عدد خاص بالديمغرافيا التاريخية في أدب الرحلة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة، 2001، ص45.

5- المرجع نفسه، ص45.

وبذلك يكون لابن خاتمة وابن الخطيب الأندلسيان السبق في اكتشاف نظرية العدوى بمئات السنين، والتي لم يُعترف بها في أوروبا إلاَّ في أواخر منتصف القرن الثامن العشر، وبالضبط سنة 1896؛ حيث أقرَّ فيها العلماء بمبدأ انتقال العدوى من الإنسان المصاب إلى الإنسان السليم، كما ينتقل أيضا عبر المتاع الخاص للمريض من أثاث وأفرشة وبضائع...[1].

قد يقول قائل إذا كان كل من الطبيبين ابن الخطيب وابن خاتمة قد انطلقا من منهج علمي مؤسس، لماذا ضاع جهدهما في هذا السبق العلمي ونُسب للغرب؟ وسبب هذا الأمر حَسْبُنا أنه نابع من تراجع ذهنية المسلمين حول التفكير العلمي الذي يتشكل عبر تراكمات تاريخية تسجلها المجتمعات الإنسانية عبر تاريخها جيلا بعد جيل؛ حيث تأخذ فعلها اللاشعوري في أعماق الوعي الإنساني[2]، والمجتمع الإسلامي بصفة عامة والأندلسي بصفة خاصة لم يدرك آنذاك الطفرة العلمية التي أحدثها الطبيبان حول نظرية العدوى، وإلاَّ فأين نصنف ظهور الأسئلة الغرناطية عند فقهاء تونس الحفصية[3] حول عدوى الطاعون من عدمها بعد قرن من الزمن لولا غلبة التزمت الديني على العقل المفكر؛ فلا خلاف أنَّ النص ديني ثابت غير قابل للتبدل والتغير مع تطور الزمن؛ غير أنَّ العلم هو منهج معرفي يقوم على الشك، وبالتالي ضرورة فهم النص الديني بما يتماشى وضرورات الحياة، وعليه فنظرية العدوى على حد قول الدارسين: "تزامنت مع انطفاء شعلة ذلك البريق الحضاري الذي كانت الأندلس تتميّز به"[4]، ولهذا لم يُكْتَب لها أن تسجل باسم الأندلسيين كغيرها من الاكتشافات والإبداعات.

لا تعارض في أقوال النبي صلى الله وسلم، وإنمّا نسلم بما ثبت أنَّه صحيحا تسليما، وفي حالة ما إذا وقع تناقض أو تعارض بين الحديث الصحيح والعلم؛ فهذا يعني إمَّا خطأ في العلم أو فهم خاطئ في

1-André Chantetemesse et Francois Borel, hygienne internationale:Frontiére et prophylaxie, Paris, 1907, p 88.

2- علي أسعد وظفة، البيئة الأسطورية للعقلية العربية، من موقع: www.civicegypt.org

3- هي رسالة كتبها محمد المواق الغرناطي إلى صاحبه محمد الرّصّاع بتونس حول بعض االقضايا الفقهية عن الوباء والطاعون والصدقة والمرأة، وقد أرّخت هذه الرسالة على صغرها للأزمة الأندلسية في فصلها الأخير. الأجوبة التونسية على الأسئلة الغرناطية، تحقيق محمد حسن، مقدمة المحقق، ص6.

4- حسين بوجرة، المرجع السابق، ص531.

تفسير أقوال النبي صلى الله وسلم، هذا موجز ما اتفق عليه جمهور العلماء، وهو ما حدث في منتصف القرن الثامن الهجري حول حديث النبي صلى الله عليه وسلم ﴿**لا عَدْوَى ولا طِيرة ولا هَامة ولا صَفَر**﴾[1]؛ فظاهر الحديث قد يتعارض مع ما توصلَّ إليه العلم حول مفهوم العدوى لقصور فهمنا عن استيعاب الحديث بشكله الصحيح، ولهذا دعا أهل العلم إلى ضرورة النظر والتحري والفهم السليم للنصوص الدينية، وذلك بالرجوع إلى قواعد اللغة وأقوال مختلف العلماء، وهذه الخطوة كفيلة بإزالة ما يعتري النصوص الدينية من التباسات وإشكالات على مستوى الفهم، وإدراك دلالتها القريبة والبعيدة.

ويبدو أن فقهاء القرن الثامن الهجري بالأندلس لم يهتدوا إلى الفهم الصحيح لحديث "**لا عدوى**"، وفُسِّرت غايته أنّه جاء للنفي؛ وحتى ابن الخطيب الذي أكدَّ العدوى جاء فهمه للحديث بصيغة النفي، وإلاَّ لماذا جاءت حجته في الجانب الطبي أقوى من الشرعي؛ فهو القائل: "**فإن قيل كيف نسلم دعوى العدوى، وقد ورد الشَّرع بنفي ذلك، قلنا وقد ثبت وجود العدوى بالتجربة والاستقراء، والحسِّ والمشاهدة، والأخبار المتواترة**"[2]، ولو أنَّ ابن الخطيب قد جادل وخاطب الفقهاء في فهم الحديث على المستوى الشرعي واللغوي لما حدث هذا الاحتقان بينه وبين طبقة الفقهاء، ولكن يبدو أنَّ ابن الخطيب أيضا فهم الحديث على صيغة النفي.

ولهذا جاء جواب الرصاع بشكل تفصيلي في شرح الحديث حيث قال: "العدوى اسم مصدر، فعلها أعْدى ومصدره إعْداءًا، في القياس من قولهم: أعْدى فلانا من علّة به، ومعناها عند العرب: انتقال المرض من المريض إلى الصحيح لأجل المخالطة على أنَّ له أثرا من الأول إلى الثاني، اعتقادا منهم في تأثير الأشياء ببعضها في بعض؛ فأبطلت السنة ذلك، وشهد العقل بما أبطلته السنة، وأنّه لا مؤثر إلاَّ الله[3]؛

1- البخاري، صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الجذام، رقم الحديث 5707/مسلم، صحيح مسلم، كتاب السلام، باب لا عدوى ولا طيرة، ج4، رقم 2220

2- ابن الخطيب، مقنعة السائل، تحقيق حياة قارة، ص72.

3- المواق والرصاع، الأجوبة التونسية، ص130.

فمعنى ذلك نفي ما كانت العرب تعتقده لا عدوى بالتأثير لغير الله، وبين قوله صلى الله عليه وسلم: ﴿**لا يُورِدَنَّ مُمْرِضُ عَلَى مُصِحٍّ**﴾[1] و﴿**فِرَّ مِنْ المَجْذُومِ كَمَا تفِرُّ مِنْ الأَسَدِ**﴾[2]؛ فالمراد به نفي ما يعتقدونه من أنَّ تلك العلل مؤثرة بنفسها، ويشير إلى هذا قوله صلى الله عليه وسلم: ﴿**فَمَنْ أعْدَى الأوَّل**﴾[3]، أي إن كنتم تعتقدون تأثيرها؛ فمن أعدى الأول؛ فأعلمهم أنَّ الأمر ليس كذلك، وإنما هو بمشيئة الله وفعله[4].

وعليه فالحديث لم يأت على النفي، أي لا يوجد عدوى، وإنَّما "لا" هنا للنهي، ومعناه لا يعدي بعضكم بعضا، أي لا تتعرّضوا لذلك بل اتقوه؛ فالنفي في هذه الأمور الأربعة ليس نفيا للوجود، لأنّها موجودة ولكنه نفي للتأثير لأنَّ المؤثر هو الله؛ فلا عدوى بذاتها إلاَّ أن تكون بإرادة الله، وأنَّ التوكل عليه والثقة به من أهم أسباب دفع العدوى مع الأخذ بالأسباب الظاهرة المعلومة؛ فإنّ هناك من الأسباب الخفية المجهولة ما تجعل الداء دواءً، و ما تجعل الدواء داء[5].

لقد فتح ابن الخطيب على نفسه بابا من التهجمات والانتقادات لكونه أعطى أهمية للجانب العلمي، وأهمل الجانب الشرعي، وقد ناقش أحد الباحثين هذه المسألة بعقد مقارنة بين الطبيبين بقوله: إنَّ ابن خاتمة لم يسمح لنفسه بتبني حلول قطعية لتبرير القول بالعدوى، رغم المنزلة المقنعة التي يتمتع بها هذا الأخير في المعرفة الدينية على غرار ما قام به ابن الخطيب من اعتبار حديث "لا عدوى" حديثا منسوخا[6]، وبذلك أقام الحجّة على نفسه، وألبَّ على نفسه استنكار الفقهاء، ويستدل الباحث بردَّ الرصّاع الاستنكاري: "فكيف يقال بالنسخ في حديث صحيح"، بل ذهب إلى أبعد من ذلك

1- صحيح، البخاري، باب لا هامة، رقم الحديث 5771.
2- صحيح البخاري، باب الجذام، رقم الحديث 5707
3- صحيح البخاري، باب لا صفر: وهو داء يأخذ البطن، رقم 5717
4- نفسه، ص136.
5- تامر حتامله، نقد الحديث النبوي بالعلم التجريبي، مجلة akamemidergiri، العدد: 18، مجلد، 60، 2014، ص179،180/محمد علي البار، العدوى بين الطب وحديث المصطفى صلى الله عليه وسلم، ص39.
6- حسين بوجرة، الطاعون وبدع الطاعون، ص301.

من خلال تشكيكه في سنية القائلين بذلك: "كيف تقول هذه الجماعة السنية بأنّ العدوى صحيحة، وأنّ الحديث المذكور منسوخ"[1].

7_موقف السلطة الغرناطية من عدوى الطاعون: أمام هذا الجدل المحتدم بين طبقة الفقهاء المتعصبة لرأيها، الرافضة لفكرة انتشار العدوى، والمُسَلِّمة لقضاء الله وقدره، وبين فئة الأطباء الداعية لضرورة العزل الصحي، ومحاربة انتقال العدوى بمختلف السبل الوقائية والعلاجية، ممّاً يدعو إلى التساؤل عن موقف السلطة الحاكمة من هذا الصراع؟ وكيف تعاملت السلطة الحاكمة في استيعاب الأزمة، والتعامل مع هذا المرض الفتاك الذي استمر ينخر في ضحاياه؟

بالعودة إلى المصادر التاريخية نجدها أنها تضرب صفحا عن هذه المسألة، وكأنَّ المعضلة لم تشكل كارثة إنسانية؛ غير أنه وردت إشارة مهمة في إحدى المقامات الأدبية لأبي عمر المالقي الذي عرف بأسلوبه الهزلي في مجال الكتابة؛ فهذه المقامة تُعدُّ شهادة ماثلة للجدل الفكري والفقهي الدائر في تلك الفترة حول قضايا الفرار من وجه الطاعون[2]، والذي يكشف أنّ السلطة الحاكمة احترزت من الطاعون كل احتراز، وفضّلت اعتزال العامة وتركتها لمصيرها، وبدل أن يبقى أمير غرناطة وسط مدينته مع رعيته نجده يختار الإقامة مع خاصته وأهله خارج أسوار المدينة ببستان خارجها يُعرف بجنّة العريف لتوفر شروط الصحة فيه، وغناه بكل العقارات والنباتات العطرية الفوّاحة التي من شأنها أنْ تلطف وتنظف الجو العام، ويؤكد ذلك قوله: "وصل إليّ الكتاب الشريف من جنان العريف يذكر أنَّ السلامة كانت به مستصحبة لمولانا ولناسه، وأنَّ العافية كانت بهم مستنشقة مع أنفاس رنده وآسه ما عرضت إلى الطبيب حاجة"[3]، واختيار أمير غرناطة لجنة العريف لم يكن عبثا؛ فابن الخطيب يستحسن منابت العشب الذي يحيط بمدينة غرناطة لما يتميز بمنفعته الطبية بشهادة المختصين في

1- حسين بوجرة، الطاعون وبدع الطاعون، ص301.

2- نفسه، ص287.

3- المقري، أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، بيت المغرب، القاهرة، 1932-1942، ج1، ص128.

ذلك بقوله: "وشمَّر الرواد على منابت العُشب في مظانِّ العَقار مُستودعات الأدوية والتِّرياقية"[1]، ممَّا يدل على أنَّ بساتين غرناطة كانت حقل تجارب الأطباء في معاينة الأدوية النباتية؛ فقد عُرِفت بصحة الهواء، وتعدد البساتين والجنات، وكثرة الأعشاب الطبية والعقاقير الدوائية[2].

8_الوقاية والعلاج النباتي المستخدم في احتواء الطاعون: اختلفت طريقة علاج مريض الطاعون باختلاف الأعراض التي تظهر عليه، ولهذا استعملت أدوية وأغذية تخفف أعراض الطاعون في بدايته قبل أن يستفحل ويصعب علاجه، ويتضح لنا ذلك من خلال هذا الجدول:

أعراض الطاعون	العلاج النباتي و الغذاء	المصدر
العطش الكثير	وضع سُرة فيها بزرقطونا مُبللة بماء الورد.	ابن خاتمة، تحصيل الغرض القاصد، ص187.
القيءالمراري	بعد تنظيف المعدة بالماء الساخن؛ يسقى المريض برّب الرمّان الممزوج بالنعناع/مسح المعدة بدهن الورد الممزوج بالمصطكى.	ابن خاتمة، تحصيل العرض القاصد، ص 188.
خشونة في الحنجرة والحلق وثقل في الصدر.	شرب الأدوية المرطبة والملينة والمسكنة من الوجع مثل شراب العناب وزهر البنفسج وزريعة الخيار/شرب ماء الشعير.	ابن خاتمة، ص 187، ص 196
الغشي و الإغماء	شراب التفاح، رب الحصرم، شراب الليمون، شراب الأترج ممزوج بماء الورد/وضع الآس في قطعة كتان وشمه طوال الوقت/رش المنزل بماء الورد وشمه طوال الوقت.	ابن خاتمة، ص186/ الشقوري، النصيحة، ص258
الإسهال	طبيخ الأرز	ابن خاتمة، ص196
صعف القلب	أكل الحصرم (العنب الحامض)، وشرب شرابه لتقوية القلب وتسكين حرارة الدم.	الشقوري، ص260
شدة الإلتهاب والحرارة	تناول القرع واليربوز والخس والإسفاناخ والعدس بعد نزع قشره.	ابن خاتمة، ص197.
سعال	خليط شراب مكون من مجموعة من الأدوية	ابن خاتمة، ص202.

1- ابن الخطيب الأندلسي، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003، ج1، ص16.

2- ابن الخطيب الأندلسي، اللمحة البدرية، ص45.

	كالعناب وبزر القثاء وكسبرة بير/ دهن الصدر بدهن البنفسج أو دهن اللوز الحول عدة مرات.	
قروح وتورمات سوداء كأنها فقاعات شديدة الحرارة والإلتهاب	استعمال أدوية مسكنة للوجع مثل وضع صوفة غنم في دهن البابونج، ويُمسح حول القروح/مسح القروح بماء الورد الممزوج بالخل/وضع ملاصق على القوح مكونة من شحوم وبعض النباتات كالحلبة، واستعمال المراهم المُدملة للقروح.	ابن خاتمة، ص200،201
صعف البدن وسقوط شهوة الطعام	إصلاح الهواء عن طريق التبخير: بالطرفاء والعود الهندي والمَصطكى والصندل والصنوبر وشم/رش الحيطان والمنازل بالخل، شم المشمومات: ماء الورد، شم الحمضيات والآس، أكل التفاح والإجاص، والرمان والسفرجل، شرب الليمون/أكل خبز الشعير والقمح الذي لم تُنزع نخالته (خبز الخشكار) مع قليل من الحلتيت.	النصحية، ص261-262. ابن خاتمة، ص186
نفث الدم لتضرر الرئة	لا علاج له.	ابن خاتمة، ص198.

من خلال هذا الجدول قد يتبادر إلى ذهننا التساؤل التالي: كيف استطاع أطباء الأندلس احتواء مرض الطاعون، ومعالجته أو التقليل من ضرره باستعمال بعض النباتات البسيطة والمتداولة يوميا في المجتمع الأندلسي؟

يتضح لنا من خلال الجدول أنَّ الأندلسيين اعتمدوا على التبخير، وذلك عن طريق حرق النباتات، وتبخير المنازل والأماكن التي يكثر بها العامة، ويبدو أنَّ التجربة الأندلسية في هذا المجال مستوحاة من الفكر اليوناني؛ الذي كان له خبرة وباع طويل في احتواء الأمراض الوبائية؛ فقد احتفظ لنا التميمي بنص بالغ الأهمية عن أبقراط يُبيِّن فيه موضوع تلوث الهواء، ومعاجلته عند أهل اليونان يقول فيه: "فلما رأى ما أطلّ الناس من حدوث الطواعين القاتلة أمر بجمع الأحطاب من شجر الطرفاء والعبهر وغيرهما، وأمر فأحدق به حول المدينة، وأمر بأن تلقى عليها كثير من الصموغ الطيبة الروائح كالأسطرك والميعة واللاذن والمصطكى واللبان وما أشبه ذلك، وأرسلت النيران في تلك الأحطاب؛ فَعَلاَ لهيبها في الهواء، وانتشر دخانها وتصاعد في الجو؛ فحلل ما فيه من الغلط، وأزال عنه ما مازجه من

الفساد؛ فشم أهل المدينة منه هواءً صحيحا، وأمرهم أن يواصلوا ذلك الفعل مدة أيام الفساد ففعلوا ذلك؛ فصحَّ لأجل ذلك هواء تلك المدينة، وتنسم أهلها ما لا ضرر في تنسمه على أجسادهم، وسلموا من الموتان؛ فلم يهلك منهم في ذلك الوباء إلاَّ اليسير ممن استوفى مدته وأجله"[1].

إن هذا النص يوضح بجلاء أهمية الطرق العلمية والصحيحة التي اعتمد عليها اليونانيون، والمتمثلة في استعمال النار والنباتات العطرية؛ فإيقاد النيران في مكان يولد تيارًا هوائيا شديدا مما يؤدي إلى تغيير الهواء بشكل مُستمر، وعملية التهوية هذه مفيدة لتغيير الهواء لفاسد إلى هواء نقي[2]، كما أنَّ حرق بعض النباتات يعمل نفس الفعل في مسألة التعقيم، والقضاء على الجراثيم المنتشرة في الجو؛ فكانت تولد هواءً لطيفا معقما، وقد أكثر الأندلسيون من استعمال طريقة التبخير في تغيير الهواء الوبائي، وفي ذات السياق أشار الزهراوي إلى ذلك بقوله: "وتقطع البخورات ضروب فساد الهواء الذي يَعْرض من قِبَلِهِ الطاعون والوباءُ، والحُميات المركّبة ونحو ذلك"[3].

كما أنَّ النباتات التي استعملها الأندلسيون في عملية التبخير لم يكن انتقاؤها اعتباطيا، وإنما كان الأمر مدروسا عندهم أثبتته التجربة والقياس؛ فنبات الصنوبر مثلا وصفه ابن رشد بالدواء الفاضل في الهواء الوبائي إذا بُخّر به أو كان "قريبا منه" بحيث تشم رائحته[4]، ويبدو أنَّ ابن رشد لم يجانب الصواب لمّا نعته بالفاضل؛ فما يُعرف عن الصنوبر أنّه مادة حافظة للحوم، ومانعة للعفونة في تلك

1- التميمي محمد بن أحمد المقدسي، مادة البقاء في إصلاح فساد الهواء والتحرز من ضرر الأوباء، تحقيق يحي الشعار، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، 1999، ص44.

2- نفسه، ص44.

3- الزهراوي، التصريف لمن عجز عن التأليف، المقالة التسعة عشر، ص290.

4- تمّت الإضافة التي بين القوسن من عندي حتى يستقيم المعنى/ابن رشد، الكليات في الطب، ص304.

الفترة[1]، ولهذا تعاهد الأندلسيون التبخير بالنباتات المانعة للتعفن كاالقسط والكندر والميعة والصندل[2].

وتَجدر الإشارة هنا إلى أنّ الطبيب الشقوري أدرك تماما أنّ هذه البخورات ليست علاجا نهائيا للطاعون كما كان معتقدا في عهد الزهراوي، وإنّما هي تساعد على دفع الأمراض عن الإنسان، ويؤكد ذلك قوله: "فإنَّ الإنسان لابد أن يستنشق شيئا من تلك الأدخنة والرّوائح، ويتنفس فيها وهذه فائدة التبخير؛ فكلما يصلح الهواء، يصلح أيضا الأعضاء التي تصل إليها، وتقويها على دفع الفساد، وتمنع العفن فيها؛ فربما اكتسب قوة صالحة مانعة مدّة لتصرف الإنسان في حاجاته"[3]؛ فالقوة المانعة من خلال الشقوري يمكن أن يكتسبها الإنسان ويقويها، وهي الفكرة ذاتها التي طرحها ابن الخطيب بقوله: "فإذا اتفق أنْ يكون مزاج الشخص قريبا في عَرَضِه من مزاج الوارد السّمي مُستعدا لقبوله قَبِلَه، ومال إليه مِنْ غير مُدافعة ولا مُمانعة"[4].

وحتى نستنطِق الجدول بكلّ تفاصيله ندعمه بمعطيات تاريخية مُثبتة؛ فالمتصفّح للمؤلفات الطبية عموما، والأندلسية منها خصوصا يتضح له أنّهم استخدموا النار في حرق الأمتعة والملابس المتعلقة بالشخص المُصاب بالطاعون أو المطعون حتى لا تتفشى العدوى؛ فابن خاتمة الأنصاري برهن بطريقة الحرق مستدلا بملابس ولوازم المريض التي بيعت في السوق، وما انجرّ عليها من عدوى ووفيات؛ فهو لم يكن يعرف شيئا عن الميكروب، ولكنه استدل وأخذ بالأسباب التي أدت إلى انتشار المرض، وهو استعمال ملابس وأثاث المطعون أدت إلى إصابات ووفيات جديدة، ورغم عدم معرفتهم بما يسمى الميكروبات أو الكائنات الحية الدقيقة الناقلة للمرض، وعدم معرفتهم للأجهزة المتطورة

1- نفس المصدر، ص304.

2-نفسه، ص371/الأسعد المحلي، مزاج دمشق، تحقيق لطف الله قاري، ضمن كتاب نصوص نادرة من التراث العلمي، مكتبة الإمام البخدي للنشر والتوزيع، القاهرة، 2012، ص97.

3- الشقوري، النصيحة، ص259.

4- ابن الخطيب، مقنعة السائل عن المرض الهائل، ص112.

الكاشفة لها؛ إلاّ أنهم كانوا يأخذون بالأسباب والوسائل المتاحة، ويستوقفنا في هذا السياق قول الفارابي عن العقل العملي لمّا قال: إنه "قوة تحصل للإنسان عن كثرة التجارب بالأمور، وعن طول مشاهدة الأشياء المحسوسة، ومقدمات يمكنه بها الوقوف على ما ينبغي أن يؤثر أو يجتنب في شيء من الأمور التي فعلها إلينا[1].

كما عولّ الأندلسيون على الخل الذي اعتبر معقما على ما يبدو لأدواتهم المستعملة، وما رشّهم له على سطوح المنازل والحيطان، وملاحظتهم ايّاه بإبعاده للحشرات والذباب التي كانت أساسا ناقلا للمرض من دون معرفتهم؛ فنظروا إلى الخل أنّه مزيل للعفن والروائح الكريهة، ومقوٍّ لقلوبهم في حالة شمّه.

كما نصح الأطباء أكل خبز القمح مخلوطا ببعض النباتات التي لها فاعلية رفع مناعة الجسم، وقتل السموم، وفتح شهية المريض المُصاب "إذا سقطت شهوة الغذاء في مرض الوباء، جُبر المريض على الأكل"[2]، وقد أثبتت الدراسات الحديثة المزايا الإيجابية لنبات الحلتيت في القضاء على البيكتريا والفيروسات الحية.

إنّ اهتداء الأندلسيين إلى مثل هذه السبل الوقائية والطرق العلاجية ما هي في الحقيقة إلا وسيلة من وسائل التفكير العلمي التي تعتمد أساسا على العقل والبرهان المقنع بالتجربة أو الدليل[3]؛ فالتجربة الأندلسية توضح بجلاء أهمية الإغتراف من معارف الحضارات السابقة، وصقلها بفكر إسلامي أصيل لم يسبق الوصول إليه.

ما يمكن قوله أنّ التشخيص الجاد للمرض من قبل أطباء الأندلس كابن الخطيب وابن خاتمة، ومعرفتهم لآليات انتقال المرض عن طريق العدوى، واتباعهم أسلوب الحجر الصحي- رغم مجابهة طبقة الفقهاء لهم- واستعمالهم للغذاء الصحي، وتوظيف بعض النباتات الطبية والعطرية في عملية الرش

1- الفارابي أبو نصر محمد، فصول متنوعة، تحقيق فوزي متري نجار، دار الشرق، بيروت، ص50.

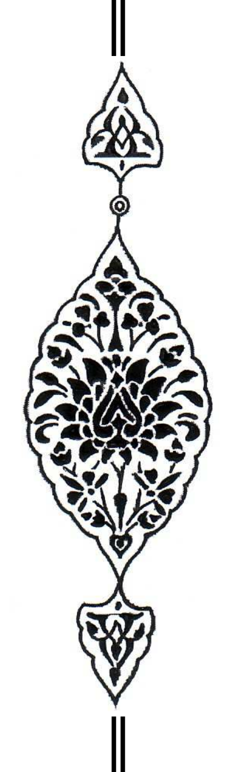
2- الشقوري، النصيحة، ص263.

3- فؤاد زكريا، التفكير العلمي، المجلس الوطني للثقافة والفنون الآداب، الكويت، 1978، ص11.

والتبخير والشم والتداوي التي تتوفر عليها بلاد الأندلس ساهمت بشكل ما في رفع جهاز المناعة التي كانت تعرف عندهم آنداك باسم "**الممانعة والموافقة والإستعداد**"، وامتثال الأندلسيين لسبل النظافة، ومكافحتهم للهوام والحيوانات المؤذية، هو الذي قلّل من طغيان الطاعون في بلدهم رغم النزيف الذي أحدثه في النمو الديمغرافي مقارنة بالأقطار المجاورة الذي وُصِفَ فيها بالكارثي.

الفصل الرابع:

السموم النباتية ومجالات استخداماتها، وكيفية التخلص من السموم بالأدوية النباتية



أولا- لمحة تاريخية عن السموم

ثانيا: السموم النباتية من خلال المؤلفات الأندلسية

ثالثا_ التسميم الجنائي ودوره في القضاء على شخصيات نافذة في السلطة الأندلسية

رابعا _ التسّميم غير العمدي

خامسا_ النباتات الطبية السامة (المُخدّرة والمنوّمة أنموذجا)

سادسا_ النباتات السامة المُسقطة للأجنة

سابعا_ النباتات السامة المؤثرة في جنس الحيوان

ثامنا_ خطورة السم الحيواني و طرق علاجه بالعقار النباتي

تاسعا: نباتات السموم والممارسات السحرية بين العلم والوهم

أولا _ لمحة تاريخية عن النباتات السامة: بفضل التجربة والملاحظة والخِبرات الإنسانية، استطاع الإنسان منذ القدم أنْ يُصنّف النباتات التي انتفع بها للخاصية التي تميّزها إلى ثلاثة أصناف: أغذية وأدوية وسموم؛ فبواسطة حاستي الذوق والشم تمكّن أيضا من أنْ يُميّز بين النباتات النافعة له والنباتات الضارّة والمؤذية لجسمه؛ كما استطاع أن يُدرك بفضل الملاحظات المُستمرة والحرص الدؤوب على تجاهل الحيوانات لأكل بعض النباتات للضرر الذي تسببه لها. وقبل أنْ نَلِج في ثنايا هذا الموضوع سنُحاول الوقوف عند بعض المفاهيم اللغوية والاصطلاحية لهذا المجال.

1_ تعريف السم لغة: السَّمُّ والسُّمُّ والسِّمُّ: القاتل[1]، وجمعه: سُموم وسِمام[2]، ويقال الأَسَمُّ: الأنف الضَّيّق المَنْخِرين[3]، ويقال: سموم الإنسان والحيوان وسمامه، بمعنى: فمه ومنخراه وأذناه[4]، والمسام: منافذ العرق في البدن[5]، والسَّمُّ: المقصد والمطلب، يُقال: أصاب سمَّ حاجته: إذا أصاب مقصده ومطلبه[6]، وسَمَّ الأمر، يُقصد بها: الأمر سَبَرَه[7]؛ والريح السَّمُوم: الرياح الحارة[8]، إذا أصابت النبات أهلكته، أصابته بحرّها، وتُجمع على سمائم[9].

ويقال السّامُّ: الموت[10]، وذي سم من الهوام وغيرها[11]، والسَّمامة: المرأة الخفيفة اللطيفة[12].

1- الخليل بن أحمد الفراهيدي ، كتاب العين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003، ج2، ص372.

2- إبراهيم أنيس آخرون، المعجم الوسيط، ص451/الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص1124.

3- ابن منظور، لسان العرب، مج12، ص303/الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص1123/إبراهيم مصطفى، المعجم الوسيط، ج1، ص453.

4- الفيروز آبادي، نفس المصدر، ص1123.

5- محمد بن أحمد الأزهري ، معجم تهذيب اللغة، دار المعرفة، بيروت، ط1، 2001، ج2، ص1763.

6- الأزهري، معجم تهذيب اللغة، ج2، ص1762/الفيروز آبادي، القاموس المُحيط، ص1123.

7- الفيروز آبادي، القاموس المُحيط، ص1123.

8- ابن منظور، لسان العرب، مج12، ص304.

9- إبراهيم مصطفى، المعجم الوسيط، ج1، ص451.

10- ابن منظور، لسان العرب، ج12، ص302/الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص1123.

11- الأزهري، معجم تهذيب اللغة، ج2، ص1762.

12- ابن منظور، لسان العرب، ج6، ص374.

2_ تعريف السم إصطلاحا: السُّم (poison): يقصد به المادة الكيماوية أو الفيزيائية التي لها القدرة على إلحاق الضرر أو الموت بالنظام الحيوي[1]؛ أمّا التسمّم: فهو التعبير السريري أو الصورة السريرية التي تظهر على الجسم الحيّ بعد حدوث الخلل الوظيفي في ذلك الجسم نتيجة لدخول مادة كيماوية غريبة غالبا[2]، ويُطلق على مقدرة تلك المادة على إحداث الضرر أو الموت لفظ السمّية (toxicity)، ولكلا اللفظين المعنى ذاته، ولكل مادة سامة درجة معينة من السمية[3]، كما أنَّ السرعة والخفة من صفات السم القاتل القادر على النفوذ والولوج في الباطن.

3_ مفهوم النباتات السامة: هي النباتات التي تحتوي على نسب معينة من مواد فعالة أو منتجة لها في الظروف الاعتيادية، وتؤثر تأثيرا سيئا على الإنسان والحيوان، وتوجد المادة السامة إمّا في جميع أجزاء النبات أو في بعض أجزائه فقط[4].

لقد لجأ الإنسان منذ فجر التاريخ إلى تجريب النباتات ومعرفة خواصها، وطوَّر معارفه عن سموم التجربة إلى ما يُعرف بالسموم القضائية، حيث كان اليونانيون يجبرون المتهم على تناولها؛ فإن نجا منها فهو بريء، وإنْ وَقعَ في شِراكها فهو مجرم يستحق العقاب[5]، ولعلَّ أبلغ دليل على ذلك ما وقع للفيلسوف سقراط الذي "أعلن عن مخالفة اليونانيين في عبادتهم للأصنام، وقابل رؤساءهم بالحجج"[6]؛ فأجبر على تناول منقوع الشوكران السام، وجاء على لسان ابن أبي أصيبعة قوله: "إنَّ قُضاة أثينا الأحد عشر شَهدوا عليه وجوب القتل؛ فسقي السم الذي يقال له قونيون"[7].

1- عبد العظيم سمورسلهب وماضي توفيق الجغبير وآخرون، علم السموم الحديث، دار المستقبل للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1990، ص11.

2- سمير غازي القماز، علم السموم، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2003، ص25.

3- نسيبة محمود عبد الله البخيت، الأحكام المتعلقة بالسموم، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2009، ص22.

4- مظفر أحمد الموصلي، النباتات السامّة واستخدام مكوناتها في صناعة الأدوية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2018، ص8.

5- محمد زهير بابا، تاريخ علم السموم عند العرب، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ع2، 1980، ص64.

6- صاعد الأندلسي، المصدر السابق، ص23.

7- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص61.

وقد كان للعرب والمسلمين عناية خاصة بعلم السموم؛ فقد أفردوا له مؤلفات خاصة به وبعلاجه، حيث يعود الفضل في ذلك إلى ترجمة مبكرة لكتاب السموم المكتوب باللغة الهندية، المكون من خمسة أجزاء أُلف من قبل طبيب هندي يدعى شاناق، إذْ تُرجم هذا الكتاب من اللغة السريانية إلى الفارسية من طرف طبيب يُدعى منكه، وقد اطلع على هذا الكتاب شخصيات نافذة في الدولة العباسية من بينها الوزير العباسي يحيى بن خالد البرمكي (ت 190هـ/805م)؛ كما قام أبو حاتم البلخي بترجمة الكتاب من الفارسية إلى العربية؛ فتسنى للخليفة الخليفة العباسي المأمون أن يطلع عليه[1].

تَكْمن خطورة السموم النباتية في أنها ليست لها تأثير موضعي كبقية السموم الحيوانية أو المعدنية، وإنّما يظهر تأثيرها بشكل مباشر بعد عملية الامتصاص، وغالبا ما يكون لها تأثير مباشر على الجهاز العصبي[2].

لاستكمال الموضوع من جوانبه المتعددة، تطلبت طبيعته التاريخية والعلمية البحث في السموم النباتية ومدى خطورتها، وكيف تعامل معها، وانتفع منها المجتمع الأندلسي خلال حقبة الدراسة، وسنتتبع من خلال الجدول المذكور أدناه النباتات السامة التي وردت في المؤلفات الأندلسية والأعراض التي تُصاحبها، والعلاج المفيد لها إن وجد، حتى يَسْهُل علينا ضبط عناصر هذا البحث بشكل تاريخي وعلمي دقيق رغم الصعوبات الجمة التي واجهتنا في استقصاء واستقراء السموم النباتية في وعائها التاريخي.

1 -Joelle Ricordel, La Thériaque en débat dans les traités arabes, Revue d'histoire de la pharmacie, 97e année, N° 367, 2010, p 272.

2- محمد مرسي عبد الله، سحر كامل، الموجز في الطب الشرعي وعلم السموم، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ص147.

ثانيا_السموم النباتية من خلال المؤلفات الأندلسية:

اسم النبات في المصادر الأندلسية	الإسم العلمي	أعراض التسمم	العلاج	مصدر المعلومة
الشوكران/ قونيون/ ويعرف بحطب الراعي	*Conium*	اختناق، برد أطراف، تمدد، غشاوة/ شلل/ سبات/تخيلات/ اختلاط الفكر وفاة/ نبات قتال	مغلي شجر التوت في الخل ويتقيأ به/ التقيء باللبن	ابن ميمون، السموم والتحرز من الأدوية القتالة، نشر: قريت بوس، دار النشر Brighan Young university، الولايات المتحدة، 2009،ص 59/ أبو خير الإشبيلي، عمدة الطبيب،ج2،593.
البَنج/الشيكران أو السّيكران، ويسمى بالبربرية أفنقيط	*Hyoscyamus*	سكر مفرط، استرخاء الأعضاء، خروج زبد ورغوة من الفم، حمرة العينين، برد بالأطراف واصفرار البدن، جفاف اللسان، ذهاب العقل/اختناق وضيق التنفس، وامتناع بالكلام ثم وفاة.	يتقيأ بماء العسل وطبيخ التين والبورق، شرب حليب الماعز بشكل متكرر أو حليب البقر.	ابن البيطار، الجامع لمفردات الأغذية، ج1، ص 162/ الإدريسي، الجامع لصفات أشتات النبات، ورقة 30
جوز ماثل/داتورة/ ويسمى شجرة المرقد عند عامة الأندلس.	*Datura stramonium*	دوار، وحمرة العينين، غشاوة، وسكر وسبات، عرق بارد، القيئ، ذهاب العقل، صفرة اللون، لذع بالمعدة، عدو القلب، البرد الكثير، يقتل بالاختناق.	القيء بالنطرون والماء الساخن وزيت الزيتون/ شرب لبن البقر ساخنا، شراب الدارصيني وعاقر قرحا وحب الغار، تسخين الجسد جيدا لئلا يجمد دمه.	ابن ميمون، المصدر السابق ص 59/ أبو خير الإشبيلي، عمدة الطبيب ،ج1، ص 146/ ابن البيطار، الجامع ج1، ص 245.
البيش/النبال	*Aconitum*	تورم الشفتين واللسان، حُرقة في العينين/الصرع لمن يشم رائحته تفسخ البدن.	نبات بستان أبروز، القيء المتكرر، شرب طبيخ البلوط، سمن البقر	ابن جلجل، المقالة الثامنة، ص 14/ ابن البيطار، الجامع، ج1، ص180.

اليبروح/اللفاح/ المجنن/تفاح المجانين.	*Mandagura*	حمرة في الجسم وتورمه، حكة/سبات، سكتة، السكر/ إحمرار وتورم في الجسم	القيئ بالسمن/ القيء بماء الأفسنتين يكون مطبوخا بالماء والعسل.	ابن سمجون، جامع الأدوية المفردة، ص18. ابن ميمون، التحرز من السموم، ص60
القنب/ شهدانق أو شهدانج بالفارسية	*Canabis*	صداع شديد، ظُلمة بالبصر، يسكر بإفراط، جنون، مجفف المني، قاطع للنسل، قتل	يقيء بالسمن والماء/ يُسقى شراب الحماض.	ابن البيطار ج4، ص290/ أبو خير الأشبيلي، ج2، ص592
بلبوس بري/ بصل البري	*Leopoldia*	حكة شديدة، لذع في الجوف، حُرقة في الرأس، إسهال قوي إلى درجة خُراطة الدم، يقتل بالاختناق	شرب لبن البقر والمخيض	أبو خير الأشبيلي، عمدة الطبيب، ج1، ص97.
عنب الثعلب/ الكاكنج/ تسمى بوقينة وتعرف أيضا عند عوام الأندلس عنب الذئب وحب اللهو	*Rabes grossularia*	مخذر، جفاف حاد في الفم، قيء الدم، فواق، سحج، اختلاط بالعقل، جنون.	القيء بالماء والعسل، لبن الماعز مع الحليب، أكل صدور الدجاج مع اللوز المر، شرب لبن الأتان ولبن البقر والغنم ساخنا	ابن ميمون، ص 62/ابن الخطيب، ص 264./ ابن سمجون، جامع الأدوية المفردة، مج3، ص 186، 195. 198/ ابن خلصون، كتاب الاغذية، ص 94.
البلاذر/ حب الفهم	*Anacardium*	تقطيع، التهاب بالحلق، وسواس وجنون،برص وجذام، السحج،العقر في باطن الجوف ،وفاة	مخيض البقر ودهن الجوز	ابن البيطار، ج1، ص،154،155/ الغساني،حديقة الأزهار، ص 65.
الدفلى	*Nerium oleander*	كرب، لهيب، انتفاخ، دواء قاتل	يُصب عصير نبات القَنْجنكست في حلق آكل الدفلى	ابن الخطيب، ص 262/ أبو الخير الإشبيلي، عمدة الطبيب، ج1، ص 233.
الثافسيا/يسمى بالبربرية الدرياس.	*Thapsia garganiaca*	تورم الوجه، تنفط البدن.	القيء، شرب البن والسمن والزبد، وماء الشعير، الغرغرة بدهن الورد والحليب.	ابن البيطار، الجامع ج1، ص203/ ابن الخطيب، عمل من حب، ص262.
البزرقطونا/عشبة البراغيث.	*Plantago psylium*	هبوط النبض، برد شديد، خذر، غشي.	يقيءالبدن بالسون أو الزيت أو	ابن الخطيب، ص264

			طبيخ الشبث	
الخَربَق بنوعيه الأبيض و الأسود	*Helleborus*	إسهال مفرط، إلتهاب وارتفاع في درجة الحرارة، حرقة لسان، تشنج، خفقان القلب، انتفاخ بالوجه والرقبة والجهاز التناسلي، صداع بالرأس، يقتل بالاختناق.	شرب المُبردات	ابن الخطيب، عمل من طب لمن حب، ص 262/ أبو خير الأشبيلي، عمدة الطبيب، ج1، ص 204، ابن البيطار، ج1، ص 323.
المازريون/خامالاء	*Daphne mazereum*	قيئ وإسهال مفرط، كرب لذع في الأمعاء والبدن، كزاز.	**لم يذكر في حقه علاج.**	ابن الخطيب، ص262/ ابن البيطار، الجامع، ج4، ص402
الأشخيص/يسمى بشكرانية بعجمية الأندلس. /يسمى الأدَّاد بالبربرية.	*Carlina*	دواء قاتل	**لم يُذكر في حقه علاج.**	ابن البيطار، الجامع، ج2، ص132، 310/ أبو الخير الإشبيلي، عمدة الطبيب، ج1، ص46.
خانق النمر	Acomnitum	سدر و دوار، رطوبة في الأعين، ثقل في الصدر، خروج رياح من أسفل	القيء، شراب الصعتر والجرجير، والقيصوم.	ابن البيطار، ج2، ص307.
الخشخاش/الأفيون هو عصارة لبن الخشخاش الأسود بعد جفافه.	*Papaver Somniferum Opium*	يبطل الذهن والفهم، إدمانه يضر بالبصر، ويقتل بتعطيل القوى وإطفاء الحرارة الغريزية.	يعالج بحيوان الجنديدستر[1].	الإدريسي، الجامع لصفات أشتات النبات، ورقة 8. ابن ميمون، شرح أسماء العقار، ص33
أفربيون/ فربيون/تاكوت بالبربرية	*Euphorbia officinarum*	التهاب حاد بالبدن، لهيب، يولد كرب شديد، يسحج الأمعاء، استطلاق البطن بإفراط)	القيء، أكل الربوب، الكافور	ابن ميمون، شرح أسماء العقار، ص30/ ابن البيطار، تفسير كتاب ديسقوريدس، ص240/

1- جنديدستر: ورد عند ابن البيطار باسم جندبادستر، هو حيوان يشبه الكلب الصغير ، يحيا في الماء وخارجه، وأكثره يكون في الماء، ويتغذى فيه بالسمك والسراطين، وخصاه هو الجندباستر، وجلده مسخن ميبس، غليظ الشعر، يصلح لباسه للمشايخ والمبردين، ولحمه نافع للمفلودين وأصحاب الرطوبات، والدليل على ذلك حرارة خصيتيه. ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج1، ص234.

				أبو الصلت، الأدوية المفردة، ص385/ ابن الخطيب، عمل من طب لمن حب، ص262/ الأنطاكي، تذكرة الألباب، مج2، ص564.
السذاب البري/ الخُفت/الفيجن	*Ruta graveolens*	جحوظ العينين، حرقة، تنفط كتنفط النار، حرقة وتورم ونفخ		الزهراوي، التصريف لمن عجز عن التأليف، تحقيق وترجمة صبحي محمود حماحمي، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، إدارة الثقافة العلمية،ط1، 2004، ص1047.
الكندس	*Veratrum album*	شديد القيء والإسهال، معطش، يجفف الحلق، وجع البطن، ويبس في الخياشيم، عطاس كثير، طيش وكثرة الكلام من الأدوية القتالة.	شرب اللبن	ابن البيطار، ج4، ص353/ ابن سمجون الأندلسي، الأدوية المفردة، ص129.
الكمأة/ الفقع	*Terfeziaceae*	ذبحة، ضيق في التنفس، انتفاخ في البطن، مغص، فواق.	القيء بعصير الفجل، رماد الكرم، أكل الكثرى.	ابن الخطيب، نفسه، ص263، 264
الفطر	*Fungus*	اختناق، ضيق في التنفس، عرق بارد، وجع بالبطن/يولد ذبحة/يقتل بالخنق.	طبيخ الشعير، ماء الرماد بالخل والملح، عصير الفجل ورماد الكرم.	ابن البيطار، الجامع، ج3، ص 224./ابن الخطيب، عمل من طب، ص264 ابن خلصون، كتاب الأغذية، ص94/ ابن زهر، كتاب الأغذية، ص63.

الحنظل يوجد به نوعين: نوع سام ونوع غير سام.	*Citrullus colocynthis*	مغص شديد، قيأ عنيف، اسهال، السحج في الأمعاء، الغم، الكرب، العرق البارد، يؤدي إلى الوفاة.	لم يرد في حقّه علاج	ابن سمجون، الجامع للأدوية المفردة، مج1، ص97.
قرون السنبل (النوع الأبيض)	*Nardostachys jatamansi*	دواء قتال، دم في البول، اسوداد اللسان، اختلاط الذهن.	القيئ، يسقى العليل الكافور مع ماء الرمان وماء البقلة الحمقاء/ الحليب/ماء الشعير/ شراب الفواكه.	ابن البيطار، ج3، ص260/ الأنطاكي، تذكرة أولي الألباب، مج1، ص558.
بسبايج/ بولوبوذيون، / يسمى بلغة البربر تشتاون: الذي يعني كثير الأرجل	*Polypodium Vulgare*	نبات خبيث ، قتال	لم يذكر في حقه العلاج	أبو الخير الإشبيلي/ ج1، ص 108.
أزادرخت/سم الأرض/ طاحبك	*Milia azedarach*	نبات قتال، مُضر للمعدة، قيئ، غشي، ضيق التنفس، غشاوة على بصر، دوار في الرأس.	نفس علاج البلاذر	ابن البيطار، ج1، ص31/
جوز القيئ/جوز الكوثل	*Strychnos nux-vomica*	استرخاء العضلات، منبه قوي للقيء، قاتل بإفراط القيء.	سكب الماء البارد على الرأس والبدن.	ابن البيطار، ج1، ص 243.
أزز/ المصاص/ حب المثنان	*Theymelaea hirusta*	هو دواء قتال إذا أُكثر منه لأنّه يَسْحج الأمعاء و يُلهب المخرج	لم يذكر في حقه علاج	ابن بَكلارش، الأدوية المفردة، ص 332.

1_ ملاحظات على الجدول:

- كثرة المؤلفات الأندلسية حول النبات يُقوِّض الفكرة الشائعة أو النظرية القائلة إنَّ الحركة العلمية للحضارة العربية والإسلامية كانت مجرد نقل وترجمة للتراث اليوناني بأحرف عربية.

- لقد اهتمت المؤلفات الأندلسية بذكر النباتات السَّامة، والكشف عن مضارها، كما كان للمؤلفين احتفاء وعناية خاصة بتسجيل آرائهم العلمية حول آلية تأثير السموم على الكائن الحي.

- تزداد أهمية المؤلفات الأندلسية في هذا المجال؛ لأنّها تضمنت أسماء النباتات السامة بمقابلات لغوية في مختلف لغاتها؛ خصوصا اليونانية ولغات أخرى كالفارسية والبربرية والهندية واللهجة المحلية لأهل الأندلس، الذي أبان عن المعنى الحقيقي للاسم في استخدام ومضار كل نبتة.

- معظم النباتات السامة لها خواص علاجية طبية، لا يُجيد معرفتها إلا الأطباء وأهل الاختصاص في مجال النبات والصيدلة، ولهذا حذّروا من استعمالها لدى العامة خصوصا النباتات المُنوّمة والمُخدّرة.

- إنَّ قراءة سريعة في المؤلفات الأندلسية التي تناولت مجال الطب والنبات تكشف اهتمامًا واضحا لمؤلفيها بالنباتات السامة؛ والذي كان بدافع علاج التسمم، وإيجاد مضادات له تُبطلُ مفعوله أكثر من النباتات السامة بحد ذاتها.

- تطرقت المؤلفات الأندلسية إلى التعريف بحِلْيَة النبات والاهتمام بالأجزاء السامة للنبات، من حيث إذا كانت النبتة كلها سامة أو جزء منها: كالأصل أو الساق أو الورق أو الزهر أو البذر أو الثمار.

- عناية المصادر الأندلسية بالأعراض التي تظهر على المريض من أعراض عصبية كالصداع والهذيان، والقلق، واختلاط العقل، والوسواس، والرعشة، والصرع، والسُبات...إلخ)، وأعراض هضمية كالقيىء، والإسهال، ووجع والتهاب بالبطن والأمعاء...

- تشابه الأعراض التي تظهر على المريض بين غالبية النباتات السامة، وبالتالي صعوبة استقصاء نوعية السم، وصعوبة إسعاف المُتسمّم في الوقت المناسب.

وبناءً على المعطيات الواردة في هذا الجدول؛ سنعمل من خلال هذا البحث على مناقشة التصور التاريخي في بلاد الأندلس على ضوء المصادر التاريخية بمقاربات علمية حديثة وفرتها الدراسات المتخصصة.

ثالثا_ التسميم الجنائي، ودوره في القضاء على شخصيات نافذة في السلطة الأندلسية:

1- التسميم الجنائي لضحايا نافذة في السلطة: يقصد به استعمال السم بقصد القتل والإضرار بالغير، وهو من الوسائل الشائعة للتخلص من الخصوم[1].

لقد اجتهد الأمراء والسلاطين عبر العصور في الحصول على أدوية مضادة للسموم، أو كما تُعرف في المصادر العربية الإسلامية بالترياق[2]، لخوفهم الشديد من أن يتعرضوا لسموم مُهلكة وقاتلة[3]، كما حرصوا على أن يتحصّلوا على تركيبات وجرعات مميتة لتصفية أعدائهم.

إنّ استعمال السموم في القتل حظي بأهمية خاصة في الاغتيالات السياسية ببلاد الأندلس خلال الفترة الوسيطية، وقد كان للجواري بالأندلس دور كبير وخطير في ذلك، بخاصة حين يحالف إحداهن الحظ، وتنجب لسيدها ولدًا، فترتقي مكانتها إلى أرقى منزلة وتصبح أم ولد[4]، أو الأميرة الأم على حد قول ليفي بروفنصال[5]، لما تنعم به من مزايا عن الجارية العادية التي لم تنجب، وللمحافظة على تلك المكانة، وطمعا في العرش لأولادهن؛ فقد دأبت نسوة القصر على الاستماتة لتحقيق أغراضهن، ويُعَدّ

1- نسيبة محمود، المرجع السابق، ص22.

2- **الترياق**: هي لفظة يونانية مشتقة من لفظتين: الأولى تريا، وهو الحيوان المسموم، وقا، وهو من النبات القاتل، ويكون معناه علة هذه التسمية النافع من الحيوانات المسمومة والأدوية القتّالة، ويسمى بالسريانية فاروقا أي مخلصا منجيا، ولهذا استحق أن يسمى بالترياق الفاروق...، ويتركب الترياق من سبعين مادة ونيف من أصل نباتي وحيواني ومعدني، كان القدماء يعتبرونه شافيا من أنواع السموم. ابن جلجل، مقالة في أدوية الترياق، تحقيق ونشر إلديفونسو جاريخو، مركز الدراسات العربية والإسلامية، قرطبة، 1992، ص9.

3- Joelle Ricordel, la thériaque au débat dans les traités arabes, Revue d'Histoire de la pharmacie, N°367, 2010, p27.

4- **أم الولد**: هي الأمة التي تلد لسيدها ولدا في ملكه سواء كان ذكرا أو أنثى، ولها أحكام تختلف عن الأمة كحق حرية العتق بعد موت سيدها، ولا يجوز بيعها في حياته. ابن قدامة موفق الدين عبد الله بن أحمد، المغني، كتاب عتق أمهات الأولاد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1985، ج10، ص411.

5- E. Levi provençal, Histoire de l'Espagne musulmane, La conquête et l'émirat hispano-Omeyade (710- 912), Maisonneuve et larose, Paris,1999, T1,p72

"**السم أو تسميم الضحية**" إحدى تلك الطرائق لكونه أنجع وسائل الحيلة والمكر الخداع، كما أنّ هذه الجريمة لا تحتاج إلى شجاعة، ولا تتطلب مجهودات عضلية، وما يميز هذا النوع الإجرامي من القتل هو أن بيئته أسرية بامتياز[1].

وإنْ كانت تُعوزنا في كثير من الأحيان نوعية المادة المستعملة في السم سواء كانت معدنية أو حيوانية أو نباتية، إلاَّ أنه تستوقفنا إشارات عدة خلال فترة الدراسة لمحاولات تسميم قاتلة أو ضحايا تمت تصفيتهم عن طريق السم؛ من بين الوسائل التي وظفتها طروب[2] لإقصاء محمد بن عبد الرحمن عن ولاية العهد، وتعيين ولدها عبد الله بدلا له دسّ السمّ للأمير عبد الرحمن الأوسط (206-238هـ/821-852م) وولده محمد، بالاتفاق مع مدبّر القصر نصر الخصيّ[3]، الذي كان مهيئا لتقبل هذا الأمر بسبب بغضه للأمير محمد وميله إلى عبد الله، وصادف أنْ وصل إلى قرطبة الطبيب الحرّاني؛ فطلب منه نصر الخصيّ أن يُعِدَّ له سما زعَافاً أي قاتلا، ومنحه ألف دينار؛ ولم يستطع الطبيب الحراني[4] الرفض لمكانة نصر الخصي في الأندلس في ذلك الوقت، لكنه تحايل في إبلاغ إحدى نساء الأمير وتدعى فجر، التي سارعت لإخبار الأمير بتفاصيل المؤامرة ليأخذ حذره، عندما قدّم نصر الشراب المسموم للأمير عبد الرحمان طلب منه هذا الأخير أن يشرب أولا؛ فذهب نصر يعتذر بعدم الرغبة فيه، وفي أنّ نفسه تعافه وتستبشعه؛ فزجره الأمير عبد الرحمن وأجبره؛ فشربه نصر مكرها، واستأذن في الخروج إلى منزله، وانطلق مسرعا في طلب الحراني صانع السم ليسعفه؛ فنصحه الطبيب بتناول

1- باسم شهاب، الجرائم الماسة بكيان الإنسان، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 33

2- كما تشير المصادر أنَّ الأمير عبد الرحمن الأوسط كان كلفا بها وكانت أعظم حظاياه عنده وأرفعهن لديه م/أحمد خليل جمعة، نساء من الأندلس، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، بيروت، ط1، 2001، ص 293

3- مجهول، تاريخ الأندلس، ص 189.

4- **الطبيب الحرّاني**: ورد عند صاعد الأندلسي بقوله : " لم يبلغني اسمه كانت عنده مجربات حسان في الطب واشتهر بقرطبة وحاز الذكر فيها/ طبقات الأمم، ص 78.

حليب الماعز، وتُشير المصادر التاريخية إلى أنَّه فرّق غلمانه في أنحاء كثيرة لكي يحضروه، ولكنه كان قد مات قبل أنْ يؤتى بالحليب[1].

إنْ كانت أغلب الدراسات ذهبت بالبحث والتفسير على أنَّ الأمير عبد الرحمان لم يسلط أي عقوبة على جاريته طروب، ولم يمسسها بسوء بدليل التزام المصادر التاريخية الصمت حيال هذه الحادثة[2]، إلاّ أن ما يهمنا من هذه الحادثة هو نوع السم المستخدم الذي كان مخصصا لقتل الأميرين، وما يستفاد من النص سابق الذكر أنَّ السم كان شديد الفعالية، وله تأثير بالغ الأثر بدليل أنّه لم ينتظر نصر الخصي مدة من الزمن حتى يُسعف نفسه فيها، والذي يجب أن ننبه إليه هو أنّ السم كان سائلا؛ فقد تناوله نصر الخصي على شكل مشروب، كما أنَّ خاصية السموم السائلة على حد قول الدارسين المختصين تكون سريعة الامتصاص مقارنة بالسموم الصلبة، والسموم المُذابة في الماء أسرع مفعولا من السم قليل الذوبان في مواد أخرى[3]؛ ويصنف كل من الأفيون والخشخاش وجوز ماثل أي (الداتورة) من النباتات السريعة الذوبان في الماء.

ولا يُستعبد أنّ الطبيب الحراني استعمل سما نباتيا في القضاء على نصر الخصي، استنادا إلى بعض المعطيات القيمة التي زودنا بها ابن جلجل؛ فهو يؤكد أن نبات بستان أبروز "هو أول من عَرَّفه بالأندلس مع ولده أحمد بن يونس الحراني"[4]، وتكمن خاصية هذا النبات في أنَّ "ماءه إذا شُرِبَ معصورا نفع من الدواء القتال الذي يعرف بالنبال"[5]، ممَّا يُنهض كدليل أنَّ الطبيب يونس الحراني كان له معرفة واسعة ومُعمقة حول النباتات السامة ومضاداتها، أو ما يعرف بالترياق في المصادر العربية.

1- ابن حيان ، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق: محمود علي مكي، وزارة الأوقاف، القاهرة، 1994، ص ص150-151.

2- راوية عبد الحميد شافع، المرأة في المجتمع الأندلسي من الفتح الإسلامي للأندلس حتى سقوط الخلافة الأموية (92هـ-422/ 711-1031)، معهد للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، ط1، 2006،ص115.

3- محمد مرسي عبد الله، سحر كامل، المرجع السابق، ص114.

4- ابن جلجل، المقالة الثامنة، ص14.

5- نفسه، ص 14.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ نصيحة الطبيب الحراني لنصر الخصي بشرب "حليب الماعز" لم تكن من فراغ؛ فقد أثبتت الدراسات العلمية المعاصرة مدى قدرة حليب الماعز في تدمير وتعطيل عمل البكتيريا، وحماية الجسم من السموم، كما أنه يقوم بدور فعال في حماية القلب والأوعية الدموية نظرا لاحتوائه على مادة البوتاسيوم؛ فهو ملح معدني أساسي يحافظ على ضغط الدم الطبيعي، ويمنع تصلب الشرايين، علاوة على أنّ له تأثيرا مباشرا في عملية التخفيف، وتخليص الكبد من السموم[1]، ويكمن دور حليب الماعز في جسم الإنسان في أنَّ له تأثير فعال في حماية الأغشية المخاطية من تأثير السم[2]، ويبدو أنّ أطباء الفترة الإسلامية قد أدركوا هذه الخاصية؛ ولهذا يتكرر وصفه في معالجتهم الطبية؛ حيث نصح ابن الخطيب بشرب لبن الماعز في بعض النباتات السامة كنبات عنب الثعلب، جوز ماثل، ويعرف بالداتورة، وجوز القيء[3].

1- السموم الوحيّة[4] (السموم سريعة القتل): إذا تعرض أو شرب صاحبها جرعة مفرطة؛ فإن الأعراض فيها تتطور بسرعة كبيرة لتنتهي بالوفاة، إذا لم يُسعف المُصاب سريعا؛ حتى أنّها تعرف بسّم الساعة[5].

ويبدو أنّها كانت مطلوبة لدى طبقة الأعيان والوجهاء والسلاطين للتخلص من مناوئيهم؛ فهو "أخفى سلاح الغوائل، وأبلغها مُرادا، وأقربها مأخذا في تلف العدو"[6]، وما يميز السموم الوحية عن بقية

1- إيمان محمد عبد الناصر، لماذا حليب الماعز؟، مجلة أسيوط للدراسات البيئة، مركز الدراسات والبحوث البيئية، جامعة أسيوط، عدد 34، يناير، 2010، ص3.

2- محمود مرسي عبد الله وسحر كامل، الموجز في الطب الشرعي وعلم السموم، ص125.

3- ابن الخطيب، عمل من طبَّ لمن حب، ص264.

4- الوحيّة: أي الوحي على وزن فعيل: أي سريع، الوحَى يعني العجلة، ويقال موت وحي أي سريع، والوحاء يعني الإسراع، و قالت العرب: توحَّ يا هذا في شأنك أي أسرع، ووحَّاء توحِية أي عجّله، ووحى فلان ذبيحته أي ذبحها ذبحا سريعا. ابن منظور، لسان العرب، مج 15، ص382.

5- الساعة: اسم للوقت الذي تصعق فيه العباد، والوقت الذي يُبعثون فيه وتقوم فيه القيامة، سميت ساعة لأنّها تفاجئ الناس في ساعة؛ فيموت الخلق كلهم عند الصيحة الأولى. ابن منظور، لسان العرب، مج8، ص169.

6- شاناق الهندي، كتاب شاناق في السموم والترياق، ترجمة: العباس بن سعيد الجوهري، تحقيق ودراسة يسري سلامة، معهد المخطوطات العربية، الإسكندرية، 2014، ص93.

السموم أنها أشد ضرراً وتلفاً، خصوصا إذا تدخل الإنسان بتدبيرها "باللطف والحِذق والبيان"[1]؛ فقد سَعى الأمراء والسلاطين في طلبها؛ فالأمير علي بن يوسف المرابطي (500-537هـ/ 1106-1143م)[2] طلب من ابن زهر أنْ يصنع له سمًا وحيًّا لطيفا؛ لكنه استطاع أنْ يُخلص نفسه من مشقة صنع هذا السم[3]، وإنْ كانت إحدى الدراسات قد استبعدت أنْ يكون الأمير علي بن يوسف لجأ إلى سياسة القتل في تصفية خصومه لطبيعته المسالمة[4].

على الرغم من حرص الخلفاء والسلاطين خلال الفترة الإسلامية، وحذرهم من استعمال بعض الوسائل الطبية إلاَّ بحضور الطبيب الخاص بهم خصوصا فيما يتعلق بعملية الفصد[5]؛ حيث أشار أحد المؤلفين في هذا المجال إلى: "إنّه لما شاع عند أكثر الأمم عند العرب والعجم أنَّ أكثر من ذهب من ملوكهم بالاغتيال؛ إنّما ذلك من أجل السمايم المَوْضوع لهم في مبضع الفصد؛ فوجب على سائر الملوك العظماء والسلاطين الأجلاء أن يكونوا من ذلك على غاية الحرز والتوقي، وكذلك لمّا أكثر ملوك الأمم والخلفاء لا يُفصد واحد منهم دون حضور الطبيب اتقاء من أن يحدث حادث رديء؛ فيتدارك الطبيب معرفة ذلك بين يديه"[6].

1- المصدر نفسه، ص101.

2- هو الأمير علي بن يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن تُرقوت بن وارتقطين بن منصور بن مصالة بن أمية بن وارتْملي بن تمليت الصنهاجي اللمتوني، تسمى بأمير المسلمين وسنه ثلاث وعشرون سنة، ملك جميع بلاد المغرب من مدينة بجاية إلى بلاد السوس الأقصى، وجميع بلاد القبلة من سجلماسة إلى جبل الذهب من بلاد السودان، وبلاد الأندلس شرقا وغربا، والجزائر الشرقية وميورقة ويابسة، ملك من البلاد ما لم يملكه أبوه. ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب، ص199.

3- ابن زهر، التيسير، ص251.

4- عصمت عبد اللطيف دندش، أضواء جديدة على المرابطين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1991، ص173.

5- الفصد: هو إخراج مقدار من دم المريض بشق وريده أو بزله بقصد علاجه. الرازي، أبو بكر محمد بن زكريا، المنصوري في الطب، تحقيق حازم البكري الصديقي لبيب، منشورات معهد المخطوطات العربية، الكويت، 1987، ص562.

6- الحسن بن أبي ثعلب ابن المبارك ، كتاب المنقذ من الهلكة في دفع مضار السموم المهلكة، ورقة 59. مخطوط على الشكبة العنكبوتية من موقع : https://www.wdl.org/ar/item/4284. ملاحظة: المخطوط حقق من قبل الباحث محمد منتصر مسلماني بكلية معهد التراث العلمي العربي بحلب ، سنة 2010، وهي رسالة ماجستير مرقونة، لتعذرنا في الحصول على النص المحقق اعتمدنا على النسخة المخطوطة.

غير أننّا نجد الأمير عبد الله بن محمد (275-300هـ/888-912م) قد قام بتسميم أخيه المنذر (273- 275هـ/886-888م) بأبلغ وسائل السم في تلك الفترة، وذلك أنَّ المنذر بن محمد أراد الفصد؛ فتحايل الأمير عبد الله عليه بأنْ "واطأ عليه حَجّامه بأنْ سَمَّ له المبضع الذي فصدهُ به، وهو نازل بعسكره على ابن حفصون"[1]، إذْ السم بهذه الطريقة ذو أثر بالغ وسريع، ولا يوجد أي ترياق يوقفه لأنَّ السم يسير في عروق الضحية بشكل سريع، ومفعوله يكون أيضا قويا، من السهل قتل الضحية، لكن من الصعب إثبات الجاني في فترة تعذّر فيها وجود الوسائل المتطورة لكشفها.

كما وقفنا على إشارات مقتضبة لضحايا تمت تصفيتهم بسبب المنافسة، والسجن يعتبر مكانا آمنا لتنفيذ هذه الجرائم؛ فالأمير عبد الله المذكور أعلاه لم يهنأ له بال حتى تخلص من أخيه الثاني المسمى بالقاسم ابن الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم، اكتفى ابن الأبار بالقول: "إنّه مات في حبسه مسموما"[2]، بينما قال ابن عذاري إنّه "تناول جرعة زائدة من دواء منوم؛ فأصبح رهن الحِمام" على حدّ قوله[3]، والفقيه أحمد بن سعيد بن كوثر الأنصاري الذي ولي الأحكام بطليطلة مع يعيش بن محمد؛ فاستثقله هذا الأخير ودبّر قتله؛ فمات معتقلا بشنترين مسموما سنة 403هـ/1013م[4].

لقد اختلفت الروايات وحامت الشكوك حول الكيفية التي توفي بها الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي (ت 372هـ/982م)[5]، هل قُتل خنقا بالسجن أو دُسّت له شَرْبة مسمومة؟"[6]، إلاّ أنّ المتأمل

1- ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص156.

2- ابن الأبار، الحلة السيراء، ص78.

3- ابن عذاري، المصدر نفسه، ج2، ص151.

4- ابن بشكوال، الصلة، ج1، ص34

5- **الحاجب جعفر المصحفي**: هو جعفر بن عثمان بن نصر بن قوى بن عبد الله بن كسيلة، من بربر بلنسية، كان من أهل العلم والأدب، وكان شاعرا مرهفا من أشعر شعراء الأندلس، ولي جزيرة ميورقة أيام الناصر، ثم استوزره المستنصر، وأصبح من أكبر رجال دولته، وبعد وفاة المستنصر تولي الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر عمل الحيلة حتى أوقع به، وتمّ سجنه سنة 382هـ/ 992م. ابن الأبار، الحلة السيراء، ص147.

6- ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص270.

في مختلف هذه الآراء يرى أنَّ ميتته المفاجئة جاءت في توقيت كان المنصور بن أبي عامر في أمسّ الحاجة إليها.

يحتفظ لنا عبد الواحد المراكشي بحادثة بليغة الأثر في هذا المجال؛ فقد بلغ جبروت المعتضد بن عباد إلى مكة نفسها، حين قام بتسميم رجل أعمى من بادية إشبيلية رحل إلى مكة تاركا موطنه لأن المعتضد بن عباد وضع يده على ماله فقهره؛ فبلغ المعتضد أنَّ هذا الرجل يدعو عليه هناك؛ فقام بإرسال دنانير مطلية بالسم، وأرسلها مع من يريد الحج في تلك السنة؛ فأنكر الأعمى هذا الصنيع من قبل المعتضد، وقال قولته المشهورة: "ظلمني بإشبيلية، ويتصدق علي بالحجاز[1]"، ويواصل عبد الواحد المراكشي في سرد تفاصيل الحادثة فيقول: إنّ الرجل الأعمى أخذ الحُقّ (محفظة الدنانير)، وقام بفتحه، "وعَمِد إلى دينار من تلك الدنانير فوضعه في فمه، وجعل يقلب سائرها بيده إلى أنْ تمكن منه السم؛ فما جاء الليل حتى مات"[2].

من خلال عرض ما سبق يتضح لنا جليا أنَّ السموم الوحيّة كانت من أنجح الأسلحة الفتاكة في التخلص من الخصوم والأعداء وفي الأشخاص غير المرغوب فيهم في الجهاز السلطوي.

ب- السموم البطيئة (المزمنة): يتفق الدارسون بأنها التي تؤخذ بجرعات صغيرة متتالية من السم خلال مدة طويلة من الزمن قد تمتد لسنوات؛ حيث يتراكم السم في الجسم، وتزداد نسبته تدريجيا حتى يبلغ حدا كافيا لظهور الأعراض[3].

تتضح لنا فصول التسميم الجنائي مع جارية عايشت الفترة المرابطية تدعى قمر كان لها دور كبير في قتل إحدى الجواري بالسم البطيئ، ويروي لنا ابن زهر تفاصيل الحادثة بقوله: "كانت عند الشقي علي بن يوسف جارية تسمى الثريا، أصابها عَقْرٌ في أمعائها الدقاق، وتبع ذلك إسهال مفرط وعصار، وكلما رمتُ علاجها أعياني حتى أتت عليها نيّف على أربعين يوماً، وقد حرت في علتها؛ فإني كنت أحسن

1- المُعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص 144.

2- نفسه، ص 144.

3- نسيبة محمود، الأحكام المتعلقة بالسموم، المرجع السابق، ص 26.

الظن؛ فإذا أمعاؤها قد انسلخت طبقتها الداخلية، أعني موضع العقر، وخرجت مع الإسهال الطبقة الواحدة أزيد من شبرين طولا؛ فأوقفني الصقلبي عليها، وعجبت من حدة خلط يبلغ إلى هذا، ويؤثر هذا التأثير العظيم دفعة. تيقنت أنَّ قمر حظيته الأعز عنده من صواحبها سَمَّتها؛ فلم يكن فيها حيلة، وماتت من علتها تلك"[1]؛ رغم أنَّ النص الذي بين أيدينا يفتقر إلى نوعية السم المستخدم في قتل الجارية، إلاّ أنّه يزودنا بتفاصيل مهمة تمثلت في الأعراض التي صاحبت الجارية حتى الموت نلخصها في النقاط التالية:

1- النص يكشف أنَّ السُّمَ كان له تأثير بطيء في جسد الجارية؛ فهي عانت أكثر من أربعين يوما بعد ظهور الأعراض عليها، وفحص ابن زهر لها.

2- التباس الأمر على ابن زهر لما ظنَّ أنَّ هذه الآلام والأعراض ناتجة عن مرض السَّحَج[2] الذي يظهر في الأمعاء لخلط حاد؛ إما صفراوي أو بلغمي، فخطورة هذا السّحج أنّه يقرح ويجرح الأمعاء.

3- إسهال حاد ومفرط مزّق جسد أمعاء الجارية؛ مع عصار شديد فقدت به الجارية كلَّ سوائل الجسم؛ بسبب العقر الذي بالأمعاء.

4- انسلاخ الطبقة المخاطية للأمعاء (muqueuse intestinale)، وخروجها مع الإسهال، وهو الذي أكدَّ للطبيب ابن زهر أنَّ الجارية قد تعرضت لسم حاد.

إنَّ جمهور أطباء تلك الفترة أدركوا تماما أنَّ السّحَج الذي يحدث لسبب خارجي "يكون بشرب الدواء المسحج بإفراط فِعْلِه وحدّتِه"[3]، وقد عَمَد أطباء تلك الفترة على تسمية السموم بالأدوية، ونستدل على ذلك بقول ابن شاناق: "ونُسّمي عند ذكر كلّ سُمّ نُسميه دواءً، لئلا يشيع ذلك عند

1- ابن زهر، التيسير، ص250.

2- السَّحَج: السّحَج بالفتح، أي القشر، يقال: سحجت جلدة فانسحج، أي قشرته فانقشر، وهي الجراحات الطرية التي تحدث في سطح الأمعاء بمواد حادة حرِّيفة تمرُّ عليها؛ فتقرحها وتَسَلخها. محمد ياسر جميل زكور، المرجع السابق، ص273.

3- ابن الجزار القيرواني، المصدر السابق، ص346.

العامة"[1]، ومن خلال تتبع الملاحظات السريرية لهذا المرض عند ابن زهر وغيره من الأطباء، نجدهم يؤكدون "أنَّ الطبقة المخاطية للأمعاء ما لم يُصِبها عقْرٌ يُرجى شفاء العليل منها، أمَّا إنْ "نالها العقر، وأفرط فيها؛ فلا يجب أن تتخيل برء أحد"[2]، وهو نفس الرأي الذي يذهب إليه ابن رشد لما يتحدث عن فتق الصفاق (التهاب الغشاء الداخلي للبطن) بقوله: "فتخرج الأمعاء من هنالك بسبب تناول دواء قتال"[3]، لهذا السبب اعتنى الأطباء في الفترة الوسيطية بالأمراض المتعلقة بالمعدة وآفاتها[4]، وأكدوا على ضرورة علاج سّحج الأمعاء لأنَّ تقادمه بصاحبه يتطور إلى قرحة متعفنة، تخرق الأمعاء؛ فتؤدي به إلى الموت على حد رأي ابن الجزار[5].

تجدر الإشارة إلى أنَّ الأعراض التي صاحبت هذه الجارية تتوافق مع ما يعرف اليوم في الطب الحديث بالالتهاب المعوي الناخر التسممي (ileite nécroisante toxique)[6]، ونظرا لافتقار المعطيات التاريخية، وصمت الأطباء عن تقديم معلومات أكثر لحساسية الموضوع، وعدم التعرّف على نوعية السُّم الذي فتك بالجارية ثريا سواء كان نباتيا أو معدنيا أو حيوانيا، سنكتفي بإحصاء مجموعة من العقارات النباتية التي لها الفعالية في علاج السّحج قبل فوات أوانه.

لقد وصف الأطباء مجموعة من الأدوية النباتية التي لها دور فعال في إيقاف الإسهال والزحير، وخروج الدم الكائن من القروح والسّحوج في الأمعاء: كلحاء الإهليلج الهندي والكابلي، والشعير المقشر،

1- شاناق، المصدر السابق، ص120.

2- ابن زهر، التيسير، ص253.

3- ابن رشد، الكليات في الطب، ص234.

4- ظهرت مؤلفات حول بعض الأمراض، كابن الجزار الذي خصص كتابا مستقلا عن المعدة موسوم بـ"كتاب في المعدة وأمراضها ومداواتها"، تحقيق سلمان قطاية، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1980.

5- ابن الجزار، المصدر نفسه، ج1، ص348.

6- عبد الخالق بن رجب ونجاة الغَزَواني، المرجع السابق، ص58.

ونبتة الجلنار، وورق الورد الأحمر، وقشور الرمان، والصمغ العربي، وعفص البلوط...، وما يميز هذه النباتات أنها تقوي المعدة الرخوة، وتساعد في القبض والتجفيف والتغرية والتشديد[1].

ويبدو أنّ الفترة المرابطية كانت حافلة بأحداث القتل الجنائي؛ لتنتقل مشاهد أحداثها هذه المرة إلى حواء زوجة الأمير تميم أخي علي بن يوسف المرابطي، الذي كان واليا على كورة إشبيلية، وكانت تخطط للحجر عليه، والاستيلاء على ممتلكاته وأمواله؛ فقامت بتسميم زوجها باتفاق مع من كان حوله من الخدم، وذلك عن طريق وضع لحم متعفن في آنية الماء التي يشرب منها تميم، ويفصح لنا ابن زهر عن طريقة اللحم ليصير سما بقوله: "ذلك أنَّ الذي كان يُسقاه لحم مجفف كان قد عُفّن أقذر تعفين، ثم جُفّف وسُحق، وكانوا يَصرّونه ويَسْقُونه في الآنية"[2].

إنَّ هذه الواقعة تكشف أنَّ تميما قد تعرض لتسميم مزمن، وذلك بتلقيه جرعات صغيرة متتالية من السم خلال فترة معينة من الزمن، كلما شرب من تلك الآنية؛ وبهذه الطريقة يتراكم السم في جسمه، وتزداد نسبته تدريجيا حتى بلغ حدًا كافيا لظهور الأعراض المرضية عليه، والتي تمثلت في التوهم والكرب والجزع، وفكرة الموت التي استولت على عقله؛ بالإضافة إلى عدم القدرة على الحركة والكلام بسهولة[3]، ويشخص ابن زهر ملاحظته السريرية بقوله إنَّ الحالة التي وصل إليها الأمير تميم تعود إلى صعود أبخرة رديئة إلى الدماغ؛ ما سبّب له هذا الوسواس؛ فقد جاء على لسانه: "فكان الرجل ما دام ذلك في معدته وما حولها تصعد منه أبخرة سوء إلى دماغه؛ فكان يتوسوس"[4]، وإنْ كان الطب الحديث اليوم يرفض بشدة التفسير الذي وضعه ابن زهر، إذ لا يوجد شيئ في الطب الحديث ممّا ذكره ابن زهر؛ فما ثبت في الدراسات المعاصرة هو أنَّ الأبخرة الرديئة تخرج على شكل غازات وريح عن طريق فوهة الشرج، أو تخرج بالتجشؤ عن طريق الفم، ورغم خطأ التشخيص الذي وقع فيه ابن زهر

1- ابن الجزار، زاد المسافر، ج1، ص350-351.

2- ابن زهر، التيسير، ص97.

3- نفسه، ص97.

4- نفسه، ص98.

قياسا على الطب الحديث؛ إلاَّ أنَّه لم يجانب الصواب لمّا قدم للأمير تميم مجموعة من الأدوية النباتية التي ساعدته على تحسين مزاجه، تمثلت في "ماء الورد، وعصارة التفاح مع يسير من النعنع على نزر يسير من الصندل ومصطكى مسحوقين"[1]، كون أنَّ هذه النباتات تدخل في نطاق الأدوية البازهرية أو المخلصة من السموم، وتكمن وظيفتها أساسا في التغيير والإحالة عن الكيفية المضادة للشيء الذي يتغير ويستحيل، وبفضل هذه الأدوية يتحول الدواء السام في الجسم المريض إلى مزاج معتدل[2]، والأمر يتوقف على الجرعة المُقدّمة للمريض، التي يجب أن تفوق جرعة السم، وتتفوق عليها من حيث المفعول[3].

يبدو أنَّ تجارب ابن زهر والخبرة التي اكتسبها في تطبيب السلاطين، وما تعرضوا له من مصائب، وما يكيدون من مكائد، قد صقلت مهارته الطبية في التفريق بين الأمراض العادية التي تأتي نتيجة سبب داخلي كسوء مزاج في الخلط على حدّ معرفتهم في تلك الفترة، أو أمراض لأسباب خارجية نتيجة تعرضهم لسموم موجعة، وما ينهض دليلا على ذلك هو تفطنه لظهور اليرقان المفاجئ، وسقوط شهوة الطعام لسير بن علي بن تاشفين نتيجة تناوله طعاما مسموما؛ حيث استطاع ابن زهر علاجه من خلال إعطائه عُصارة الدلاع مع دواء معدني مُتمثل في حجر الباذزهر[4]؛ ممّا يعني أنَّ ابن زهر استعمل دواء مركبا بين نباتي ومعدني؛ فيفسر لنا سبب هذا المركب بقوله: "قابلت المزاج بمزاج، وقابلت جملة الجوهر بجملة جوهر؛ فبرئ برءا تاما"[5]، وهكذا استطاع سير بن علي أنْ يفلت من فتْك السُّم به،

1- ابن زهر، التيسير، ص98.

2- ابن وافد الأندلسي، كتاب الأدوية المفردة، ص22.

3 -Talmud Jérôme, Une page médiévale de l'histoire de la pharmacie avec le Traité des poisons Moïse Maïmonide 1204-2004:contribution à la commémoration du 800e anniversaire de sa mort, n°344,200 4, p 273.

4- حجر الباذِزهر: هو حجر يؤتى به من خراسان، له ألوان وأصناف منها الأصفر والأغبر والمُشرَب بخضرة والمُشرَب ببياض، وأجوده الأصفر، وتكمن منافعه في أنّه نافع من السموم النّباتية والحيوانية، ومن عض الهوام ونهشها، وإذا شُرب منه مسحوقا وزن اثنتي عشر شعيرة خلّص من الموت...، وهو حجر شريف لا تخلو منه خزائن الملوك. الغساني، حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار، صص68-70.

5- ابن زهر، التيسير، ص195.

ويظهر أنَّ جسمه قد اكتسب مناعة جيدة لمقاومة السموم؛ فهي ليست المرة الأولى التي تعرض لها بالسم.

وينفرد ابن زهر كعادته بخبايا البيت المراطبي بقوله: "فإنّه كثيرا ما كانت البلايا وضروب الشر بالسموم تتعاهده وتتوالاه"[1]؛ فسير بن علي كان المرشح الأول لولاية العهد بعد أبيه، لكن وفاته المفاجئة سنة 531هـ/1136م، التي كانت تحمل الكثير من الغموض والشكوك، أدت إلى نقل ولاية العهد إلى أخيه تاشفين.

الجدير بالذكر أن بعضا من أطباء اليهود في الأندلس كان لهم ضلع كبير في عملية القتل بالسم نظرا لامتلاكهم مهارة عالية في هذا المجال، وتغييبهم الجانب الأخلاقي في مهنتهم؛ فتعمدوا قتل مرضاهم من المسلمين، ومثل هذه التجاوزات التي كانت تصدر من طرفهم أثرت على سمعتهم في الوسط الأندلسي[2]، وقد شددّ عبد الملك بن حبيب الإلبيري (ت 238هـ/853م) على ضرورة تدخل السلطان لكشف الطبيب النصراني، وكشف الدواء الذي سُقي به المسلم بقوله: "إنَّ أطبّاءهم يتعمّدون سقي المسلم ذي القدر في الإسلام ما يقتله به؛ فأولى للسلطان أنْ يشتدّ في ذلك على من مات منهم على أيديه، ويبالغ في الشدّة عليه في الضرب والحبس، والكشف على الدواء بعينه"[3].

لم يخفِ الأمير الموحدي أبو يوسف يعقوب بن يوسف المنصور (580-595هـ/1184-1199م) مخاوفه وشكوكه نحوهم، ولهذا عُرف عهده بالتضييق عليهم بقوله: "إنما اليهود عندنا يُظهرون الإسلام بالمغرب، ويصلون في المساجد، ويُقرؤونن أولادهم القرآن، جارين على ملتنا وسنتنا، والله أعلم بما تُكنُّ صدورهم، وتحويه بيوتهم"[4].

1- ابن زهر، التيسير، ص195.

2- الخالدي خالد يونس عبد العزيز، اليهود في الدولة العربية الإسلامية في الأندلس (92-897هـ/711-1492)، دار الأرقم، غزة، 2011، ص455.

3- ابن حبيب الإلبيري القرطبي عبد الملك، العلاج بالأغذية الطبيعية والأعشاب في بلاد المغرب أو مختصر الطب، وضع حواشيه وعلقّ عليه، محمد أمين الضنّاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004، ص32.

4- عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص435.

وقد أكد على ذلك شعراء الأندلس، ومن ذلك ما قاله ابن جوزي:

وَرُبَّ يَهُـودِي أتَـى مُتطبّبـًا   ليأخذ ثارات اليهـودِ مِنَ النَاسِ

إذا جَسَّ نَبْضَ المَرءُ أَوْدَى بنَفْسِه   سَرِيعاً، ألمْ تَسْمَع بفَتْكَةِ جسّاس[1]

ونجد صدى هذا التصور في كتب الحسبة التي تحذر من مخاطر التطبيب عند الأطباء اليهود والاطمئنان إليهم؛ فهذا ابن عبدون يقول: "فإنهم لا يرون نصيحة مسلم، إلا أنْ يُطببوا أهل ملتهم، ومن لا يرى نصيحة مسلم، كيف يوثق على المُهج؟"[2]، والواقع التاريخي يثبت ذلك؛ فقد أورد لنا أحد المتأخرين من أهل مكناس نازلة أندلسية تعود إلى أواخر القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي طرحت على ابن المكوي الأندلسي[3]؛ حيث أنّه "سئل عن مملوكة جعلت عند يهودي ليطبها؛ فضاعت عنده"[4].

إنَّ ورود مثل هذه الفتاوى في كتب الفقهاء لدليل قاطع على التجاوزات التي كانت تمارسها هذه الفئة من الأطباء من جنس اليهود على المجتمع الإسلامي، ومن ضحاياهم أيضا "موسى بن معروج الذي حاول أنْ يستقل بغرناطة عن دولة المرابطين؛ فدُّس إليه يهودي ينتحل الطب، سقاه يوم الأربعاء، ودفن يوم الجمعة"[5]؛ ويبدو أنّ الجواري واليهود كانوا بمثابة ورقة راهنت عليها الدولة لتصفية المناوئين، لم يسلم الفقهاء من أيدي اليهود خلال حقبة الدراسة، إذْ ممّا ذكرته المصادر أيضا أبا سعيد

1- المقري، نفح الطيب، ج8 ص77.

2- ابن عبدون، ثلاث رسائل في الحسبة، ص57.

3- **ابن المكوي الأندلسي**: هو أبو عمر أحمد بن عبد الملك الإشبيلي المعروف بابن المكوي مولى بني أمية، أحفظ الناس لقول مالك، رئيس فقهاء الأندلس في عصره، جمع للخليفة الحكم المستنصر مع علماء آخرين كتاب الاستيعاب، وتوفي سنة 401هـ. الحميدي أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2008، ص191.

4- المعداني المكناسي أبو علي الحسن بن رحال ، كشف القناع عن تضمين الصنّاع، دراسة وتحقيق محمد أبو الأجفان، الدار التونسية للنشر، تونس، 1986، ص104.

5- ابن عذاري، المصدر السابق، ج4، ص76،77.

بن لب الذي قدّم له طبيب يهودي دجاجة اقتصر على ماء الورد في إنضاجها، بعد أنْ أوهمه أنَّ عملها على تلك الطريقة مما ينعش قوته ويُنهضها؛ فتسبب في موته[1].

وعلى غير عادة النصوص، نجدها هذه المرة تصرّح باسم السم الذي أدى إلى وفاة الضحية، والمتمثل "في ماء الورد"، إلاّ أنَّ المتمعن في فاعلية ماء الورد، وحسب ما ثبت في المصادر الطبية لتلك الفترة، وما اتفقت عليه هو أنَّ شراب الورد أو ماء الورد من فوائده أنه يقوي المعدة، ويُمسِك القيئ لخاصية البرودة والقبض التي فيه[2]؛ كما أنّه ينبه الحواس الخمس، ويبسط النفس، وينفع خفقان القلب شمّا وطلاء وشربا، وينفع من الخفقان الحار، ويسكن الصداع، ويقوي الجسم بعطريته وقبضه، وينفع من نفث الدم[3].

تذكر المصادر أنه من شروط الحصول على ماء الورد المثالي: "أنْ يكون الماء الذي طُبخ فيه الورد كأنه الورد بعينه في القوة، والماء الذي طبخ فيه الريحان كأنه هو"[4]، ممّا يوحي بكثرة كمية الورد حتى يتناسب مع الماء، علاوة عل ذلك لم نقف خلال الحقبة المدروسة، وعلى حسب ما توفر لدينا من مادة على أيّة إشارة تدل على أنَّ ماء الورد له خاصية سُمية؛ فقد عوّل عليه معظم أطباء الفترة في وصفاتهم الطبية، ولا سيما المتعلقة منها بتقوية المعدة وأمراضها[5].

وهو ما يجعلنا نتساءل عن نوعية الورد المستخدم في إنضاج الدجاجة حتى أكسبها خاصية سُمّية أهلكت أبا سعيد ابن لب؛ فإذا كان الورد معروفا عند العامة على حدِّ تعبير أبي خير الإشبيلي، "إلاّ أنّ الورد عند الناس نَوْر نباتٍ مَعروف، وأنواعه كثيرة، وهو جنس لما يَقع تحته من الأنواع، ومنه بُستاني

1- ابن عاصم الغرناطي، جنة الرضى، ص128-129/اليهود في الأندلس، المرجع السابق، ص455.

2- الهاشمي، المجالس في الطب، ص142/ابن الجزار، زاد المسافر، ج1، ص338.

3- ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدية و الأغذية، ج4، ص418.

4- ابن زهر، التيسير، ص484.

5- ابن الجزار القيرواني، زاد المسافر، ج1، ص338،339/ابن رشد، الكليات في الطب، ص316/ابن زهر، التيسير، ص249.

مُضعّفٌ وغير مُضَعّف، ومنه: بريّ وجبليّ وأصفرُ الزهر وأكحل وأبيض كافوري وأحمر قانئ"[1]، كما أنَّ الأندلسيين عُرفوا بحبّ الورود، والتغني بجميع أنواعها في مجالس أُنْسِهم وأشعارهم، والتهادي بها في مناسباتهم[2]، حتى أنَّ قرطبة عُرفت بالجوف الشمّام، والشمّام عندهم هو جبال الورد[3].

أوردنا هذه المعطيات حتى نُبيّن أن الورد معروف عند أهل الأندلس؛ فلا يخفى هذا الأمر أيضا على ابن لب المجني عليه؛ ممّا يجعلنا أمام مجموعة من الفرضيات: إما أنَّ الطبيب وضع مادة سُمّية أخرى مع ماء الورد حتى أكسبه خاصية السمّ؛ أو أنَّ الورد المستعمل في الوصفة- وأوهم به أبي سعيد ابن لب- هو نَوْرٌ لنباتات سامة قاتلة، واستعملها صاحب النص بالصيغة العامة من دون تخصيص، إماًّ لجهله بها أو حتى لا يشيع استعماله لدى النفوس الضعيفة، وما يقوي هذه الفرضية هو المفهوم اللغوي للورد فيقال: "لِنَوْرِ كلّ نبات ورد، وورد كل نبات نوره وزهره"[4]، ولهذا نرجّح أنَّ ابن لب تسمّم من ماء ورد استخرج من نبتة سامة، خصوصا إذا علمنا أنَّ أفتك النباتات السامة المصنّفة من الدرجة الأولى في كونها قاتلة بامتياز، وتحتوي على أزهار جميلة مثل نبات البيش والدفلى والخشخاش وخانق الذئب، وزهرة ست الحسن، وزهرة الزئبق وزهرة النرجس[5].

قلمّا تصرح المصادر التاريخية بنوعية السم واسمه؛ حتى لا يشيع استعماله لدى العامة، أو لعزوف المؤرخين عن التثبت في مثل هذه القضايا؛ فما هو متوفر من معلومات يحمل في مجمله طابعا سرديا لضحايا تمت تصفيتهم عن طريق السم، ولكن لم يمنع الدراسة أنْ تقف على نوع سام من

1- أبو الخير الإشبيلي، عمدة الطبيب في معرفة النبات، ج2، ص615.

2- وصل الأمر بالأندلسيين إلى أن تهادوا الورود في زمن البرد والشتاء. ينظر هذا الخبر في ترجمة جعفر بن عثمان المصحفي. ابن الأبار، الحلة السيراء، ص151.

3- المقري، نفح الطيب، ج1، ص154.

4- أبو الخير الأشبيلي، ج2، ص615.

5- ينظر: مظفر أحمد الموصلي، النباتات السامة، ص ص284، 340،246، 339، 349.

نبات استخدم للفتك بالضحية؛ فقد تمّ تصفية محمد بن عبد الرحمن المستكفي[1] من قبل أحد الثوار المدعو عبد الرحمان بن محمد بن السلم بقرية شمنت أو شمونت بالقرب من مدينة سالم؛ حيث يفيد المؤرخون أنَّ هذا الجاني أخذ شيئا من نبات يقال له البيش، وهو كثير في ذلك البلد؛ فدهن به دجاجة بعُصارة ذلك النبات؛ فلما أكلها المستكفي مات لوقته[2].

لقد اتفقت المصادر الصيدلانية والنباتية حول سُمِّية نبات البيش، والذي عرف بمسميات مختلفة في بلاد الأندلس؛ فهناك من يرى أنّ هذا النبات هو النبال، ويعرف في عجمية الأندلس باسم نبّاله[3]، ويرى أبو الخير نقلا على لسان ابن سمجون أنَّ هذا النبات هو نفسه نبات الطوره، أما عن حِلْيَته فيقول: "إنّه نوع من الشجر، وأنَّ ورقه شبيه بورق الدفلى، في طعمه حلاوة، وتكثر منابته في المناطق الباردة، وهو كثير بالثغر الأعلى في كل من بلغي والمنتشون وماردة وناحية جيان وشلير"[4].

وتؤكد المصادر التاريخية ذلك حيث يذكر عبد الواحد المراكشي أنّ نبات البيش كثير ببلاد الأندلس[5]، ويتواجد كثيرا بناحية الثغر الأعلى[6]، ولذلك نجد أنَّ المصادر الأندلسية بنوعيها الطبية والنباتية نبّهت على خطورة هذا النبات؛ فابن الخطيب قدّم لنا بعض الأعراض والعلامات لمن يشرب نبات البيش؛ كتورّم الشفاه واللسان، وتحمط العينين، والغشيان والدوار، أما أبو الخير الإشبيلي فوصفه في أكثر من موضع بأنه البيش القتّال[7]، ويذكر أنه "يدق ويعصر، ويستخرج ماؤه؛ فيقتل قتلا

1- محمد بن عبد الرحمن المستكفي بالله: بويع بالخلافة سنة 414هـ/1023م، كان يفتقر إلى الصفات التي يتميز بها الحكام، ووصف بالتخلف، قام بارتكاب جريمة في حق التاريخ وحق الأجيال من بينها هدمه لقصور عبد الرحمن الناصر المتواجدة بمدينة الزهراء، كما أمر بتخريب ما بقي من قصور المنصور بن أبي عامر بمدينة الزاهرة. الحميدي، جذوة المقتبس، ص28/عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص86/عبد القادر بوباية، البربر في الأندلس، ص356.

2- الضبي، المصدر السابق، ص30/النويري، نهاية الأرب، ص142/عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص86.

3- ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج1، ص181.

4- أبو الخير الإشبيلي، عمدة الطبيب، ج1، ص125.

5- عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص86.

6- أبو الخير ، عمدة الطبيب، ج1، ص111.

7- أبو الخير،نفسه، ج1، ص295/نفسه، ج2، ص383

وحْيًا(سريعا) ونبات الأنتيلا بازَهْر(علاج وترياق له)"[1]، وهو نفس الأمر الذي ذهب إليه ابن سمجون حيث قال: إنّه خانق وقاتل، بل إنَّ أبا الخير يصف نبات البيش بأنّه من أخبث السموم؛ لأنه يقتل وحيًا أي سريعًا، وهو أسرع نفوذا من سم الأفاعي، وإذا شمَّ طريًّا أصرع[2].

من جانب آخر نجد ابن البيطار يتفق مع جميع المصادر حول سُمّية هذا النبات، وأنّه سُمّ وحِيّ بقوله: إنَّ النوع الذي يميل إلى "الصفرة هو أردؤها وأخبثها، حار جدًا، وإذا طُلي على ظاهر الجسد أكل اللحم، وإذا سقي منه نصف مثقال قتل شاربه، وفسخ[3] جسمه، وهو أسرع نفوذاً من سم الأفاعي والحيّات"[4].

ما يمكن ملاحظته على هذا القول أنَّ ابن البيطار ينفرد بذكر خواص أخرى لأضرار نبات البيش؛ المتمثلة في تآكل لحم الإنسان إذا دهن به، وتفسّخْ البدن إذا شُرب منه، مما يجعلنا نتساءل عن مدى مصداقية هذا المفعول في نبات البيش؛ خصوصا أنّ الخبر ورد عند ابن البيطار الذي وُصف بأنَّه أوحد زمانه في علم النبات، وفي نفس الوقت إذا نقبنا في المصادر التاريخية حول موت المستكفي لا تقدم لنا الكثير، ولكن تستوقفنا إشارة عبد الواحد المراكشي لما قال: "فلما أكلها المستكفي مات مكانه؛ فغسله وكفنه وصلى عليه ودفنه"[5]، ممّا يدعو إلى التفكير أنَّ ميتته إنْ صحّ القول كانت حسنة؛ حيث لم تظهر على الجثة أعراض التآكل والتفسّخ، الأمر الذي أدى إلى تغسيله من قبل قاتله.

1- نبات الأنتيلا أو أنتلة: يُعرف بالأندلس بنبات الجدوار الأندلسي أمّا بالمغرب يُعرف عند عامتها بحشيشة ألف دينار و يسمى أيضا بكزبرة الثعلب وباسم بلوط الأرض منابته الجبال و له أصول كثيرة مخرجها من أصل واحد، ينبت كثيرا بثغر سرقسطة و ترياق يقوم مقام الترياق في علاج أوجاع البطن و الرحم، حتى أنّ الغنم إذا رعت حشيشة سامة أسرعت إلى نبات الأنتلا لتتخلص من السم/ ابن البيطار، الجامع لمفردات الأغذية والأدوية، ج1، ص 90./أبو الخير الإشبيلي، عمدة الطبيب، ج1، 295.

2- نفسه، ج1، ص111.

3- الفسخ : من الناحية الطبية هو تفرُّق اتصال المواضع الكثيفة اللّحمية من العضل/ القربيلياني محمد بن علي بن فرج، الاستقصاء والإبرام في علاج الجراحات والأورام ضمن كتاب الطب والأطباء، ص 36.

4- ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية الأغذية،ج1، ص181.

5- عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، 87.

إنَّ البحث عن أعراض البيش التي انفرد بها ابن البيطار تستدعي البحث عنها في حادثة أخرى أتت على ذكرها المصادر التاريخية من دون التصريح بنوعية المادة السامة، ولكنها تقدم لنا قناعات مؤقتة تتمسك بها الدراسة إلى غاية ثبوت العكس؛ فقد أفادنا ابن عذاري المراكشي بدس السّم إلى محمد بن إدريس الذي تولى أعمال مالقة سنة 438هـ/1046م خلفا لابن عمه إدريس بن يحي بن علي بن حمود، والذي تميز حكمه بسفك دماء البربر؛ "فوجّه له باديس بن حبوس كأس عراقي مسموم مع رجل من الكتاميين...؛ فأعجب به محمد بن إدريس، وملأه خمرا وضمّه إلى فمه؛ فأحسّ في نفسه ريبة منه؛ فأمر الكتامي فشربه؛ فتهرّأ جلده عن عظمه من حينه، وبقي هو ثلاثة أيام، ومات من رائحته في أواخر سنة أربع وأربعين وأربعمائة"[1]؛ فهل لنا أنْ نفترض أن كأس الخمر المسموم الذي تهرّأ وتفسّخ جسم صاحبه منه لما شربه ما هو إلاّ خمر مسموم بنبات البيش، أم أنَّ هناك نباتات أو سموم أخرى معدنية أو حيوانية لها نفس الخاصية لم نتوصل إليها من خلال البحث؟.

وما يلفت الانتباه خلال الفترة الوسيطية في بلاد الأندلس كونها أنموذجا لحقل هذه الدراسة أنَّ وضع السموم في الخمر يُعدُّ من أكثر الوسائل استعمالا في التخلص من الضحية بكل سهولة، لأنَّ الخمر على حدّ قول الطبيب ابن ميمون مهيأة لذلك، إذ تخفي اللون والطعم والرائحة، وهي أيضا تعين على وصول السمّ إلى القلب[2].

كما أنَّ الذي يباشر بشربها يكون قد اختلّ تمييزه، وقد كُلِّفت النساء والجواري والخدم لتنفيذ مثل هذه الاغتيالات؛ فقد دسَّ اليهودي ابن النغريلة مجموعة من الجواري لقتل بلقين بن باديس؛ فجعل السم في الكأس له؛ فرام القيء فلم يقدر عليه؛ فلبث يومين حتى مات[3]، وتذكر المصادر أنَّ

1- ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص218.

2- ابن ميمون، كتاب السموم والتحرز من الأدوية القتالة، ص48.

3- عبد الله بن باديس ابن بلقين ، كتاب التبيان، تحقيق توفيق الطيبي، منشورات عكاظ، الرباط، 1995، ص74/ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص265.

الخليفة محمد الناصر الموحدي "مات مسموما بأمر من وزرائه، دسّوا إليه من سمَّه من جواريه في كأس خمر؛ فمات من حينه"[1].

يُعدُّ القتل بالسم من أنجع الوسائل في تنفيذ المؤامرات السياسية بتوفر مرتكبيه؛ كالخدم والجواري؛ لدرجة أنَّ بعض المؤرخين كابن بسام عبروا عن عجزهم في إحصاء الحالات التي قام فيها العبيد باغتيال الأمراء حين قال: "إنَّ قتل الملوك والأئمة بأيدي الفحول من عبيدهم وأصحابهم كثير يشقّ إحصاؤهم"[2]، ولا غرابة في أن يختص الأمراء والسلاطين في استحضار الترياق طوال الوقت[3].

من الطريف أنَّ الطبيب ابن ميمون ذكر مجموعة من الأطعمة التي يُشتبه فيها؛ حيث يسهل فيها دسّ السمّ كالأطعمة الخاثرة الأمراق، ومن بين الألوان المشهورة في تلك الفترة المضيرة والليمونية أو المغيّرة الألوان كالسمّاقية والرّمانية، وما يقلى بالمرّي، أو الذي يغلب عليه طعم ظاهر الحموضة، أو ظاهر القبض، أو شديد الحلاوة، أو الأطعمة الرديئة الرائحة كالمتوكلية والبصلية، وما يطبخ بالثوم[4].

وثمة إشارات مقتضبة حول هذا الأمر؛ فقد ذكر المقري خبرًا لم يتحقق من صحته لشخص اسمه ابن معيوب[5]؛ الذي كان من خدّام أبي العلاء ابن زُهر، يزعم الناس أنه سَمَّ الفيلسوف ابن باجة لعداوته لابن زهر في الباذنجان؛ فتوفي على إثرها سنة 533هـ/1138م[6]، لا سيمّا أنّ الباذنجان يتميز بحرافته ومرارته، وعليه من الصعب تمييز طعمه في حالة إضافة أي مادة غريبة له.

1- ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب، ص241.

2- أبو الحسن علي ابن بسام الشنتريني ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998، ج1، ص303/عبد الإله بن مليح، الرقيق في المغرب و لأندلس، مؤسسة الانتشار، بيروت، ط1، 2004، ص498.

3 - Joelle Ricordel, la thériaque au débat dans les traités arabes, op.cit , p 273.

4- ابن ميمون، التحرز من الأدوية القتالة، ص47.

5- قام الوزير أبو الحسن ابن الإمام الغرناطي يهجو مراكش، ويعرض بابن معيوب بقوله:

يا حضرة الملك ما أشهاك لي وطنا ... لولا ضروب بلاءٍ فيك مَصبوب

مَـاءٌ زُعـــَاقٌ وَجــَوٌّ كُلّــهُ كـــدَر ... وأكلة من بذنجان ابن معيوب. المقري، نفح الطيب، ج2، ص12.

6- المقري، نفس المصدر، ج2، ص12.

وفي خبر بالغ الأهمية ينفرد المواعيني بإيراده نقلا عن ابن حيان الأندلسي أنَّ عبد الرحمن شنجول قتل أخاه عبد الملك المظفّر بتسميم تفاحة قدمها له[1]؛ لأنَّ مثل هذه المأكولات يخفى فيها طعم السمّ أو رائحته أو لونه أو قوامه على خلاف اللحوم التي يظهر فيها أثر السم؛ لأنّ أيسر شيء يعمل فيه يغير طعمه أو لونه أو رائحته أو قوامه[2].

من الملفت حقا أنْ نعثر على نصوص تؤرخ لأفراد من المجتمع الأندلسي تعرضوا للتسميم العمدي من قبل أقاربهم وذويهم؛ حيث سجلت لنا كتب الفتاوى مأساة هؤلاء الأفراد الذين تعرضوا لعاهات مستديمة وأمراض مستعصية غيرت واقعهم المَعيش بسبب تعاطيهم سموما كادت أن تودي بحياتهم؛ فقالت عامة الأندلس: "لِسْ يُشْرَب السُّم عن تجربة"[3].

ومن أبرز القضايا التي شغلت العامة في ذلك الوقت قضية "رجل سقى رجلا سمّا؛ فتجذم المسقي، وثبت ذلك أو أقرَّ بالساقي"[4]، كما "اختلف الفقهاء في امرأة أطعمت زوجها فأجذمته، وفي طرر ابن عات في امرأة سقت زوجها سمّا؛ فتغير لونه منه وتجذّم"[5]، ولا نستبعد أنّ ضحايا السمّ شكّلوا شريحة لا يُستهان بها، حتى الغرباء الذين زاروا الأندلس كالمقدسي لفت انتباهه تواجد عدد كثير من المجذومين[6].

إنَّ توفر مثل هذه الإشارات في كتب الفتاوى يكشف لنا جليا أنَّ المرأة في الفترة الوسيطية كان لها ضلع مهم في معرفة خبايا عقاقير السموم من أجل حلَ مشاكلها الأسرية، ولا سّيما النزاعات الزوجية

1- المواعيني الإشبيلي أبو القاسم محمد بن إبراهيم بن خيرة ، ريحان الألباب وريعان الشباب في مراتب الآداب، الخزانة الحسنية، مخطوط رقم 1406، ورقة 67.

1- ابن ميمون، المصدر السابق، ص47.

3- الزجالي، أمثال العوام، رقم المثل 1183، ص337.

4- ابن الحاج التجيبي القرطبي أبي عبد الله محمد بن أحمد ، نوازل ابن الحاج التجيبي، دراسة وتحقيق أحمد شعيب يوسفي، منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، تطوان، 2018، ج3، ص411.

5- الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، إشراف محمد حجي، وزارة الأوقاف الإسلامية للمملكة المغربية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1981، ص323.

6- المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص190.

من دون التفكير في العواقب التي تنجم عنها؛ من توترات اجتماعية ونفسية وحتى صحية؛ فالمرأة تعتبر شكلا مُصغرا للمجتمع كونها أداة فاعلة ومدعمة لتماسك المجتمع، وضبط سلوكيات أفراده من خلال القيم والمعايير الأخلاقية التي تزرعها في المجتمع، وعدم وعي المرأة بالدور المخول لها يُعدّ من أهم أسباب انهيار المجتمعات.

ثالثا_ التسميم الحربي باستعمال النباتات السّامة: تطرقت المصنفات القديمة لِمَا يسمى الآن بالحرب البيولوجية؛ فقد كشفت المصادر عن ما يسمى بتلويث مياه الأنهار بملوثات قذرة أقلها تكون سامة، وفي إشارة خاطفة وقف عليها ديسقوريدس في مقالاته الخمس على هذه المسألة بقوله: "مع أنَّ أصحاب الحرب ربما سمّوا أطراف سلاحهم، وألقوا في عيون المياه أو في الآبار عقاقير قاتلة؛ يُريدون بذلك لأعدائهم بلية، لا نجاة و لا خلاص لهم"[1].

وبالعودة إلى المصادر الإسلامية عامة والأندلسية خاصة فإنها لا تتحدث بشكل مفصل عن مسألة التسميم الحربي، ولا على كيفية تسميم الأسلحة الحربية، ولا عن توقيتها، أو الأماكن التي تُجرى فيها هذه الأمور؛ فغياب النصوص التاريخية لا يعني غياب الحادثة التاريخية؛ فثمّة إشارات تدل على استخدام هذا النوع من السلاح المسموم في استهداف أشخاص نافذين في السلطة، ومن الإشارات الدالة على ذلك قتل الأمير أبو بكر بن عمر بسهم مسموم[2]، والأمير أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن (559-580هـ/1163-1184م) الذي قتل في حملة شنترين، وتضاربت الروايات العربية والمسيحية حول طريقة وفاته[3]، كما توفي الأمير عيسى بن عبد الواحد بمدينة شريش بسهم مسموم[4]؛ فالمراد من تسميم الأسلحة هو تحقيق الموت المحقق؛ لأنّ الطعنة قد ينجو منها المُصاب إذا لم تكن نافذة، ولكن

1- ديسقوريدس، كتاب الحشائش، ترجمة اصطفين بن باسيل، مخطوط آيا صوفيا، رقم 3703، ورقة 145.

2- ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب، ص172.

3- عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، صص372- 377/الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص114/ أمبروسيو هويثي ميرندا، التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية، ترجمة عبد الواحد أكمير، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2004، ص288.

4- ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب، ص537.

السم يساعد في تنفيذ العملية بنجاح، وقد قدمّ لنا أحد الدارسين تفسيرا علميا يشرح هذه المسألة بقوله: "إنَّ بعض السهام المسمومة تقوم بعملية شلّ العضلات؛ ممّا يمنع الرئة من أداء عملها"[1]، وهكذا يتم التخلص من الضحية بكل سهولة.

يبدو أن ظاهرة تسميم السيوف كانت منتشرة في بلاد المغرب الإسلامي، وبخاصة بين البربر الذين أجادوها منذ القدم؛ فقد أشار شاناق إلى هذا الأمر بقوله: "يؤخذ عقار يسمى طَحسياقون، ينبت في بلاد الهند كلها وفي بلاد البربر، والبربر يَسُمُّون بها سلاحهم في الحروب"[2]، ويشير محقق الكتاب إلى أنَّ هذا النبات هو الطخش، وشجرُه يتواجد بجبل شَقُورَة[3]، يُتخذ منه القسيُّ، وعصير ورقه سمٌّ قَتَّالٌ وَحِيّ[4]، إنَّ هذه الإشارة تؤكد بلا شك أنَّ نبات الطخش كان له حضور قوي في عملية تسميم الأسلحة، ولا سيما أنّ أبا الخير الإشبيلي صرح عن نوع من نبات البيش الذي يُعرف بالقصب الفارسي، وينمو كثيرا بمنطقة سرقسطة، ويسمون به سهامهم[5].

رغم أهمية النص إلاّ أننا لا نعرف القصد من تسميم السهام، هل كان بغرض الصيد، وقتل الحيوانات المفترسة؟ أم أنّ هذه السهام كانت تستعمل في الحروب، غير أنَّ ابن البيطار احتفظ لنا بإشارة أخرى لها دور في إحداث تكامل وترابط بين ثغرات النصوص؛ فقد تحدث عن نبات البيش- سابق الذكر- بقوله: "وربما جعل من عصيره على النشّاب، ثم رمى به؛ فلا يصيب إنسانا إلاَّ وقتله"[6]، ممّا يُثبت يقينًا أنّ الأندلسيين استخدموا السهام والرماح المسمومة في حروبهم ومعاركهم آنذاك.

1- جون سيمونز، حياة النباتات، ترجمة أحمد خليل، دار الكتب، مصر، 1910، ص28.

2- شاناق الهندي، في السموم والترياق، ص167.

3- شقورة: مدينة من أعمال جيَّان بالأندلس، تتميز بالورد الذكي العطر، والسنبل الرومي الطيّب. الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص105.

4- نفسه، ص105.

5- أبو الخير الإشبيلي، عمدة الطبيب في معرفة النبات، ج1، ص384.

6- ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج1، ص181.

ويبدو أنَّ تسميم السهام والرماح يحتاج إلى عملية معقدة فيها الكثير من الدقة والمهارة؛ فقد وصف لنا أحد الباحثين مراحل تسميم العتاد الحربي ناقلا الكيفية عن إحدى القبائل الإفريقية بقوله: "يُثَبَّتُ السّم على أطراف السهام عن طريق أداة كفرشاة أو خرقة قماش مغموسة في السم، ويتم إعادة التثبيت لعدة مرات: من خمسة إلى ستة مرات، وبعد كل عملية تثبيت السم توضع السهام في مكان لتجف؛ حتى يتكسب السهم طبقة سميكة من السم، وبعد ذلك توضع السهام فوق سطوح المنازل بعيدا عن الأطفال، وتُكْشَفُ لأشعة الشمس حتى يجف السم بشكل جيد، ثم تُغلّف تلك السهام في أوراق نباتات غليظة تدعى penianthus، وتستعمل وقت الحاجة[1]، وتجدر الإشارة إلى أنَّ فعالية السموم التي تثبت على الأدوات الحربية تدوم فاعليتها شهرين على أكثر تقدير[2]، وهو الأمر الذي أكده أحد الباحثين حين ذكر أنَّ الجراحات من السهام الجافة تكون أقل خطورة مقارنة بالسهام اللينة التي وضع فيها السم جديدا[3].

إن الوصفات المتعلقة بسمّ النشّاب تشي بعمق تفشّي ظاهرة تسميم الأدوات الحربية كالرماح والنشاب أثناء الحروب، ومن بين العلاجات التي ذكرتها المصادر الطبية: ورق السَّذاب، وعاقر قرحا (تاغندست)، وقردمانا (الكرويا الجبلية)، ونبات الحلتيت[4].

رابعا- التسميم غير العمدي: ويُقصد به الإصابة بحالة التسمّم من غير قصد أو نية، أو رغبة في ذلك، إذ ينتج عن الإهمال وقلة الاحتراز، وعدم أخذ الحيطة والحذر، و له عدة أشكال:

أ- أكل نباتات سامة عن طريق الخطأ: يكشف الواقع الأندلسي خلال حقبة الدراسة الكثير من حالات التسمّم التي كانت تحدث عن طريق الخطأ، نتيجة جهل الضحايا ببعض النباتات التي كانت تنمو في بلاد الأندلس؛ فمن بين ما تحتفظ لنا به المصادر حادثة لرجل تَسمَّم نتيجة أكله لنباتات

1- A. Bouque, note sur la préparation du poison de fleches dans le Nord-Congo (brazzaville), 1967, p. 362.

2 - A.Bouquet. ibid. p 362.

3 - Rondeau, Etude expérimentale sur divers poisons de fleches, p.296.

4- القربلياني، الاستقصاء والإبرام في علاجات الجراحات والأورام، المصدر السابق، 148.

مجهولة الهوية أحضرتها له زوجته من البستان؛ لما خرجت على سبيل الفرجة؛ حيث أجاب المريض على أسئلة الطبيب لمّا سأله عن أكله فقال: "أتت بهندباء وأعشاب؛ فأكلت من تلك الأعشاب"[1].

رغم أنّنا لم نعثر على نصوص توثيقية مشابهة لما يحدث وسط عامة الأندلس؛ إلاّ أنّ هذه الحادثة تمثل الواقع المعيش في بلاد الأندلس، وأنّ أرضها غنية بالنباتات التي تجلب فضول أهلها إليها، ولهذا نجد ابن ميمون يحذر من أكل النباتات المرّة والحرّيفة وشديدة الحموضة، وكل ما له رائحة كريهة؛ فلا ينبغي أن يذوق الإنسان النبات حتى يتحقق منه؛ فغالبا ما كان يشتبه في النبات الحرّيف أنه فجل برّي، وهو سمّ قاتل، واشتبهوا في نبات مدوّر يشبه الكمأة، وهو سمّ قتّال[2]، واتفقت المصادر على أنّ لكل من الكمأة والفطر صنف قتّال، وهو الأسود اللون والأخضر أو الرديء الرائحة[3]، ويعلل ابن البيطار سبب تواجد الفطر السام بجانب الفطر الصالح للأكل لنموه بالقرب من "مسامير صدئة أو خرق متعفنة، أو أعشاش بعض الهوام الضارة أو شجر خاصيتها أن يكون الفطر قتالاً إذا نبت بالقرب منها"[4]، وما يستفاد من التفسير الذي طرحه ابن البيطار أنّ الفطر الصالح للأكل يصبح ساما إذا نما في مناطق ملوثة ومعفنة بالجراثيم، وهو طرح يغذّيه فكر علمي سليم لا يمكن تجاهله.

فحتى أهل الاختصاص لم يسلموا من التسميم عن طريق الخطأ، كالذي حدث للطبيب ابن زهر؛ حيث وقع في مخالب النباتات السامة بالخطأ لما اشتبه عليه أمرها؛ فيروي عن نفسه بالقول: "رأيت في طريقي نباتا خُيلّ إلي أنه الفجل البرّي، ولم أشك فيه؛ فأكلت منه شيئا يسيرا؛ فأصابني إسهال مفرط ووجع في المعي"[5].

1- الهاشمي، مجالس في الطب، ص132.

2- ابن ميمون، التحرز من السموم القتالة، ص47.

3- نفسه، ص60.

4- ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية و الأغذية، ج3، ص224.

5- ابن زهر، التيسير، ص251.

ما يلاحظ من خلال ما سبق أنَّ معظم النباتات السامة من الدرجة الأولى تتمثل أعراضها في القيئ والإسهال ووجع في البطن، ولهذا نجد ابن زهر يقدم النصيحة لتجنب النباتات السامة والمجهولة الهوية؛ فيصفها بالأدوية الرديئة، وعلى الإنسان أن لا يتذوق منها شيئا[1]، خصوصا أنَّ الكثير من النباتات الصالحة للاستهلاك تنمو بجوارها نباتات سامة؛ كنبات أذن الوطواط الذي يوجد منه نوع سام ينمو بجوار نبات أناغاليس[2].

ينفرد ابن وافد بمعلومة مهمة للغاية نقلها عن الطبيب الكتاني (ت420هـ/1030م[3])، وتتمثل في التشابه واللبس الذي قد يحدث بين النباتات العادية النافعة لغرض ما والنباتات السامة بقوله: "إنَّ في ثغر سرقسطة الأعلى حشيشتين، يخيل لمن يراهما أنَّ منبتهما من أصل واحد لشدة تقاربهما، ولا يكاد تنبت إلاَّ من دوحة، إحداهما تسمى الطوارة وهي السموم القاتلة، والأخرى تسمى الأنتلة وهي ترياق عجيب"[4].

غالبا ما كان ضحية النباتات المشتبه فيها الأطفال والنساء لجاذبية منظرها أو شكلها أو طعمها كنبات اليبروح[5]؛ فجذور هذا النبات "على شكل جُثة إنسان له يدان ورجلان كجُثة قائمة، ولذلك

1- ابن زهر، التيسير، ص251.

2- **نبات اناغاليس:** هو جنس من البقل مشهور عند الأطباء يسمى بالعربية الخِمخم، وبالعجمية شِنْتِلَّه، ويعرف بحشيشة العلق لأن عصارته تقتل العلق. أبو الخير الإشبيلي، عمدة الطبيب، ج1، ص40 و60.

3- **الطبيب الكتاني:** أبو عبد الله محمد بن الكتاني الطبيب، أخذ الطب من عمه محمد بن الحسين، وخدم به المنصور بن أبي عامر و ابنه المظفر، ثم انتقل في صدر الفتنة الأندلسية إلى مدينة سرقسطة واستوطنها، وكان بصيرا بالطب متقدما فيه، وحذق في المنطق والأدب، ولم يصلنا من كتبه إلا كتاب التشبيهات في مجال الأدب، توفي قريبا من سنة 420هـ/1029م. أبو عبد الله محمد بن الكتاني الطبيب، كتاب التشبيهات من شعار أهل الأندلس، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1966، مقدمة المحقق، ص7-8.

4- ابن وافد، المصدر السابق، ص43.

5- **اليبروح:** نبات من جنس الألسن، ورقه كورق الخسّ، يخلفه ثمر في قدر الزيتون يشبه الباذنجان في الشكل، مِشِمِشِية اللون، عطرة الرائحة كرائحة البطيخ وأذكى، وكأنَّ فيها شيئا من رائحة الخمر، في داخلها بِزرٌ عَدسي الشكل، دقيق، أبيض، ويسمى هذا النبات بالخَسّي لشبه ورقه بورق الخس، ويسمى ثمره باللفاح، وأصله اليبروح، وقشره التنابرك، ويسمى باليونانية مندراغورس موريوش أي الأسود، والعجم تقول: التوت الأسود، وبالبربرية تاريال. لمزيد من التفاصيل عن هذا النبات ينظر أبو خير الإشبيلي، عمدة الطبيب في معرفة النبات، ج2، ص624-625.

يُسَمّيه بعض الأطباء باللعبة[1]"، وقد وقع في شراك هذا النبات الكثير من الناس، ولا سيما الأطفال والنساء لاشتباه أصوله بالجسم الآدمي، ويزودنا ابن ميمون بالأجزاء المؤذية من هذا النبات بقوله: "إنَّ قشره وحبّه يؤذي الناس كلهم، وكثيرا ما رأيت نساء وصبيان أكلوه ولعا وجهلا بطبيعته؛ فاعترتهم الأعراض من حمرة الجسم وتورمه وحكة، وحالة من سكر"[2].

كما حذروا من الطعام الذي تظهر عليه علامات مريبة وقت إنضاجه؛ كالتغيُّرُ والنَّتانة في مدة يسيرة، وذهاب الحرارة وسوء اللون والهيئة، كونه كاللعاب يعلوه بريق وبصيص[3]، بل استدلوا بحواس الإنسان لمعرفة الطعام المسموم، كاللمس والشم والنظر؛ فاللمس يُستدل به في الحُرقة وتشنج الأظفار وورم الأصابع، والذوق تظهر علاماته بشكل جلي بمجرد وصوله إلى الفم من سيلان اللعاب، والدَّبيب في الشفة، والحُرقة في الفم واللسان، والوجعُ، وصلابة في الأضراس حتى لا يقدر الإنسان على تحريكها، وفقدان طعم الطعام من ملوحة وعُذوبة[4]، أما النظر فالطعام المسموم إذا وضع فوق النار تظهر عليه علامات كتغير اللون، وعادة ما يتحول إلى اللون الأخضر ممتزجا بألوان قوس قُزح، ويظهر فيها دوائر كاستدارة الدراهم، ورائحة دُخانها كرائحة أسنان الميت المتحرق[5].

خامسا- النباتات الطبية السامة (المُخدّرة والمنوّمة أنموذجا): إنَّ الأدوية النباتية ليست دائما آمنة الجانب؛ فهي سلاح ذو حدين، ولهذا حذّر الأطباء من الأدوية حادة المفعول لأنها بمثابة السموم، كما حذّروا من استعمال الجرعة الزائدة في الدواء؛ فالكثير من الأدوية التي تستعمل في المجال الطبي عبارة عن نباتات سامة، والطبيب الماهر الحذِق هو الذي يعرف استخراج قواها، ويحدّ من قوة تأثيرها وغائلتها.

1- ابن وافد، المصدر السابق، ص625.

2- ابن ميمون، التحرز من السموم القتالة، ص60.

3- شاناق، في السموم والترياق، ص107/ابن المُبارك، المنقذ من الهلكة، ورقة 25.

4- شاناق، نفسه، ص108/ابن المبارك، نفسه، ورقة 25.

5- شاناق، نفسه، ص109.

كما حذّرت كتب الفتاوى بشدة من تناول المأكولات أو المشروبات التي لها علاقة وطيدة بتغييب العقل وتشويشه؛ فقد تحدث ابن عرضون عن عادة سيئة كانت منتشرة بين النساء اللواتي يرغبن في التسمين؛ فيتناولن مجموعة من المرقدات أو المفسدات؛ مما يؤدي إلى التأثير في العقل، ورفض هذا الفعل المشين بقوة، واعتبره من المحرمات المنهي عنها شرعا لما فيه من مفاسد على مستوى الفرد والمجتمع؛ حيث قال: "ما تفعله النساء من أكل الكثير من جنجيط حتى تغيب حواسهن، ويبقى كذلك مدة من يوم أو ليلة، محرم بدليل ما تقدم"[1].

ومن الذين وقعوا ضحية الجرعة السُمِّية القاسم[2] أخو الأمير عبد الله الذي اتهمه هذا الأخير بالقيام عليه؛ فأودعه السجن؛ "فمُنِع النوم هنالك؛ فأرسلت له أمّهُ مُرْقدا لذلك، وأمرته أنْ يقسمه على ثلاثة أيام؛ فشرب الجميع في يوم واحد؛ فأصبح رَهن الحِمام"[3]، إنَّ النص يعكس واقعا اجتماعيا ونفسيا داخل السجون في الفترة الوسيطية آنذاك؛ فالنوم ضروري لصحة الإنسان، وقلته "تُضعف الأبدان، وتيبّس الجسم، وتُضعف الحرارة الغريزية، وتشعل الحرارة الغريبة، وتُصفر اللون، وتُذبل الشفاه، وتعمّش العيون، وتجفّف الدماغ، وتولد الفكرة والهم والوسواس"[4]، ولا يُستبعد أنَّ المُنوّم الذي تناوله القاسم وأرداهُ قتيلا كان عقاراً نباتيا؛ لأنّ ما هو متفق عليه أنَّ غالبية الأدوية المُنوّمة هي عقارات نباتية، وبعضها لا يُؤمَنُ جانبها إذا استعملت بشكل مفرط، أو بزيادة في الجرعة؛ فتصبح من السموم القاتلة، وتعليل ذلك أنَّ المركبات المخدّرة والمنوّمة تؤثر على المراكز العصبية المسيطرة التنفس[5]، ومن

1- ابن عرضون، مُقنع المحتاج في آداب الأزواج، مج1،ص267.

2- هو القاسم ابن الأمير محمد بن عبد الرحمان بن الحكم، أبو محمد، كان من الأدباء الشعراء، وكان أحد الجبابرة الموصوفين، شديد البأس. ابن الأبار، الحلة السيراء، ص78/ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص150.

3- نفسه، ج2، ص151.

4- ابن خلصون، كتاب الأغذية، ص18.

5- محمد حسن الحمود وجهينة الألوسي، النباتات السامة، أبحاث الندوة القطرية السادسة لتاريخ العلوم عند العرب، مركز إحياء التراث العلمي العربي، بغداد، 16-18 حزيران، 1990، ص385.

بين المُنوِّمات المنتشرة ببعض مناطق الأندلس، وحَذّر الأطباء من غائلتها لأنها تصبح سموما إذا استعملت بشكل غير مناسب.

أ_ نماذج من النباتات المخدرة المشهورة بالأندلس:

1- **نبات الكاكنج** (Withania somnifera): يُعرف عند العرب بنبات العُبب، ويعرف أيضا بكرز الشتاء، يقع في خمسة أنواع، وسنقتصر على ذكر الأندلسية منها فقط، كالنوع الجبلي الموجود ببلاد الأندلس، وينمو على شكل أشجار عليها حبات تشبه حبّ العنب، حمراء اللون، يكثر منبته بجبل شلير، ويسمى بتلك الناحية بُليار، أما النوع الثاني فيسمى الشوطي، وعليه ثمار على قدر حبّات الحمص، حمراء اللون أيضا، تقع منابته بجهة مرشانة وبلغلندر من أعمال إشبيلية، والنوع الثالث لا يختلف عن أوصاف الكاكنج، ولكن خضرته مائلة إلى الصفرة، حبّه أحمر كالعقيق، يُعرف عند أهل الأندلس بالمُجنِّن، لأنه يَعْرِضُ لمن شَرِب منه كثيرا ضربًا من الهذيان، وربما قتل، منابته المناطق الجبلية والصخرية، ويستدل عليه بقرب شجر الدُّلْب، وتشبه خصائصه نبات الأفيون في الأضرار التي سبق ذكرها في الجدول.

ويُذكِّر أبو الخير الإشبيلي كعادته بمخاطر الجرعات في تناول النباتات بقوله: "إذا شرب منه إنسان أربعة مثاقيل قتل قتلا وحياً، وإذا شَرب أقلّ من ذلك أحدث جنوناً، وإن شَرب منه مثقالا واحدا لم يُؤذ"[1].

2- نبات البَلاذُر[2] **(anacardium)**: لطالما اقترنت هذه النبتة عند جمهور الباحثين بشخصية سجلت حضورها في مجال البحث التاريخي، نعني به أبا الحسن أحمد بن يحيى بن جعفر بن داود المعروف

1- أبو الخير الإشبيلي، عمدة الطبيب، ج1، ص301.

2- **البلاذر**: هي ثمرة شجرة تشبه قلوب الطير، لونه أحمر إلى سواد على لون القلب، وفي داخله شيء شبيه بالدم، وهذا هو المستعمل منه، مذاقه يعقبه تدبيبا وحرارة باطنة في اللسان، يؤتى به من الصين، نافع من برد العصب والاسترخاء والنسيان، وذهاب الحفظ. ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية،ج1، ص154.

بالبلاذري[1]، الذي اشتهر بهذا الاسم لما عُرِف عليه من أكل نبات البلاذر الذي يُساعد على قوة الحفظ؛ حتى أنها سميت بثمرة الحفظ أو ثمرة الفهم، ويبدو أنَّ لهذه النبتة تميز خاص عند أهل العلم في تلك الفترة؛ فالأندلس الذي عُرف عن طلبته حرصهم على طلب العلم وحفظه، كثيرا ما كانت تدور نقاشات الطلبة وأساتذتهم حول علاقة نبتة البلاذر بالحفظ الجيد؛ فقد ساق لنا ابن الأبار حوارا طريفا حول هذا الأمر دار بين التلميذ والأستاذ يقول فيه: "أستاذي ما تقول في البلاذر؟ فقال له: إن أردت البلاذر؛ فعليك بالدرس والتناظر، وإنْ أردت البلاذر الكبير؛ فعليك بالدرس الكثير"[2].

إنَّ هذا الحوار يكشف بعمق عن مدى المشقة التي يعانيها طالب العلم في التحصيل، وتفشي روح الاتكالية، والتأمل الكبير في هذه النبتة التي تعينه على حفظ الدرس، ورفض شيوخهم لمثل هكذا وسائل في تحصيل العلم، وأنْ لا يُعوّلوا على هذا النبات لما يمتاز به من أضرار وخيمة وجسيمة على شاربها، بل إنَّ الرازي يعتبر أنَّ الحفظ والدراسة وتعاطيهما ما هو إلاَّ منفعة ورياضة للذهن[3]؛ فقد احتفظت لنا المصادر بإشارات بالغة الأهمية حول ضرر هذه النبتة نتيجة الإفراط في تناولها، وكان ضحيتها طلبة العلم في المقام الأول كعبد الله بن إبراهيم بن جُماح الكُتامي السبتي (ت 470هـ/1077م) الذي سكن شرق الأندلس، وكان من أهل الحفظ والمعرفة، يقال إنّه شرب البلاذر للحفظ، وانتفع به غير أنَّ هذا الفقيه لم يسلم غائلة هذا النبات بسبب إفراطه في شربه؛ حيث يذكر ابن بشكوال أنَّ هذا النبات أورثه حِدَّة في خلقه[4]، ولم يسلم منه أيضا قاضي المرية أبو الحسن مختار

1- **البلاذري**: هو أحمد بن يحي بن جبّار بن داود البلاذري البغدادي الكاتب، مؤرخ وجغرافي ونسابة، له مجموعة من المؤلفات منها كتاب البلدان الصغير، وكتاب البلدان الكبير لم يتم، وكتاب الأخبار والأنساب، وكتاب الفتوح، وكتاب عهد أردشير، كان يجيد الفارسية، ويترجم إلى اللسان العربي، مات في أيام المعتمد على الله، ووسوس في آخر عمره، وسبب وسوسته شربه للبلاذر، توفي سنة 279هـ/892م. ابن النديم، الفهرست، ص180-181.

2- ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج2، ص214.

3- الرازي أبو بكر محمد بن زكريا، الطب المُلوكيُّ، تحقيق: محمد ياسر زكو، دار المنهاج، جدة، ط1، 2009، ص270.

4- ابن بشكوال، الصلة، ص262.

بن عبد الرحمن بن سهر الرعيني القرطبي (ت 435هـ/1043م) الذي كان جامعا لفنون العلم، وشَرِبَ البلاذُر للحفظ؛ فأورثه سوء مزاج؛ فلم يزل به إلى أنْ أهلكه[1].

إنَّ اهتمام كتب التراجم بتفاصيل جزئية حول هذه النبتة ما هو إلاَّ دليل على ولع أهل العلم بهذا النبات، ورغبتهم في تحصيل العلوم، وما نتج عنها من أمراض وبلايا، ولهذا نجد أطباء الفترة الوسيطية يحذرون الشباب من هذا النبات رغم منافعه الجمّة[2]؛ فابن البيطار يقول: "لا نحب أن يقرب منه الشباب...، البلاذر سمّ حاد شديد المضرّة، وإذا أُخذ صرفا أحدث على آخذه أنواعا من الأسقام والأوجاع، يُحْدِثُ الوسواس والهيجان، والبرص والجذام، أو الورم أو السحج والعقر في بعض أعضاء الجوف، وربما قتل وشيكاً؛ فلم أر أحدا منهم شربه قد نجا من عاهة تصيبه"[3].

إنَّ كتب النبات والطب نبّهت إلى النباتات أكثر أمانا منه تزيد في الحفظ، وتُقوي العقل، وتُذكي الذهن كالزنجبيل والنارجيل ونبات السعد والفجلُ[4]؛ ففي نصيحة قيِّمة صدرت من ولي عهد العلويين علي بن موسى الرضا المعروف بالإمام الرضا (ت303هـ/915م) إلى الخليفة العباسي المأمون حول زيادة الحفظ، وقلة النسيان يقول: "ومن أراد أن يزيد في حفظه؛ فليأكل سبع مثاقيل زبيبا الغداة على الريق، ومن أراد أن يقل نسيانه، ويكون حافظا؛ فليأكل في كل يوم ثلاث قطع من زنجبيل، مربى بالعسل"[5]، ولا يقلُّ عنه قول الوزير الغساني في أهمية تعداد أهمية الإهليلج الكابلي في أنّه "نافع للحفظ والعقل، وذكاء الحواس"[6].

1- القاضي عياض، ترتيب المدارك،ج2، ص366.

2- أشار الأطباء إلى أنه ينفع من الأمراض الباردة كالفالج واللقوة، وينفع من النسيان. ابن جلجل، المقالة الثامنة، ص15.

3- ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج1، ص155.

4- أبو بكر الزاري، المصدر السابق، ص270.

5- الرضا علي بن موسى، الرسالة الذهبية المعروفة بـ(طِبِ الإمام الرضا)، تحقيق محمد مهدي نجف، مطبعة الخيّام، قُم، إيران، 1982، ص 36.

6- الوزير الغساني، حديقة الأزهار في ماهية العشب و العقار، ص 97.

3- نبات شهدانج (Cannabis sativas)[1]: تعددت المنافع الطبية عند أطباء المسلمين لهذا النبات إذا أُجيد استعماله؛ فهو مفيد لوجع الأذن، كما يزيل الحزاز من الشعر، ويُخرج الدود من البطن[2]، غير أنَّ الاستعمال العشوائي والمفرط لهذا النبات يؤدي إلى نتائج لا تُحمد عقباها؛ فقد نبّه الأطباء إلى أنّه مؤذٍ كثيرا، فهو يسبب صداع الرأس، ويقطع النسل، ويسكر كما تُسكر الخمرة[3]؛ وقد سجلّ الغساني في زمنه المتأخر بالمغرب الأقصى واقعا مريرا وظاهرة تفشت وسط مجتمعه بقوله: "ويسمى ورقها المأكول للإسكار عند العامة بالحشيش[4]، وقد عمّت البلوى في هذا الزمان كثير الفواحش والمناكر بكثرة أكله، والاشتغال به عند الرجال والنسوان والشّبان والصبيان، وفحش ذلك فيهم، واتَّبعوا أهواءهم إلاَّ من عصمه الله"[5].

اختلف الدارسون حول تعاطي الحشيش في بلاد المسلمين باختلاف الروايات التي وردت في شأنه، وملخص هذه الروايات يدور حول ظهور الحشيش لأول مرّة على يد الفرقة الإسماعيلية الباطينية، التي تسمّت بالحشاشين، وتزعمها الحسن بن صباح الحميري خلال القرن الخامس الهجري (11م) الذي كان يوهم أتباعه ومناصريه بالجنة الموعودة في حالة ما إذا قاموا بتنفيذ أوامره؛ فكانوا يتعاطون هذه الحشيشة التي تُشعرهم بالنشوة والفرح، والغيبوبة عن العالم الواقعي، وقيامهم باغتيالات واسعة

1- شهدانج: من جنس الكُهوف، له ورق كورق بنطافلون، يُزرع في البساتين وقرب الميّاه، وينقسم إلى نوعين: ذكر وأنثى، يُثمر منها الأنثى فقط، وإذا يبس وجفَّ يُمرس ويُنفض كما يُنفض الكّتان، ويُصنع منه الشرّائط والحبال، ويُعرف عند عامة المغرب بالقُنّب، كما يعرف في الجزائر بالحشيشة وشجر الكيف، وهو أيضا التكروري والقنب، وقد ميزّ العلماء بين صنفين أساسين من القنب؛ فالصنف الأول يسمى بالقنب العادي والقنب البري يزرع من أجل النسيج؛ فأليافه صالحة لصنع الحبال، أما النوع الثاني فهو القنب الهندي، من الفصيلة القنبية، يسمى الهندي نسبة إلى الهند، لكنه ينمو ويزرع في العديد من البلدان ذات الطقس الحار والجاف، وذلك أنَّ الحرارة والشمس والجفاف من شأنها توفير نسبة الراتينج (Réxine)، وهو المكون الفعّال الذي ترجع إليه الخاصية الأساسية لهذا النبات المخدّر. الغساني، حديقة الأزهار، ص336/ابن حمادوش، كشف الرموز، ص101/ الراضي الجازي، القنب الهندي عبر التاريخ، الندوة القومية الثالثة للنباتات الطبية، وزارة الثقافة، دار الثقافة بحمام، سوسة، 1989، ص81-82.

2- الغساني، حديقة الأزهار، ص337.

3- نفسه، ص337.

4- نفسه، ص337.

5- نفسه، ص337.

جَرّاء وقوعهم تحت تأثير هذه النبتة[1]، ويذهب أحد المؤرخين إلى القول إن ظهور الحشيش في بلاد المسلمين تزامن مع دخول التتار بلاد المسلمين، ونشرهم إيّاه وسط العامة، في حين يُحدّد المقريزي ظهور الحشيش بسنة 618هـ/1221م على يد الشيخ حيدر، شيخ الفقراء المتصوفة، ولذلك سميت بحشيشة الفقراء[2].

ب_ استخلاص الدواء من النباتات السامة: كان للمسلمين عامة وأهل الأندلس خاصة تفوق في مجال استخدام النباتات السامة وعقلنتها في المجال الطبي، وكان لهم فضل كبير في تخفيف آلام المرضى من خلال استعمال "**الإسفنجة المرقدة**" التي كانت مشبعة بمحلول مركب من مستخلص نباتات وظيفتها أساسا تخدير وتنويم المريض، وإزالة آلامه المبرحة، حيث تُوضع على أنف المريض حتى يدخل في سبات عميق، ومن أهم النباتات المكونة لهذه الإسفنجة المُرقدة نبات الأفيون (Opium)، وهو الدواء الذي ينتج من السائل الحليبي الذي يخرج من البذور غير الناضجة للخشخاش المنوّم عَقِب إحداث جرح فيها[3]، بالإضافة إلى نباتات أخرى لا تقل أهمية عن نبات الأفيون؛ كالقنب والزوان، وست الحسن، وثمرات التوت غير الناضجة، وبذر الخسّ، وعصارة الشوكران، حيث توضع هذه المواد في وعاء، وتغمس فيها اسفنجة بحرية جديدة، وتوضع في الشمس لتجف إلى أن يرتشف السائل بكامله، وحين الحاجة تستخدم بعد غمسها في ماء فاتر[4].

إنَّ استخدام الإسفنجة المرقدة كان أحد أسباب ارتقاء الجراحة ببلاد الأندلس، حيث كانت تُجرى العمليات الجراحية بأريحية تامة، ويعدُّ أبو القاسم الزهراوي من أبرز المتضلّعين في هذا الفن، في

1- محمد عثمان الخشت، حركة الحشاشين تاريخ وعقائد أخطر فرقة سرية في العالم الإسلامي، دار النصر للطباعة الإسلامية، القاهرة، د.ت، ص67.

2- الزركشي الإمام بدر الدين بن بهادر بن عبد الله ، زهر العريش في تحريم الحشيش، تحقيق السيد أحمد فرج، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة (مصر)، ط2، 1990، ص45.

3- أنيس بركة، الجوانب التاريخية للأفيون، ضمن كتاب التخدير، مقالات عن تاريخه في الطب العربي الإسلامي وحاضر العالم العربي، دار الفكر، دمشق، ط1، 2008، ص39.

4- إيناس محمد البهيجي، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، ط1، 2016، ص129/سليم حداد، الإسفنجة المرقدة (the spongia somnifera)، ضمن كتاب التخدير مقالات عن تاريخه في الطب العربي الإسلامي،ص76.

الوقت الذي كان فيه الغرب يعاني من ويلات الآلام والعذاب لاعتقادهم السائد أنَّ الألم والمعاناة هي تضحية واجبة، وثمن يجب أن يدفعه المريض للتكفير عن خطاياه[1]، وتبقى الجرعة المثالية هي الأساس في تحديد ما إذا كان العقار سليما حتى يستخدم في المجال الطبي، لأنّه مهما كانت استجابة النباتات السامة في المجال الطبي، وتطويعها في مجال التخدير، غير أنّه لا مفرَّ من حقيقة يقف العلم عاجزا أمامها إلى يومنا هذا، وهي أنَّ "مزيلات الألم للأفيون[2] مرتبطة ارتباطا وثيقا بعملية الإدمان غير قابل الانفكاك"[3].

وخلاصة القول أنَّ النباتات التي تحتوي على المُسكّنات الأفيونية، لا يمكن الاطمئنان لها في أغلب الأحوال؛ فضريبة إزالة الألم مرتبطة بالإدمان، وتبقى الجرعة المناسبة المُسيطر الأساسي على المعادلة إذا خضعت للإشراف الطبي المناسب لها، وهي المعادلة التي توصل إليها العلم في علم السموم في علاقة الجرعة من المادة السامة، وأثرها على الكائن الحي الذي يتعرض لها من سم، واصطلح عليها اسم "الجرعة الوسطى المميتة اللازمة لقتل نصف العينات المجرّب عليها" (LD50 Lethal dose)[4].

إنَّ ورود مثل هذه الإشارات تبين بعمق مدى فهم الأطباء المسلمين لخواص الأدوية والعقاقير الطبية، ومعرفة النافع والضار منها؛ فالصيادلة والأطباء كانت لهم قوانين ومعارف علمية تساعدهم في استخراج المواد العلاجية من النباتات السامة، ولهذا حذروا من الاستعمال العشوائي للنباتات الطبية، ونبّهوا على ضرورة تجنب الاستعمال المفرط للعقار الذي يؤدي إلى نتائج وخيمة على صاحبه؛ أقلها التسبّب في عاهات مستديمة.

1- Claude-francois Baudez, La douleur redemptrice L'autosacrifice précombien, Rive neuve, Marseille, France, 2012, 53.

2- في عام 1806 قام العالم الكيميائي الألماني فردريك سرتورنر بعزل الجزء شبه القلوي للأفيون الذي أعطى له اسم مورفيوم، ثم تحول إلى اسم مورفين، نسبة إلى الإسم اليوناني مورفيوس (Morpheus) إله الأحلام عند الإغريق، بعد أن قام بمجموعة من التجارب على الأفيون الخام، بمزجه بالسوائل الكيمائية، ثم عمد إلى صبّ سائل الأمونيا (ملح النشادر) على الأفيون؛ فنتج عن ذلك رواسب من بلورات، بعد أن جرّب تلك المادة على نفسه، واكتشف أنَّ تلك الرواسب إنمّا هي المركب القلوي المسبب لخاصية السبا لدى الأفيون. أنيس بركة، التخدير مقالات عن تاريخه في الطب العربي الإسلام، ص47.

3- أنيس بركة، نفس المرجع، ص48.

4- مظفر أحمد الموصلي، النباتات السامة، ص9.

ومن هنا نفهم مهاجمة كتب الحسبة لهؤلاء المدّعين لمهنة الطب مثل الحشّاشين والعشّابين الذين يجمعون الحشائش والأعشاب الطبية، والعطارين وصانعي الأشربة والعجائن الذين يجلسون في الطرقات والأسواق؛ عارضين خدماتهم على المارة، وقد قام أهل الحسبة بزجرهم وطردهم من السوق لأنهم كانوا يتسببون في قتل الناس لا علاجهم[1].

سادسا _النباتات السامة المُسقطة للأجنّة: قد يتعرّض الجنين إلى الموت في رحم أمه لأسباب مختلفة، إلاَّ أن التفسير الطبي الحديث لموت الجنين هو حدوث نزيف داخلي في رحم الأم بسبب انقطاع التغذية عنه؛ فيموت الجنين أو يتكلس لترسب أملاح الكالسيوم، واصطلح على هذه الحالة بالإجهاض المختفي (Missed Abortion)[2]، وعلى هذه الكيفية يقوم الرحم بقذف الجنين أو قذف جزء منه، وتعددت أسباب سقوط الجنين بين مهيئات صحية سواء بدينة أو نفسية، أو خارجية كالسقوط مثلا، أو مهئيات طبيعية أخرى؛ حيث أنجزت إحدى الباحثات دراسة قيّمة عن هذه الظاهرة، ونبّهت إلى مُسبّب طبيعي آخر ورد ذكره لدى المصنّفين القُدامى حول هذه الظاهرة، والمتمثل في دور التقلّبات المناخية وفساد الهواء في إسقاط الأجنة[3]، أو اضطرار الأم إلى استعمال عقاقير دوائية لإسقاطه، وهو موضوع بحثنا.

تحفل كتب الفقه بالكثير من الفتاوى حول الحكم الشرعي لوضعية الجنين الميت في بطن أمه؛ فقد ورد عند ابن حزم قوله: "إنَّ الجنين قد يموت في بطن الأم، ثم يلقيه الرحم متقطعًا في سنين، أو يتمادى بلا غاية، ولو سعت الأم في إسقاطه عند تيقّن موته لكان مباحًا"[4]، في إشارة منه إلى ضرورة تدخل القابلات للتأكد من موت الجنين حتى يتم إسقاطه بواسطة العقاقير الدوائية.

1- السقطي، آداب الحسبة، صص41-47/الجرسيفي، نفس المصدر، ص123.

2- محمد علي البَّار، مشكلة الإجهاض دراسة طبية فقهية، الدار السعودية للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1985، ص19.

3- تواتية بودالية، ظاهرة الإجهاض (إسقاط الجنين) في الأندلس، مجلة آفاق الثقافة والتراث، إصدار قسم الدراسات والنشر والشؤون الخارجية بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، ع 95، 2016، ص11.

4- أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم الأندلسي ، المحلى بالآثار شرح المجلى بالاختصار، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، د.ت، مج10، ص317.

ساهم افتتان المجتمع الأندلسي بالجواري في تفشي ظاهرة خطيرة أُسْدِلَ عليها ستار الصمت والتعتيم في الفترة الوسيطية، وتتمثل في إسقاط الأجنّة من قبل الجارية الحامل، وتكمن خطورة الموضوع في أنها جريمة إنسانية اشتركت فيها أطراف متعددة من المجتمع الأندلسي خلال حقبة الدراسة: النخّاس والسيد وأحيانا الجارية الحامل نفسها، ولكل من هؤلاء الثلاثة مصلحة في إسقاط الجنين.

النخّاس: غايته الربح السريع، وليس من مصلحته أن تحْمِل الجارية بجنين، لأنَّ هذا الأمر سيعرض تجارته إلى خسارة كبيرة في السوق، ولهذا سعى النخّاسون إلى محاربة الحمل والولادة لما قد يكون لها من تأثير على أجساد الجواري والقيّان، لذلك انتشرت وسائل منع الحمل، وتعاقبت عمليات إسقاط الأجنّة من أجل المحافظة على قوام الجواري ورشاقة أجسادهن[1]؛ فالنخّاسون بالأندلس كانوا على معرفة تامة بالأدوية التي تسقط الجنين، ومباشرتهم لهذا العمل يُعدُّ مخالفا لعملهم التجاري والأخلاقي؛ فالونشريسي يحتفظ لنا بنازلة نقلها عن ابن العربي يقول فيها: "كما يفعل سفلة التجار في سقي الخدم عند امتساك الطمث الأدوية التي ترخيه؛ فيسيل المني معه؛ فتنقطع الولادة[2]"، وقد شبّه أحد الباحثين ظاهرة انتشار وبيع الجواري بالأندلس بصورة مزعجة حتى صار بيعهم كبيع الدمى[3].

إنَّ تفشي مثل هذه الظاهرة ترك ابن الخطيب يخرج عن صمته، ويكشف عن بعض المدن الأندلسية التي عُرفت بالانحلال الخلقي؛ حيث يقول عن مدينة بُرشانة: "فالمجون به بُسُوق، وللفسوق ألف سوق، تشمر به الأذيال عن سُوق"[4].

1- سليمان حريتاني، الجواري والقيان في المجتمع العربي الإسلامي، دار الحصاد لنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 1997، ص110.

2- الونشريسي، المعيار، ج4، ص236.

3- عبد الباقي السيد عبد الهادي، الظاهرية والمالكية وأثرهما في المغرب والأندلس في عهد الموحدين، دار الأفاق العربية، مصر، ط1، 2014، ص284.

4- ابن الخطيب السلماني، معيار الإختيار في ذكر المعاهد والديار، تحقيق محمد كمال شبانة، نشر المعهد الجامعي للبحث العلمي، دار أكدال، المغرب، 1977، ص59.

السيد: أي الشخص الذي اشترى الجارية، وأصبحت مملوكته شرعا وحلالا، إلاَّ أنَّ غاية الكثير من الأسياد التمتع بجاريته لفترة معينة من الزمن، وبيعها من جديد، وليس من مصلحته أن تحْمِل منه؛ وذلك أنَّ الإنجاب يرتقي بمكانتها الاجتماعية إلى أفضل حال، وتصبح مكانتها تُضاهي مكانة المرأة الحرة، أو على الأقل يخلصها من البيع في سوق النخاسة على اعتبارها أصبحت أم ولد، وهي المكانة التي يخولها الحكم الإسلامي العتق من نظام العبودية بعد وفاة سيدها الذي أنجبت منه، كما أنّ أم الولد كانت تسبب كثيرا من المشاكل والإحراج لمالكها نحو زوجته الحرة، خصوصا تلك التي اشترطت على زوجها أنْ لا يتسرّى عليها، ولا يتخذ عليها أم ولد؛ "فنكاح الأمة طلاق الحرة"[1] تشي بعمق النزاعات الزوجية حول هذا الأمر، وما ينتجُ عنه من تشتت أسري وخيانات زوجية، وجرائم تصل إلى حد القتل[2].

تعجّ كتب الفتاوى بالخصومات التي كانت تحدث بين السيد المالك والجارية الحامل التي أجبرت على الإسقاط من قبل سيدها؛ فمن بين الفتاوى التي احتفظ لنا بها الونشريسى أنَّ رجلا أراد أنْ يبيع أَمَته فوجدها حاملا؛ فقام بإجهاضها؛ فأقامت دعواها أمام القاضي، وقدْ تصدى لهذه الواقعة ثلاث من القابلات اللواتي تقدمت بهن الآمة للشهادة، وشهدت القابلتان أنَّ الجارية أسقطت عند مولاها، وشهدت الثالثة أنها رأت السقط ولم تَحضر إسقاطه، وعليه قبل القاضي شهادتين[3]، وتعددت شكاوى وادعاءات الإماء والجواري عند القضاة بالإسقاط، وهنَّ عند أسيادهن من غير حجّة بيّنة[4].

1- الجناوني أبو زكرياء يحي بن الخير بن أبي الخير ، كتاب النكاح، نشر سليمان أحمد عون الله و محمد ساسي زغدود، مطبعة نهضة مصر، 1976، ص153/عبد الإله بن مليح، المرجع السابق، ص397.

2- كحادثة محمد بن يوسف بن هود الجذامي الذي قتل من قبل أحد أقاربه بسبب جارية؛ فقد ذكر أنه عاهد زوجه ألاَّ يتخذ عليها إمراة طول عمره؛ فلما تصيرَّ إليه الأمر، أعجبته رومية حصل عليها؛ فسترها عند ابن الرميمي خليفته؛ فزعموا أنَّ الرميمي علِق بها، وظهر حملها. ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج2، ص72.

3- الونشريسي، المعيار، ج9، ص213.

4- نفسه، ج9، ص215.

الجواري: رغم أنَّ غاية معظم الجواري في الفترة الوسيطية هي بلوغ الهدف المنشود، والحصول على ولد من سيدها يؤمّن لها حياة كريمة ومستقرة مع سيدها، إلا أنَّ الواقع المعيش في تلك الفترة يُخبرنا بحالات تنكر فيه الجارية الحمل من سيدها، وهي حالة من الحالات التي تنم عن واقع مرير لحياة الأجنّة تغافلت أقلام المؤرخين عن ذكرها[1]، ولم تُعدم الدراسة من وجود إشارات على تَفرّقها تفضح المسكوت عنه في تلك الفترة من نواحي عدة توحي بانتشار الإباحية والخلاعة وسط الجواري لتأمين ثروة معتبرة من المال، والعبث بجسدها قدر المستطاع، وغالبا ما يكون للنخّاس دور في هذا الموضوع[2]؛ فقد تناولت إحدى النوازل الفقهية حالة امرأة حملت من الزنا مرتين، وأنها قتلت ما ولدت[3]؛ فأصبح إسقاط الجنين من بطن الزانية من الأمور التي تناولتها كتب الفتاوى على حد تعبير أحد الباحثين[4].

من خلال هذه الإطلالة الموجزة سنتطرق إلى أهم النباتات السامة التي لها تأثير مباشر في إسقاط الجنين، والتي كثيرا ما حذَّر منها الأطباء خلال فترة الدراسة، وسبق أن تمت الإشارة في غير هذا المكان إلى المُهيّئات المُسقطة للجنين، ومن بينها تناول الأدوية المسمومة القتّالة، ومن النباتات السامة المسببة للإجهاض نذكر:

أونُوما (Alkanna tinctoria) : تأويله المُسقط الأجنة، وهو صنف من النَّبات المعروف بخَسِّ الحمار، أو رجل الحمامة عند عامة أهل الأندلس، ويُعرف نبات أونوما عند شجّاري الأندلس وأطبائها بأُذْنِ الحِمار[5].

1- الونشريسي، المعيار، ج9، ص237.

2- أشار السقطي إلى ممارسة النخاسين مهمة القوادة لإمائهم، مستغلين في ذلك حضور الأثرياء من سفلة الرجال؛ كقصة الرجل الذي ساومه النخّاس في أمته بقوله: "خمسة دراهم تعطيني والله، وحينئذ أسوقها لك، وأعطاه صاحبه الذي طلب، ثم خرج عنا وغاب قليلاً، وجاء بخادم سوداء...، وأشار لها إلى غرفة بالبرانية المذكورة؛ فطلعتها وطلع صاحب الدار بعدها، وخلى بينهما ومشى لوجه". السقطي، آداب الحسبة، ص49/عبد الإله بن مليح، المرجع السابق، ص421.

3- أبو الوليد محمد بن أحمد ابن رشد الجد ، مسائل أبي الوليد بن رشد، تحقيق حبيب التجكاني، دار الجيل، بيروت، دار الآفاق الجديدة، المغرب، ط2، 1993، ج2، ص1243.

4- إبراهيم القادري بوتشيش، إضاءات حول الغرب الإسلامي، ص161.

5- ابن البيطار، تفسير كتاب ديسقوريدس، ص257.

الحُمّاض (Rumex): يسمى الحَمْضُ، ويُسمى بعجمية الأندلس طردجّه، وفي بعض بوادي الأندلس يسمى شبناله، ويسمى أيضا أشنان القصارين، وأنواع الحَمْضُ كثيرة، وأكثرها من السموم، إذا شُرب منها عشرة دراهم قتلت، وخمسة دراهم تُسقط الولد سريعا ميتاً[1].

النرجس (Narcissus)**:** من جنس البصل، له أصناف وأنواع أشهرها الأصفر والأبيض، وهو البهار عند الأندلسيين، ويسمى أيضا بالعَبْهَر[2]، وتغنّى الشعراء به كثيرا، ومدحوه في أشعارهم؛ له منافع كثيرة في المجال الطبي، إلاّ أنه يعتبر دواء ساما للمرأة الحامل؛ حيث يشير الغساني أنه إذا "شرب منه وزن أربعة دراهم أسقط الأجنّة الأحياء والأموات[3]".

شجرة المُرّ (Commiuphora myrrha)**:** هذا النبات لا ينمو ببلاد الأندلس، وإنما هو من النباتات المجلوبة إليهم، ويشير أبو الخير الاشبيلي أنَّه ينمو بجزيرة سقطرى وبمصر، والذي يجُلب إلى بلاد الأندلس صمغه الذي له منافع متعددة، غير أنه يشكل خطرا على المرأة الحامل إذا شربت منه أو تبخرت به[4].

نبات ينبوت (Prosopis farcta)**:** سبق التعريف بهذا النبات في مجال المجاعات، إلاّ أن ما يفيدنا في هذه النبتة أنَّ فيها مرارة وحرّيفة، وهي مسخنة جدا للجسم؛ مما يعطيها دورا في إدرار الطمث وإسقاط الأجنّة[5].

نبات السرخس (Polypodium)**:** نبات ليس له ساق ولا زهر ولا ثمر، ينمو في قضيب طوله نحو ذراع، له ورق متواز يقابل بعضه البعض كأنه جناحين مُنتشرين[6]، وله رائحة فيها شيء من التين، وله أصل أسود في وجه الأرض، ينبت في المناطق الجبلية والأماكن الصخرية، إذا شرب منه وزن أربعة مثاقيل

1- أبو الخير الإشبيلي، عمدة الطبيب، ج1، ص179.

2- المقري، نفح الطيب، ج3، ص293.

3- الغساني، حديقة الأزهار، ص181.

4- أبو الخير الإشبيلي، المصدر نفسه، ج2، ص574.

5- نفسه، ج2، ص641.

6- ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ص9/الغساني، حديقة الأزهار، ص264.

بماء العسل يقتل الأجنّة الأحياء، ويُخرج الأجنّة الميّتة، وليس ذلك منه بعجب إذا كان مرًا، وكان فيه مع ذلك شيء من القبض، ويسمى بالبربرية أقوقس[1].

إنَّ مثل هذه النباتات وغيرها لها أثر بالغ في إسقاط الجنين، وأحيانا تعرض الأم إلى الخطر أيضا، ولهذا تكررت نصائح الأطباء للمرأة الحامل بأن تتجنّب الأغذية الرديئة، وأن لا تتعرض لأي عمل من الأعمال الشاقة الصعبة، ولا إلى حركة قوية شديدة، ولا استفراغ بفصد ولا بدواء مسهل، ولا بغير ذلك من أنواع الإستفراغات، وبخاصة في أوائل الحمل لأنه حينئذ بمنزلة النوار في الأشجار يسقطه أيسر شيء[2].

ما يمكن أن نستخلصه أنَّ الخصائص الكيميائية لبعض النباتات لها أثر قوي في إسقاط الجنين، والتأثير المباشر على صحة الأم، وقد نبهت المصادر الصيدلانية والنباتية إلى ضرورة الابتعاد عنها خلال فترة الحمل، وأجملت لنا بعضا من مميزاتها كالحرافة والحرارة والمرارة، وهي مهيئات قوية لإسقاط الجنين.

سابعا_ النباتات السامة المؤثرة في جنس الحيوان: لقد تخوَّف المجتمع بشكل عام من خطر الحيوانات المفترسة والضالة مجهولة المالك، وبعض الطيور الخطيرة لما لها من خطر على حياته وزرعه وحيواناته المستأنسة؛ كمنطقة لوشة التي توجد بقرية "فيها عقبان تعشش...، ولا تترك في سائر القرى دجاجة ولا براكا"[3]، كما عُرف عن أهل الأندلس ملاحقتهم للخنازير للأذية التي تسببها لزروعهم؛ فناصبوا لها العداء للقضاء عليها بمختلف السبل[4].

1- أبو الخير الإشبيلي، عمدة الطبيب، ج3، ص10.

2- عريب بن سعد القرطبي، كتاب خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين، تصحيح وترجمة وتعليق نور الدين عبد القادر وهنري جاهيه، مكتبة فراريس، الجزائر، 1956، ص43/ابن زهر، الأغذية، ص128.

3- مجهول، تاريخ الأندلس، ص67.

4- نفسه، ص23.

لهذا حرصت كتب الحسبة على ضرورة قتل الكلاب الضالة للضرر الذي تسببه على حياة الفرد والمجتمع، ولم نعدم الإشارات الدالة على محاربة الحيوانات السائبة والبراغيث المؤذية من قبل المجتمع الأندلسي بطرق سلمية أو بيولوجية، وقد حرص الأندلسيون على مطاردتها وقتلها باستعمال بعض النباتات السامة ومنها:

- نبتة الإشخيص[1]، الذي كان يُخلط بسويق ويُعجن بالماء والزيت لقتل الكلاب والخنازير والفئران[2].

- نبات خانق الكلاب[3] الذي يسمى أيضا قاتل الكلاب، وهي نبتة نَتِنة شديدة النتن تحايلوا في إطعامها للكلاب والذئاب والثعالب والنمور عن طريق خلطها بالشحم أو الخبز، وإذا أكلتها أضعفت قوائمها في تلك الساعة ولم تنهض، ثم قتلوها[4]، وهي إشارة فريدة تُحسب لابن البيطار في كتب التراث الطبي، وتفيد الحالات المرضية والعرضية التي تصيب الحيوانات نتيجة التعرض للنباتات السامة.

- شجرة الطخش التي يكثر تواجدها بمنطقة شقورة؛ حيث استفادوا من سمّية هذا النبات لقتل السباع والذئاب المؤذية، وذلك بالاستعانة بدابَّة ميتة عندهم؛ حيث يقومون "بدرس ورق تلك الشجرة ويُعتصر ماؤه، وتشك تلك الدابة بالرماح، ويُصبّ في تلك المواضع الماء المعتصر؛ فكل سبع أو ذئب أو طائر أكل من تلك البهيمة مات في الحين"[5].

1- إشخيص: هو شوكة العلك عند أهل الأندلس، يعرف في عجمية الأندلس بالبشكاني أو بشكراينة أيضا، ويُعرف بالبربرية باسم أداد، وهو على نوعين: الأبيض والأسود، وهذا الأخير يعرف بالقتال أو الوحيد لأنه إذا نبت بأرض لم يطلع فيها سواه؛ فسمي بأسد الأرض، وهو سم وحي في قتل السباع. ابن البيطار، الجامع، ج1، ص50/نفسه، ج2، ص310.

2- الإدريسي، الجامع لصفات أشتات النبات، ورقة 83.

3- خانق الكلاب: هو الترمس البرّي، عبارة عن تمنس له قُضبان رقاق، طوال، عَسِرة الرّض، عليها ورق كورق النبات المدعو قسوس، ثقيل الرائحة، نضير ناعم، فيه لزوجة، وعصارته مائلة إلى الصُّفرة. أبو الخير الإشبيلي، عمدة الطبيب في معرفة النبات، ج1، ص199.

4- ابن البيطار، الجامع لمفردات الأغذية والأدوية، ج2، ص308.

5- مجهول، تاريخ الأندلس، ص 66.

- كما عمدوا أيضا إلى دقّ نبات الخربق[1] وكُندس[2]، ويتم وضعهما في طعام السبع فيقتله[3]، وشجر إلب الذي يكثر تواجده بالمناطق الجبلية من بلاد الأندلس، وله شوك يشبه شوك الأترج كان يستعل لقتل السباع إذا أكلته[4]، واستعمل الأندلسيون أيضا نبات الشوحط الذي يكثر تواجده بجبال المرية في قتل الحيوانات المفترسة[5]، وبقلة الرماة المشهورة بثغور الأندلس التي كان يؤخذ لحاؤها، ويدق ويعصر عصارته، ثم يقومون بطبخه حتى يصبح مثل الزفت، وبعد ذلك يقومون بطلي النشاب، ويُرمى به الصيد فيقتل إذا خالط الدم قتلا وحيا[6].

أما الخنازير فقد استعملت مجموعة من النباتات السامة للتخلص منها، ومن ذلك طبخ الشعير مع نبات الدفلى، ثم يجفّف ويُبلّ بعصير بصل الفأر، ويلقى على طريقها؛ فإن أكلته ماتت لوقتها[7]، ولم نُعدم من بعض الإشارات حول كيفية صنع العلكة الخاصة بالإيقاع ببعض الحيوانات المؤذية؛ كشجرة الخروع الذي يتوفر على نوع يُسمى بشجرة العلك يمتاز بخشب خوّار أخضر، ورقه كورق الخروب، يؤخذ قشره فَيُعفن بعد دَقِّه، ثم يعاد إلى الدق، وينقع ويطبخ ويُصنع منه علك أسود كثير جدا، تُصطاد به الوحش المؤذية، ويُعرف بالعلك الدُّبي من أجل أن تطلى به براتن- يعني الفأس- ويُصطاد بها الدب، منابتها الجبال الشاهقة، ويتواجد بالقرب من حصن قيشاطه من عمل المرية؛ في قرية تُسمى بنجال، وبقرب حصن فروشه[8]، كما كانوا يرشون مسحوق شجرة الغراب الذي يعرف

1- الخربق: منه الأبيض يوجد بالجبال الأماكن المرتفعة ساقه أجوف نحو أربع أصابع، له زهر أحمر، له رؤؤس كثيرة عن أصل كالبصلة، بزرده يقتل الدجاج والكلاب والخنازير/ الأنطاكي، تذكرة أولي الألباب، مج1، ص334.

2- الكندس: يُسمى أيضا سُعد، ورقه بياض وحُمرة، أصله إلى سواد وباطنه إلى صُفرة، حادّ الرائحة، تبقى قوته عشرين سنة، يدّر سائر الفضلات ويُخرج الأجنة أحيائي وأمواتا/ الأنطاكي، تذكرة أولي الألباب، ص ، مج1، ص 619.

3- ابن حجاج الإشبيلي، الفلاحة، ص 79.

4- أبو الخير الإشبيلي، عمدة الطبيب في معرفة النبات، ج1، ص 55.

5- أبو الخير الإشبيلي، نفس المصدر، ج2، ص ص 592،576.

6- ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج1، ص 144.

7- ابن حجاج، المقنع في الفلاحة، ص 80./ أبو الخير الإشبيلي، الفلاحة، ص 78.

8- أبو الخير الإشبيلي، عمدة الطبيب في معرفة النبات، ج2، ص 576.

بالأندلس بالسوسن الأصفر في البيوت من أجل طرد البراغيث والهوام، ويصف ابن خير الإشبيلي منفعته بقوله: "ولا شي من هوام الأرض إلاَّ هرب منه"[1].

أما الفئران فقد استخدمت عدة نباتات للتخلص منها مثل نبات الفأر، وهو البوطل بلغة أهل الأندلس، سمّي بذلك لأنه يقتل الفأر سريعا إذا نال منه شيئا أو شَمّه[2]، واستعملوا أيضا الخربق الأسود في قتله[3].

إنَّ مساهمة المجتمع خلال الفترة الوسيطية في محاربة الحيوانات الضارة أو المسعورة عن طريق نباتات سامة استطاع أن يُكيّفها، وينتفع بها بشكل إيجابي في هذا المجال، ما هو في الحقيقة إلا طموح ينشده الدارسون المتخصّصون على وجود إمكانيات علمية عميقة في التراث العلمي الإسلامي حول أهمية النباتات والأعشاب البرية في العلاج الطبي، وتحضير المبيدات النافعة في مكافحة الآفات الضارة[4].

ثامنا_ خطورة السم الحيواني وطرق علاجه بالعقار النباتي: قبل أنْ نَلج موضوع أهمية النباتات الطبية في علاج السموم الحيوانية، ارتأينا تسليط الضوء على بعض الحيوانات السامة التي تركت أثرها على المجتمع الأندلسي، وأظهرت بعض النباتات كفاءتها في علاج أو التقليل من سُمّيتها:

1- سم الكلاب: لقد اتفق الدارسون على أنَّ داء الكلب مرض فيروسي مُميت يسبب التهابا حادا بالدماغ، يُصيب الحيوانات ذات الدم الحار، ينتقل عن طريق العضات أو الاتصالات المخاطية اللعابية لحيوان مسعور، وغالبا ما تكون الكلاب هي الناقل الرئيس للمرض، تتروح حضانة المرض بين ثلاثة

1- أبو الخير الإشبيلي، نفس المصدر، ج2، ص577.

2- نفسه، ج2، ص577.

3- أبو الخير الإشبيلي، الفلاحة، ص79.

4- نجلاء قاسم الربيعي، محمد حسن الحمود، التراث العربي والعلم الحديث لنبات الحنظل، بحوث الندوة القطرية الخامسة لتاريخ العلوم عند العرب، مركز إحياء التراث العلمي العربي، مطبعة الرشاد، بغداد، 1989، ص462.

أسابيع إلى غاية شهر؛ فتهاجم الفيروسات الجهاز العصبي المركزي[1]، وبذلك تظهر أعراض واضطرابات نفسية وسلوكيات غريبة على المريض، لتتبع بشلل في العضلات، وتتطور الحالة إلى الوفاة، وغالبا ما يكون المرض مُميتا بمجرد ظهور الأعراض على المُصاب.

لقد حرص المحتسبة في العدوة الأندلسية على محاربة الحيوانات الضالة نظرا لما تسببه من أذية للأفراد والماشية، خصوصا مع حلول فصل الصيف الذي تزداد فيه شراستها وأذيتها؛ وعلى الرغم من ذلك بقيت ظاهرة انتشار الكلاب الضالة، وتجولها في شوارع المدينة، وعبثها بأطعمة الناس، وبسبب ما يخلفه لعابها من انتشار للأمراض كثرت شكاوى المارة حول أذيتها[2].

لقد أشار المقري إلى تشوّه وجه فتى وسيم بسبب كلب ضال عضّه في وجنته[3]، وينسحب نفس الأمر على أحد الفتيان خرج في قرية ذكوان؛ "فعضّه أحد الكلاب ومزّق ثيابه"[4]، بل إنَّ الحميري يذكر أنّ سبب وفاة الأمير الموحدي الناصر مَردُّهَا إلى عضّة كلب حيث يقول: "ولمَّا انتهى الناصر إلى إشبيلية آنس البلاد بخطاب كَتبه إليهم بزُخرفه الكاذب، ثمَّ جاز البحر إلى مرَّاكش؛ فتوفي في قصره من سنة 610هـ/1214م، قيل عضّه كلبٌ، وقيل غير ذلك"[5] ، ممّا يوحي أن الكلب الذي عضّه قد يكون مسعورًا.

إنَّ توفر مثل هذه الإشارات في المصادر التاريخية، والتي ليس من وظيفتها التأريخ لمثل هكذا أحداث عرضية، يشي بعمق تفشّي الظاهرة، ومعاناة الساكنة خلال فترة الدراسة من مخاطر الكلاب السائبة، وبلغ الأمر حِدَّته في مدينة بلنسية، بخاصة أنها استعملت كوسيلة تعذيب وتهديد؛ فقد سلطها

1- Kmar Ben Néfissa, Anne Marie Moulin et Koussay Dellagi, La rage en Tunisie au XIXe siecle: recrudescence ou émergence?, Gesnerus, 64, 2007, p17.3/Jacques Morven, la rage, journée mondiale de la rage, 28 septembre 2010, p. 3/Lauret Plastre , la Cene et la maladies transmissibles par la salive, fac- réflexion, n° septembre 1993, p.33-34.

2- مَـا من سبيل الوفاء والعهد أن تطلقوا كلبكم على زنْدي
لَـوْ شَبِعَ الكلبُ في كفالتِكُم لم يَتتبَّـــع مَخَـــالي الرِّفْـــدِ. ابن عسكر وابن خميس، أعلام مالقة، ص282.

3- المقري، نفح الطيب، ج3، ص293.

4- ابن عسكر وابن خميس، المصدر نفسه، ص160.

5- الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص138.

القنبيطور على من لم يستطع أن يفتدي نفسه من أهل بلنسية؛ حيث ورد عن ابن الكردبوس قوله: "ومن لم يَفْد نفسه قطع لسانه، وفقئت عينه، وسلطت عليه الكلاب الضارية؛ فأخذته أخذة رابية"[1].

لقد نُشرت حملات توعية للتمييز بين الكلاب الأهلية والكلاب المسعورة، وقد اهتمت المصادر التراثية بسلوكيات الحيوان المسعور، وما يصاحبه من أعراض، ورصدت لنا مجموعة من العلامات منها: نكران الكلب لصاحبه؛ فلا يأوي إلى الموضع الذي كان يأوي إليه، وتراه هائما كالسكران، مفتوح الفم، مرخيّ اللسان، مع اللهث الدائم، ويسيل من فهمه بلغم كثير، وتتقلب عيناه وتحمرّ، واعوجاج الرقبة، وطأطأة الرأس، وتسترخي أذناه، ويُدخل ذنبه بين فخذيه، ويُرى مفتوح العينين لا يُفرّق بين ما يصادف من الحجارة والنّاس، وانحراف الكلاب العادية عنه وهروبها منه[2]، وكل هذه الأعراض تدل على أنَّ الحيوان قد أصيب بداء السُعار أو الكَلَبْ.

إنَّ كل هذه الأعراض والعلامات لا تختلف عمَّا أقرته منظمة الصحة العالمية ممّا يدل على مدى اتباع أساليب المنهج العلمي القائم على التجربة والملاحظة والموضوعية في تلك الفترة، بل إننا نجد ابن الجزار يقدم تجربة حيّة بمحاولته التفريق بين الكلاب الأهلية والكلاب المسعورة بقوله: "أنْ تعمد إلى كسرة من خبز؛ فتطلى عليها من الدم الذي يخرج من الموضع المعضوض، ثم تلقى للكلاب؛ فإن لم تأكلها، علمنا أنَّ العضة هي عضة كلب كَلِب، وإن أكلتها علمنا أنَّ الكلب الذي عضّه من سائر الكلاب"[3].

ولا يختلف ابن الخطيب عنه كثيرا في التفريق بين الكلب الكَلِب والكلب السليم من السُعار؛ فهو يرى "أن تُدلك الجروح بقلب اللوز، ويرمى للدجاج؛ فإن عافته أو أكلته فماتت؛ فهو كَلِب وإلاَّ فلا"[4]، أما ابن البيطار الأندلسي فيُضيف مؤشر آخر في معرفة مرض السعار بقوله: "وإذا نظر في المرآة، ورأى

1- ابن الكردبوس، الاكتفاء في أخبار الخلفاء، ج1، ص415.

2- ابن الجزار، زاد المسافر و قوت الحضر، ج2، ص638/القزويني، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، ص386.

3- ابن الجزار، زاد المسافر، ج2، ص638.

4- ابن الخطيب، عَملُ من طبّ لمن حَبّ، ص268.

الوجه كوجه الكلب؛ فإنه مكلوب؛ فينبغي العلاج"[1]، وحسبنا أنها ملاحظة انفرد بها ابن البيطار عن بقية أقرانه من الأطباء.

إن الطب الحديث إلى يومنا هذا لم يهتد إلى معرفة علمية تؤكد نوع العضّة من الحيوان، ما إذا كان قد نَقَلَ فيروس السعار أم لا إلى جسد المعضوض إلا بعد ظهور الأعراض، وفي حالة ظهورها قبل تلقي العلاج؛ فَإن فرُص النجاة ضئيلة، وغالبا ما تؤدي إلى الموت خصوصا أنّ فترة حضانة داء الكلب في جسم المُصاب تمتد من 4 أسابيع إلى غاية سنة؛ بينما قدرها ديسقوريدس بـ40 يوما إلى سبع سنوات[2].

إنَّ ظهور مثل هذه الملاحظات تثبت بلا شك تفوق الطب الإسلامي في الاستدلال على تأثيرات السموم على مختلف الحيوانات؛ من خلال ملاحظتهم الدقيقة على المظاهر السلوكية للحيوان.

أ- أعراض التسمّم بعضّة الكلب الكَلِب: تتفاوت الأعراض التي تُصيب الشخص الذي تلقَّى سُمًّا حيوانيا، إلاَّ أنَّ ما يميز سمّ عضّة الكلب الكَلِب[3] حدوث اضطرابات سلوكية للشخص المعضوض؛ كالشعور بالكآبة وعُدوانية التصرّف، وهوس بالليل، والوصف الذي قدمه لنا ابن الجزار لا يختلف عن التشخيص المعاصر؛ فقد جاء على لسانه: "إنهم يحلمون بأحلام أكثرها تخليط، وربّما فزعوا في المنام من أجل ما يُخيفهم، ويعتريهم في حال اليقظة، والضّجر من غير سبب يُضجرهم، ولا يحتملون من ينظر إليهم"[4]، إلاَّ أنَّ العرض الأكثر خطورة هو الخوف من الماء، أو ما اصطلح عليه "رهُاب الماء"

1- ابن البيطار الأندلسي، الطب العربي المسمى الدُرّة البهية في منافع الأبدان الإنسانية، تحقيق محمد عبد الله غزالي، دار العلم للجميع، القاهرة، ط3، 1987، ص83.

2- Jean Blancou, Les anciennes méthodes de surveillance et de contrôle de la rage animale, bulletin de l'Académie Vétérinaire de France, Paris, 1993, p. 168 .

3- الكلب الكَلِب ليس بالضرورة أن يكون من جنس الكلاب؛ فالمفهوم عند ابن البيطار يتخذ شكله الشامل بقوله: الكلب الكَلِبُ هو كلب أو ذئب أو ثعلب أو ابن عرس غلب عليه خلط سوادي؛ فإذا دخل زمان البرد والخلط غلب عليه، أو وقع في وقت غيم ومطر بارد هاجت عليه هذه العلة الطبيعية السوداوية؛ فيمتد خرطومه، ويندلع لسانه، ويتغير لونه". الدرة البهية في منافع الأبدان الإنسانية، ص82.

4- ابن الجزار، زاد المسافر وقوت الحاضر، ج2، ص638.

(hydrophobia)[1]؛ فقد تطرق ابن الجزار إلى هذه الحالة التسمّمية المتطورة من المرض واصفا وضع المريض بالحرجِ والمأساوي بقوله: "وإنْ صاروا إلى أنْ يخافوا من الماء؛ فحينئذ ينبحون مثل نباح الكلاب، وتبّحُ أصواتهم، ويفزعون من الماء؛ فربما نظروا إليه؛ فتأخذهم الرعدة حتى تغلبهم، ويعرض لهم الكُزاز[2]، واهتزاز الجسد كله"[3]، وبذلك تصبح حالة الشفاء عسيرة للغاية كما سبق الذكر.

لقد أدرك أطباء الفترة الوسيطية خطورة الوضع، ولهذا نجد ابن ميمون الأندلسي يقول: "فأما بعد الفزع من الماء؛ فما رأيت من عاش"[4]، بل إنَّ ابن ميمون يسوق لنا حادثة في غاية الأهمية وقعت بالمرية عن صبي "عضَّه كلب، ولم تصحبه أعراض من عضة الكَلْبِ الكَلِبْ؛ فقطع الأطباء حينئذ على أنّه كلب أهلي؛ فأدملوا قرحه بعد شهر أو نحوه؛ فبرئ الصبي، وعاش مدّة كبيرة، وتصرّف تصرفات الأصحاء، وبعد ذلك ظهرت فيه الأعراض، وفزع من الماء ومات[5]"، ولهذا أكدَّ أطباء الفترة الوسيطية على ترك جرح المُصاب مفتوحا لمدة أربعين يوميا[6]، وأن يتحايلوا عليه في عدم اندماله؛ كـ"أنْ يُقرَّح إن التحم بالثوم والخل والأدوية الأكالة"[7]، وقد كان للأطباء عناية فائقة في تقديم العلاج المصحوب بمجموعة من الإسعافات الأولية.

2- الإسعافات الأولية: أكدَّ كل من الطبيبين ابن الجزّار وابن ميمون على ضرورة تقديم إسعافات أولية للمُصاب قبل مباشرة المريض بتقديم مجموعة من الأدوية؛ فقد كان ابن الجزار يرى ضرورة إحراق الموضع المعضوض بالكيّ حتى لا يسري السمّ في جسم المُصاب[8]، غير أنَّ ابن ميمون يكشف لنا بطريقة

1- الرهاب من الماء: هو الخوف الشديد من الماء، حيث يشعر المريض بتشنج في الحنجرة والاختناق، لأنَّ منظر الماء يرهبه، ويوحي له بالعرق. محمود عواد، معجم الطب النفسي والعقلي، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2011، ص284.

2- الكُزاز: تشنج من جهتين متقابلتين يبقى بينما العضو منتصبا. محمد العربي الخطابي ،الأغذية والأدوية، المرجع السابق، ص 574.

3- ابن الجزار، زاد المسافر وقوت الحاضر، ص638.

4- ابن ميمون، التحرز من السموم والتحرز من الأدوية القتالة، ص35.

5- ابن ميمون، نفس المصدر، ص40.

6- من الأطباء الذين اتفقوا على مدة أربعين يوم نذكر كل من ابن الجزار وابن ميون وابن البيطار وابن الخطيب.

7- ابن الخطيب، عمل من طب لمن حب، ص269.

8- ابن الجزار، زاد المسافر وقوت الحاضر، ج2، ص638.

أكثر تعقل وتطور لا تزال تستعمل إلى يومنا هذا؛ فهو يرى "أنْ يبادر- أي المريض- لحينه برباط ما فوق موضع الملسوع إنْ أمكن ربطًا جيدا"[1]؛ فاستعمال الرباط أو المرقأة بتعبير المصطلح الطبي الحديث أسلوب علمي سليم يهدف إلى محاصرة السمّ من الانتشار في جسم المُصاب، والحد من زيادة دوران الدورة الدموية، كما ذهب الطبيبان إلى أبعد من ذلك عن طريق توسيع مكان العضّة قدر الإمكان، وذلك بأن يشرط موضع اللسعة حتى يخرج الدم الملوّث بالسمّ، ويقوم المُسعف بامتصاص الدم ويقوم ببصقه، والغاية من كل هذه الإجراءات (الربط والشرط والبصق) إخراج كمية كبيرة من السم قدر الإمكان.

من المفيد أنْ نشير إلى أنَ الطبيبين قد اهتما في نفس الوقت بحماية المُسعف من التسمّم أثناء أداء عمله؛ فقد أشارا على المُسعف- قبل عملية امتصاص الدم الملوث- بأنْ يتمضمض بزيت الزيتون، ويدهن شفتيه بدهن البنفسج[2]، لمَا لهذه الزيوت من آثار ملطفة، وحتى يتفادى المُسعف أي تقرحات في فمه إزاء امتصاصه السمّ، ومن الأمور الدقيقة التي نبّه إليها ابن ميمون، وقلَّ نظيرها حتى في الاستعمالات المعاصرة، أنْ لا يكون للمُسعف ضرسا تالفةً[3] حتى لا ينفذ السمّ في جسمه، ويسبب هلاكا لنفسه، كما حبذَّ أن يكون المُسعف صائما، ويفسر لنا رأيه بقوله: "كَوْن الذي يمصّ صائما أبلغ في نفع الملسوع، وأخطر في حق من يمص، وكونه مُفطرًا أبعد من الخطر في حقّه، وأقل نفعا للملسوع؛ لأنَّ ريق الصائم شفاء لمواضع لسع الهوام ولأكثر القروح الخبيثة"[4]؛ فابن ميمون يَلفظُ صراحة إلى طهارة لعاب الصائم على خلاف المُفطر الذي يكون لعابه قد تشبّع بالجراثيم، ولا يُساورنا الشكّ عن مدى تأثر ابن ميمون بالطب النبوي وإيمانه به رغم أنه كان أكبر وأبرز حاخامات اليهود في الفترة الوسيطية، والذي أنار تفكيره لهذا الأمر ما ورد في الأثر النبوي عن سيدنا ﷺقال: ﴿**بِسْمِ اللهِ تُرْبَةُ**

1- ابن ميمون، السموم والتحرز من الأدوية القتالة، ص9.

2- ابن الجزار، زاد المسافر، ص638/ابن ميمون، التحرز من السموم القتالة، ص9.

3- ابن ميمون، التحرز من السموم، ص10.

4- نفسه، ص11.

أَرْضِنَا، بِرِيقَةِ بَعْضِنَا يُشْفَى سَقِيمُنَا بِإِذْنِ رَبِّنَا﴾[1]، وقد كشفت الدراسات العلمية عن الإعجاز العلمي للحديث، وأثبت العلم أنَّ اللعاب له خواص قاتلة للجراثيم، ويمنع تكاثرها بسبب احتوائه على أنزيم الليسوزيم[2] الفعّال المُضاد للجراثيم، وبالذات تلك المسؤولة عن تقيحات الجلد[3].

كما كشف العلم الحديث أنَّ الإنسان يفرز يوميا لتراً ونصف اللتر من اللعاب المعقم في فمه[4]، ومن هنا تتضح لنا العلاقة بين المضمضة بزيت الزيتون ولعاب الصائم اللذين يساعدان في تجنب تقرحات الفم بسبب حدّة السم؛ لما فيهما من خصائص مقاومة للجراثيم التي يتلقاها المُسعف عندما يقوم بامتصاص السم، وهي إجراءات نبّه عليها الأطباء في الفترة الوسيطية، وأثبت العلم فعاليتها في يومنا هذا.

ومن النباتات التي لها مكانة جليلة في علاج عضّة الكلب الكَلِب نبات **آلسُن أو ألوسن**، ومعناه النافع من عضّة الكَلْبِ الكَلِب[5]، ويُفصّل ابن البيطار في كتابه الجامع عن منفعة هذا النبات، ويصفه بالعجيب حيث يقول: "وقد يسقى منه أيضا مرارا كثيرة من قد تمكن منه الكلب واستحكم فيه إذا شُرب وحده، إلاّ أنَّ فعله لما يفعله من هذا إنما هو بسبب خاصية جملة جوهره"[6]، غير أنَّ ابن البيطار

1- البخاري، صحيح البخاري، باب الرقية، رقم الحديث: 5745.

2- الليسوزيم (lysozyme): هو إنزيم يقوم بتسريع هدم جدار الخلايا الخاصة ببعض الجراثيم أو إنزيم طبيعي يُستخلص من بروتين زلال البيض، أو مصادر حيوانية ونباتية، يُهاجم جدران الخلايا الموجبة الجرام ممّا يؤدي إلى تفسخها وموتها. مجموعة من المؤلفين، معجم المصطلحات التقنية الحيوية في مجال الأغذية والزراعة، نشر منظمة الأغذية والزراعة، جامعة الإمارات العربية، أبو ظبي، 2003، ص190.

3- أروى عبد الرحمن، إعجاز الشفاء في الريق، أبحاث المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز في القرآن والسنة، الكويت، 2006. www.eajaz.org

4- عبد الحميد القضاة، الميكروبات وكرامات الشهداء، دائرة المكتبات الوطنية، الأردن، ط2، 2004، ص31.

5- ابن البيطار، تفسير كتاب ديسقوريدس في الأدوية المفردة، تحقيق إبرهيم بن مراد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1989، ص342.

6- ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ص5.

يقدم تنبيهات وملاحظات لأهل الأندلس لمّا جعلوا نباتا آخر موسوم بنبات القارة، المسمى باليونانية سطاخنوس، هو نفسه نبات آلوسن، وذلك لمنفعته من عضّة الكَلْب الكَلِبْ[1].

ب- لسعات العقارب والحيات: لم نقف- حسب المادة المُتاحة- على نصوص تاريخية تهتم بإصابات تسمّمية تخصّ العقارب والحيّات، ولكن هذا لم يمنع من ورود إشارات توحي بالآلام والمشاكل التي كانت تهدد المجتمع الأندلسي خلال فترة الدراسة، إنَّ اهتمام كتب الأحكام بدقائق تفاصيل حياة الأندلسيين كان له الفضل في تسليط الضوء على هذا الجانب الذي طالما غيّبته المصادر التاريخية؛ فمن الأمور التي اهتمت بها كتب الأحكام جهاز العروس؛ وكان من الضروريات التي فُرضت في جهازها سرير الخشب حتى يُبْعِدَ عنهم العقارب والحيّات والبراغيث والفأرة، والذي كان يسمى في فترة بني الأحمر بالإشكان الذي هو نفسه سرير الخشب على قول ابن باق الأندلسي[2]، ممَّا يدل على أن ثقافة النوم على الأسرّة لم تكن مقصورة على طبقة الخاصة فقط، ولا تكفي الأسِرّة لوحدها أنْ تُبعد عنها العقارب والحشرات الأخرى باستثناء إذا كانت مدهونة بزيوت أو مواد عَطِرة تطرد عنها العقارب؛ كمسحوق الثوم مثلا الذي استعمل منذ القدم في طرد العقارب، وتحتفظ لنا إحدى الباحثات بنص سترابون القائل: "فعندما يحين وقت النوم، يدهنون أرجل أسرتهم بالثوم، ويحيطونها بالأشواك لحماية أنفسهم من العقارب"[3].

أمّا عن أعراض لسعتي العقرب والحيّة، وخطورة السمّ لديهما؛ فقد تفاوتت فيها العلامات على حسب السنّ ودرجة تحمّل المريض ونوع الحيوان، وقد أكدت الدراسات المعاصرة على أنَّ سم العقرب يمتاز بشدة تأثيره على الجهاز العصبي، وسرعة انتشاره في جسم المُصاب، ويحتوي على مركبات بعضها

1- نفسه، ص6.

2- ابن باق أبو الحسن علي بن محمد بن علي، زهرة الروض في تلخيص تقدير الفرض، دراسة وتحقيق ليلى بوشعيب، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة قسنطينة، 2011- 2012، ص127.

3- نوال بلمداني، نظام الرعي في بلاد المغرب الأوسط خلال القرنيين (4- 5هـ/ 10- 11م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط الإسلامي، جامعة وهران1، 2013-2014، ص65.

يُسبّب الآلام المبرحة، والبعض الآخر يُحدث اضطرابا في التنفس ومضاعفات على القلب والدورة الدموية[1]، واتفقت المصادر الوسيطية مع الدراسات المعاصرة في وصف الأعراض التي تظهر على الشخص الملدوغ من قبل العقرب، وتمثلت في الآلام الشديدة في مكان اللدغة حتى أنَّ ابن الجزار قال: "إنه مؤذ شبيه بالنخس، ويجد الوجع مرّة حارا ومرّة باردا"[2]، بالإضافة إلى كثرة التعرّق، الذي غالبا ما يكون باردا، وارتفاع درجة الحرارة، والقيء والإسهال، وتورّم مكان اللسعة، وقشعريرة وارتعاش بالجسم.

ولا تختلف الأعراض التي تظهر نتيجة سمّ الحيّات كثيرا عن بقية السموم الحيوانية؛ إلاّ أنَّ ما يميز لدغة الأفعى أنْ المصاب يتغير لونه إلى الأبيض مع تورم موضع اللدغة حتى يصبح يشبه حرق النار، كما يُصاب المريض بعرق بارد، وعسر البول ومغص، وقيئ مرة الصفراء؛ فإن لم يُعالج ووصل التسمّم إلى القلب هلك المُصاب[3].

3_العلاج النباتي للسموم الحيوانية: حرصَ الأطباء على تقديم أدوية بسيطة تتوفر لدى العامة، لإسعاف المُصابين منهم بسبب صعوبة الحصول على الأدوية الأخرى التي تتميز بتكاليف أثمانها الباهظة، بالإضافة إلى صعوبة الحصول على موادها وتحضيرها، كما أنَّ بعض الأدوية تستغرق وقتا من الزمن؛ حتى تصبح دواءً صالحًا للاستعمال، وأنجع دواء حسب مفهوم ذلك العصر هو الترياق الفاروق الذي يتكون أغلبه من مواد نادرة وغير معروفة لدى العامة؛ لا يعرفها إلاَّ من حذق بصناعته، وتعرّف على أسراره.

وسنأتي من خلال هذه الدراسة على ذكر النباتات التي استخدمت في العلاج؛ فقد كان للنبات تاريخ حافل بديمومة الحياة على وجه الأرض لمن عَرِف استخدامه بتعقل وحكمة، وقد أشار الإدريسي

1- عبد القادر الجابري، لسعات العقارب، www .pharmacies .ma

2-

3- ابن الجزار، زاد المسافر وقوت الحاضر، ج2، ص632/شوقية مهى عبد الجواد، السموم أنواعها وكيفية مواجهتها، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ط1، 1996،ص128.

لنبات الفوليون الذي له أهمية بالغة في قتل والتخلص من العقارب السامة بقوله: "وبهذه المدينة (قلعة بني حماد) عقارب كثيرة سود، تقتل في الحال، وأهل القلعة يتحرّزون منها، ويتحصّنون من ضررها، ويشربون لها نبات الفوليون الحراني، يزعمون أنّه ينفع شرب درهمين منه لعام كامل؛ فلا يصيب شاربها شيء من ألم تلك العقارب، وهذا عندهم مشهور، وقد أخبر بذلك من يوثق به في وقتنا هذا.

وحكى عن هذه الحشيشة أنه شربها، وقد لسعته العقرب؛ فسكن وجعها مسرعا"[1]، وعلى الرغم من أنَّ النص يفيد مجال المغرب الأوسط، وعلى ما يبدو أنَّ هذا النبات تكمن أهميته في أنه كان مشهورا ببلاد الأندلس لاقتران اسمه بيوسف الحراني سابق الذكر الذي كشف عن منافع عديدة لنباتات مختلفة في بلاد الأندلس.

ومن أهم النباتات التي عرف في بلاد الأندلس أنّها تعالج لسعة العقرب نبات يعرف باسم "ليرون، منابته في الجبال؛ في البياضات منها"[2]، ممّا يعني أنَّ هذا النبات ينمو في الأراضي الكلسية، ويكثر تواجده حسب أبو الخير الإشبيلي بمنطقة الشرف بإشبيلية، التي يسمى عند عامتها بالرَّبناله، ويقصد بها الفجل الصغير، وهو ينفع من لدغة العقرب ومن سمّ الساعة[3].

ومن النباتات التي استعان بها أهل الأندلس نبات الأنجرة (الحرّيق) في معالجة القروح والجراحات الخبيثة؛ فقد كان يتضمد به مع الملح لعلاج القروح العارضة من عضِّ الكلاب والقروح الخبيثة والقروح السرطانية والقروح الوسخة وإلتواء العصب"[4]، كما تحدث الإدريسي في كتابه الجامع عن نبات النانخة، الذي قال: إنَّ له منفعة عظيمة في لسع العقارب، ويسمى بالأندلس الفليفلة، وهو "نبات

1- الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، ص156.

2- أبو الخير الإشبيلي، عمدة الطبيب، ج1، ص356.

3- نفس المصدر، ج1، ص356.

4- القربلياني، المصدر السابق، ص113.

ينبت في كل سنة لنفسه من غير زرع في المواضع الحرش والجبال الترية، يشبه ورق الناردين الجبلي...، بزره دقيق حريف، وفي طعمه مرارة يسيرة، وإذا صُبّ طبيخه على لسع العقارب سكن الوجع وَحْيًا"[1].

كما عمدوا إلى استعمال مجموعة من النباتات على شكل بخورات لتُبعد عنهم الحيّات والعقارب؛ حيث كانوا يُدخّنون مساكنهم بنباتات لها تأثير ومفعول قوي على هذه الحيوانات المؤذية؛ كنبات السرو، وخشب القطران الذي يقصد به خشب الأَرْز، والشويجن أو الفودنج الذي يقصد به الحبق البرّي أو البستاني، كما يقومون بحلّ الحلتيت في الماء، ورشه بالبيت أو الموضع حتى لا تقرب العقارب المكان[2]، لكون هذه النباتات بها زيوت طيارة ومواد فعالة تنفر منها العقارب.

ولم يتوقف الأمر عند الأندلسيين على وصفات شعبية تعرفها العامة في التخفيف من لسعة العقرب، إنما كانت لهم أبحاث علمية متطورة ومتواصلة تُنسب إلى أصحابها في الحدّ من لسعات العقارب والحيّات؛ فقد تهاتف الأندلسيون في البحث عن الترياق الصحيح وصناعته، وملاءمته مع ما تجود به الطبيعة الأندلسية؛ حيث ذكر ابن الخطيب أنَّ الطبيب المالقي حسن بن محمد بن حسن القيسي قدَّم دواء ضدَّ سموم الحيَّات إلى السلطان يوسف الأول[3].

إنَّ ظهور مثل هذه الترياقات للأندلسيين مَردُّه تنوع طبيعة البلاد، وغناها بالثروات في مختلف المجالات، ولا سيما النّباتية منها، وبلوغهم مرحلة متطورة من معرفة أسماء النباتات التي تساعد في حلّ مشكلة أسماء العقاقير المكونة للترياق.

تاسعا_ نباتات السموم والممارسات السحرية بين العلم والوهم:

1_مظاهر و دلالات للممارسات السحرية وسط المجتمع الأندلسي: إنَّ البحث في موضوع السحر في بلاد الأندلس يُشكل في حد ذاته تجذيفا عكس التّيار، بسبب طبيعة المادة الخبرية التي تقدمها المصادر التاريخية حول هذا الموضوع، والتي اتسمت بالسطحية، وعدم رغبة المؤرخين في التحدث عن هذا

1- الإدريسي، الجامع لصفات أشتات النبات، ورقة 148.

2- ابن حجاج الأندلسي، المقنع في الفلاحة، ص81.

3- ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، ص467.

الموضوع، ويُعزى ذلك إلى أسباب دينية واجتماعية، والنظرة الدونية للمجتمع لمحترفي هذه المهنة، وعلى الرغم من أنَّ الممارسات السحرية أو السحر ظاهرة قديمة قِدم وجود الإنسان نفسه، ارتبط بعقله وفكره؛ فالذاكرة التاريخية سجلت في صفحاتها أنَّ معظم الحضارات والأمم (البابليون والفرس والمصريون...) على تعاقبها عرفت السحر؛ إلى أنْ جاء الإسلام وحرَّمه التشريع الرَّباني، واعتبره من الموبقات المهلكات[1]؛ غير أنَّ شرارته استمرت في نخر ضحاياها حتى الموت وفق قاعدة الخير والشر؛ التي هي أساس تكوين الطبيعية البشرية.

يُعدُّ أبو مسلمة محمد المجريطي الأصغر المتوفي بعد سنة 448هـ/1056م من الأندلسيين الذين ألفوا في حقيقة السحر على طريقة اليونان[2]، وقد انتقد ابن خلدون كتابيه "رتبة الحكيم" و"غاية الحكيم" لاحتوائهما على موضوعات بحتة حول السحر والطلاسم[3]؛ فقد همز له بالقول: "إمام أهل الأندلس في التعاليم والسحريات"[4]، إنّ السحر عند المجريطي علم غامض عسير يَصْعُب على العامة

1- وردت مجموعة من الآيات القرآنية حول هذه الظاهرة؛ فقد جاء في محكم تزيل العزيز: ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُواۖ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍۖ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ سورة طه الأية 69، وقوله تعالى: ﴿قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾ سورة يونس الآية 77. وقال تعالى عن سحرة فرعون له حينما تابوا وآمنوا من السحر: ﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِۗ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ سورة طه 73. وقال أيضا: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِۚ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ سورة البقرة، الآية 102.

2- وقع لبس بين أبي مسلمة محمد المجريطي الأصغر عالم الكمياء والطلسمات، وهو موضوع بحثنا، وبين أبي القاسم مسلمة المجريطي العالم المشهور بالرياضيات والفلك بالأندلس المتوفى سنة 398هـ، ترجم له صاعد الأندلسي، ولم يذكر أنّ له اهتمام بعلم الكمياء والطلسمات، وقد نسب له مؤلفات في مجال السحر والكمياء خطأ. وأول من نبه إلى هذا اللبس فؤاد سزكين في كتابه الموسوعي تاريخ التراث العربي حيث قال: "وقد التبس اسمه مع اسم الفلكي المشهور أبي القاسم ابن أحمد المجريطي لسببين: للشبه في كنية أبي مسلمة الأحدث مع اسم مسلمة الأقدم، وللشبه في نسبتهما فكلاهما المجريطي، وأن هذا اللبس قديم إلى حد ما، ويظهر أنه حصل حتى مع المؤلفين العرب، وبسبب هذا الالتباس نسب بعض المؤرخين إلى أبي القاسم بن أحمد كتبا في الكمياء، ومنها كتاب "رتبة الحكيم ومدخل التعليم"، وكتاب "غاية الحكيم وحق النتيجتين بالتقديم"، وهما لأبي مسلمة المجريطي الأصغر. فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي، ج5، ص426/نفسه، ج7، ص296/صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، ص69.

3- تنبيه: كان ابن خلدون يقصد بهذا الكلام العالم الرياضي والفلكي أبا القاسم مسلمة المجريطي، ويبدو أن النسخة التي وقعت في يد ابن خلدون كتب عليها المجريطي فقط؛ فوقع في اللبس مع أبي القاسم مسلمة المجريطي وأبي مسلمة محمد المجريطي. سهام بنت عبد الله العتبي، مسلمة المجريطي عالم رياضي فلكي، ص14، www.alukah.net

4- مقدمة ابن خلدون، ص494.

فهم مداركه وكُنْهِه؛ فهو "كل ما سحر العقول، وانقادت إليه النفوس من جميع الأقوال والأعمال بمعنى التعجّب والانقياد والإصغاء والاستحسان؛ وهو يصعب على العقل إدراكه، ويستتر عن الغبي أسبابه"[1].

غير أنَّ ابن قُدامة الدمشقي كان أكثر توضيحا في تعريف السحر؛ وفكّ ألغازه بعبارات بسيطة وواضحة لما قال: "هو عقد ورقى وكلام يتكلم به أو يكتبه، أو يعمل شيئا يؤثر في بدن المسحور أو قلبه، أو عقله من غير مُباشرة له، وله حقيقة؛ فمنه ما يقتلُ وما يُمْرِضُ، وما يأخذ الرجل عن امرأته فَيمنعه وطأها، ومنه ما يُفرِّق بين المرء وزوجه، وما يُبغِّض أحدهما إلى الآخر، أو يُحبِّبُ بين الإثنين[2]، ومنه ما استخدم في المجال الاقتصادي كالذي استخدم في المجال الفلاحي من أجل الظفر بمحصول زراعي جيد، ولعلَّ من يراجع كتاب الفلاحة النبطية لابن وحشية يجد مادة وافرة ومباشرة حول هذا الموضوع الذي يُعدُّ من أهم الكتب عناية بعلوم الطلسمات والسحريات[3]، غير أنَّ التجربة الأندلسية في هذا الميدان تميزت بالبراعة العلمية؛ فقد ابتعدت كلَّ البعد عن الترّهات والخرافات والطلاسم السحرية، وشهدت ثورة فلاحية بكل المقاييس.

يرى أهل الاختصاص أنَّ السحر عمل يهدف إلى التغلب على القوى التي تتصرف في مصير الإنسان[4]؛ حيث يسعى السحرة من خلاله إلى إحداث تأثيرات بوسائل غير مناسبة محرمة دينيا، وغير مألوفة اجتماعيا، ومُستهجَنة أخلاقيا استنجادا بغير الله تعالى[5]، ومن خلال هذه التعاريف الاصطلاحية لعالم السحر جاز لنا القول إنه استجابة طوعية للإنسان الذي يشعر بالقصور والضعف، وقلة الحيلة في عالم لا يستطيع فيه الإنسان التحكم بمصيره ومستقبله، ولطالما سجَّلت الممارسات السحرية

1- المنسوب إلى أبي القاسم مسلمة بن أحمد المجريطي، غاية الحكيم في الأرصاد الفلكية والطلاسم الروحية والتنجيم، تحقيق هريتر، دار المحجة البيضاء، بيروت، ط1، 2008، ص16.

2- المقدسي، أحسن التقاسيم، المصدر السابق، ص 299.

3- ابن وحشية، كتاب الفلاحة النبطية.

4- شريف يوسف، السحر عند البابليين والمصريين والعرب قبل الإسلام، مجلة التراث الشعبي، المجلد9، العدد:6، دار الحرية للطباعة والنشر، بغددا، العراق، 1978،ص 47.

5- عبد الرزاق صالح محمود، الخصائص الاجتماعية للمعتقدين بالسحر كعلاج (دراسة سوسيو أنتروبولوجية)،مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد 11، العدد:02، مركز الدراسات الموصل، العراق، 2008، ص 49.

حضورها الكلي عندما "تضعف مقدرة الإنسان العقلية على إدراك أسباب الظواهر ونتائجها في الآن الواحد"[1].

لا تخلو معظم الحارات في الأندلس من الباعة المتجولين، وكان القرَّادون الذين كانوا يعرضون ألعابهم التي عَلَّمُوها للقرود يطوفون بها، وكذلك يطوف بائعو الأعشاب، والمشعوذون والحجّامون، كما كان يمنع منعا باتا دخول من يتخذ الأباطيل، ويتعلل بها كالحساب والكهانة على حد قول أحد الدارسين[2]؛ فقد وقف المحتسب على تنظيم الحياة اليومية، وضبط سلوكيات الأفراد، غير أنَّه لم تخلو مظاهر الحياة اليومية عند المجتمع الأندلسي من آثار السحر والممارسات السحرية؛ فقد أكدت لنا إحدى الباحثات- من دون تقديم أدلة- النتائج التي توصلت إليها عن وجود تلاميذ موهوبين ومتفوقين في حرفة السحر، وقع على كاهلهم تعليم من أراد احتراف هذه المهنة[3]، ولكن يبقى تحليلها منطقيا وصائبا رغم افتقادها للأدلة التي تبرّره، ويُعزى ذلك لظهور شخصية في القرن السادس الهجري الثني عشر ميلادي بالمغرب الأوسط أطبقت شهرتها الآفاق، وهو أحد الصوفية في السحر وأسراره أحمد بن علي بن يوسف البوني[4]، الذي له مجموعة كبيرة من المصنفات في السحر، منها "أسرار الحروف والكلمات"، و"إظهار الرموز وإبداء الكنوز"، و"شمس المعارف ولطايف العوارف" وغيرها، وقد أكدَّ أحد

1- علي أسعد وطفة، البنية الأسطورية للعقلية العربية من موقع: www.civicegypt.org

2- عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، عصر الطوائف الثاني(510- 546هـ/1116-1151م)، تاريخ سياسي وحضاري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1988، ص340.

3- مارجريتا لوبيث جوميث، الاقتراب من بعض المظاهر الاجتماعية للأسواق الأندلسية، مجلة روائع أندلسية إسلامية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2004، ع 661، ص230.

4- البوني: هو أبو العباس أحمد بن علي البوني (520-622هـ)، من علماء المغرب الأوسط، من مدينة بونة (عنابة حاليا، شمال شرق الجزائر)، اشتهر بعمله في علم الحساب والحروف والفلك، كانت له رحلات إلى بلاد المشرق والقاهرة، كما سافر إلى الأندلس ولقي بها مجموعة من العلماء كابن بشكوال صاحب كتاب الصلة، وأبي القاسم السهيلي، اشتهر بكونه عميد علم الحروف الذي مهدَّ للسيمياء الحديثة، كما اهتم بالعلوم الباطنية التي تنتمي إلى الحقائق الصوفية، له مجموعة من المؤلفات منها: كتاب اللمعة النورانية وكتاب الألفاظ، وكتاب شمس المعارف الكبرى الذي قيل فيه الكثير من الأقاويل كونه يتناول الكثير من أمور السحر والشعوذة وقضايا أخرى تتعلق بالسحر اليهودي، واستحضار الجن، وهو من الكفريات. كامل الشيرازي، المفكر الجزائري أبو العباس البوني رائد علم الحروف والعلوم الباطنية elaph.com // http /حاييم الزعفراني، يهود الأندلس والمغرب، ترجمة: أحمد شحلان، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2000، ج1، ص232.

الباحثين أنه ساعد هؤلاء السحرة في أفعالهم الشيطانية[1]، ولذلك لا عجب أن تنتقل مؤلفاته إلى العدوة الأندلسية.

كما حظيت كتب الكهانة والسحر بمكانة مرموقة في حركة الترجمة التي نشطت بشكل ملحوظ في القرن السادس هجري (الثاني عشر ميلادي)، وقد اشتهر بنو هود بسرقسطة (431-503هـ/1039-1109م) بتقريبهم ورعايتهم للعلم وأهله، وعُرف عنهم أنهم خلَّفوا إرثا علميا زاخرا تحتفل به مكتباتهم، ومن الإشارات المهمة التي تؤكد ذلك العثور على الكثير من المخطوطات في الأعماق الخفية السرية (inter secretiora bibliotece penetralia)[2]، وهي إشارة قيِّمة فسرها الباحث تشارلز بيرنت (Charles Burnett) بكون قسم من هذه المكتبة كان مخصصا لكتب السحر والعلوم غير الإسلامية[3]، ولا غرو في ذلك؛ فالسحر يدخل ضمن المعارف السرية التي لا يجوز أن تتسرب أو تتشرب منها العامة من الناس.

للسحر وظيفة سوسيولوجية؛ إذ يساهم في ربط الذات المهزومة ثقافيا وماديا، وحتى أخلاقيا واجتماعيا بالعالم الميتافيزيقي، الذي يعتقد أنَّه يحتوي حلولا للمشاكل التي يعانيها أفراد المجتمع في عالمه المادي المشحون بالتوترات[4]، ومن أعظم الدوافع التي تدفع الناس إلى الوقوع في حبائل السحرة والمشعوذين المعاناة التي يتخبط فيها الأفراد من الحيرة والقلق، والهموم الساكنة في أعماق القلوب، والعقد النفسية، يطلبون من وراء ذلك راحة النفس وهدوء البال؛ فلا يزداد حالهم إلا سوءً[5].

ولهذا تعددت الأمثال التي تعكس أدوار سلوكيات الأفراد الذين وقعوا فريسة هذه الطاهرة؛ فقد قالت العامة الأندلسية في العاشق الذي يلجأ إلى بعض البخورات ذات المفعول السحري في علاج

1- عبد الباقي السيّد عبد الهادي، الظاهرية والمالكية وأثرهما في المغرب والأندلس، ص261.

2- تشارلز بيرنت، حركة الترجمة من العربية في القرون الوسطى في إسبانيا، ضمن كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، تحرير سلمى خضراء الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1998، ج2، ص1451.

3- نفسه، ص1451.

4- سعيد الحسين عبدولي، دور التوترات الاجتماعية في تفشي الممارسات السحرية والشعوذية في المجتمع التونسي دراسة سوسيولوجية ميدانية، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، العدد 9، مارس 2014، ص132.

5- عمر سليمان الأشقر، عالم السحر والشعوذة، دار النفائس، الأردن، ط4، 2002، ص88.

الحالة النفسية المزرية التي آل إليها العاشق: "أَشْ تَنْفَعْ التباخِرْ، والدَّا من داخل"[1]، وقالت أيضا: "مشية للحُفْرَ، ولا مشيه لبيَتْ أخْرى"[2]، في إشارة إلى أنَّ المرأة تفضل الموت على أن تكون لها ضَّرة، وهو واقع يعتبر مريرا بالنسبة لها، ولنا أنْ نتصور من خلال هذا المثل كيف تسعى بعض النسوة بكل الطرق في التخلص من هذه المهانة أو المرارة، والسحر إحدى هذه الطرق.

وبالمقابل أيضا نجد أمثالا خُصَّتْ بالعجوز الفاجرة التي تُبيِّن بعمق مدى البغض والحقد الذي تُكنُّه عامة المجتمع الأندلسي الرافض لهنّ، حيث أنَّ العجوز في اعتقادهم هي سبب فساد أخلاقيات المجتمع بشكل عام، والمرأة الشابة خصوصا، ولهذا قالت العامة في حقهن: "إذا رِيتِ عْجُوزْ، اذْكُر الله وجُوزْ"[3]، وقالت أيضا: "شَابَتْ ومَا تَأبَتْ"[4]، وقالت العامة أيضا في الاستهزاء والسخرية من توبة بعض النساء: "تَسْبيحْ أمْ زَينبْ"[5].

ولم يُفوّت ابن الخطيب الفرصة لِيُعيِّر أحد أصدقائه بأمِّه المدعوة جعسوس التي تحترف بيع "الحروز"[6]، وهي عبارة عن تمائم ذاع صيتها في أوساط العامة، ومن بين الأمثال التي تردّدت على لسان العامة: "حُرُوزْ خَطَّابْ"[7]، ويبدو أنّ خطَّاب هذا كان شخصا مشهورا بكتابة الحروز حتى ضُربت الأمثال باسمه، وكانت الغاية من استعمالها إبعاد الأرواح الشريرة، والوقاية من العين والحسد؛ فالتمائم والرقى والتعاويذ كانت بمثابة قوة مساعدة وفاعلة في تعويض الذات النفسية القاصرة عن التحكم في مصيرها[8].

1- الزجالي، أمثال العوام في الأندلس، رقم المثل 269، ج2، ص65.

2- نفسه، رقم 1541، ص350.

3- الزجالي، نفس المصدر، ج2، رقم المثل 37، ص12.

4- نفسه، ج2، رقم المثل 1895، ص434.

5- نفسه، ج2، رقم المثل 731، ص162.

6- ابن الخطيب السلماني الأندلسي، الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، تحقيق إحسان عباس، دار الكتاب العربية، دار الثقافة، بيروت، ط1، 1983، ص148.

7- الزجالي، أمثال العوام، رقم المثل 843، ص192.

8- رقية بن خيرة، المرجع السابق، ص138.

إنَّ ورود مثل هذه الأمثال السلبية تُجاه المرأة بشكل عام، والنسوة العجائز بشكل خاص لدليل على ممارسة بعضهنّ لأعمال وضيعة مارسنها في شبابهن أنكرها المجتمع عليهن، لينتهي الأمر بممارسة أو التردّد على أعمال مشابهة لا تخلو من الكيد والشر في عجزهن، والسحر إحداها. يذكر ابن خلدون نقلا عن بعض مشيخة أهل المغرب أنَّ أكثر منتحلي السحر من النساء ؛ حيث قال: "ولهم علم استجلاب روحانية ما يشاؤونه من الكواكب؛ فإذا استولوا عليه وتكنفوا بتلك الروحانية تصرفوا منها في الأكوان بما شاءوا، والله أعلم"[1].

إنّ شغف بعض النساء بأمور الدجل والأعمال السحرية، وترددهن على المشعوذين، حَسْبُنا أنَّه نابع من الفراغ الذهني الذي تعيشه المرأة مقارنة بالرجل؛ الذي كانت على كاهله في تلك الفترة؛ فقد نبّه ابن حزم إلى هذه الظاهرة بقوله: "فالرجال مُقتسمون في كسب المال، وصحبة السلطان، وطلب العلم، وحياطة العيال، ومُكابدة الأسفار، والصيد وضُروب الصناعات، ومباشرة الحرب، ومُلاقاة الفتن، وتحمل المخاوف وعمارة الأرض"[2]، ومثل هذه الأمور لا تترك للرجل مجالا كبيرا، أو وقتا كثيرا للانسياق وراء العواطف، بينما المرأة متفرغة لا تَعْنيها هذه الشؤون، ولهذا يَظلُّ خيالها مشدودًا إلى شؤون الغزل، وما يتعلّق بها من حبّ وعشق[3].

وهو الأمر نفسه الذي ذهب إليه ابن رشد (ت 595هـ/1198م) متأسفا ومُمتعضا من الوضعية التي وصلت إليها المرأة الأندلسية في عصره، محاولا تحريرها من الوظائف المُجحفة التي رسمها لها المجتمع؛ حيث يقول: "وإنمّا زالت كفاية النسوة في هذه المدن (مدن الأندلس) لأنهن اتخّذن للنسل دون غيره، وبالقيام بأزواجهن، وكذا للإنجاب والرضاعة والتربية؛ فكان ذلك مبطلا لأعمالهن"[4]، ليستطرد

1- مقدمة ابن خلدون، ص495.

2- ابن حزم، طوق الحمامة، ص78.

3- قال ابن حزم: "قرأت في سير الملوك السودان أنَّ الملك منهم يوكِّل ثقة له بنسائه، يلقي عليهن ضريبة من غزل الصوف، يشتغلن بها أبد الدهر، لأنهم يقولون: إنّ المرأة إذا بقيت بغير شغل إنمّا تشوق إلى الرجال، وتحنّ إلى النكاح. ابن حزم، نفس المصدر، ص78.

4- أحمد شحلان، ابن رشد والفكر العبري الوسيط، المطبعة الوراقة الوطنية، مراكش، ط1، 1999، ص182-183.

بالقول أيضا ويرقى بدور المرأة: "يصح أن تقوم النساء في المدينة بأعمال هي من جنس الأعمال التي يقوم بها الرجل أو بعينها؛ فيكون من بينهن محاربات وفيلسوفات وحاكمات وغيرها"[1]، وعليه فإنَّ فلسفة ابن رشد تُعزز مكانة المرأة بأن تمارس وظائف الرجل، وتصل لأبعد المناصب من خلال السعي وراء العلم، ونبذ الجهل لأنّها عصب المجتمع.

بما أنَّ للمرأة تركيبة خاصة مُغايرة للرجل إلى حدٍ ما تغلب عليها العاطفة، وما يُصاحبها من غيرة وحسد وحُب التملك في ذات الرجل[2]، واعتقادها المطلق في الدجّال أو المشعوذ أنّه القادر على مساعدتها، وحلِّ مشاكلها، وتصديق الشائعات بسرعة؛ فيكفي أنْ نستدل ببعض النساء الفاجرات اللائي كن يُقِمن ببعض دروب الأندلس التي اشتهرت بالفساد والرذيلة كدرب ابن زيدون، أين كانت النساء تخرجن في قارعة الطريق لإغواء الرجال بمختلف السبل[3]. إنّ الشخصية المزاجية والضعيفة لدى المرأة، واستسلامها لواقعها المهين الذي تَصورَّ لها نتيجة ظروف اجتماعية واقتصادية قاهرة (العقم، تأخر في الزواج، وصعوبة الولادة، الغيرة على الزوج، جلب الزوج، الخوف من فكرة التعدد، مرض الأولاد، صحتها الجسمانية، الفقر والحاجة، الخوف من المستقبل...) سوَّلت لها البحث عن الحلول السريعة التي تُؤمِّن لها الخلاص، وبالتالي الاتزان النفسي عن طريق ممارسة الأعمال السحرية التي تتمظهر بشكل جلي في المراحل "التي تعاني منها الشعوب الإحباط واليأس والهزائم، أو العجز عن

1- أسماء سالم علي عريبي، صورة المرأة في الخطاب الفلسفي ودورها في المجتمع العربي الإسلامي: ابن رشد نموذجا، أعمال المؤتمر الدولي السابع: المرأة والسلم الأهلي، طرابلس، 19-21 مارس 2015، ص16.

2- من الطريف أن نجد نصوصا نوهت بغيرة المرأة المفرطة على الرجل الذي تهواه لدرجة أنها تفضل موته عزاء لها، خوفا من خيانته لها؛ فقالت امرأة أندلسية تسمى عاتكة بنت قند في زوجها أبي بكر أخي ابن حزم الأندلسي الفقيه الذي كانت تهواه، وحال الموت بينهما "ما يقوّي صبري، ويمسك رمقي في الدنيا ساعة واحدة بعد وفاته إلاَّ سروري وتيقني أنه لا يضمه وإمرأة مضجع أبدا، فقد أمِنْتُ الذي ما كنت أتخوَّف غيره، وأعظم آمالي اليوم اللحاق به". ابن حزم الأندلسي، طوق الحمامة، ص166.

3- إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1998، ص193.

التأثير في الواقع وتعديل مساره؛ فتشكّل الخرافة أهم عناصر الوهم الخلاصي، وعزاءً يساهم في تخفيف حدة اليأس"[1].

رغم واقعية التحليل الذي أفضى إليه البحث، إلاَّ أنه لا يمكن أن نُعمِّم أنَّ المرأة الأندلسية التي كانت تعاني أزمات معينة على المستوى الاجتماعي أو الاقتصادي تكون بالضرورة قد لجأت إلى أعمال السحر والسحرة؛ فأبو الخير الاشبيلي غالبا ما كان يَقْرِن النباتات التي استعملت في الممارسات السحرية بالنساء الفاجرات اللواتي كان لهن معرفة جيدة بها، ولم يعمّم الأمر على نساء عصره؛ ومن بين العبارات التي تكررت وجاءت على لسانه: "البغايا يستعملنه في أعمالهن من الإيلاف والاختلاف على طريق السحر"[2]، ولكن بنفس الوقت لا يمكن الجزم المطلق أنَّ الرجل لم يقع في حبائل السحر، بدليل ممارسته ومعرفته للطقوس السحرية في عمله الفلاحي كما أشرنا سابقا.

2_ علاقة النبات بالممارسات السحرية ببلاد الأندلس: إنَّ العمل السحري هو عمل معقد يستدعي استحضار الشياطين، والقيام بالأعمال القذرة التي تستقبحها النفس البشرية لما فيها من أذية للآخرين، والخروج عن الشريعة الإسلامية، حيث يُستعمل فيه كل ما هو قذر ووضيع تَعَافُه النفس وتنفر منه؛ وقد تطرقت إحدى الدراسات إلى ذكر عينات من الأدوات والمكونات المستعملة في الطقوس السحرية، والمتمثلة في مجموعة من العناصر المعدنية والنباتية والحيوانية، وأحيانا تكون ذات أصل بشري يستعملها الساحر، ومن بينها نذكر السلحفاة وبيض الحرباء، وجلد السحلية، وعين الهدد ومخ الضبع، وعين السنونو (طائر الخطاف)، وقرون الشاة أو الماعز والحنظل، وعظم الكاحل، والزئبق والحديد والملح والشب، ودم إنسان أصيب في حادث معين، والأظافر والشعر والجلد الميت، وبول الشخص المُراد سحره، ومجموعة من الأعشاب المتنوعة، والفواكه كالتفاح والبرتقال والليمون[3].

1- خالد غزال، البؤس النهضوي: مسائل ثقافية من زمن الهزيمة، دار النهضة العربية، بيروت، 2012، ص205.

2- أبو الخير الإشبيلي، عمدة الطبيب، ج2، ص 617.

3 -Saadia Radi, Surnaturel et société (L'explication magique de la maladie et du malheur à Khénifra), centre jacques Berque, Rabat ,2013,p 66.

ولا نسعى في هذه الدراسة إلى تبسيط القول في أنواع الأعمال السحرية، التي تطرّق إلى ذكر أنواعها أبو مسلمة المجريطي الأصغر وابن خلدون[1]، بقدر ما نسعى من خلال هذا البحث إلى الكشف عن بعض النباتات التي استخدمت في بلاد الأندلس، وتراءى لهم أنّها حققت منفعة في العمل السحري أو إبطاله، ومن هنا تتبادر إلى ذهننا الأسئلة التالية:

ما علاقة النباتات بالممارسات السحرية؟ وهل للنبات قوة في الفعل السحري؟ ولماذا يلجأ السحرة والمشعوذون إلى استخدام نوع معين من النباتات في أعمالهم السحرية سواء في عمل السحر أو في إبطاله؟ وما هو السر في الاعتقاد المطلق في نجاعة هذه النباتات في علاج السحر وإبطاله؟

من بين الصعوبات التي يمكن تسجيلها في هذا المقام ندرة المادة العلمية المتعلقة بالنباتات السحرية؛ فهناك تغييب شبه تام لهذا الموضوع، لكونه من المواضيع المحظورة في نظر المجتمع؛ ولهذا لم يُولِ أهل الاختصاص بِذكر النباتات التي استعملت في هذا الغرض إلاّ ما ورد عرضا، ولم تهتم المصادر التاريخية بأخبار منتحلي السحر، ولكن هذا لم يمنع من تسجيل بعض النباتات التي كانت معروفة في الأندلس، وخصّنا بذكرها أبو الخير الإشبيلي وبعض مؤرخي النبات الذين صرّحوا باستخدامها لهذا الغرض، وأنَّ النساء الفاجرات على حدّ قولهم كنَّ على دراية بها، أو على الأقل معروفة عند منتحليها، ونذكر منها:

3- أشهر النباتات السحرية :

نبات جوزنجاه: ويسميه العوام جوز الجاه، وهو اسم فارسي أغفله ديسقوريدس، ويسمى أيضا شجرة العجلة، ويزعم المؤرخون أنَّ النساء يسحرن بها أزواجهن، وهي تعمل في المحبة والبغض معا؛ فإذا عمل بها العامل في زيادة الشهر عملت في المحبة، وإذا عمل بها في آخر الشهر كانت للبغض[2]

1- ابن خلدون، مقدمة، ص 495- 500./ ينظر النصوص حول هذا الأمر في كتاب غاية الحكيم لمسلمة المجريطي.

2- الإدريسي، الجامع لصفات أشتات النبات، ورقة 45.

نبات الأفيثمون (Cuscutae pithymum): اسم يوناني، ويقصد به عاشق النبات لكثرة اشتباكه وتعلقه بالنبات، وهو نبات يشبه الصعتر، له رؤوس دقاق خفاف شبيهة بالشعر، وله خاصية علاج الكرب والغم والماليخوليا (الوسواس القهري) على حد قول ابن البيطار[1]، في حين يُشير أبو الخير الإشبيلي أنّه يوجد على أربعة أنواع، والنوع الرابع لا يستعمل في الطب، لأنه من الحشائش السحرية، وهو نبات بمنزلة شعر الآدميين لونا وشكلا، ولا يفرق بينه وبين شعر الآدميين إلاَّ من عرقه[2]، ويضيف الإدريسي قائلا: "إنّه إذا ألقي في النار سطعت منه رائحة الشعر، وقد يسمى شعر الغول"[3]، ويسمى أيضا نبات اللحية لطوله ولونه و تجعده كشعر اللحية، ينبت في الوطاءات و المواضع الجافة، ويسمى لِحية أمسون بلغة البربر[4].

نبات بوطاما خيطش: ذكر أبو الخير الإشبيلي أنّه ورد عند ديسقوريدس في المقالة الرابعة، وزعم قوم أنَّ أصل هذا النبات يصلح للتحبيب[5]، هو من النباتات التي انفرد بذكرها أبو الخير الإشبيلي، ولم يُحلَّ هذا النبات في المصادر الصيدلانية الأندلسية التي اطلعنا عليها، كما أنّه لم يرد في شرح مفردات ابن البيطار في كتاب ديسقوريس، ولهذا لم نهتد إلى اسمه العلمي أو العربي.

نبات الكاكنج أو العُبعُب (Withania Somnifera): سبق وأن تناولنا هذا النبات في مجال النباتات السّامة والمنوّمة، إلاّ أنَّ له هنا استعمال آخر يدخل ضمن الأعمال السحرية، وانتبه أبو الخير الإشبيلي إلى كثرة تواجده بجبل شُلير بغرناطة، ويسمى عندهم بُليار، ويسمى عند الفاجرات حبّة الفرس، وتدخل في أعمال التحبُب، ومن خواصه أنَّه منوم[6].

1- ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج1، ص55.

2- أبو الخير الإشبيلي، عمدة الطبيب، ج2، ص418.

3- الإدريسي، الجامع لصفات أشتات النبات، ورقة 130.

4- أبو الخير الأشبيلي، المصدر نفسه، ج1، ص66- 67.

5- نفسه، ج1، ص110.

6- نفسه، ج1، ص300.

نبات الخطمى أو ورد الزينة (Althaea officinalis): تختلف الروايات في تسميته بهذا الإسم، يسمى ورد الزينة لأنه يتخذ في البساتين للتزيين به، ويقال إنَّ ملكا من الملوك كان يُطرِّ به عمامته ويّزينها به، وسُمى ورد الزواني لأن البغايا يَستعملنه في أعمالهن من الإيلاف والاختلاف على طريق السحر[1].

نبات حبّ التفريق (Vilex agnus castus): هو نبات أغنس باليونانية، ومعناه الطاهر لأنّه يقطع شهوة المُباضعة لمن ينام عليه، ويُعرف بالبربرية باسم وَنْقارف، ويعرف بشجرة الفلفل أو فلفل الصقالبة عند عامة أهل الأندلس[2]، بينما يكتفي أبو الخير الإشبيلي بتسميته بحب الفقد، وكان السحرة يدخلونه في أعمالهم من أجل التفريق بين المرء وزوجه[3].

طورنه مَريطه: اسم عامي يُسمى به نبات سِحري، والنساء يزعمن أنَّ أزواجهن إذا تركوهن استعملن هذا النبات في أعمالهن؛ فَيرجعون إليهن في أقرب عهد[4]، ويقال هذا لنوعين من النبات: أحدهما نوع من اللفت البري المعروف ببادية إشبيلية بالأشبرون، وهو أيضا من الحشائش السحرية، أمّا النوع الثاني فيُعرف بنبات **حزاز الصخر** الذي ينبت ويولد على الحجارة، وهو نبات في قدر حب الترمس في شكله، ويشبه أيضا الغُلف التي على شجر الضِّرو، وهي بمنزلة النُّفاخات، لونها إلى الحمرة، تأخذه البغايا من النساء فيُصرّفنها في أعمالهن[5]، وفي موضع آخر يسميه أبو الخير الإشبيلي بالظفيرة، وأنّه شيء يتكون على الحجارة الندية كالأرجالة في قدر الترمس[6]، ويسميه ابن البيطار في شرح مفرداته بنبات

1- أبو الخير الإشبيلي، نفس المصدر، ج2، ص617/الغساني، حديقة الأزهار، ص305/الأزموري عبد الغني بن أبي سرحان بن مسعود، مقالة في الأدوية، مخطوط الخزانة العامة، رقم د 955، ورقة 136.

2- ابن البيطار، تفسير كتاب ديسقوردس، ص143/الأزموري، مقالة في الأدوية، ورقة 127.

3- أبو الخير الإشبيلي، المصدر نفسه، ج1، ص 153.

4- نفسه، ج1، ص292.

5- نفسه، ج1، ص292.

6- نفسه، ج1، ص 298.

لخين (Usneabarbata) الذي يسمى عند أهل الأندلس الأرجيلية، يصرفه الصبّاغون في أصباغهم لأنه ينبت ويولد على الحجارة[1].

نبات فَنجنكست (Potentillarepten): تأويله بالفارسية ذو الخمسة أصابع لأنّ به خمس ورقات، طرف كلّ قضيب كأصابع اليد، قلَّ ما يوجد من خمسة أصابع، نوره دقيق أصفر على شكل نور الياسمين، لا ساق له، وله حبٌّ في قدر بزر الخردل[2]، كلها تقع على نبات من جنس الكفوف، ومن نوع الشجر الخشبي، ويسمى حبّ التفريق، يدخل حبّها في التفريق بين الاثنين، ويدخل في عمل الطلسمات على حد قول أبي الخير الإشبيلي[3]، بينما يكتفي ابن البيطار بتسميته بكف مريم، وأنَّ أكثر منابته شطوط الأنهار والجداول، ويبدو أنّ خصائص هذا النبات تشبه خصائص نبات التفريق الذي ذكر سلفا.

نبات طورنه: وهو يشبه طورنه مريطة إلا أنه ينبت بالمواضع الندية وعلى حوافي الصخور، يتواجد كثيرا بمنطقة جيان، وتستعمله النساء هناك في تباخير الهياكل، كما يكثر منبته بناحية سرقسطة وبلاد الثغر[4]، وعلى ما يبدو فإنَّ النساء المسيحيات واليهوديات كان لهن معرفة وطيدة بهذه النباتات بحكم ممارستهن لشعائرهن، التي تعتبر مهمة في استكمال الطقوس الدينية المتعلقة بالكنائس والمعابد الموجودة بالأندلس بكثرة في تلك الفترة نتيجة التسامح الديني.

أشهر النباتات المبطلة للسحر: اعتقد المجتمع الأندلسي كغيره من المجتمعات في مجموعة من النباتات التي لها تأثير في إبطال تأثير السحر على الشخص المسحور، ومنها ما يلي:

الفيجن (Rutamontan): هو نفسه السذاب البري الذي يتميز بحدته وحرافته، عدّد ابن البيطار منافعه الطبية؛ فذكر أنّه نافع لاستفراغ البطن والنفخ والرياح وقاطع للمني[5]،

1- ابن البيطار، تفسير كتاب ديسقوريدس، ص289.

2- الغساني، حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار، ص 60.

3- أبو الخير الإشبيلي، ج2، ص 480.

4- أبو الخير الإشبيلي، ج1، 292

5- ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية و الأغذية، ج2، ص 08.

في حين أشار ابن بصال الطليطلي أنّ الاعتقاد ساد بأنَّ هذا النبات استخدم- ممزوجا بالعسل- كوسيلة لدفع السحر وإبطاله[1].

نويفع (Seseli ammoides): يبدو من خلال أبي الخير الإشبيلي أنَّ أهل إشبيلية كانت لهم معرفة عملية بهذا النبات حيث قال عنه: "إنّه نبات حاد الرائحة سَهِك[2]، يصدع الرأس سريعا إذا استُنشِق ريحه، وإذا لَبِث في الفم ساعة بدا منه طعم الكزبرة مع يسير حرارة، منابته الجبال، وهو كثير بالشرف، وسَمّاه ديسقوريدس **دوقس**، وبالبربرية **أمسّخسر**، يزعمون أنه يُبطل فعل السَّحرة[3]، بينما اكتفى ابن البيطار بالقول إنّه نبات يعرفه بعينه، وهو على ثلاثة أنواع[4].

نبات العوسج (lyciumafrum): اتفقت المعاجم على أن نبات العوسج شجرة قصيرة ذات شوك، وإذا طالت فهي الغَرْقَد، والغَرْدَق[5] ما عَظُم من شجر العوسج[6]. ذكر أبو الخير الإشبيلي أنَّ لهذا النبات أربعة أنواع: الأبيض والأسود والأحمر والبحري، ويًعدُّ العوسج الأبيض والمشهور ببلاد الأندلس؛ فقد فصَّل فيه بقوله: "له ورق كورق الزيتون، إلاَّ أنا أعرض وألين...، له زهر دقيق أبيض، ويُعرف في السياجات عندنا كثيرا"[7]، ممّا يدل أنَّ هذا النبات زيَّن العديد من المنازل الأندلسية في تلك الفترة.

ويُعدُّ ابن سمجون الأندلسي الذي ينتمي للقرن الرابع الهجري أكثر إيضاحا وتفصيلا حول هذا النبات بقوله: "إنَّ أغصانه إذا علقت على الأبواب والكُوى[8] أبطلت سحر السحرة"[1]، ولا يختلف عنه الطبيب

1- ابن بصال، الفلاحة، ص43.

2- **سهك**: يقال سهك سهكا، كانت رائحته كريهة، والسهكة الرائحة الكريهة. المعجم الوسيط، ص458.

3- أبو الخير الإشبيلي، نفس المصدر، ج1، ص393.

4- تفسير كتاب ديسقوريدس، ص236.

5- **الغرقد**: شجيرة تسمو من متر إلى ثلاثة أمتار، من الفصيلة الباذنجانية، ساقها وفروعها بيض تشبه العوسج في أوراقها اللحمية وفروعها الشائكة، وأزهارها الطويلة العنق عبقة الريح بيضاء مخضرة، وثمرتها مخروطية تؤكل، وتسمى أيضا الغردق. ابن منظور، لسان العرب، ج5، ص345/المرتضى، تاج العروس، ج8، ص467/المعجم الوسيط- ص650-651.

6- أبو الخير الإشبيلي، عمدة الطبيب، ج2، ص463.

7- نفسه، ج2، ص452.

8- الكُوى: يقصد بها ثقوب الجدران؛ حيث قالت العامة: بَحَلْ دُخان على كُوَ، ويقال في الأمر الظاهر هوالدخان الخارج من الكوة. الزجالي، أمثال العوام، رقم المثل 592، ص225.

ابن زهر في خاصية هذا النبات لما قال هو أيضا: "العوسج إذا غُرس في الدار أبطل السحر"[2]، وهو الأمر نفسه الذي ذهب إليه ابن وافد وابن البيطار، لكن ما يمُيّزهما أنّهما ضَعَّفا الخبر، وشكَّكا فيه بقولهما: "وقد زعم قوم أنَّ أغصانه إذا علقت على الأبواب والكواء أبطلت السحر"[3].

ويبدو أنَّ نبات العوسج دخل ثقافة البيوت الأندلسية، وتوارثته الأجيال من جيل إلى جيل، وسجَّل اسمه في التراث الأندلسي خلال الفترة الوسيطية، ولعلَّ العنصر اليهودي ساهم بشكل ما في ترسيخ ثقافة هذا النبات حول البيوت الأندلسية؛ رغم أنَّ المصادر التي وقعت بين أيدينا لا توفر لنا مثل هكذا معلومة، من حيث اهتمام اليهود بنبات الغرقد في بلاد الأندلس.

هذه عينة من النباتات الأندلسية التي عُرفت ببلاد الأندلس، واستخدمت في العَمَل السحري أو إبطاله خلال الفترة الوسيطية، وقد وَجَدَ السحرة ومُنتحِلوها مُتنفسا فيها من خلال التودّد والتقرّب إلى الشخص المرغوب فيه إذا أرادوا ذلك، أو لزرع البغض والحقد والتفريق لمنْ وضعَ نُصب عينيه ذلك؛ وهذا تأكيدا لما جاء في محكم تنزيله: ﴿**فَيَتعلَّمُون مِنهُمَا ما يُفَرِّقُون به بَيْن المرء وزوجه وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أحَدٍ إلاَّ بإذْنِ اللّهِ**﴾[4].

5_ قراءة تحليلية ومنظور علمي في نقد النباتات السحرية: سبق وأنْ تطرقنا سلفا إلى خطورة السموم النباتية، ومدى تأثيرها على الجهاز العصبي، وما يَصْحَبها من أعراض (جحوظ العينين، والصراخ، واصفرار الوجه، والقيء، وتقلص عضلات الوجه والأطراف، وتشتّت في الذهن والتفكير إلى حدّ الهلوسة والهذيان، واضطرابات نفسية، وسلوكيات غريبة الأطوار[5]...)، كل هذه الأعراض المفاجئة تبدو أنها للوهلة الأولى لا تحمل أي تفسير بديل؛ غير أنَّ المريض أصيب بسحر مأكول أو مشروب، ولكن

1- ابن سمجون، جامع الأدوية المفردة، مخطوطة أحمد الثالث، طوبقاي سراي، مكتبة السليمانية، إسطنبول، ورقة 164.

2- ابن زهر، الأغذية، ص106.

3- ابن وافد، الأدوية المفردة، ص187/ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج3، ص193.

4- سورة البقرة، الآية 102.

5- محمد مرسي وسحر كامل، الموجز في الطب الشرعي وعلم السموم، ص147.

عندما نُقلِّب من جهة العلم نجد أنَّ هذا العمل السحري المكوّن من نباتات معينة ما هي في الحقيقة إلا نباتات سامة في حدّ ذاتها، وظيفتها أساسا إحداث اضطراب وخلل على مستوى خلايا المخ والجهاز العصبي[1]، وبالتالي ما يمكن استنتاجه أنَّ وظيفة النباتات في الممارسات السحرية هو إحداث سموم عصبية بالدرجة الأولى وآلام جسدية، والنبات ليس سحريا في حدِّ ذاته؛ ولكن السحر عن طريق الطعام ما هو في الحقيقة إلاَّ عبارة عن حالة تسميم بحتة قائمة على الغشّ والحيل، واستحضار الشياطين لإبقائه في جسد المسحور أطول مدة وفق خصائص المواد التي سُحر بها المريض؛ فيتطور سحره إلى أمراض عضوية مزمنة نتيجة السمّ الذي يسري في جسده لسنوات ما لم يتدارك نفسه بالعلاج المضاد.

إنَّ وظيفة الساحر في العمل السحري هي خلق حِيّل وأساليب غريبة تُبذل فيها الجهود المتواصلة للسيطرة على البيئة والعلاقات الاجتماعية على حدِّ قول أحد الدارسين[2]، ولعلَّ أهم مقاربة علمية تاريخية نستدل بها على هذه المسألة- وكشف عنها العلماء- هو لغز **لعنة الفراعنة؛** فقد اعتقد الكثير من الناس أنَّ هذه اللعنة يمكن أنْ تعُزى لبعض القوى الخارقة بتدبير من الكهنة والسحرة، التي كانت وظيفتها حماية وحراسة قبور ملوك الفراعنة، وسُلِّطتْ خصيصا على سارقي القبور في تلك الفترة، وأي شخص يقترب منها تلحقه لعنة الفراعنة، ويلحقه الهلاك أو الموت، وبقي هذا الأمر لغزا مُحيّرا لآلاف السنين[3]، إلى أنْ أثبت العلم الحديث بعد البحث والتحليل في بعض العيّنات من قبور ملوك الفراعنة

1- خصوصا أنَ الجهاز العصبي يساعد في التخلص من الفضلات والسموم التي تضر بالجسم، وتلك المواد هي ثاني أكسيد الكربون والأملاح والنشادر والفضلات الأخرى، ومختلف السموم التي تدخل الجسم عن طريق الجهاز الهضمي. سمير بقيون، الأمراض العصبية، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، المملكة الأردنية، ط1، 2013، ص12.

2- ميتشل ديتكن، معجم علم الاجتماع، ترجمة ومراجعة إحسان محمد حسن، دار الطليعة، بيروت، دت، ص135.

3- ففي أواخر شهر نوفمبر 1922 تمّ الكشف عن أبواب المقبرة؛ فقد وجد المنقب الإنكليزي هوارد كارتر (Howard Carter) رقيما خزفيا في إحدى الغرف فيه عبارة تقول: "إنَّ الموت سوف يقضي بجناحيه على كل من يحاول أن يزعج هدوء الفرعون أو يعبث ببقبره"، أو "سيذبح الموت بجناحيه كل من يحاول أن يبدد أمن وسلام مرقد الفرعون"؛ فإنَّ الرقيم الحامل لتلك العبارة كانت تخص قبر توت عنخ أمون (حكم مصر من 1358 إلى 1349 ق. م) الذي يعد أعظم كشف أثري في العالم، بداية أعظم قضية شغلت العالم، وفاقت الكنز بحثا ودراسة وغرابة، تلا اكتشاف هذه المقبرة سلسلة من الحوادث الغريبة التي بدأت بموت كثير من العمال القائمين بالبحث في المقبرة، وهو ما حيّر العلماء والناس الذين بلغ عددهم أربعين عالما وباحثا، والكل يعتقد أنّ سبب موتهم هو "لعنة الفراعنة. فيليب فاندنبرغ، لعنة الفراعنة التفسير العلمي لظاهرة لعنة الفراعنة الغمضة، ترجمة: خالد أسعد عيسى وأحمد غسان سباندو، دار قتيبة للطباعة والنشر،

أنَّ الأمر يتعلق بأنواع خطيرة من البكتيريا والغازات والأبخرة السامة والفطريات السامة القاتلة، خصوصا أنَّ القبور تمثل مرتعا خصبا لترعرع مثل هكذا أنواع من السموم المميتة[1].

وحتى نستكمل مناقشة الموضوع من كل جوانبه وسدِّ ثغراته، قد يتبادر إلى ذهننا تساؤل آخر هو استعمال السحرة أحيانا لبعض النباتات العادية التي لا تحتوي على أية سموم، وهي متداولة لدى العام والخاص؛ كالبصل والثوم والزعفران والفجل...، ولكن علينا أن نضع في الحسبان أنَّ السحرة يستعملون كل ما هو قذر، وسبق أن أشرنا إلى عرض بعض الأغراض (كدم الإنسان والحيوان والبول..؛ فلا نستبعد كثيرا أنَّ هذه النباتات تَعفَّنت وتَدنَّست بهذه القذورات، وبالتالي تصبح سامة من الدرجة الأولى؛ خصوصا إذا أخذنا بقاءها في جسم المريض لمدة طويلة بفعل تأثير الشياطين عليها.

أمّا إذا أخذنا بفرضية أنّ هذه النباتات لم تتعفّن وليست سامة، خصوصا وأنَّ بعض النباتات لها حضور سخي في مجال البخور كالحرمل أو السذاب؛ فحرق البخور أعتبر أهم شعيرة مورست من قبل الحضارات القديمة، التي كان الغرض منها التطهر وطرد الأرواح الشريرة والشياطين[2]؛ فإذا نظرنا إلى الأمر بشكل علمي نجد أنَّ عملية التبخير ما هي في الحقيقة إلاَّ مجموعة من النباتات العطرة التي تتميز بروائح عطرة، ويُعزى ذلك إلى الزيوت الأساسية التي تحتويها، والتي تساعد على الاسترخاء

سوريا، لبنان، ط1، 2004، ص5/صبحي سليمان، لعنة الفراعنة بين الخرافة والحقيقة والخيال، دار طيبة للطباعة والنشر، الجيزة، مصر، ط1، 2011، ص10.

1- فالسموم القوية تحتفظ بمفعولها لعدة قرون، خاصة إذا كانت محفوظة في فراغ محكم لا يتسرب منه أو إليه هواء، وهو الأمر الذي حدث في قبور الفراعنة، وتعد دراسة العالم الألماني فيليب فاندنبرغ (Philip Sandberg) من أبرز الدراسات العلمية التي أجهضت فكرة لعنة الفراعنة والسحر المزعوم؛ حيث فتح ملف هذه الظاهرة بالعقل والطب والكمياء، وقد برهن بكل جرأة علمية وأمانة على "أنَّ بعض المواد السامة تفقد قدرتها بتأثير النور والهواء والشمس بمروور السنين، ولكن السموم الأقوى فعالية تستطيع أن تحتفظ بقدرتها عدة قرون خصوصا عندما تكون مخزونة في حيز ضيق، كما أنَّ هنالك عدد كبير من أنواع البكتيريا تتطور وتنمو بشكل جديد دون أوكسجين". فيليب فاندبرغ، نفس المرجع، صص185- 198، وللأمانة العلمية فيليب فاندبرغ ختم كتابه بعبارة تستحق التأمل بقوله: "ومع ذلك فإنَّ لعنة الفراعنة تبقى ظاهرة ليس لها أي تفسير نهائي، ظاهرة تمتد جذورها العميقة إلى مصر القديمة، تلك الحضارة التي تمتد إلينا خلال العصور لتعذب وتدحض وتذل غطرسة العلوم المعاصرة بأسرار الأهرامات والشعب الذي قام ببناء تلك الأهرامات. لعنة الفراعنة، ص 238.

2- منير عبد الجليل العريفي، النباتات المقدسة في الحضارة اليمنية القديمة، مجلة الإتحاد العام للآثاريين العرب، الإتحاد العام للأثاريين العرب والمجلس العربي للدراسات العليا والبحث العلمي، القاهرة، ع9، 2008، ص316.

والقضاء على التوتر والقلق، وتعديل مزاج الإنسان، وبالتالي خلق نوع من الهدوء والألفة بين المجتمعين، وتخليص الإنسان من مختلف الضغوطات النفسية والجسدية.

وأهل الأندلس كانوا على وعي تام بخواص بعض النباتات التي تؤدي وظيفتها بشكل إيجابي على مستوى الجهاز العصبي؛ ومن أمثلة ذلك **نبات إيارابوطاني** الذي يسمى بالعشبة المقدسة أو المُكرَّمة، ويتفق كل من الغافقي وابن البيطار على أنّه نوع من رعي الحمام عند الغافقي[1]؛ إذا رُشَّ نقيعه في موضع قوم حَسَّن عشرتهم وأخلاقهم، وكانت بينهم مودة، وهو نافع للتحبّب"[2]، ولم يذكر أبو الخير الاشبيلي عن هذا النبات أنّه سحري رغم أنَّ صفاته تدل على ذلك.

ممّا يدل أنَّ السحرة لهم جانب معرفي علمي بخواص بعض النباتات، ومدى تأثيرها على الجهاز العصبي بالسلب أو الإيجاب، وقد ذكر أيضا أنَّ رائحة الحناء تهيج المحبة[3]؛ فغالبية النباتات العطرية ذات الرائحة الطيبة مُسكِّنة للصُداع وجالبة للنوم[4]، كنبات الأفتيمون الذي يستعمله السحرة في أعمالهم سابقة الذكر؛ فأطباء الأندلس كانت لهم معرفة طبية بهذا النبات، وأنّه ينفع من المالنخوليا (الوسواس القهري)، ومن الصرع ومن الكوابيس، كما ينفع من الوحشة والخفقان السّوادوي[5]، وكأنَّ تأثير هذه النباتات شبيه بإزالة السحر، ومن هنا تأتي أهمية الأزهار وبعض النباتات العطرية والورود الفواحة في رفع معنويات المريض، وبعملية مضادة أيضا نفهم أهمية استعمال نباتات كريهة الرائحة؛ فإذا كان المطلوب فك السحر اسْتُخدم بخور طيب الرائحة، أمّا البخور الخبيث كريه الرائحة فهو المطلوب في عمل السحر؛ فالغاية على ما يبدو من استعمال النباتات الطيبة أو النَتِنَة إنّما هو إضفاء نوع من القداسة والسرية على أعمالهم.

1- الغافقي، الأدوية المفردة، ص428.

2- أبو خير الإشبيلي، نفس المصدر، ج2، ص466.

3- التيفاشي شهاب الدين أحمد، نزهة الألباب فيما لا يوجد في كتاب، تحقيق جمال جمعة، رياض الريس للكتب والنشر، قبرص، ط1، 1992، ص95.

4- ابن وافد الأندلسي، الأدوية المفردة، ص130.

5- العلائي المغربي، المصدر السابق، ص104.

في حين يرى بعض الباحثين أنَّ عددا كبيرا من هذه العقاقير هي مواد كريهة الرائحة مثيرة للإشمئزار، يقصد من استعمالها إزعاج الشيطان المسيطر على المريض، وبالتالي إقصاؤه عنه؛ فكانت تستعمل على شكل أشربة في غاية المرارة أو تبخيرات كريهة أو لبخات في غاية القذارة[1]، كما فسرّت الباحثة الصيدلانية روني كلاس (Renée Claisse) علاقة النبات بالبخور، وذلك أنَّ النبات ليس جنيا بحدّ ذاته، وإنّما يؤثر على الجنّ بشكل تطويعي يستجيب إلى الأوامر التي يطلبها الساحر من الجنيّ من أجل تنفيذها[2]، وإنْ كان التحليل الذي قدمته الباحثة لا يمتلك مقومات علمية تؤيده؛ فلم يتوصل العلم إلى ما يسمى بتأثير نباتات معينة في كائنات غير مرئية أو غير ملموسة.

إنَّ ما يُلفت الانتباه في الفترة القديمة والوسيطية هو الاعتقاد أنَّ السبب في بعض الأمراض العضوية هو الجنّ والأرواح الشيطانية، ومن ذلك على سبيل المثال الصرع[3]؛ فقد أشار الدارسون أنَّ هذا المرض كان معروفا منذ القدم، وكان يطلق عليه عدة مسميات، منها داء هرقل لأنَّ الإمبراطور الروماني هرقل كان مصابا به، وعُرف بالمرض الإلهي أو المرض الهابط نظرًا للدهشة المفزعة التي تنتاب الشخص الذي يشاهد ما يجري للمصاب بنوبة الصرع، وعُرف عند الإغريق بمرض أبليسيا (epilepsia)وهي كلمة إغريقية تعني المسكة أو الصرعة[4]، وقدم لنا العلم الحديث تفسيرات علمية عن أسباب حدوثه، كنقص الأوكسجين والاختناق عند أطفال الولادة، والإصابات المباشرة في الرأس التي تؤثر على منطقة الدماغ، بالإضافة إلى التشوهات الخلقية في أنسجة المخ، وهي باختصار خلل يحدث

1- بركات محمد مراد، التراث الطبي العربي والصيدلة، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2008، ص49.

2- Renée claisse- Dauchy, Medicine traditionnelle au Maghreb, Rituels d'envoûtement et de guérison au Maroc, l'Harmathan, Paris, Montréal, 1996, p96.

3- الصرع عند القدامى: هو رطوبة مائية تسدّ بطون الدماغ سدًّا ناقصا؛ فتمنع النفس عن إظهار أفعالها، إلى أن يؤول ذلك المانع العارض ، ويعود سببه إمّا من فضل بلغم أو فضل مرة السوداء أو من ريح باردة تتولد في الدماغ أو المعدة، فينتقل منها بخار إلى الأعصاب إلى الدماغ؛ فيفسد بغلظه المسالك النفسانية؛ فيصرع ذلك الإنسان، ويكون سقوطه بغتة ومفاجئا، ويظهر فيه الزبد. ابن الجزار القيرواني/ زاد المسافر وقوت الحاضر، ج1،ص120.

4- فريحات حكمت، الصرع بين الميثولوجيا والطب، من موقع: https://www.altibbi.com

نتيجة الإصابة بأمراض في الجملة العصبية المركزية، وبخاصة التهاب الدماغ[1]. غير أنَّ هذه الأسباب كانت مجهولة تماما في الفترات السابقة خصوصا لدى طبقة العامة، ولطالما اقترن هذا المرض بالأمراض الروحانية الميتافيزيقية كمسّ جنوني أو أرواح شريرة اختلجت جسم الشخص المُصاب[2].

ومعظم البخورات النباتية التي استخدمت في علاج الصرع لها خواص مهدئة للجهاز العصبي، ويأتي على رأس هذه النباتات كل من الحرمل والحلتيت[3]؛ حيث قال العزفي عن الحرمل: "وهو من الغايات في الداء الذي يعتري المصروعين، نافع من برد الدماغ والبدن"[4]، كما أثنى الغسّاني عن نبات الحلتيت في نفعه من داء الصرع أيضا[5]، ولأطباء الأندلس تفسير علمي لهذه البخورات التي كانت لها مكانتها في تلك الفترة، وقد قال الزهراوي في كتاب التصريف: "للبخورات المركبة منافع كثيرة، فضلا عن طيب رائحتها؛ فهي تقطع الرطوبات التي تنحدر من الدماغ، وتُقَوّيه ولا سيّما في زمن الشتاء والخريف"[6]، والعلم الحديث يوافق التفسيرات التي ذكرناها سلفا؛ فعشبة الحرمل مثلا هي عشبة مُنوِّمة ومُهدّئة للأعصاب، ومُخفّفة للحرارة ومُضادة للألم والسعال وحتى الإسهال إذا استعمل بمقادير مضبوطة، ويتميز الحرمل بكل هذه التأثيرات والمزايا لكونه يؤثر مباشرة في مُستَقبِلات الدماغ والجملة العصبية.

ورغم الخواص العلمية التي لأجلها استخدمت هذه النباتات، وأكَّد عليها أطباء تلك الفترة، إلاَّ أنَّ ذهنية العامة بقي رأيها مخالفا للعلم والأطباء لضمور أسبابه الظاهرة عنهم، واعتبروا أنَّ كل النباتات التي تساهم في تخفيف أو علاج الصرع ما هي في الحقيقة إلاَّ نباتات سحرية، ويأتي في مقدمتها نبات

1- زينب حبيب منصور، معجم الأمراض وعلاجها، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2010، ص236.

2 - Benoit Borner, Victor Strakenmann, L'épilepsie, des croyances populaires a la réalité de la pathologie, Faculté de Médecine de Genève, juin,20 12, p3. .

3- الحرمل: يقال حرمل عربي أو حِمْحِم، وسمّاه ابن سينا حرملان، هو نبات حرّيف ذو رائحة قوية كريهة، يحتوي على زيت طيار مجهض، ومدرّ للطمث وهو سام. ابن الجزار، طب الفقراء والمساكين، ص295.

4- ابن العزفي، الاكتفاء في طلب الشفاء، ص454.

5- حديقة الأزهار، ص126.

6- الزهراوي، التصريف لمن عجز عن التأليف، المقالة 19، ص290.

السذاب البري؛ ففي إشارة مفيدة قدمها لنا أبو حنيفة الدينوري أنَّ الجنّ لا تدخل بيتا فيه نبات السذاب البري[1] كونه يتميز برائحة خبيثة كريهة[2]، لأنَّ الصرع في حدود معرفتهم هو مرض جنوني شيطاني ميتافيزيقي؛ فقد شبَّه الأخصّائيون المحدثون نوبات الصرع بالصعقة الكهربائية التي ينتج عنها حركات وحالة خارجة عن إدارة المصاب[3]، ومن هنا نفهم اقتران نوبات هذا المرض بالمسّ الجنوني في تلك الفترة.

ما يمكن تسجيله على النباتات التي استعملتها النساء في الأندلس للتفريق بين الأزواج، وما يلاحظ على خواصها العلمية على ما ذكرته المصادر المتخصصة أنَّها نباتات مُقوّية للباه[4] كالجرجير والهليون، والسلجم (اللفت)، وحَبّ الزلم، والزنجبيل، والقاقلة، وبزر الفجل، وبزر الكتان والكرفس، والحمص، واللوبيا، والجوز، واللوز، والجلوز، والفستق، والصنوبر، والشقاقيل[5]. أمَّا عن بعض النباتات الأندلسية المضعفة للباه، القاطعة للنسل، والمُسبّبة للعقم بين فئة الرجال والنساء، التي شاع استعمالها عند الأندلسيين نذكر: الفلفل والكمون، السذاب، الإهليلجات، السُّعد، الجلَّنار، الخسّ، القطف، القرع، القثاء، التوت[6]، ويبدو أنَّ مثل هذه الحيل كانت كفيلة بالتوفيق أو التفريق بين المرء وزوجه، لا يستغني عنها السحرة في أعمالهم الشيطانية، ومن هنا تتجلى أهمية النباتات، والتي تأتي من قوة خواصها العلمية ومساعدتها لهم في أعمالهم السحرية[7].

1- السذاب: يقال له فَيْجن أو فيجلْ (باللّام وكسر الفاء)، يقال له باليونانية بيغاقُن، وبالبربرية أَرومي (حسب ابن بكلارش)، عشبة برية طبية معمّرة، أنواعها كثيرة، أزهارها صفراء، ولها رائحة قوية كريهة، لها فوائد طبية عديدة، والمقادير الكبيرة منها تسبب التسمم. ابن الجزار، طب الفقراء والمساكين، ص314.

2- الدينوري، كتاب النبات، ص222.

3- سمير بقيون، المرجع السابق، ص96.

4- الباه: النكاح والجماع. المعجم الوسيط- ص77.

5- أبو الصلت أمية، كتاب الأدوية المفردة، ص368.

6- نفسه، ص369.

7- قيس ياسين، الموروث العراقي القديم في الحضارة الإسلامية (كتاب الفلاحة النبطية المنسوب لابن الوحشية أنموذجا)، منشورات الجمل، بيروت، ط1، 2014، ص140.

من الصعب ردع هذه النفوس المريضة التي تلهث وراء هذا العالم، وعلاجها بالطب الجسماني، وما يحتويه من أدوية وعقاقير سواء كانت مفردة أو مركبة لا يأتي نفعه إلاَّ إذا تلازم معه نوع آخر من التطبيب؛ ألا وهو الطب الروحاني الذي غايته إصلاح أخلاق النفس[1]، ويقوم هذا الطب على "الإقناع والحجج والبراهين في تعديل أفعال هذه النفوس لئلا تقصر عما أُريد بها، ولئلا تجاوزه"[2].

وفي الأخير ما يمكن أن نختم به هذا التحليل أنّه لا يوجد نبات سحري بذاته، وإنمّا توجد نباتات استخدمت لخواصها ومنفعتها العلمية؛ استغلها السحرة في أعمالهم الشيطانية، وتبقى هذه النتيجة جزء من الحقيقة التي يمكن أن يطمئن إليها العقل والعلم معا، وليس الحقيقة كلها، لأنه تبقى الكثير من الأمور تحتاج إلى وضع تفسيرات مقنعة لعالم مُغيّب عنا، والكثير من التساؤلات تبقى عالقة في الذهن لا يسع البحث تناولها في هذه الدراسة؛ لأنها تحتاج منهجًا آخر من البحث.

1- أبو بكر محمد بن زكرياء الرازي ، الطبُ الروحاني، تحقيق عبد اللطيف العبد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1978، ص38.

2- نفسه، ص48

الخاتمة

الخاتمة :

إنَّ ذخائر الأندلسيين في التراث النباتي تُعبّر عن أصالتهم في هذا العلم، وتكشف الجانب العلمي والعملي الذي ظلَّ سِمة رئيسة من سمات هذه الحضارة؛ ومن خلال الدراسة التي قمت بها توصلت إلى مجموعة من النتائج نعِرضها على الشكل الآتي:

إنّ كتاب ديسقوريدس لم يترجم ترجمة ثانية في قرطبة كما توهّم بعض الباحثين، وإنما تمّ تفسير وتصحيح ألفاظه، واستبيانها في بلاد الأندلس، وهو ما ساهم في ظهور مدرسة نَشِط فيها مجموعة من الأطباء والصيادلة النباتيين؛ كتبوا في مجال الأدوية المفردة وعلم النبات؛ فجاء تفسير كتاب ديسقوريدس، والعناية بمصطلحاته النباتية على شكل دفعات متتالية من القرن الرابع إلى القرن السابع الهجريين.

- ومن النتائج التي توصلت إليها تلك الجماعة تصحيح النطق بأسماء تلك النباتات، والوقوف على أعيانها وأوصافها، ولم يستعص عليها إلا عشرة أدوية. إلاّ أنَّ هذه المراجعة على أهميتها، لم تحل القضايا الاصطلاحية المتبقية في الترجمة البغدادية حلاً جذريا حاسما، لأن أصحابها وإن لم يستعص عليهم إلاَ حوالي عشرة مصطلحات يونانية كما ذكر ابن جلجل، كانوا يلجأون في معظم الحالات إلى تعريب المصطلحات الأعجمية اليونانية بمصطلحات أعجمية أخرى لاتينية وفارسية وبربرية ولهجات محلية، وذلك ما جعل الانتفاع بها محدودا لا يتجاوز بلاد الأندلس والمغرب، وجعلها في حاجة إلى مزيد من الشرح والتعريف.

- لم يتميّز الأندلسيون باهتمامهم وولعهم بعالم النبات من حيث الاعتناء بها، والبحث عن مكنون خواصها النفعية فحسب؛ وإنّما تجلتْ عنايتهم بها من حيث وضع هوية وبطاقة توثيقية لها من حيث الزمان والمكان للنباتات التي وفدت عليهم، وتأقلمت في أرضهم الجديدة، وأصبحت جزءً لا يتجزأ من تاريخ الحضارة الأندلسية، كما كشف البحث أنّ الحدائق السلطانية لم يَكنْ الغرض من إنشائها الترويح عن النفس والتمتع بالشكل الجمالي لها فقط؛ وإنّما كانت بمثابة نقطة انطلاق لمخابر بحث

علمية، تُجرى فيها تجارب العلماء حول النباتات من أجل تحسين نوعيتها، وأقلمة الجديد منها، والسعي في استخلاص قِواها، ومعرفة النافع والضارّ منها.

- ساهمت النباتات الصناعية في ازدهار الاقتصاد الأندلسي؛ فإضافة إلى كونها عماد الأغذية والأدوية، شكّلت الخامات الأولى التي استخدمها الإنسان في صنع ما يحتاجه من مستلزمات؛ كما أن الرقيّ الصناعي والحرفي بالأندلس كان بدعم قوي من السلطة بهدف إنعاش وتطوير الاقتصاد، إضافة إلى معرفة وخبرة الأندلسيين في عالم النبات، وإدراكهم لخصائصه وطرق استغلاله لفائدة معيشتهم من خلال تحويل الثروة النباتية إلى مواد أولية أساسية استخدمت في مختلف الصناعات، وبذلك نجح الأندلسيون إلى حدّ كبير في دمج ما هو علمي نظري وما هو تجريبي صناعي إزاء ما توفر لديهم من ثروات طبيعية ونباتية، هو ما نتج عنه صناعات متطورة في مختلف الميادين كصناعة العطور والورق والأصباغ والخشب...

- إنَّ الحاجة إلى الغذاء فرضت على الإنسان الأندلسي أقلمة ذوقه الجديد، وتكييفه مع الوضع الحالك الذي يعيشه في أوقات المَحْل والمجاعات، وبالتالي فمُعامل الذوق لم يعد له أية أهمية في أوقات الأزمات الاقتصادية، وعليه فإنَّ مثل هذا الوضع يعكس مدى تغيّر المنظومة الغذائية لدى الأسرة الأندلسية؛ فصفة التنوع في الغطاء النباتي لبلاد الأندلس، ووفرة المحاصيل الزراعية، وعناياتهم بكل ما هو نباتي وإصلاحه سمح للأندلسيين بإيجاد مصادر نباتية برية بديلا عن الخبز العادي، وهكذا تفوّقوا في مجال طعامهم أوقات الأزمات رغم الأمراض التي تنجر عليها.

- التزم أطباء الأندلس النظر في المرض وِفْق نظرية الأخلاط الأربعة اليونانية، حاملين على عاتقهم على ضرورة استفراغ الخِلط الزائد في جسم الإنسان بالأدوية المناسبة تحت إشراف طبي صارم؛ لأنّ أي خطإ في استفراغ الخِلط يؤدي إلى حَبْسِه في الجسم ليتطور هو الآخر إلى مرض خطير يصعب علاجه فيما بعد، وغالبا ما يؤول إلى أمراض سرطانية صلبة؛ غير أنّ الطب الأندلسي بلغ مرحلة التطوّر

العلمي بتجاوز أطبائه كابن زهر العمل بنظرية الأخلاط الأربعة في تشخيصهم لبعض الأمراض كالجرب، والذي أثبت الطب صحّته اليوم من خلال التأكيد على انتمائه للأمراض الجرثومية.

- لم تختلف طبيعة الأمراض في الأندلس عن طبيعة الأمراض التي شهدتها الأقطار الإسلامية آنذاك، غير أنّ بلاد الأندلس اختصّت بغلبة بعض الأمراض وفقا لما سجّلته المصادر التاريخية عامة والطبية منها خاصة؛ يدور معظمها حول الأمراض التي تنتمي إلى الأخلاط البلغمية والسوداوية كالنقرس والفالج والأورام الصلبة (السرطان والجذام) والوسواس القهري، وكان للطبيعة الجغرافية والحروب والفتن التي حّلت بهذا البلد أثر بالغ في التأثير على صحة ونفسية الأندلسيين رغم التحديات التي رفعوها في سبيل تحقيق رفهياتهم وخصوصيتهم.

- استفاد صيادلة الأندلس من النباتات الطبية، وتميّزوا عن العشّابين والمتطّفلين عن هذا العلم بانتهاج المنهج العقلاني في دراسة قِوى الأدوية؛ حيث امتهنوا بإتقان الكيفيات التي يتم بها استخلاص المواد الفعّالة من العقار النباتي من خلال معرفة المواد الكامنة فيه، ومدى تأثيرها على جسم الإنسان، والتي اصطلح عليها بمزاج الدواء. كما التزم أطباء وصيادلة الأندلس بإجراء بحوث واختبارات وتجارب على الأدوية قبل استعمالها لمعرفة طبائعها، ومدى صلاحيتها، وقوة تأثيرها وآثارها، وقوتها الشفائية، ليتعرّفوا على درجات النباتات الطبية في جسم الإنسان، ومدى مفعولها لتكتسب الخاصية التي تُصنّف وفقها (جذابة أو مسهلة، مُقيّئة، مُليّنة، مُدملة، مُنبتة....إلخ).

- توصلت الدراسة إلى أنّ المجتمعات في الفترة الوسيطية كانت عاجزة عن إدراك العوامل الناتجة عن انتشار الأمراض المعدية، كما أنَّ مُناقشة فكرة انتقال العدوى كانت مسألة جديدة نظرا لعدم فهم مُسببات انتشارها؛ وانفرد علماء الأندلس كابن خاتمة وابن الخطيب الأندلسي بالنظر في الطاعون بشكل علمي أقرّوا فيه بوجود العدوى بالحسّ والملاحظة والتجربة، وراهنوا على انتقالها من شخص إلى آخر، وأنّ عدم انتقالها لآخرين ناتج على مدى قدرة الجسم البشري واستعداده في التصدّي للمرض، وبذلك برهنوا على المناعة الذاتية لكل إنسان؛ وكل علاجاتهم للطاعون جاءت باستخدام أغذية

ونباتات وقائية فقط، لها خاصية رفع المناعة الذاتية للمريض، وليس القضاء على الطاعون بشكل نهائي.

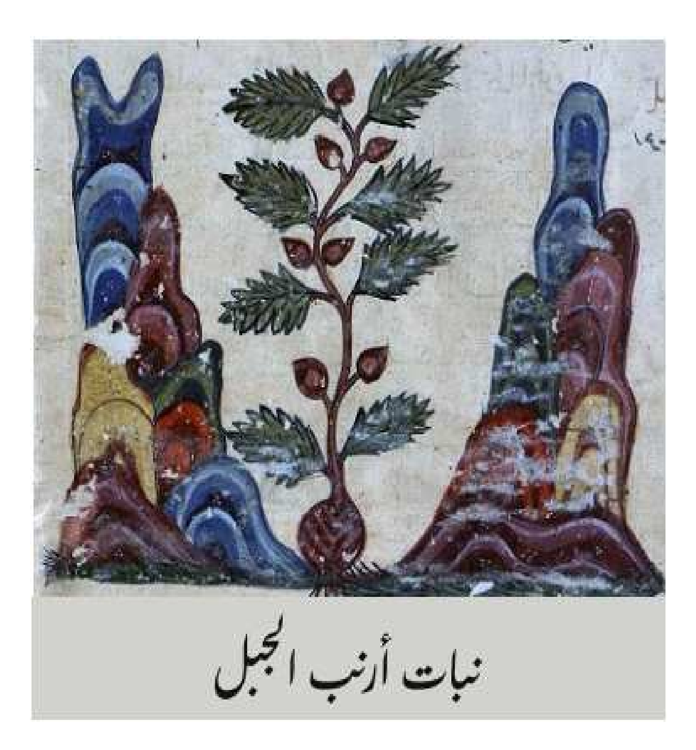
- كما خَلصت الدراسة إلى أنّ نباتات السموم شكّلت طرفا أساسيا في فعل الحدث التاريخي وفق معايير علمية مدروسة ونسب دقيقة، تمّ توظيفها من قبل كبار أعيان السلطة والوجهاء والجواري في تصفية مناوئيهم ومنافيسهم، كما كان لهذه النباتات السامة حضور ظاهر في المعارك والحروب التي جرت أحداثها بالعدوة الأندلسية من خلال تسميم السيوف والسهام، وما ينجم عنها من ضحايا يصعب إسعافهم.

- اختلفت الحاجة إلى النبات بين المنفعة العامة في خدمة المجتمع، والمنفعة الذاتية في تحقيق رغبات مكبوتة من قبل فئة تطرفت عن الفكر السويّ في المجتمع الأندلسي؛ ولم يكن للنبات أثره الحيوي في دراستنا هذه دون أن نتغلغل في ذهنية هذه الفئة، وتحليل طبيعة تفكيرها، والكشف عن سلوكياتها تُجاه وقوعها في الأزمات، ومدى استحضارها لبعض النباتات باعتبارها المقدّس في حلّ مشاكل الحياة المستعصية؛ فاستغل السحرة الخواص النَشطة في النبات، واستغلوها في توظيف أعمالهم الشيطانية.

- وليعلم القارئ لموضوع هذه الدراسة أنّ الجهد العلمي للأقدمين- الذي قدْ نمرُّ عليه مرور الكرام- قد كبّد وكلّف الكثير من الوقت نتيجة العمل المتواصل عبر الأجيال؛ ولهذا ندعو الباحثين المقبلين على تاريخ العلوم إلى الانفتاح على خزائن التراث الإسلامي، والنظر فيه بكل موضوعية وجدّية، وإدراك مدى أهمية الحوار الحضاري بين الماضي والحاضر في بناء المستقبل.



الملاحق



نبات أرنب الجبل



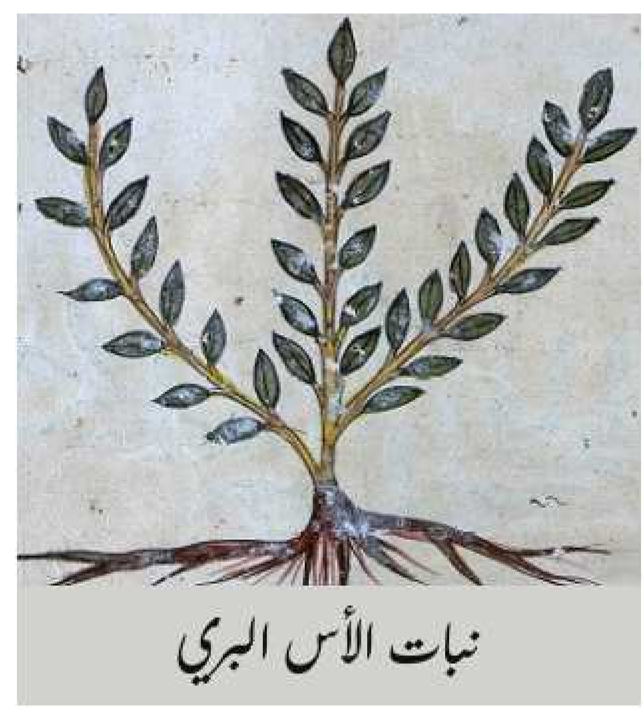
نبات القرطم



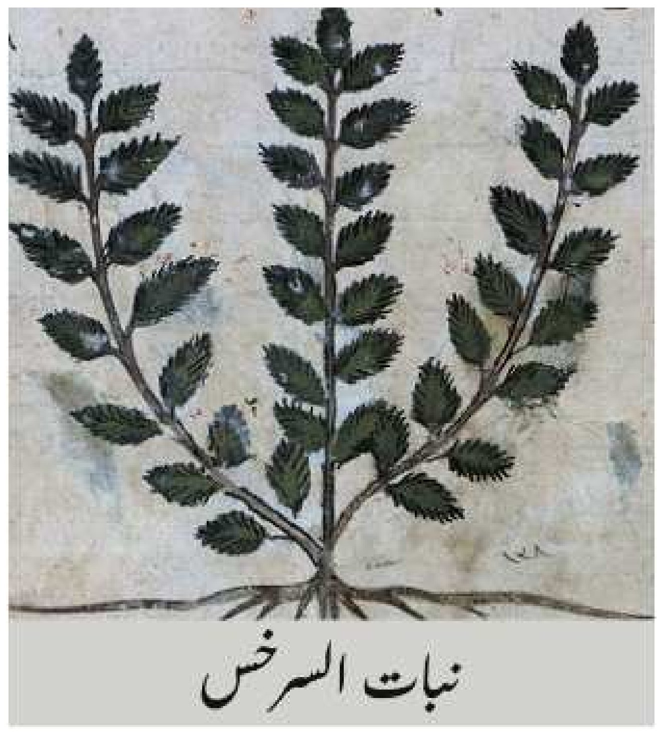
السوسن البري

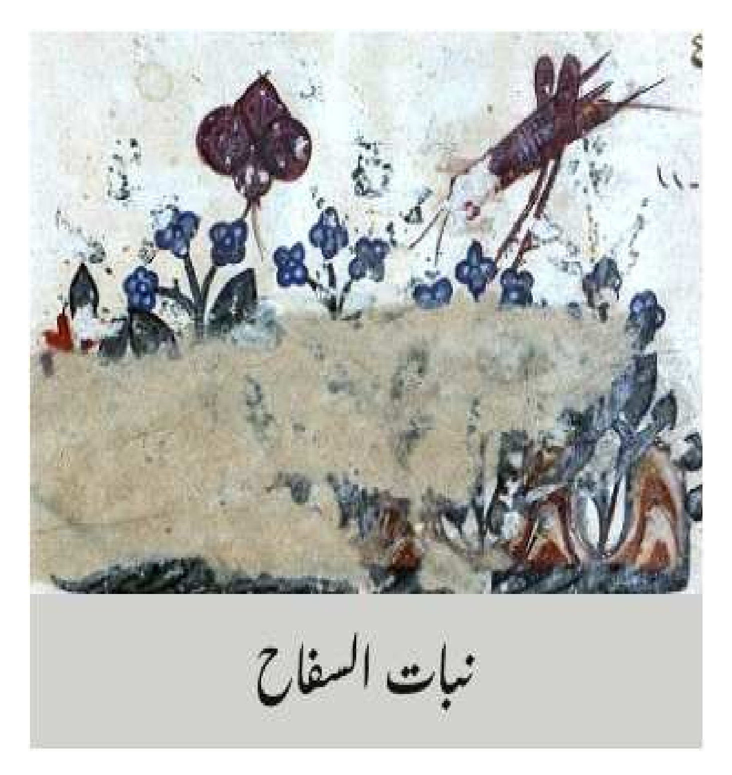


نبات الكرمة البرية


نبات الأس البري

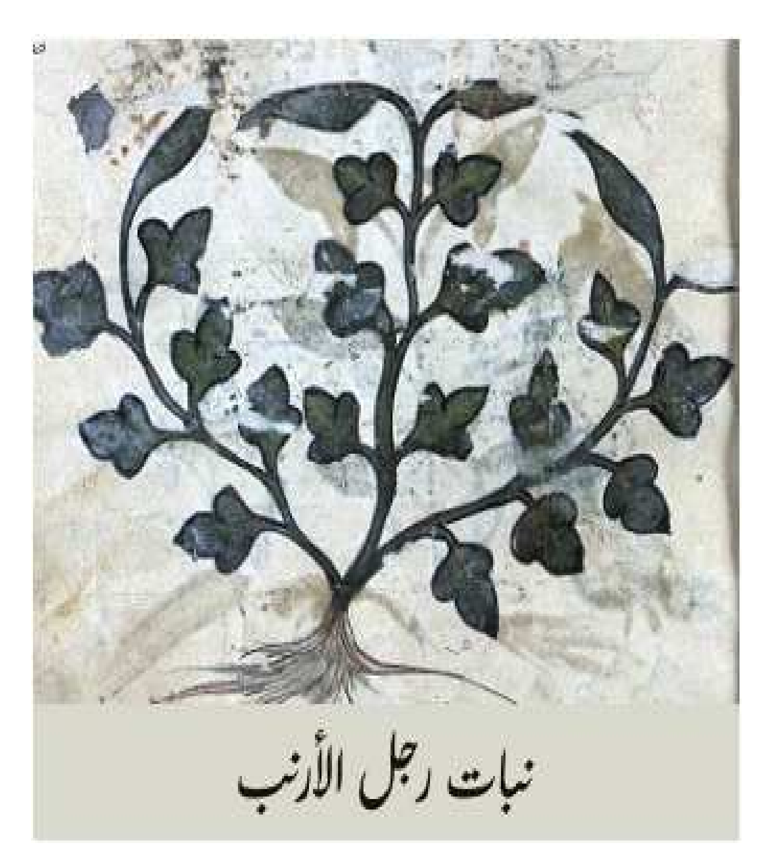

نبات عصا الراعي


نبات السرخس


نبات السفاح



قاتل الذئب



نبات رجل الأرنب



نبات الغافت



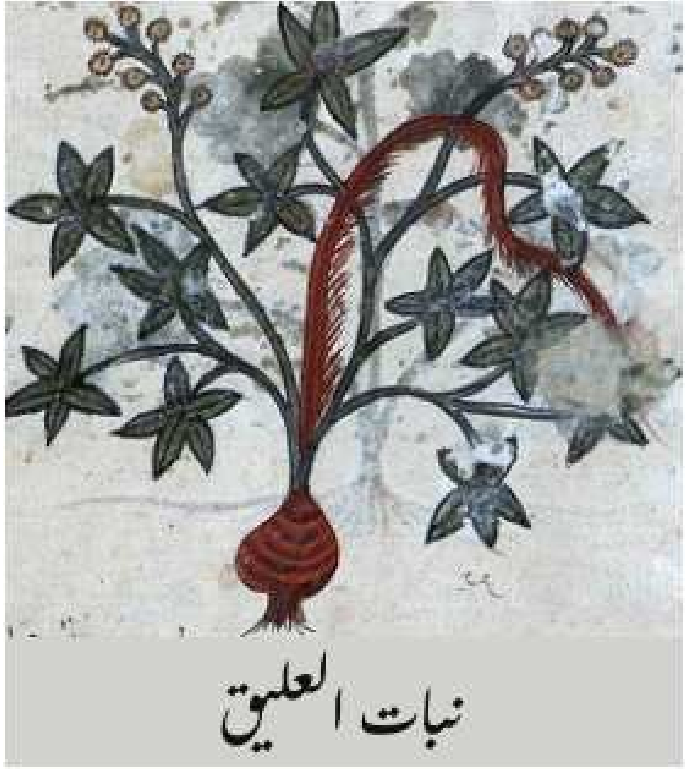
نبات البنج



نبات الأقحوان



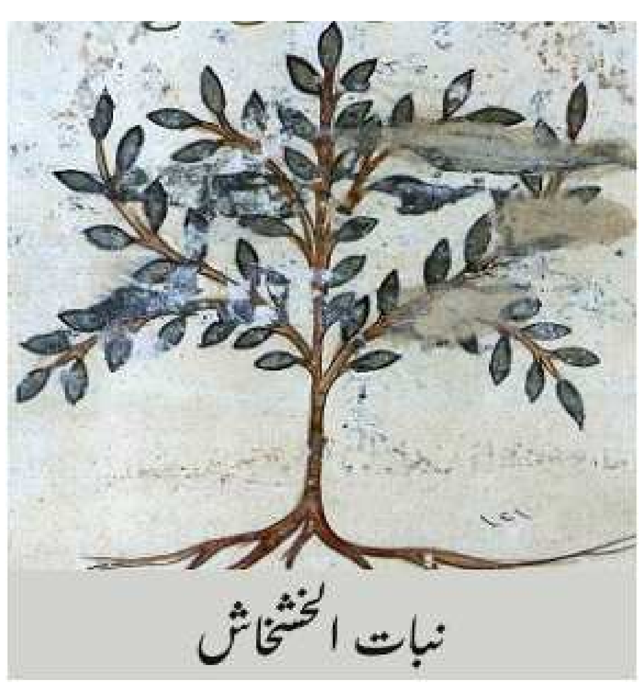
نبات عنب الثعلب



نبات العليق



نبات الثيل



نبات الخشخاش



نبات الفارس



نبات بزرقطونا



نبات الدفلى

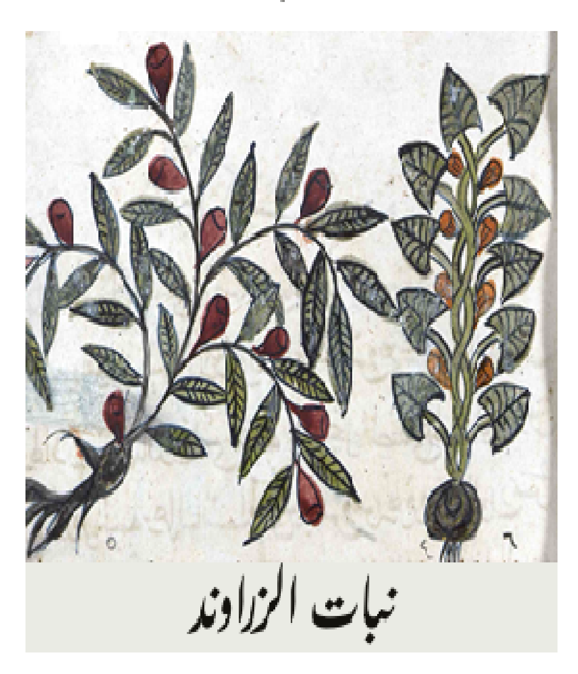
نبات الخروع



نبات الأغاريقون



حزاز الصخر



نبات الزراوند



نبات القنطريون طوليطيون



نبات الكمون



الراوند



نبات بزرقطونا



نبات الصبر



نبـــات الحندوقي

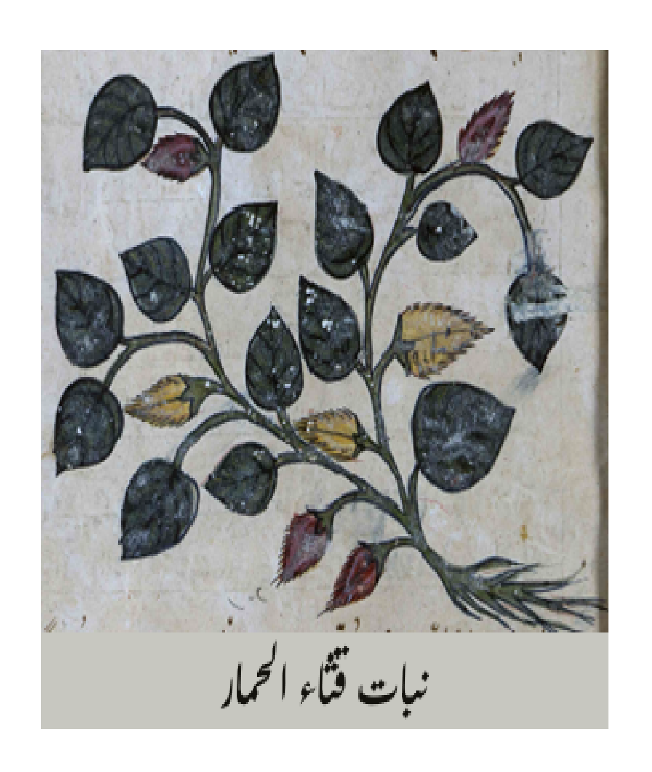


نبات سقمونيا (المحمودة)



نبات حب البان


نبات الكرفس البستاني


نبات قثاء الحمار


نبات الخربق


نبات الخربق الأسود



نبات الشوكران



نبات لسان الثور



ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم

كتب الصحاح:

1- الإمام البخاري أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن (ت 256هـ/ 869م)- صحيح البخاري- دار إحياء التراث العربي- د.ت.

2- الإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد بن كوشاذ القشيري النيسابور (ت 261هـ/875م)- صحيح مسلم بشرح النووي أبو زكريا يحي بن شرف (ت 676هـ/ 1233م)- دار إحياء التراث العربي- بيروت- 1973م.

المصادر المخطوطة:

3- الإدريسي أبو عبد الله محمد بن حمودي (ت 560هـ/1165م)- الجامع لصفات أشتات النبات- مكتبة الفاتح-اسطنبول- تحت رقم 3610.

4- الأزموري عبد الغني بن أبي سرحان بن مسعود (ت 1031هـ/1621م)- مقالة في الأدوية- مخطوط الخزانة العامة- رقم د 955.

5- ابن بُكلارش الإسرائيلي يوسف بن إسحاق (ت حوالي 500هـ/1006م)- المستعيني في الطب- مخطوط المكتبة العامة بالرباط- رقم 2976 d

6- ابن البيطار أبو محمد عبد الله بن أحمد المالقي العشاب (ت 646هـ/1248م)- منافع الحيوان وخواص المفردات- مخطوط المكتبة الوطنية الفرنسية- تحت رقم 2772 .

7- ديسقوريدس فيدانيوس (ت حوالي 90م)- كتاب الحشائش- ترجمة اصطفين بن باسيل- رقم 3703- مخطوط آيا صوفيا- اسطنبول.

8- ابن سمجون أبو بكر حامد (ت حوالي 400هـ/1009م)- جامع الأدوية المفردة- مخطوطة أحمد الثالث- رقم 2121- مكتبة طوبقاي سراي- مكتبة السليمانية- إسطنبول.

9- ابن طفيل الأندلسي أبو بكر بن عبد الملك محمد (ت 581هـ/ 1185م)- أرجوزة في الطب- مخطوط خزانة القرويين بفاس- تحت رقم 1969.

10- ابن المبارك الحسن بن أبي ثعلب (ت بعد 774هـ/ 1372م)- المنقذ من الهلكة في دفع مضار السموم المُهلكة- مخطوط على الشكبة العنكبوتية من موقع: https://www.wdl.org/ar/item/4284

11- المواعيني أبو القاسم محمد بن إبراهيم بن خيرة الإشبيلي (ت 564هـ/ 1169م)- ريحان الألباب وريعان الشباب في مراتب الآداب- مخطوط الخرانة الحسنية- رقم 1406.

12- مجهول- الطب في منافع بعض الأعشاب-مخطوط بمكتبة السليمانية- خزانة أحمد باشا- تحت رقم 181.

13- مجهول- رسالة في فوائد قلع الآثار لمؤلف- مخطوط بخزانة السليمانية باسطنبول تحت رقم 2092.

قائمة المصادر المطبوعة:

14- ابن الأبار أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي (ت 658هـ/ 1259م)- التكملة لكتاب الصلة- ضبط وتعليق جلال الأسيوطي- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 2008.

15- ابن الأبار- الحلة السيراء في تراجم الشعراء من أعيان الأندلس والمغرب من المائة الأولى للهجرة إلى المائة السابعة- تحقيق علي إبراهيم محمود- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 2008.

16- الإدريسي أبوعبد الله الشريف(ت 560هـ/ 1165م)- نزهة المشتاق في اختراق الأفاق- مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة- 2002

17- الإدريسي أبوعبد الله الشريف- القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس مقتبس من كتاب نزهة المشتاق- تحقيق اسماعيل العربي- ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر- 1983.

18- الأزرق إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي بكر (ت بعد 990هـ/1485م-تسهيل المنافع في الطب والحكمة- وزارة التراث والثقافة- مسقط- سلطنة عمان- ط1- 2006.

19- الأزهري محمد بن أحمد (ت 370هـ/ 980م)- معجم تهذيب اللغة- دار المعرفة- بيروت- ط1- 2001.

20- الأسعد المحلي يعقوب ابن اسحاق (ت 605هـ/1208م)- مزاج دمشق- تحقيق: لطف الله قاري- ضمن كتاب نصوص نادرة من التراث العلمي- مكتبة الإمام البخدي للنشر والتوزيع- القاهرة- 2012.

21- الأصمعي أبو سعيد عبد الملك بن قريب (ت 216هـ/831م)- كتاب النَّبات- تحقيق عبد الله يوسف الغنيم- توزيع مكتبة المتنبي- القاهرة- ط1- 1972.

22- الإصطخري أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الكرخي(ت حوالي 346هـ/ 957م)- المسالك والممالك- مطبعة بريل- ليدن- 1927-

23- ابن أبي أصيبعة موفق الدين أبي العباس بن أحمد بن القاسم السعدي الخزرجي (ت 668هـ/ 1270م)- عيون الأنباء في طبقات الأطباء- تحقيق محمد باسل عيون السُّود- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 1998.

24- الإلبيري عبد الملك بن حبيب القرطبي- العلاج بالأغذية الطبيعية والأعشاب في بلاد المغرب أو مختصر في الطب- وضع حواشيه و علقَّ عليه محمد أمين الضنّاوي- دار الكتب العلمية -ط3- بيروت- 2004.

25- البرزلي أبو القاسم بن أحمد البلوي(ت حوالي 844هـ/ 1440م)- جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتي والحكام- تحقيق محمد الحبيب الهيلة- دار الغرب الإسلامي- بيروت- 2002.

26- ابن بسام المحتسب محمد بن أحمد (ت في الربع الأخير من ق6هـ/ق12م)- نهاية الرتبة في طلب الحسبة- تحقيق حسام السامرائي- مطبعة الهدف- بغداد- 1968.

27- ابن بسام الشنتريني أبو الحسن علي (ت 542هـ/1147م)- تحقيق سالم مصطفى البدري- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 1999.

28- ابن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت 578/ 1183م)- الصلة في تاريخ علماء الأندلس- تحقيق صلاح الدين الهواري- الدار النموذجية المطبعة العصرية- بيروت- ط1- 2003.

29- ابن بصال ابي عبد الله محمد بن ابراهيم الطليطلي (ت في القرن 5ه/11م)- الفلاحة- تح: خوسي ماريا بيروسكا ومحمد غريمان- معهد مولاي حسن- تطوان- 1955.

30- ابن بطلان أبو الحسن المختار بن الحسن بن عبدون البغدادي المتطبب (ت 454ه/ 1062م)- رسالة جامعة في الفنون نافعة في شرى الرقيق وتقليب العبيد- ضمن نوادر المخطوطات- تحقيق عبد السلام هارون- مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر- القاهرة- ط1-1954.

31- البغدادي عبد القادر بن عمر (ت 1093ه/1682م)- خزانة الأدب و لب لسان العرب- تحقيق عبد السلام محمد هارون- مكتبة الخانجي- القاهرة- ط4- 1997.

32- ابن بكلارش يوسف ابن إسحاق (ت حوالي 500ه/1006م)- الأدوية المفردة المسمى المستعيني- تحقيق محمد العربي الخطابي- ضمن كتاب الأغذية و الأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي- دار الغرب الإسلامي- ط1- 1990.

33- ابن بلقين عبد الله بن باديس (بعد 488ه/ بعد1095)- كتاب التبيان- تحقيق: توفيق الطيبي- منشورات عكاظ- الرباط- 1995.

34- بليونس الحكيم (ت حوالي 100م)- كتاب سر الخليقة وصنعة الطبيعة (كتاب العلل)- تحقيق أوروسولا وايسير- معهد التراث العلمي العربي- جامعة حلب- 1979.

35- البيروني أبو الريحان محمد بن أحمد- الصيدنة- (ت 440ه/ 1048م)- تحقيق محمد سعيد ورانا إحسان- كراتشي- باكستان- 1983.

36- ابن البيطار ضياء الدين أبي محمد عبد الله المالقي الأندلسي (ت 646ه/1248م)- الجامع لمفردات الأدوية والأغذية- دار الكتب العلمية- بيروت- 2001.

37- ابن البيطار ضياء الدين أبي محمد عبد الله المالقي الأندلسي- الدّرة البهية في منافع الأبدان الإنسانية- تحقيق محمد عبد الله الغزالي- دار العلم للجميع- القاهرة- ط3- 1987.

38- ابن البيطار الأندلسي- الإبانة والإعلام بما في المنهاج من الخلل والأوهام: دراسة في الكتاب وتحقيق لنماذج من مواده- تحقيق ابراهيم مراد- ضمن كتاب بحوث في تاريخ الطب و الصيدلة عند العرب- دار الغرب الإسلامي- بيروت- ط1- 1991.

39- ابن البيطار- تفسير كتاب ديسقوريدس في الأدوية المفردة- تحقيق: إبرهيم بن مراد- ط1- دار الغرب الإسلامي- بيروت- 1989.

40- التميمي محمد بن أحمد المقدسي (ت 390ه/ 1000م)- مادة البقاء في إصلاح فساد الهواء والتحرز من ضرر الأوباء- تحقيق : يحي الشعار- معهد المخطوطات العربية- القاهرة- 1999.

41- ابن تومرت محمد (ت 524هـ/1129م)- أعزُّ ما يُطلب- تحقيق عمار طالبي- وزارة الثقافة الجزائرية- الجزائر- 2007.

42- التيفاشي شهاب الدين أحمد (ت 651 هـ/1253م)- نزهة الألباب فيما لا ويجد في كتاب- تحقيق جمال جمعة- رياض الريس للكتب والنشر- قبرص- ط1- 1992.

43- التيفاشي شهاب الدين أحمد- أوصاف النساء- تحقيق محمد رجب- دار الحرية للصحافة والطباعة- 2006.

44- ابن تغري بردي أبو المحاسن جمال الدين الآتابكي (ت 874هـ/1470م)- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة- طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب- وزارة الثقافة و الإرشاد القومي المؤسسة العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر-مصر- 1963.

45- الجرسيفي عمر بن عثمان (ت 1214هـ/1800م)- رسالة في الحسبة- ضمن كتاب ثلاث رسائل في الحسبة- تحقيق ليفي بروفنصال- المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية- مصر- 1955.

46- ابن الجزار أبو جعفر ابن إبراهيم بن أبي خالد القيرواني (ت 362هـ/ 970م)- زاد المسافر وقوت الحاضر- تحقيقمحمد سويسي وآخرون-المجمعالتونسي للعلوم والآداب والفنون- بيت الحكمة- تونس- 1999.

47- ابن الجزار- كتاب في فنون الطيب والعطر- تحقيق الراضي الجازي وفاروق العسلي- المجمع التونسي للعلوم و الآداب و الفنون بيت الحكمة- تونس- ط1- 2007.

48- ابن الجزار- طب الفقراء والمساكين- تحقيق الراضي الجازي وفاروق عمر العسلي- المجمع التونسي للعلوم والآداب و الفنون بيت الحكمة- تونس- 2009.

49- ابن جلجل سليمان بن حسان (ت 377هـ/ 943م)- طبقات الأطباء- تحقيق فؤاد السيد- مؤسسة الرسالة- بيروت- ط2- 1985.

50- ابن جلجل- مقالة ثامنة (نذكر فيما قصر ديسقوريدس عن ذكره في كتابه ممَّا يستعمل في صناعة الطب)- تحقيق إلدوفونسو جاريخو- مركز الدراسات العربية والإسلامية- قرطبة- 1992.

51- ابن جلجل- مقالة في أدوية الترياق- تحقيق ونشر إلديفونسو جاريخو- مركز الدراسات العربية والإسلامية- قرطبة- 1992.

52- الجناوني أبو زكرياء يحيى بن الخير بن أبي الخير(عاش في النصف الأول ق5هـ/11م)-كتاب النكاح- نشر سليمان أحمد عون الله و محمد ساسي زغدود- مطبعة نهضة مصر- 1976.

53- ابن الحاج التجيبي القرطبي القاضي الشهيد أبي عبد الله محمد بن أحمد (ت 529هـ/1134م)- نوازل ابن الحاج التجيبي- دراسة وتحقيق: أحمد شعيب يوسفي- منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية- تطوان- 2018.

54- ابن حبيب الإلبيري القرطبي عبد الملك (ت 238هـ/853م)- العلاج بالأغذية الطبيعية والأعشاب في بلاد المغرب أو مختصر الطب- وضع حواشيه وعلقّ عليه- محمد أمين الضنّاوي- دار الكتب العلمية- ط1-2004.

55- ابن حجَّاج الاشبيلي أبو عمر بن محمد- (كان بقيد الحياة 464هـ/1072م)- المقنع في الفلاحة- تحقيق صلاح جرار وجاسر أبو صفية- منشورات مجمع اللغة العربية الأردني- عمان- 1983.

56- ابن حزم الأندلسي أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت 456هـ/ 1064م)- طوق حمامة في الألفة والألاف- دار المحبة ودار آية- دمشق- بيروت- ط1- 2007.

57- ابن حزم الأندلسي أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت 456هـ/1063م)- المحلى بالآثار شرح المجلى بالاختصار- دار الفكر للطباعة والنشر- بيروت- د.ت.

58- الحسن بن محمد الوزان الفاسي (ت بعد 957هـ/1550م)- وصف إفريقيا- ترجمه عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الاخضر- دار الغرب الإسلامي- بيروت- ط1- 1983.

59- الحميدي أبو عبد الله بن فتوح بن عبد الله (ت 488هـ/ 1095م)- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس- تحقيق بشار عواد معروف- دار الغرب الإسلامي- بيروت- ط1- 2008.

60- الحميري أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت 750هـ/ 1349م)- صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار- نشر وتعليق ليفي بروفنصال-دار الجيل- بيروت- ط2- 1988.

61- ابن حوقل أبو القاسم النصيبي (ت بعد 367هـ/ 978م)- كتاب صورة الأرض- دار مكتبة الحياة- بيروت- 1996.

62- ابن حيان أبو مروان بن خلف الأموي القرطبي (ت 469هـ/ 1076م)- المقتبس في أخبار بلد الأندلس- تحقيق عبد الرحمن حجي- دار الثقافة- بيروت- 1965.

63- ابن حيان أبو مروان بن خلف الأموي القرطبي- المقتبس ج5- نشر وتحقيق بدرو شالميطا وآخرين- المعهد الإسباني العربي للثقافة- كلية الآداب الرباط- مدريد- 1979.

64- ابن حيان أبو مروان بن خلف الأموي القرطبي- المقتبس من أنباء أهل الأندلس- تحقيق محمود علي مكي- وزارة الأوقاف- القاهرة- 1994.

65- ابن حيان أبو مروان بن خلف الأموي القرطبي- كتاب المقتبس- السفر الثاني تحقيق محمود علي مكي- مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية- الرياض- 2003.

66- ابن خاقان الإشبيلي الأندلسي أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله (ت 529هـ/1135م)- مَطمح الأنفس و مسرح التأنس في مُلَح أهل الأندلس- تحقيق هدى شوكت بهنام- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 2014.

67- ابن خالويه أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه بن حمدان الهمذاني (ت 380هـ/980م)- كتاب الشجر- تحقيق ونشر صامويل ناجلبرج- مطبعة ماكس شمرسوف في كرنخهن- ألمانيا- 1909.

68- الخشني أبو الله محمد بن حارث بن أسد (ت 361هـ/971م)- قضاة قرطبة- تحقيق إبراهيم الأبياري- دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني- القاهرة- بيروت- ط2- 1989.

69- ابن الخطيب لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله السلماني الغرناطي (776هـ/ 1374م)- أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام- تحقيق: ليفي بروفنصال- دار المكشوف- بيروت- ط2- 1956.

70- ابن الخطيب- كتاب عمل من طب لمن حبّ- نشر ماريّا كونثبثيون بنيتو- جامعة سلمنقة- 1972.

71- ابن الخطيب السلماني- معيار الإختيار في ذكر المعاهد والديار- تحقيق محمد كمال شبانة- نشر المعهد الجامعي للبحث العلمين دار أكدال- المغرب- 1977.

72- ابن الخطيب السلماني الأندلسي- الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة- تحقيق إحسان عباس- دار الكتاب العربية- دار الثقافة- بيروت- ط1-1983.

73- ابن الخطيب- مشاهدات لسان الدين في بلاد المغرب والأندلس- تحقيق أحمد مختار العبادي- مؤسسة شباب الجامعة- القاهرة- ط1- 1983.

74- ابن الخطيب السلماني الأندلسي- الوصول في حفظ الصحة في الفصول- ضمن كتاب الطبّ والأطباء في الأندلس الإسلامية- تحقيق محمد العربي الخطابي- ط1- دار الغرب الإسلامي- 1988.

75- ابن الخطيب- الإحاطة في أخبار غرناطة- تحقيق يوسف علي الطويل- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 2003.

76- ابن الخطيب أبو عبد محمد لسان الدين- اللمحة البدرية في الدولة النصري- دراسة وتحقيق محمد مسعود جبران- دار المدار الإسلامي- بيروت- ط1- 2009.

77- ابن الخطيب- مقنعة السائل عن المرض الهائل- ضمن ثلاث رسائل أندلسية في الطاعون الجارف- المجمع التونسي والآداب والفنون- تحقيق ودراسة محمد حسن- قرطاج- 2013.

78- ابن الخطيب-مُقنِعة السائل عن المرض الهائل- تحقيق حياة قارة- دار الأمان- الرباط- 2015.

79- ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت 808هـ/1406م)- مقدمة ابن خلدون- دار الفكر للطباعة والنشر- بيروت- ط1- 2003.

80- ابن خلصون محمد بن يوسف الأندلسي (ت 701هـ/1302م)- كتاب الأغذية- تحقيق وترجمة إلى الفرنسيةسوزان جيغاندي- المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق- دمشق- 1992.

81- ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت 681هـ/1282م)- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان- تحقيق احسان عباس- دار صادر- بيروت- 1972.

82- الخوارزمي محمد بن أحمد بن يوسف (ت 387هـ/997م)- مفاتيح العلوم- نشر فان فلوتان- ليدن- 1885.

83- أبو الخير الإشبيلي (ق6هـ/12م)- عمدة الطبيب في معرفة النبات- تحقيق محمد العربي الخطابي- دار الغرب الإسلامي- بيروت- ط1- 1995.

84- أبو الخير الإشبيلي- الفلاحة- نشر التهامي الناصري الجعفري- المطبعة الجديدة- فاس- ط1- 1939م.

85- ديسقوريدس- مقدمة كتاب الحشائش والأدوية- ترجمة مهران بن منصور بن مهران (كان حيا 516هـ/ 1122م)- تحقيق و نشر صلاح الدين المنجد- مطبوعات مجتمع اللغة العربية- دمشق- 1965.

86- **ابن أبي الدنيا** أبو بكر عبد الله بن محمد (ت 281هـ/894م)- الجوع- تحقيق محمد خير رمضان يوسف- دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت- ط2- 2000م.

87- الدينوري أبو حنيفة أحمد بن داود (ت 282هـ/895م)- كتاب النبات- تحقيق وشرح وتقديم برنهارد لقينن- المعهد الألماني للأبحاث الشرقية- بيروت- .2009

88- الدينوري أبو حنيفة أحمد بن داود- الأنواء في مواسم العرب- دار الشؤون الدينية الثقافية العامة ووزارة الثقافة والإعلام العراقية- بغداد- 1988.

89- الرازي أبو بكر محمد بن زكرياء (ت 313هـ/925م)- الطبُّ الروحاني- تحقيق: عبد اللطيف العبد- مكتبة النهضة المصرية- القاهرة- 1978.

90- الرازي أبو بكر محمد بن زكرياء- المنصوري في الطب- تحقيق حازم البكري الصديقي لبيب- منشورات معهد المخطوطات العربية- الكويت- 1987.

91- الرازي أبو بكر محمد بن زكرياء- الحاوي في الطب- مراجعة و تصحيح: محمد إسماعيل- دار الغرب الإسلامي- بيروت- ط1- 2000-ج 1-ج11.

92- الرازي أبو بكر محمد بن زكرياء- الطب المُلُوكِيُّ- تحقيق محمد ياسر زكور- دار المنهاج- جدة- ط1- 2009.

93- ابن رزين أبو الحسن علي بن محمد التجيبي (ت النصف الأول من ق7هـ/13م)- فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان- تحقيق محمد بن شقرون- دار الغرب الإسلامي- ط3- بيروت- 2012.

94- ابن رشد الجد أبي الوليد محمد بن أحمد (ت 520هـ/1126م)- فتاوى ابن رشد- تحقيق المختار بن الطاهر التليلي- دار الغرب الإسلامي- ط1- 1987.

95- ابن رشد الجد أبو الوليد- مسائل أبي الوليد بن رشد- تحقيق حبيب التجكاني- دار الجيل ودار الأفاق الجديدة- بيروت و المغرب- ط2- 1993.

96- ابن رشد القرطبي أبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد (ت 595هـ/ 1198م)- الكليات في الطب- تحقيق أحمد فريد المزيدي- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 2005.

97- ابن رشد القرطبي أبي الوليد محمد- جوامع الكون والفساد- تحقيق أبو الوفا النعيمي التفتازاني وسعيد زايد- مراجعة إبراهيم مدكور- المجلس الأعلى للثقافة بالتعاون مع الإتحاد الدولي للأكاديميات- الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة- 1994.

98- الرضا علي بن موسى (ت 203هـ/818م) الرسالة الذهبية المعروفة بـ"طِبِ الإمام الرضا"- تحقيق محمد مهدي نجف- مطبعة الخيّام- قُم- 1982.

99- الرندي محمد بن إبراهيم (كان حيا في ق9هـ/15م)- كتاب الأغذية- ضمن كتاب الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي مدخل ونصوص- تحقيق محمد العربي الخطابي- دار الغرب الإسلامي- بيروت- ط1- 1990.

100- ابن الزبير أبي جعفر أحمد بن إبراهيم الغرناطي (ت 1308/708م)- صلة الصلة- ضبط وتعليق جلال الأسيوطي- دار الكتب العلمية- ط1- 2008.

101- الزجالي أبو عبد الله بن أحمد القرطبي (ت 694هـ/1294م)-أمثال العوام في الأندلس مستخرجة من كتابه ري الأوام ومرعى السوام في نكت الخواص والعوام- تحقيق وشرح ومقارنة محمد بن شريفة- منشورات وزارة الثقافة- دار المناهل- الرباط- 2006.

102- ابن أبي زرع علي بن محمد بن أحمد بن عمر بن أبي عمر الفاسي (ت 726هـ/1326م)- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس- تحقيق عبد الوهاب بنمنصور- المطبعة الملكية- الرباط- ط2- 1999.

103- ابن زمرك محمد بن يوسف الصريحي الأندلسي الغرناطي (ت 793هـ/1392م)- ديوان ابن زمرك- دار الغرب الإسلامي- تحقيق محمد توفيق النيفر- دار الغرب الإسلامي- بيروت- ط1- 1997.

104- الزركشي الإمام بدر الدين بن بهادر بن عبد الله (ت 794هـ/1392م)- زهر العريش في تحريم الحشيش- تحقيق السيد أحمد فرج- دار الوفاء للطباعة والنشر- ط2- 1990.

105- ابن زهر مروان ابن عبد الملك (ت 557هـ/1162م)- التيسير في المداواة والتدبير- تحقيق ميشيل الخوري- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم- دمشق- ط1- 1983.

106- ابن زهر أبو مروان عبد الملك (ت 571هـ/1165م)- الأغذية- تحقق إكسبيراثيون غارثا- المجلس الأعلى للأبحاث العلمية مع معهد التعاون العالم العربي- مدريد- 1992.

107- الزهراوي أبو القاسم خلف بن عباس (ت بعد سنة 400هـ/1013م)- التصريف لمن عجز عن التأليف- المقالة الأولى والثانية- تحقيقمحمد الخطابي- ضمن كتاب الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية- دار الغرب الإسلامي- بيروت- ط1- 1988.

108- الزهراوي- التصريف لمن عجز عن التأليف- المقالة 19- تحقيق محمد العربي الخطابي- ضمن كتاب الأدوية و الأغذية عند مؤلفي الغرب الإسلامي- دار الغرب الإسلامي- بيروت- ط1- 1990.

109- الزهراوي- التصريف لمن عجز عن التأليف- تحقيق وترجمة صبحي محمود حماحمي- مؤسسة الكويت للتقدم العلمي- إدارة الثقافة العلمية-ط1- 2004.

110- الزهري أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت بعد 546هـ/1151م)- كتاب الجعرافية- تحقيق محمد حاج صادق- مكتبة الثقافة الدينية- بور سعيد- د.ت.

111- السجستاني أبو حاتم سهل بن عثمان (ت 255هـ/869م)- كتاب النخلة- تحقيق حاتم صالح الضامن- دار البشائر الإسلامية- بيروت- ط1-2002.

112- السجلماسي المغربي الأمير الشريف عبد الله بن أحمد بن إسماعيل الحسني العلوي (ت 1233هـ/1817م)- نُزهة النفوس فيما يصلح للعريس والعروس-تحقيق: إبراهيم بن عبد العزيز اليحي- الدار العربية للموسوعات- بيروت- ط1-2001.

113- السرقسطي أبي الطاهر محمد بن يوسف (ت 538هـ/1146م)- المقامات اللزومية- تحقيق حسن الوراكلي- جَدارا للكتاب العالمي وعالم الكتب الحديث- الأردن- ط2- 2006.

114- ابن سعيد المغربي أبو الحسن علي بن موسى(ت 685هـ/1286م)- المُغرب في حُلى المغرب- تحقيق شوقي ضيف- دار المعارف- القاهرة- ط4- 1959.

115- ابن سعيد المغربي- اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى- تحقيق إبراهيم الأبياري- الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية-القاهرة- 1959.

116- ابن سعيد المغربي- رايات المبرزين وغايات المميزين- تحقيق محمد رضوان الداية- دار طلاس للترجمة والنشر- دمشق- ط1- 1987.

117- ابن سعيد المغربي- الجغرافيا- تحقيق إسماعيل العربي- منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت-- ط1- 1970.

118- السقطي أبو عبد الله محمد بن أبي محمد المالكي (ق6هـ/12م)- آداب الحسبة- تحقيق ليفي بروفنصال- المطبعة الدولية- باريس- 1931.

119- ابن سلوم صالح بن نصر الله الحلبي (ت 1081هـ/ 1670م)- غاية الإتقان في تدبير بدن الإنسان- تحقيق محمد ياسر بن محمد جميل زكور- دار الكتب العلمية- بيروت.

120- ابن سيده المرسي أبي الحسن علي بن اسماعيل (ت 458هـ/1066م)- كتاب المخصص- تحقيق خليل إبراهيم جفال- دار إحياء التراث العربي- بيروت- 1996.

121- ابن سينا أبو علي بن عبد الله بن الحسن بن علي (ت 427هـ/1037م)- القانون في الطب- تحقيق محمد أمين الضناوي- دار الكتب العلمية- بيروت- 1999.

122- السيوطي أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر(ت 911هـ/1505م)- الديباج على صحيح مسلم- تحقيق أبو إسحاق الجويني الأري- دار ابن عفان- السعودية- 1996.

123- السيوطي أبو بكر جلال الدين عبد الرحمن- ما رواه الواعون في أخبار الطاعون- تحقيق محمد علي البار- دار القلم- دمشق- ط1- 1997.

124- السيوطي أبو بكر جلال الدين- بُغية الوعاة في طبقات اللغويين و النُّحاة- تحقيق مصطفى عبد القادر عطا- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 2004.

125- شاناق الهندي (عاش في القرن 3ق.م)- كتاب شاناق في السموم والترياق- ترجمة عباس بن سعيد الجوهري، تحقيق ودراسة يسري سلامة- معهد المخطوطات العربية- الإسكندرية- 2014.

126- الشقوري أبو عبد الله اللخمي (ت بعد 776هـ/1374م)- مقالة في الطب- تحقيق محمد العربي الخطابي- ضمن كتاب الأدوية والأغذية عند مؤلفي الغرب الإسلامي- دار الغرب الإسلامي- بيروت- ط1-1990.

127- الشقوري أبو عبد الله اللخمي- فصول من كتاب تحفة المتوسل وراحة المتأمل- تحقيق محمد العربي الخطابي- ضمن كتاب الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية- دار الغرب الإسلامي- بيروت- ط1- 1988.

128- الشقوري أبو عبد الله اللخمي- النصيحة- تحقيق محمد حسن- ضمن كتاب ثلاث رسائل في الطاعون- المجمع التونسي والآداب والفنون-قرطاج- 2013.

129- صاعد الأندلسي القاضي أبو القاسم بن أحمد (ت 462هـ/ 1069م)- طبقات الأمم- نشر الأب لويس شيخو اليسوعي- المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين- بيروت- 1913.

130- أبو الصلت الداني أمية بن عبد العزيز(ت 529هـ/1134م)- الأدوية المفردة- ضمن كتاب بحوث في تاريخ الطب و الصيدلة عند العرب- دار الغرب الإسلامي- بيروت- ط1- 1991.

131- الضبّي أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة (ت 599هـ/1202م)- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس- تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 1997.

132- طاش كبري زادة أحمد بن مصطفى (ت 968هـ/1561م)- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 1985.

133- الطغنري محمد بن مالك (ت 494هـ/1101م)- كتاب زهرة البستان ونزهة الأذهان- تحقيق إكسبراثيون غارثيا- المجلس الأعلى للأبحاث العلمية- مدريد- 2006.

134- ابن عاصم الغرناطي أبو يحي محمد (ت 857هـ/1453م)- جنة الرضا في التسليم لما قدّر الله وقضى- تحقيق صلاح جرار- دار البشير- 1989.

135- ابن عبد الرؤوف- أحمد بن عبد الله (ت في النصف الأول من ق6هـ/12م)- رسالة ابن عبدون في الحسبة و المحتسب- ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب- تحقيق ليفي بروفنصال- مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة- 1955.

136- ابن عبد الملك المراكشي أبو الله بن محمد بن محمد الأنصاري الأوسي (ت 703هـ/1304م)- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة- تحقيق إحسان عباس ومحمد بن شريفة وبشار وعوّاد معروف- دار الغرب الإسلامي- بيروت- ط1- 2012.

137- ابن عبد الملك المراكشي أبو الله بن محمد بن محمد الأنصاري الأوسي (ت 703هـ/1304م)- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة- تحقيق إحسان عباس ومحمد بن شريفة- دار الغرب الإسلامي- بيروت- ط1- 2012.

138- ابن عباد الرندي النفزي (ت 792هـ/1390م)- الرسائل الكبرى- مطبعة المعلم الأزرق (طبعة حجرية)- فاس. د.ت.

139- ابن العديم عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة (ت 660هـ/ 1262م)- الوُصْلة إلى الحبيب في وصف طيبات الطعام والطيب- تحقيق سليمى محجوب ودريّة الخطيب- معهد التراث العلمي العربي- حلب - سورية- 1986.

140- ابن عذاري المراكشي أبو عبد الله محمد (كان بقيد الحياة 712هـ/1312م)- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب- تحقيق ج. س. كولان وليفي بروفنصال- دار الكتب العلمية- بيروت- 2009.

141- ابن عذاري المراكشي- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب- قسم الموحدين- تحقيق محمد إبراهيم الكتاني وآخرين- دار الغرب الإسلامي- بيروت- دار الثقافة- الدار البيضاء- 1406هـ/1985م.

142- العذري أحمد بن عمر بن أنس- (ت 478هـ/1085م)- نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك- تحقيق عبد العزيز الأهواني- مطبعة معهد الدراسات الإسلامية- مدريد- 1965.

143- ابن عرضون أبو العباس أحمد بن الحسن (ت 992هـ/1584م)- مُقنع المحتاج في آداب الأزواج- دراسة وتحقيق عبد السلام زياني- مركز الإمام للدراسات والنشر للتراث ودار ابن حزم- الجزائر- بيروت- ط1- 2010.

144- عريب بن سعيد القرطبي (ت 369هـ/ 980م)- كتاب خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين- تصحيح وترجمة وتعليق نور الدين عبد القادر وهنري جاهيه- مكتبة فراريس- الجزائر- 1956.

145- عريب بن سعيد القرطبي- تقويم قرطبة- نشر رينهارت دوزي- ليدن- 1967.

146- ابن العزفي عبيد الله محمد بن يحي بن أبي طالب (ت 768هـ/1366م)- الاكتفاء في طلب الشفاء- تحقيق محمد العربي الخطابي- ضمن كتاب الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي- دار الغرب الإسلامي- بيروت- ط1-1990.

147- ابن عسكر أبو عبد الله وبن خميس أبو بكر- أعلام مالقة- تقديم وتعليق عبد الله المُرابط الترغي- دار الغرب الإسلامي- بيروت- دار الأمان للتوزيع والنشر- الرباط- ط1- 1999.

148- ابن العطار القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبيد الله بن سعيد الأموي (ق 4هـ/10م)- الوثائق والسجلات- تحقيق بيدروشالميطا وفيديريكو كورينطي ومحمد صبح- المعهد الإسباني العربي للثقافة- مدريد- 1973.

149- العلائي إبراهيم بن أبي سعيد (ت 547هـ/1152م)- تقويم الأدوية المفردة أو المنجح في التداوي من جميع الأمراض والشكاوي- تحقيق هشام الأحمد ومراجعة محمود المصري- معهد المخطوطات العربية- القاهرة- ط1- 2011.

150- ابن عمران إسحاق (ت 294هـ/907م)- مقالة في الماليخوليا- تحقيقعادل العمراني والراضي الجازي- المجمع التونسي للعلوم و الآداب و الفنون- بيت الحكمة- تونس- 2009.

151- العمري أبو العباس شهاب الدين أحمد بن فضل الله بن يحي (ت 749هـ/1348م)- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار- تحقيق كامل سلمان الجبوري- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 2010.

152- ابن العوام الإشبيلي أبو زكرياء يحي بن محمد بن أحمد (ت 580هـ/1184م)- كتاب الفلاحة الأندلسية- تحقيق أنور أبو سويلم وآخرون- منشورات مجمع اللغة العربية الأردني- عمان- ط1- 2012.

153- الغساني أبو القاسم بن محمد إبراهيم- (كان حيا 1009هـ/1600م)- حديقة الأزهار في ماهية العُشب والعقار- تحقيق محمد العربي الخطّابي- ط2- دار الغرب الإسلامي- بيروت- 1990.

154- الغافقي أبي جعفر أحمد (ت 560هـ/1165م)- الأدوية المفردة- تحقيق لمقدمته ونماذج من شروحه- تحقيق إبراهيم بن مراد ضمن كتاب بحوث في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب- دار الغرب الإسلامي- بيروت- ط1- 1991.

155- ابن غالب الأندلسي محمد بن أيوب (من أهل ق6هـ/12م)- قطعة من كتاب فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس- تحقيق لطفي عبد البديع- منشور ضمن مجلة معهد المخطوطات العربية- إصدار معهد المخطوطات في جامعة الدول العربية- القاهرة- مج1- ج1- 1955.

156- أبو الفدا عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن عمر الشافعي (ت 732هـ/1331م)- المختصر في أخبار البشر- المطبعة الحسينية المصرية- مصر- 1907م.

157- ابن الفرضي أبو الوليد عبد الله محمد بن يوسف الأزدي (ت 403هـ/1013م)- تاريخ علماء الأندلس- تحقيق إبراهيم الأبياري- دار الكتاب اللبناني- مكتبة المدرسة- بيروت- ط1- 1983.

158- الفارابي أبو نصر محمد (ت 339هـ/950م)- فصول متنوعة- تحقيق فوزي متري نجار- دار الشرق- بيروت- د.ت.

159- الفراهيدي الخليل بن أحمد (170هـ/ 786م)- كتاب العين- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 2003.

160- ابن أبي الفياض أبو بكر أحمد بن سعيد بن محمد بن عبد الله (ت 459هـ/1066م)- نص أندلسي من تاريخ ابن أبي الفياض- تحقيق عبد الواحد ذنون طه- مجلة المجمع العلمي العراقي- مطبعة المجمع العلمي العراقي- بغداد- 1983.

161- الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب (ت 817هـ/1415م)- القَاموس المُحيط- تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي- مؤسسة الرسالة- بيروت- ط8- 2005.

162- الفيومي المقري أحمد بن محمد بن علي (ت 770هـ/136م)- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي- المكتبة العلمية- بيروت- د.ت.

163- القزويني زكريا محمد بن محمود (ت 682هـ/1283م)- عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات- تحقيق محمود عبد الإله سعد- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 2013.

164- القزويني زكريا محمد بن محمود- آثار البلاد في اخبار العباد- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 2013.

165- ابن القاضي أبو العباس بن أحمد بن محمد المكناسي (ت 1025هـ/1616م)- درة الحجال في أسماء الرجال- تحقيق محمد الأحمدي أبو النور- المكتبة العتيقة- دار التراث- المكتبة العتيقة- تونس والقاهرة- ط2- 1981.

166- ابن القاضي المكناسي- جذوة الاقتباس فيمن حلَّ من الأعلام مدينة فاس- تحقيق محمد بن عزوز- دار ابن حزم- بيروت- ط1- 2014.

167- القاضي عياض أبو الفضل عياض بن موسى (ت 544هـ/1149م)- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك- تحقيق محمد سالم هاشم- دار الكتب العلمية- بيروت-ط1- 1998.

168- ابن قدامة المقدسي موفق الدين عبد الله بن أحمد (ت 620هـ/ 1223م)- المغني- كتاب عتق أمهات الأولاد- دار إحياء التراث العربي- بيروت- ط1- 1985.

169- القربلياني الأندلسي أبو عبد الله بن محمد بن فرج (ت 761هـ/1360م)- الاستقصاء والإبرام في علاج الجراحات والأورام- ضمن كتاب الطب و الأطباء الأندلس في الغرب الإسلامي- تحقيق محمد العربي الخطابي- دار الغرب الإسلامي- بيروت- ط1- 1990.

170- القروي الإفريقي أبو القاسم خلف بن أبي فراس (من أهل القرن 4هـ/ 10م)- أكرية السفن- تحقيق عبد السلام الجعماطي- دار الأمان- الرباط- ط2- 2009.

171- ابن قزمان أبو بكر محمد بن عيسى بن عبد الملك (ت 555هـ/1160م)- ديوان ابن قزمان القرطبي- تحقيق فيديريكو كورينتي- تقديم محمود علي مكي- المجلس الأعلى للثقافة العربية- مصر- 1995.

172- القفطي جمال الدين أبي الحسن علي بن القاضي يوسف (ت 646هـ/1248م)- أخبار العلماء بأخبار الحكماء- تحقيق إبراهيم شمس الدين- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 2005.

173- القَلَلْوِسي أبو بكر محمد بن محمد الأندلسي (ت 707هـ/1308م)- تُحف الخواص في طرف الخواص (في صنعة الأمِدّة و الأصباغ والأدهان)- تحقيق حسام أحمد مختار العبادي- مكتبة الإسكندرية- مصر- 2007.

174- ابن القوطية أبو بكر محمد بن عمر (ت 367هـ/977م)- تاريخ افتتاح الأندلس- تحقيق اسماعيل العربي- المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر- 1989.

175- ابن قيّم الجوزية شمس الدين أبو عبد الله الدمشقي (ت 751هـ/1350م)- زاد المعاد في هدي خير العباد- تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط- مؤسسة الرسالة- بيروت- ط3- 1998.

176- ابن الكتاني الطبيب أبو عبد الله محمد (ت نحو 420هـ/1030م)- كتاب التشبيهات من شعار أهل الأندلس- تحقيق إحسان عباس- دار الثقافة- بيروت- 1966.

177- ابن الكردبوس التوزري أبو مروان عبد الملك (كان بقيد الحياة 494هـ/1198م)- الاكتفاء في أخبار الخلفاء- دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 2009.

178- ابن ليون التجيبي أبو عثمان سعيد (ت 750هـ/1349م)- اختصارات من كتاب الفلاحة- تحقيق أحمد الطاهري- مطبعة النجاح الجديدة- الدار البيضاء- 2001.

179- المازوني أبو عمران موسى بن عيسى (ت 833هـ/1430م)- مناقب صلحاء الشلف وهو مختصر كتاب ديباجة الافتخار في مناقب أولياء الله الأخيار- دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية- دار الرشاد للطباعة والنشر- الجزائر- ط1- 2017.

180- المجريطي أبو القاسم مسلمة بن أحمد (ت 398هـ/1007م)- غاية الحكيم في الأرصاد الفلكية والطلاسم الروحية والتنجيم- تحقيق هريتر- دار المحجة البيضاء- بيروت- ط1- 2008.

181- المراكشي عبد الواحد (ت 625هـ/1228م)- المعجب في تلخيص أخبار المغرب- تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي- دار الكتاب- الدار البيضاء- ط7- 1978.

182- مجمع اللغة العربية- المعجم الوسيط- مكتبة الشروق الدولية- القاهرة- ط4- 1426هـ/2005م.

183- مجهول- مفاخر البربر (كان بقيد الحياة 712هـ/1313م)- دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية- دار أبي رقراق- الرباط- ط1- 2005.

184- مجهول- تاريخ الأندلس- دراسة وتحقق عبد القادر بوباية- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 2007.

185- مجهول- في ترتيب أوقات الغراسة والمغروسات- تحقيق أنخل س ولوبيث إي لوبيث- المجلس الأعلى للبحث العلمي- غرناطة- 1990.

186- مجهول (من أهل ق4هـ/10م)- أخبار مجموعة من فتح الأندلس وذكر أمرائهارحمهم الله و الحروب الواقعة بها بينهم- تحقيق إبراهيم الأبياري- دار الكتاب المصري- القاهرة- دار الكتاب اللبناني- بيروت- ط1- 1981.

187- مجهول- نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر- تحقيق ألفرد البستاني- مطبعة الفنون المصورة- المغرب- 1940.

188- مجهول- بلغة الأمنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبتة في الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب- تحقيق عبد الوهاب بن منصور- المطبعة الملكية- الرباط- 1404/1984م.

189- مجهول- خمس صفحات خطية للنباتات الأندلسية- تحقيق صالح مهدي عباس- مجلة المورد- إصدار وزارة الثقافة ودار الشؤون الثقافية العامة- مج 35- ع1- 2008.

190- مجهول- كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس على عصر الموحدين (منتصف ق7هـ/12م)- تحقيق أمبروزيو أويثى ميراندا- مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية- مدريد- مج 09 و10- 1961-1962.

191- ابن مرزوق أبو الله محمد التلمساني الخطيب (ت 781هـ/1379م)- المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن- تحقيق ماريا خيسوس بيغيرا- تقديم محمود بوعياد- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر- 1981م.

192- المعز بن باديس التميمي الصنهاجي (ت 454هـ/1062م)- عمدة الكتاب وعدّة ذوي الألباب- تحقيق نجيب مايل الهروي وعصام مكية- مجمع البحوث الإسلامية- طهران- ط1- 1989.

193- المسيحي أبو سهل عيسى بن يحي (ت حوالي 401هـ/1010م)- كتاب المائة في الطب- حققه وقدم له فلوريال سناغوستان- المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق- دمشق- 2000.

194- المسعودي أبو الحسن علي بن الحسن (ت 346هـ/957م)- مروج الذهب ومعادن الجوهر- تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد- مطبعة السعادة- القاهرة- ط4- 1995.

195- المسعودي أبو الحسن علي بن الحسن- التنبيه والإشراف- مكتبة الشرق الإسلامية- القاهرة- د.ت.

196- المقدسي شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت 380هـ/990م)- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم- تحقيق محمد أمين الضناوي- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 2003.

197- المقري أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني (ت 1041هـ/1631م)- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب- دار صادر- بيروت- ط5- 2008.

198- المقري أحمد بن محمد- أزهار الرياض في أخبار عياض- تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي- بيت المغرب- القاهرة- 1932-1938.1942

199- المقريزي- كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك- تحقيق محمد مصطفى زيادة- لجنة التأليف للترجمة والنشر- القاهرة- 1958-ج2

200- الملك الغساني المظفر يوسف (ت 694هـ/1294م)- المعتمد في الأدوية المفردة- تصحيح مصطفى السقا- دار المعرفة- بيروت- 1975.

201- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري (ت 711هـ/1311م)- لسان العرب- دار صادر- بيروت- د.ت.

202- المواق محمد (ت 887هـ/1492م)- الرصاع محمد (ت 894هـ/1489م)- نص جديد حول الأندلس وإفريقية قبيل سقوط غرناطة: الأجوبة التونسية على الأسئلة الغرناطية (886هـ/1481م)- تحقيق محمد حسن- دار المدار الإسلامي- بيروت- ط1- 2007.

203- ابن ميمون القرطبي أبو عمران موسى بن عبيد الله الإسرائيلي (ت 601هـ/1204م)- شرح أسماء العقار- تحقيق ماكس مايرهوف- مكتبة الثقافة الدينية- بور سعيد- 2010.

204- ابن ميمون القرطبي- كتاب السموم والتحرز من الأدوية القتالة- نشر قريت بوس- دار النشر Brighan Young university- الولايات المتحدة- 2009.

205- النباهي المالقي أبو الحسن علي بن عبد الله الجذامي (ت 792هـ/1390م)- تاريخ قضاة الأندلس أو كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفُتيا- تحقيق صلاح الدين الهواري- المكتبة العصرية- صيدا- ط1- 2006.

206- ابن النديم أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق (ت 380هـ/990م)- الفهرست- تحقيق يوسف علي طويل- دار الكتب العلمية- بيروت- ط2- 2002.

207- الأنطاكي داود بن عمر (1008هـ/1599م)- تذكرة أولى الألباب والجامع للعجب العُجاب- تحقيق أحمد شمس الدين- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 1998.

208- ابن النفيس علاء الدين علي بن أبي الحرم القرشي (ت687هـ/1288م)- شرح فصول أبقراط- تحقيق ماهر عبد القادر محمد علي ويوسف زيدان- دار العلوم العربية للطباعة النشر- بيروت- ط1- 1984.

209- النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت 733هـ/1333م)- نهاية الأرب في فنون الأدب- تحقيق مفيد قميحة- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 2004.

210- الهاشمي أحمد بن عيسى (كان حيا 470هـ/1077م)-كتاب مجالس في الطب- تحقيق سمير القدوري- المجلس الأعلى للأبحاث العلمية- مدريد- 2005.

211- ابن هبة الله سعيد (ت 495هـ/1101م)- كتاب المغني في الطب- تحقيق عبد الرحمن الدَّقاق- اشراف جيرار تروبو- دار النفائس- بيروت- ط1- 1999.

212- ابن هذيل الأندلسي علي بن عبد الرحمن (ت بعد 763هـ/1361م)- حلية الفرسان وشعار الشجعان- تحقيق محمد عبد الغني حسن- دار المعارف للطباعة والنشر- القاهرة- 1951.

213- ابن هذيل الأندلسي- صفات الحُسن والجمال وسمات الملاحة والكمال- تحقيق أحمد بوغلا- دار أبي رقراق للطباعة والنشر- الرباط- 2013.

214- ابن وافد الأندلسي أبو المطرَف عبد الرحمن بن محمد بن عبد الكريم (ت بعد 460هـ/1069م)- كتاب الأدوية المفردة- ضبطه ووضع حواشيه أحمد حسن بسبج- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 2006.

215- الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحي (ت 914هـ/1508م)- المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب- إشراف محمد حجي- منشورات وزارة الأوقاف الإسلامية للملكمة المغربية- دار الغرب الإسلامي- بيروت- ط1- 1981.

216- ياقوت الحموي شهاب الدين أبو عبد الله الرومي البغدادي (ت 610هـ/1213م)- معجم الأندلس والمغرب من كتاب معجم البلدان- جمع وتحقيق محمد حقي- مطبعة عين أسردون- بني ملال- 2011.

217- اليسع بن عيسى ابن حزم الغافقي الجياني (ت 575هـ/1180م)- المُغرب في محاسن المَغرب- دراسة وجمع وتوثيق عبد السلام الجعماطي- دار الأمان- الرباط- ط1- 2015.

218- اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب اسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت 284هـ/887م)- تاريخ اليعقوبي- قدم له وعلق عليه السيد محمد صادق - منشورات المكتبة الحيدرية - النجف- 1964.

قائمة المراجع العربية والمعربة:

219- إبراهيم بن سليمان الأحيدب- المدخل إلى الطقس والمناخ الجغرافية المناخية- هَجْر للطباعة والنشر التوزيع و الإعلان- الرياض- ط1- 2003.

220- أبو العينين حسن سيد أحمد- جغرافية العالم الإقليمية- دار النهضة العربية- بيروت- 1967.

221- أبو خليل شوقي- الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة- دار الفكر المعاصر- دار الفكر- بيروت- دمشق- 2002.

222- أبو مصطفى كمال السيد- تاريخ الأندلس الاقتصادي في عصر دولتي المرابطين والموحدين- مركز الإسكندرية للكتاب- الإسكندرية- 1993.

223- أرسلان الأمير شكيب- الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية- دار الكتب العلمية- بيروت-ط1- 1997.

224- الأشقر عمر سليمان- عالم السحر والشعوذة- دار النفائس- الأردن- 2002.

225- أنيس إبراهيم وعبد الحليم منتصر وآخرين- المعجم الوسيط- مجمع اللغة العربية- القاهرة- ط4- 2008.

226- البار محمد علي- العدوى بين الطب وحديث المصطفى صلى الله عليه وسلم- دار الفتح للدراسات والنشر-الأردن- ط1-2011.

227- البار محمد علي- مشكلة الإجهاض دراسة طبية فقهية- الدار السعودية للنشر والتوزيع- الرياض- ط1- 1985.

- ابن باق أبو الحسن علي بن محمد بن علي (ت 763هـ/ 1362م)- زهرة الروض في تلخيص تقدير الفرض- دراسة وتحقيق: ليلى بوشعيب- رسالة ماجستير غير منشورة- جامعة قسنطينة-2011- 2012.

228- بالباس ليوبولدوس تورس- الفن المراطبي والموحدي- ترجمة سيد غازي- دار المعارف- مصر- 1971.

229- بالنثيا آنخل جنثالث- تاريخ الفكر الأندلسي- ترجمة حسين مؤنس- دار الثقافة الدينية- بور سعيد- ط2- 1955.

230- البخيت نسيبة محمود عبد الله- الأحكام المتعلقة بالسموم- دار النفائس للنشر والتوزيع- الأردن- ط1- 2009.

231- بدوي عبد الرحمن- موسوعة المستشرقين- دار العلم للملايين- بيروت- ط3- 1993.

232- بن رجب عبد الخالق والغزواي نجاة- علم الأمراض في الطب العربي الإسلامي- المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون- بيت الحكمة- قرطاج- تونس- ط1- 2010.

233- بركات محمد مُراد- التراث الطبي العربي والصيدلة- مكتبة زهراء الشرق- القاهرة- ط1- 2008.

234- بركة أنيس- الجوانب التاريخية للأفيون- ضمن كتاب التخدير مقالات عن تاريخه في الطب العربي الإسلامي وحاضر العالم العربي- دار الفكر- دمشق- ط1- 2008.

235- برامون دولورس- المسلمون واليهود في مملكة فالنسيا- ترجمة رانيا محمد أحمد- المجلس الأعلى للثقافة- القاهرة- ط1- 2004.

236- برنشفيك روبار- تاريخ إفريقية في العهد الحفصي- ترجمة حمّادي الساحلي- دار الغرب الإسلامي- بيروت- ط1- 1988.

237- بشور حنا توفيق- طب الجلد عند العرب- دار المستقبل- دمشق- ط1- 1990.

238- البغدادي عبد القادر بن عمر (ت 1093هـ/1682م)- خزانة الأدب ولسان العرب-تحقيق عبد السلام محمد هارون- مكتبة الخانجي- القاهرة- ط4- 1997.

239- بن عامر توفيق- الحضارة الإسلامية وتجارة الرقيق خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة- كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية- تونس- 1998.

240- بقيون سمير- الأمراض العصبية- دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع- المملكة الأردنية- ط1- 2013.

241- بن مليح عبد الإله- الرقيق في المغرب والأندلس- مؤسسة الإنتشار- بيروت- ط1- 2004.

242- بن مَراد إبراهيم- المصطلح الأعجمي في كتب الطب والصيدلة العربية، بحث نموذجي في أصوله ومنزلته ومواقف العلماء منه- دار الغرب الإسلامي- بيروت- ط1- 1985.

243- بن حمادة سعيد- الماء والإنسان في الأندلس خلال القرنين 7-8هـ/13-14م- دار الطليعة- بيروت- ط1- 2007.

244- بن حمادة سعيد- الفكر النباتي والصيدلي بالمغرب الإسلامي من خلال كتب التراجم- ضمن كتاب التاريخ وأدب التراجم مباحث في المفهوم والمنهج والقضايا- مطبعة آنفو- برانت- فاس- ط1- 2016.

245- بروفنصال ليفي- الحضارة العربية في إسبانيا- ترجمة الطاهر أحمد مكي- دار المعارف- مصر- ط1- 1994.

246- بروكلمان كارل- تاريخ الأدب العربي- ترجمة عبد الحليم النّجار- دار المعارف- القاهرة- ط4- 1977.

247- بريشة جابر زايد- الخمائر: تقنيات إنتاجها ودورها في صناعة وفساد الأغذية وصحة الإنسان- جامعة ملك سعود- الرياض- 2012.

248- البهيجي إيناس محمد- تاريخ أوربا في العصور الوسطى- مركز الكتاب الأكاديمي- عمان-ط1- 2016.

249- بوباية عبد القادر- البربر في الأندلس وموقفهم من فتنة القرن الخامس الهجري (92-422هـ/711-1031م)- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 2011.

250- بوتشيش إبراهيم القادري- مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين- دار الطليعة للطباعة والنشر- بيروت- ط1- 1998.

251- بوتشيش إبراهيم القادري- إضاءات حول الغرب الإسلامي وتاريخه الاقتصادي والاجتماعي- دار الطليعة- بيروت- ط1- 2002.

252- بوجرة حسين- الطاعون وبدع الطاعون الحراك الاجتماعي في بلاد المغرب بين الفقيه والطبيب والأمير- مركز الدرسات الوحدة العربية- ط1- بيروت- 2011.

253- بوغدري العربي- النباتات البدائية (الثالوسبات Les Thallophytes)- ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر- 2013- ص 14.

254- بيرنت تشارلز- حركة الترجمة من العربية في القرون الوسطى في إسبانيا- ضمن كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس- تحرير سلمى خضراء الجيوسي- مركز دراسات الوحدة العربية- بيروت- ط1-1998.

255- بيكروسا خوسي ماريا مياس- علم الفلاحة عند المؤلفين العرب- تعريب عبد اللطيف الخطيب- مطبعة المخزن- معهد مولاي حسن- تطوان- 1957.

256- جاكسون دونالد- تاريخ الكتابة- ترجمة محمد علام خضر- وزارة الثقافة- دمشق- 2007.

257- جهامي جيرار- موسوعة مُصطلحات العلوم عند العرب- مكتبة لبنان ناشرون- بيروت- ط1- 1999.

258- جبور عبد النور- الجواري- دار المعارف للطباعة والنشر- مصر- أكتوبر1947.

259- حبيدة محمد- انتقال الأغذية في الحوض المتوسط- ملاحات تاريخية- ضمن كتاب انتقال الأفكار والتقنيات في المغارب والعالم المتوسطي- تنسيق عبد الرحيم بنحمادة آخرون- منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط- مطبعة النجاح الجديدة- الدار البيضاء- المغرب- ط1- 2009.

260- حتاملة محمد عبده- إيبيريا- قبل مجئ العرب المسلمين- وزارة الثقافة- الأردن -ط2- 1996.

261- جحا فريد- تراث العرب القديم في ميدان علم النبات- الدار العربية للكتاب- 1989.

262- الحبيب سليمى- تاريخ الأطعمة عند العرب- منشورات معهد التراث العلمي العربي- حلب- 1986.

263- الحجي عبد الرحمن علي- التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة- ط2- دار القلم- دمشق- ط2- 2008.

264- ابن حمادوش الجزائري الشيخ عبد الرزاق (ت في حدود 1785م)- كشف الرّموز في شرح العقاقير والأعشاب- دار الكتب العلمية- بيروت- ط2- 2004.

265- حركات إبراهيم- النشاط الاقتصادي الإسلامي في العصر الوسيط- أفريقيا الشرق- المغرب- 1996.

266- حركات إبراهيم- المغرب عبر التاريخ- دار الرشاد الحديثة- الدار البيضاء- ط1- 2000.

267- الحريري محمد مرسي- الشريف الإدريسي ودور الرحلة في جغرافيته- دار المعرفة الجامعية- الإسكندرية- 1985.

268- حريتاني سليمان- الجواري والقيان في المجتمع العربي الإسلامي- دار الحصاد لنشر والتوزيع- دمشق- ط1- 1997.

269- حسن كمال- الطب المصري القديم - مكتبة المدبولي- القاهرة- ط2- 1966.

270- حسن عبد العزيز أحمد- جغرافية أوروبا دراسة موضوعية- دار المرية- الرياض.

271- حسن سليم- موسوعة مصر القديمة- القاهرة- مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة- 1992.

272- حسين محمد كامل- الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب- الجمهورية العربية اللبيبة- د.ت

273- حقي محمد- الموقف من المرض في المغرب والأندلس في العصر الوسيط- مطبعة ما نبال- بني ملال- 2007.

274- حليمي عبد القادر- الصيدلة أو الأقرباذين لدى القدماء- دار البصائر- الجزائر- 2014.

275- جميل أنطون- الجوع والمجاعات- مؤسسة هندواي للتعليم والثقافة- مصر- 2014.

276- جمعة أحمد خليل- نساء من الأندلس- اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع- دمشق- بيروت- ط1- 2001.

277- حميدة عبد الرحمن- أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم- دار الفكر- دمشق- 1995.

278- الحموي محمد ياسين - تاريخ الأسطول العربي صفحة مجيدة من تاريخ العرب- مطبعة الترقي- دمشق- 1945.

279- الخالدي خالد يونس عبد العزيز- اليهود في الدولة العربية الإسلامية في الأندلس (92-897هـ/711-1492)- دار الأرقم- غزة- 2011.

280- الخشت محمد عثمان- حركة الحشاشين تاريخ وعقائد أخطر فرقة سرية في العالم الإسلامي- دار النصر للطباعة الإسلامية- القاهرة- د.ت.

281- الخطابي محمد العربي- الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي- دار الغرب الإسلامي- بيروت- ط1- 1990.

282- الخطابي محمد العربي- الطب و الأطباء في الأندلس الإسلامية- دار الغرب الإسلامي- بيروت- 1990.

283- خوجة عثمان- إتحاف المصنفين والأدباء في الاحتراس عن الوباء- تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر- 1968.

284- خير الله سعيد- موسوعة الوراقة والوارقين في الحضارة العربية الإسلامية- دار الانتشار العربي- بيروت- ط1- 2011.

285- الدفاع علي عبد الله- إسهام علماء العرب والمسلمين في علم النبات- مؤسسة الرسالة- بيروت- ط1- 1985.

286- دندش عصمت عبد اللطيف- الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني(510-546هـ/ 1116-1151م)- تاريخ سياسي وحضاري- دار الغرب الإسلامي- بيروت- ط1- 1988.

287- دندش عصمت عبد اللطيف- أضواء جديدة على المرابطين- دار الغرب الإسلامي- بيروت- ط1- 1991.

288- ديورانت وِل وَايريل- قصة الحضارة- ترجمة محمد بدران-المنظمة العربية للتربية والثقافة- بيروت وتونس- ج7- 2010.

289- ديتكن ميتشل- معجم علم الاجتماع - ترجمة ومراجعة إحسان محمد حسن- دار الطليعة- بيروت- دت.

290- دي كاسترو جوزيه- جغرافية الجوع- ترجمة زكي الرشيدي ومراجعة محمود موسى- دار الهلال- القاهرة- د.ت.

291- الذاكري محمد فؤاد- الطب والأطباء في القدس نهاية القرن الحادي عشر الهجري- منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب- وزارة الثقافة- دمشق- 2009.

292- الذبحاني منصور عبد الحليم و آخرون- النبات- وزارة التعليم الفني و التذريب المهني- اليمن- ط1- 2010.

293- رجب عبد الجواد إبراهيم- ألفاظ المأكل والمشرب في العربية الإسلامية دراسة في نفح الطيب للمقري- دار غريب- القاهرة- 2001-

294- روثن مارغريت- علوم البابليين- ترجمة يوسف حبي- دار الرشيد- بغداد- ط1- 1980.

295- الزركلي- خير الدين- الاعلام (قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)- دار العلم للملايين- بيروت- ط3- 1969م.

296- الزركلي خير الدين- الأعلام قاموس التراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين المستشرقين- دار العلم للملايين- بيروت- ط15-2002.

297- الزعفراني حاييم- يهود الأندلس والمغرب- ترجمة أحمد شحلان- مطبعة النجاح الجديدة- الرباط- 2000.

298- زغروت فتحي- الجيوش الإسلامية وحركة التغيير في دولتي المرابطين والموحدين- دار التوزيع والنشر الإسلامية- القاهرة- ط1- 2005.

299- زغلول راغب محمد النجار- النبات في القرآن الكريم- مكتبة العبيكان للنشر- الرياض- ط1- 2016.

300- زكريا فؤاد- التفكير العلمي- المجلس الوطني للثقافة والفنون الآداب- الكويت- 1978.

301- زكريا هاشم- فضل الحضارة الإسلامية والعربية على العالم- دار النهضة للطباعة والنشر- مصر- 1970.

302- زكورمحمد جميل- إصطلاحات الطب القديم- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 2018.

303- زنبل نهاد عبّاد عباس- الإنجازات العلمية للأطباء في الأندلس وأثرها على التطور الحضاري في أوروبا- القرون الوسطى (92- 897هـ/711- 1492م)- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 2013.

304- ساراتشي رودولفو- علم الأوبئة- ترجمة أسامة فاروق حسن- مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة- القاهرة-ط1-2015.

305- سارتون جورج- تاريخ العلم (العلم القديم في العصر الذهبي لليونان)- ترجمة توفيق الطويل وعبد الحميد لطفي آخرون- المركز القومي للترجمة- القاهرة- 2010.

306- سالم السيد عبد العزيز والعبادي أحمد مختار - تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس- دار النهضة العربية- بيروت- 1969.

307- السامرائي كمال - مختصر تاريخ الطب- دار النضال للطباعة والنشر- بيروت- 1990.

308- السامرائي عبد الحميد حسين أحمد- العلوم الطبية الأندلسية- دار دجلة- عمان- ط1- 2018.

309- سعد كاظم شنته- جغرافية التربة- نشر جامعة ميسان- العراق- 2016.

310- سرهيد عدنان خلف- التأثير الحضاري المتبادل بين الأندلس الإسلامية واسبانيا النصرانية- دار حميثرا للنشر والترجمة- القاهرة- 2018.

311- سزكين فؤاد- تاريخ التراث العربي (السيمياء والكمياء والنبات والفلاحة)- ترجمة عبد الله بن عبد الله حجازي ومراجعة مازن يوسف عماوي- جامعة الملك سعود- المملكة العربية السعودية- ط1- 1986.

312- سزكين فؤاد- عيون التراث- منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية- جامعة فرانكفورت- ألمانيا الإتحادية- 1995.

313- سلهب عبد العظيم سمور وماضي توفيق الجغبير وآخرون- علم السموم الحديث- دار المستقبل للنشر والتوزيع- عمان- ط1- 1990.

314- سلامعلي محمد سلام- العطر والطيب- دار الثقافية للنشر- القاهرة- ط1- 2006.

315- السّمان سيف الإسلام- الأوضاع البيئية في الأندلس (المظاهر العمرانية والبيئية الاقتصادية منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية عصر دويلات الطوائف (92-484هـ/711-1091م)- مؤسسة شباب الجامعة- الإسكندرية- 2018.

316- السّهوري محمد أحمد فرج- المسكرات- دار النهضة العربية- مصر- 1978.

317- سوسة أحمد- الشريف الإدريسي في الجغرافيا العربية- نقابة المهندسين العراقيين- بغداد- 1974.

318- سيمونز جون- حياة النباتات- ترجمة أحمد خليل- دار الكتب- مصر- 1910.

319- شاخت جوزيف وبوزورت كليفورد- تراث الإسلام- ترجمة حسين مؤنس وآخرين- عالم المعرفة- الكويت- 1978.

320- شافع راوية عبد الحميد- المرأة في المجتمع الأندلسي من الفتح الإسلامي للأندلس حتى سقوط الخلافة الأموية (92-422هـ/711-1031م)- معهد للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية- مصر- ط1- 2006.

321- شبوح إبراهيم- المائدة في التراث العربي الإسلامي- مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي- لندن- 2004.

322- شحلان أحمد- ابن رشد والفكر العبري الوسيط- المطبعة الوراقة الوطنية- مراكش ط1- 1999.

323- شخوم سعدي- أصول الطب- النشر الجامعي الجديد- تلمسان- 2018.

324- الشلش علي حسين- جغرافية التربة- مطبعة جامعة البصرة- البصر- ط2- 1985.

325- الشمري غازي ويايوش جعفر- ابن زهر دراسة في الكتابة والتطبيب- منشورات مخبر البحث التاريخي مصادر و تراجم- جامعة- مطبعة وهران- 2013.

326- شهاب باسم- الجرائم الماسة بكيان الإنسان- دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع- الجزائر-2011.

327- صالح أحمد- التحنيط (فلسفة الخلود في مصر القديمة)- جماعة حور الثقافية- القاهرة- ط1- 2000.

328- صبحي سليمان- لعنة الفراعنة بين الخرافة والحقيقة والخيال- دار طيبة للطباعة والنشر- الجيزة- مصر- ط1- 2011.

329- الصفدي أحمد- تصنيف المعرفة والعلوم في ضوء خصائص الأمة الإسلامية-مطابع المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب- الرياض- 1991.

330- صفر ناصر حسين- النباتات الطبية عند العرب- دائرة الشؤون الثقافية والنشر- بغداد- 1984.

331- الطاهري أحمد- الفلاحة والعمران القروي بالأندلس خلال عصر بني عباد- مركز الإسكندرية للكتاب- الإسكندرية- ط1- 2004.

332- طريح شرف عبد العزيز- البيئة الجغرافية وعلاقتها بأمراض السودان- ومشكلاته الصحية- المركز القومي للبحوث- الخرطوم- 1972.

333- الطوخي أحمد محمد- مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر- مؤسسة شباب الجامعة- الإسكندرية- 1997.

334- طويل مريم قاسم- مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر (403-483هـ/1012- 1090م)- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 1994.

335- طه باقر- تراثنا اللغوي القديم ما يسمى في العربية بالدخيل- مؤسسة- المجمع العربي العراقي- بغداد- 1980.

336- طه باقر- موجز في تاريخ العلوم والمعارف في الحضارات القديمة والحضارة العربية الإسلامية- جامعة بغداد- 1980.

337- عاشور مصطفى- الميكروبات والحرب البيولوجية- منشأةّ المعارف- الإسكندرية- د.ت.

338- العبادي أحمد مختار- الحياة الاقتصادية في الدولة الإسلامية- ضمن كتاب منشور دراسات وتاريخ الحضارة الإسلامية العربية- ذات السلاسل للطباعة والنشر- الكويت- ط2- 1986.

339- عبد الجواد شوقيةمهى- السموم أنواعها وكيفية مواجهتها- مركز الأهرام المترجمة والنشر- القاهرة- ط1- 1996.

340- عبد الصمد محمود مرسي وكامل سحر- الموجز الطب الشرعي في علم السموم- مؤسسة شباب الجامعة- الإسكندرية- د.ت.

341- عبد العال عادل- الطب القديم خلاصة ما توصل إليه الطب المصري القديم- دار أجيال للنشر والتوزيع- مصر- ط3- 2007.

342- عبد الهادي عبد الباقي السيّد- الظاهرية والمالكية و أثرهما في المغرب والأندلس في عهد الموحّدين- دار الأفاق العربية- مصر- ط1- 2014.

343- عبيدات داود عمر سلامة- الموحدون في الأندلس والمغرب ما بين سنتي 541-667هـ/1146- 1268م)- دار الكتاب الثقافي- الأردن- 2006.

344- عزاوي أحمد- رسائل موحدية (مجموعة جديدة)- منشورات جامعة ابن طفيل- القنيطرة- 1995.

345- عفيفي محمد الصادق- تطور الفكر العلمي عند المسلمين- مكتبة الخانجي- القاهرة- 1976-1977.

346- العلوي جمال الدين- رسائل فلسفية لأبي بكر بن باجة (نصوص فلسفية غير منشورة)- دار الثقافة ودار النشر المغربية- بيروت لبنان- الدار البيضاء المغرب- 1983.

347- علي الله محمد بن إبراهيم- معجم بأسماء وألفاظ النباتات في القرآن- دار عالم الفكر- الرياض- ط1- 2000.

348- عويس عبد الحليم- الحضارة الإسلامية: إبداع الماضي وآفاق المستقبل- دار الصحوة للنشر والتوزيع- القاهرة- ط1- 2010.

349- عواد محمود- معجم الطب النفسي والعقلي- دار أسامة للنشر والتوزيع- عمان- ط1- 2011-

350- عيسى أحمد- تاريخ النبات عند العرب- مؤسسة الهنداوي للتعليم و الثقافة- القاهرة- 2012.

351- غزال خالد- البؤس النهضوي: مسائل ثقافية من زمن الهزيمة- دار النهضة العربية- بيروت- 2012.

352- فاندنبرغ فيليب- لعنة الفراعنة التفسير العلمي لظاهرة لعنة الفراعنة الغمضة- ترجمة خالد أسعد عيسى وأحمد غسان سباندو- دار قتيبة للطباعة والنشر- سوريا- لبنان- ط1-2004.

353- فتحة محمد- الوباء الجارف بالغرب الإسلامي: معطيات ومواقف- ضمن كتاب المعرفة الطبية وتاريخ الأمراض في المغارب- التنسيق العلمي: آسيا بنعدادة- منشورات عكاظ- الدار البيضاء- 2013

354- فرج عبد القادر وآخرون- موسوعة علم النفس والتحليل النفسي- دار سعاد الصباح- الكويت- 1993.

355- الفقّي عصام الدين عبد الرؤوف- تأريخ المغرب والأندلس- مكتبة نهضة الشرق- القاهرة- د.ت.

356- فهد توفيق- علم النبات والزراعة- موسوعة تاريخ العلوم العربية- مركز دراسات الوحدة العربية ومؤسسة عبد الحميد شومان- بيروت- ط1- 1997.

357- فهد توفيق -علم النبات والزراعة- ضمن سلسلة موسوعة تاريخ العلوم العربية- اشراف رشدي راشد- مركز دراسات الوحدة العربية- 1987.

358- قرني حسن محمد- المجتمع الريفي في الأندلس في عصر بني أمية (138-422هـ/756-1031م)- المجلس الأعلى للثقافة- القاهرة- 2012.

359- القضاة عبد الحميد- الميكروبات وكرامات الشهداء- دائرة المكتبات الوطنية- الأردن- ط2- 2004.

360- القماز سمير غازي- علم السموم- دار صفاء للنشر و التوزيع- عمان- ط1- 2003-

361- قنواتي الأب شحاتة- تاريخ الصيدلة والعقاقير في العهد القديم والعصر الوسيط- دار المعارف- مصر- د.ت.

362- القِنَّوجي صديق بن حسين (ت 1307/1890م)- أبجد العلوم (السحاب المرقوم الممطر بأنواع الفنون وأصناف العلوم)- تحقيق عبد الجبار زكار- وزارة الثقافة والإرشاد القومي- دار الكتب العلمية- دمشق وبيروت- 1978.

363- كزيل اصطفان- تاريخ شمال إفريقيا القديم- ترجمة محمد التازي سعود- مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية- الرباط- 2007.

364- كحيلة عبادة- الخصوصية الأندلسية وأصولها الجغرافية- عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية- الجيزة- ط1- 1995.

365- كحيلة عبادة- أندلسيات- الواد الجديد للطباعة و النشر- مصر- ط2- 2001.

366- كراتشكوسفكي أغناطيوس- تاريخ الأدب الجغرافي العربي- ترجمة صلاح الدين هاشم- القسم الأول- إدارة الثقافة في جامعة الدول العربية- القاهرة- 1987.

367- كلارك إيما- فن الحدائق الإسلامية- ترجمة عمر سعيد الأيوبي- هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث كلمة- أبوظبي- ط1- 2011.

368- لواتي دلال- عامة القيروان في العصر الأغالبة- دار الرؤية للنشر التوزيع- مصر- 2015.

369- محمود عبد العزيز إمام- الوصف الشكلي لنبات السلفيوم وزراعته عند ثبوف راستوسو بلينيوس الأكبر- قسم الدراسات اليونانية واللاتينية- جامعة المنصورة- مصر- د.ت.

370- مجموعة من المؤلفين- الفلاحة والتقنيات الفلاحية بالعالم الإسلامي في العصر الوسيط- مؤسسة الملك عبد العزيز منشورات عكاظ- الدار البيضاء- 2011.

371- مجموعة من المؤلفين- معجم مصطلحات التقنية الحيوية في مجال الأغذية والزراعة- نشر منظمة الأغذية والزراعة وجامعة الإمارات العربية- أبو ظبي- 2003.

372- مخلف شلال شرعي وإبراهيم محمد حسون- جغرافية الزراعة- المؤسسة اللبنانية للكتاب الأكاديمي- ط1- 1990.

373- مسعد سامية مصطفى- صور من المجتمع الأندلسي (رؤية من خلال أشعار الأندلسيين وأمثالهم الشعبية)- عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية- الجيزة- ط2- 2009.

374- المعداني المكناسي أبو علي الحسن بن رحال- كشف القناع عن تضمين الصنّاع- دراسة وتحقيق محمد أبو الأجفان- الدار التونسية للنشر- تونس- 1986.

375- منصور زينب حبيب- معجم الأمراض وعلاجها- دار أسامة للنشر والتوزيع- عمان- ط1- 2010.

376- المنوني محمد- تاريخ الوراقة المغربية صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة- كلية الآداب والعلوم الإنسانية- الرباط- ط1- 1991.

377- مؤنس حسين- تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس- مكتبة مدبولي- القاهرة- 1986.

378- مؤنس حسين- أطلس تاريخ الإسلام- الزهراء للإعلام العربي- القاهرة- ط1- 1987.

379- مؤمن عبد الأمير- الفلك والفضاء من الخرافات والتنجيم إلى تلسكوب هابل- الدار الثقافية للنشر- القاهرة- ط1- 2002.

380- المؤمن ضياء- التشجير وسيلة مهمة لنظافة المدن- أمانة العاصمة- بغداد- 1986.

381- موسى علي والحمادي محمد- جغرافية القارات- دار الفكر- دار الفكر المعاصر- دمشق- بيروت- ط5- 2001.

382- مورينو مانويل جومث- الفن الإسلامي في إسبانيا (من الفتح الإسلامي حتى نهاية عصر المرابطين)- ترجمة السيد عبد العزيز سالم ولطفي عبد البديع- الدار المصرية للتأليف- القاهرة- 1968.

383- مونزر خيرو نيمو- رحلة إلى إسبانيا والبرتغال (1494-1495)- تعريب أحمد محمد الطوخي- مركز الإسكندرية للكتاب- مصر- 2010.

384- الموصلي مظفر أحمد- النباتات الطبية في المدونات الأثرية والمراجع الإسلامية والمصادر المعاصرة- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 2017.

385- الموصلي مظفر أحمد- النباتات السامّة واستخدام مكوناتها في صناعة الأدوية- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 2018.

386- موسى عز الدين عمر- النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري- دار الغرب الإسلامي- بيروت- ط2- 2003.

387- الموسوي علي حسين عيسى- علم تصنيف النبات- منشورات وزارة التعليم العالي والبحث العلمي- جامعة- بغداد- 1986.

388- الميساوي سهام الدبّبابي - مائدة إفريقية دراسة في ألوان الطعام- المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون- قرطاج- 2017.

389- ميرندا أمبروسي وهويثي- التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية- ترجمة عبد الواحد أكمير- مطبعة النجاح الجديدة- الدار البيضاء- ط1- 2004.

390- الأنصاري فاضل- الجغرافية الاجتماعية- جامعة دمشق- دمشق- ط1- 1978.

391- نافعة حسن وكليفورد بوزورت- تراث الإسلام- ترجمة حسين مؤنس وإحسان صدقي العمد- عالم المعرفة- الكويت- 1978.

392- النجعاوي أحمد فؤاد - الألياف الصناعية وخلطها- منشأة المعارف- الإسكندرية- ط1- 1998.

393- نشاط مصطفى- جوانب من تاريخ المشروبات المُسكرة بالمغرب الوسيط- منشورات الزمن- الدار البيضاء- 2006.

394- نصار حسين- المعجم العربي تطوره ونشأته- دار مصر للطباعة- القاهرة- 1968.

395- النعسان محمد هشام- قصور وحدائق الأندلس العربية الإسلامية (دراسة تراثية- أثرية- عمرانية- جمالية)- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 2017

396- نفيس أحمد- الفكر الجغرافي في التراث الإسلامي- ترجمة فتحي عثمان- دار القلم- الكويت- ط2- 1978.

397- هاشم جمال- قاموس الفلاسفة- دار الخطابي- دار البيضاء- ط1- 1999.

398- هاشم زكريا- فضل الحضارة الإسلامية والعربية على العالم- دار النهضة للطباعة والنشر- مصر- 1970.

399- هدية محمود- اقتصاد النسيج في الغرب الإسلامي في العصر الوسيط- مؤسسة الهنداوي سي آي سي- 2017.

400- هنري لوسيان فاقر ومارتان جان- ظهور الكتاب- ترجمة محمد سميح السيد- دار طلاس- دمشق- ط1- 1988.

401- الهوني محمد فرج- تاريخ الطب في الحضارة العربية الإسلامية- الدار الجماهرية للنشر والتوزيع والإعلان- ليبيا- 1986.

402- هونكة زيغريد- شمس العرب تسطع على الغرب- ترجمة فاروق بيضون وكمال دقوسي- دار جيل و دار الأفاق الجديدة- بيروت- ط8- 1993.

403- واصل جميلة- العلاج بالنباتات الطبية- الهيئة المصرية للكتاب- القاهرة- 1988.

404- ياسين قيس- الموروث العراقي القديم في الحضارة الإسلامية (كتاب الفلاحة النبطية المنسوب لابن الوحشية أنموذجا)- منشورات الجمل- بيروت- ط1- 2014.

405- يوليوس جيار ولويس روبر- الطب والتحنيط في عهد الفراعنة- ترجمة أنطون زكري- مطبعة السعادة- القاهرة- 1966.

رابعا:المقالات والندوات والمؤتمرات الوطنية والدولية:

406- البابا محمد زهير- المخطوطات الطبية العربية في المكتبة الوطنية بباريس- مجلة معهد المخطوطات العربية- مج 28- ج2- 1985.

407- البابا محمد زهير- فحص الأدوية بين القديم والحديث- أعمال العالمي الثالث عن الطب الإسلامي- نشر المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية و مؤسسة الكويت للتقدم العلمي- الكويت- 1984.

408- البابا محمد زهير- العلاقة بين علم العقاقير وعلم الفلاحة عند العرب- ضمن كتاب إسهامات العرب في علوم الفلاحة- الندوة العالمية الثالثة لتاريخ العلوم عند العرب- مؤسسة الكويت للتقدم العلمي- الكويت- 1988 ط1.

409- البابا محمد زهير- المخطوطات الطبية العربية في مكتبات باريس- مجلة المخطوطات العربية- يصدرها معهد المخطوطات العربية- الكويت- مج 29- ديسمبر 1985.

410- البابا محمد زهير - تاريخ علم السموم عند العرب- مجلة التراث العربي- اتحاد الكتاب العرب- ع2- دمشق-1980.

411- بامي جمال- المعرفة النباتية و الطبية بالمغرب بين التراث العلمي و العلاج التقليدي دراسة تاريخية أنثروبولوجية- مجلة الإحياء- إصدار الرابطة المحمدية للعلماء- مطبعة المعارف الجديدة- ع39-40- 2013.

412- البتانوني كمال الدين حسن- جانب من إسهامات العلماء العرب في تصنيف البيئة والنبات: تطبيق المعارف الحديثة في دراسة كتاب الشجر المنسوب لابن خالويه- الندوة العالمية الثالثة لتاريخ العلوم عند العرب: إسهامات العرب في علم النبات- الكويت- 1983.

413- البتانوني كمال الدين وأحمد عبد الباسط حامد- تراث النباتات الطبية في مكتبات القاهرة- مجلة المخطوطات العربية- ع 55- ج2- القاهرة- 2011.

414- أبو حفص محمد- في علم النبات عند أبي بكر ابن باجة- مجلة مقاربات- إصدار العلوم الإنسانية- المغرب- ع11- مج06- 2013.

415- البغزاوي مصطفى- الاجتهاد الفقهي في حماية البيئة من خلال نوازل الغرب الإسلامي: الهواء نموذجان- مجلة دعوة الحق- وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية- المملكة المغربية- ع 416- أفريل- 2016.

416- بن مراد إبراهيم- ابن البيطار- مجلة المورد- عدد خاص حول العلوم عند العرب- دار الحرية للطباعة- بغداد- ع 4- مج 6- 1977.

417- أبو رحيل مدفون عبد الحسن أبو رحيل والجشعمي سامر هادي كاظم وضرغام خالد أبو كلل- التصميم النباتي وعلاقته بالمناخ المحلي لمدينة كربلاء- مجلة آداب الكوفة- جامعة الكوفة- العدد- 06- 2010.

418- بوتشيش إبراهيم القادري وعبد الهادي البياض- ثقافة الطعام وتنوع خطاباتها في زمن المجاعات: المغرب والأندلس من القرن 6 حتى القرن 8هـ/12-14م نموذجا- مجلة عصور الجديدة- مختبر تاريخ الجزائر- جامعة وهران1- العدد 7-8- 2013.

419- بودالية تواتية- الحديقة الأندلسية- مجلة عصور-إصدارمختبر البحث التاريخي مصادر وتراجم- جامعة وهران1- ع24-25- 2015.

420- بودالية تواتية- ظاهرة الإجهاض (إسقاط الجنين) في الأندلس- مجلة آفاق الثقافة والتراث- إصدار قسم الدراسات والنشر والشؤون الخارجية بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث- دبي- ع 95- 2016-

421- ورغيير أندري- الأنثروبولوجيا التاريخية- ترجمة محمد حبيدة- مجلة أمل (التاريخ- الثقافة- المجتمع)- مطبعة النجاح الجديدة- الدار البيضاء- ع 5- 1994.

422- لجازي الراضي- القنب الهندي عبر التاريخ- الندوة القومية الثالثة للنباتات الطبية- وزارة الثقافة دار الثقافة بحمام- سوسة- مارس 1989.

423- جغنون ملاتيوس- الصيدلة وصناعة الأدوية في أوروبة القَرَوَسَطية (1200-1500)- مجلة المعرفة- العدد 598- 2013.

424- الجومرد جزيل عبد الجبار- أبو العباس بن الرومية عالم الأعشاب والنباتات الطبية- حياته وتراثه- مجلة آداب الرافدين- ع 24- أفريل- العراق- 1992.

425- جوميث مارجريتا لوبيث- الإقتراب من بعض المظاهر الإجتماعية للأسواق الأندلسية- ع: 661- مجلة روائع أندلسية إسلامية- المجلس الأعلى للثقافة- القاهرة- 2004.

426- حَبّي يوسف- كتب الحشائش العربية- مجلة معهد المخطوطات العربية- إصدار المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم معهد المخطوطات العربية- مصر- مج28- ج 2- 1984.

427- جسوس عز الدين- الكوارث الطبيعية والأوبئة ومدى تأثيرها على العلاقة بين الرعية والسلطة السياسية خلال حكم المرابطين- أعمال الندوة الوطنية "المجاعات و الأوبئة في تاريخ المغرب"- منشورات كلية العلوم الإنسانية- سلسلة ندوات ومناظرات- الدار البيضاء- ع 4- 2002.

428- حلوبي أحمد- طرق إكثار الأشجار المثمرة عند العرب- أبحاث الندوة العالمية السادسة لتاريخ العلوم عند العرب- منشورات معهد التراث العلمي العربي- جامعة حلب- 2003.

429- الحلوجي عبد الستار وعلي عبد المحسن زكي- عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب المنسوب للمعز بن باديس- مجلة الوعي الإسلامي- عدد خاص بعلم المخطوط العربي بحوث ودراسات- وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية- الكويت- ع 79- 2014.

430- حدادي أحمد- أخبار الأوبئة والأمراض في الرحلات السّفارية المغربية- مجلة كنانيش- ع 3- خاص بالديمغرافيا التاريخية في أدب الرحلة- منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية- وجدة- 2001.

431- حمارنة نشأت- تاريخ الاهتمام بابن البيطار- ندوة ابن البيطار المالقي والعلم العربي- تنسيق إكسبيراثيون غارثيا- حلب- 10-14 أفريل 2005.

432- حميد الله محمد - علم النبات عند المسلمين ومكانة الدينوري فيه- مجلة الفكر الإسلامي- إصدار المعهد الإسلامي العالمي- الولايات المتحدة الأمريكية- العدد7- السنة الأولى- بيروت 1990.

433- الحمود محمد حسن والألوسي جهينة- النباتات السامة- أبحاث الندوة القطرية السادسة لتاريخ العلوم عند العرب- مركز إحياء التراث العلمي العربي- بغداد- 16-18 حيزران- 1990.

434- خراط محمد يحي- كتاب الأدوية المفردة للغافقي- أبحاث المؤتمر السنوي الثالث عشر لتاريخ العلوم عند العرب المنعقد في طرطوس16-18 أيار 1989- منشورات جامعة حلب معهد التراث اللمي العربي.

435- الخطابي محمد العربي- معجم أندلسي من القرن السادس الهجري محاولة علمية لتجنيس النبات- مجلة الأكاديمية- ع 5- المملكة المغربية- 1988.

436- الخطابي محمد العربي- معجم أندلسي من القرن السادس الهجري محاولة علمية لتجنيس النبات- مجلة أكادمية المملكة المغربية- ع 05- ديسمبر 1988.

437- الخطابي محمد العربي- أبو الخير الإشبيلي وكتاب "عمدة الطبيب في معرفة النبات"- مجلة أكادمية المملكة المغربية- ع 6- 1989-

438- الربيعي نجلاء قاسم والحمود محمد حسن- التراث العربي والعلم الحديث لنبات الحنظل- بحوث الندوة القطرية الخامسة لتاريخ العلوم عند العرب- مركز إحياء التراث العلمي العربي- مطبعة الرشاد بغداد- 1989.

439- السباعي فاضل- تحقيق كتاب "الرحلة النباتية" لأبي العباس النباتي الإشبيلي مفردة أُقحوان- بابونج نموذجا- المؤتمر السنوي الثامن عشر لتاريخ العلوم عند العرب المنعقد في حلب 10-12 تشرين الأول 1995- منشورات جامعة حلب و معهد التراث العلمي العربي- 2008.

440- السعدي فاضل السعدي- توزع الإنسان في الشمال الإفريقي العربي ودور المناخ في تفاوت انتشاره المكاني- مجلة المستقبل- مج 40- 43- ع 460- 2017.

441- سعدي شخوم وقنون حياة- العفونة في البيطرة بين المفهوم الفلسفي والواقع التجريبي- مجلة Bulletin d'études orientales- ع 64- 2016.

442- سلامي بن ميلود عبد القادر- المصطلح النباتي في المعجم العربي بين إعمال الفكر و تغليب الاختصاص "دراسة لبعض مجتمعات العضاة"- مجلة آفاق الثقافة والتراث- ع 60- الإمارات- 2008.

443- الشيخ حسين عادل محمد علي- النبات في إسبانيا العربية (الأندلس)- الندوة العالمية الثالثة لتاريخ العلوم عند العرب: إسهامات العرب في علم النبات- الكويت- 1983.

444- الصغير أنور الدين- محنة المرأة الموريسكية- أعمال المؤتمر العالمي السابع للدراسات الموريسكية الأندلسية حول العائلة الموريسكية للنساء والأطفال- جمع و تقديم عبد الجليل التميمي- منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات- زغوان- أبريل- 1997.

445- العبادي حسام مختار- وباء الطاعون في بلاد المشرق- أعمال ملتقى ابن خلدون البحر المتوسط في القرن الرابع عشر قيام وسقوط إمبراطوريات- مكتبة الإسكندرية- 2007 .

446- عبد الجواد رجب- ألفاظ المأكل والمشرب في العربية الإسلامية دراسة في نفح الطيب للمقري- المؤتمر الدولي الرابع للحضارة الأندلسية تكريما للعلامة الإسباني إميليو جارثيا جومث- قسم اللغة الإسبانية وآدابها- القاهرة- 1998.

447- عبدولي سعيد الحسين- دور التوترات الاجتماعية في تفشي الممارسات السحرية والشعوذية في المجتمع التونسي دراسة سوسيولوجية ميدانية- مجلة علوم الإنسان والمجتمع- العدد- 09- مارس- 2014.

448- العريفي منير عبد الجليل - النباتات المقدسة في الحضارة اليمنية القديمة- مجلة الإتحاد العام للآثاريين العرب- يصدرها الاتحاد العام للأثاريين العرب والمجلس العربي للدراسات العليا والبحث العلمي- القاهرة- ع9- 2008.

449- عريبي أسماء سالم علي- صورة المرأة في الخطاب الفلسفي ودورها في المجتمع العربي الإسلامي: ابن رشد نموذجا- أعمال المؤتمر الدولي السابع: المرأة والسلم الأهلي- طرابلس- 19-21 مارس 2015.

450- علي حمزة الجوذري وهند حسن مطشر- التوزيع الجغرافي لخصائص التربة والنبات الطبيعي في محافظة القادسية باستخدام نظم المعلومات الجغرافية (GIS)- مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية- جامعة بابل- العدد 20- 2015.

451- علي عادل محمد- علم الزراعة والنبات من خلال كتاب الفلاحة لابن بصال- مجلة المورد- دار الحرية للطباعة- بغداد- مج6- ع4- 1977.

452- عمد إحسان صدقي- الخبز في الحضارة العربية الإسلامية- مجلة حوليات كليات الآداب- إصدار مجلس النشر العلمي- جامعة الكويت- ج12.

453- العيسوي عبد الرحمن محمد - الطب العقلي في الفكر السنوي دراسة مقارنة مع الفكر السيكولوجي الحديث- أعمال مؤتمر الطب والصيدلة عند العرب- مركز التراث القومي والمخطوطات كلية الآداب- جامعة الإسكندرية- دار المعرفة الجامعية- مصر- 1998

454- عواد كوركيس-الورق أو الكاغذ صناعته في العصور الإسلامية- مجلة المجمع العلمي العرب- مجمع اللغة العربية- دمشق- مج 23- ج3- 1948.

455- قاسم محمد محمود الحاج- ماذا أضاف العرب لعلم الصيدلة- مجلة المورد- اصدار وزارة الإعلام- الجمهورية العراقية- ع3- أغسطس 1973.

456- قدوري الطاهر- المنصور الموحدي وصلاح الدين الأيوبي: مسألة طلب المساعدة البحرية- مجلة عصور الجديدة- مختبر تاريخ الجزائر- جامعة وهران1- مج8- ع2- 2018.

457- قنواتي جورج شحاتة- إسهام ابن سينا في نقد العلوم- مجلة التاريخ العربي- ع 4-5- اصدار اتحاد الكتاب العرب- دمشق- .1981

458- عبد الناصر ايمان محمد- لماذا حليب الماعز- مجلة أسيوط للدراسات البيئة- إصدار مركز الدراسات والبحوث البيئية جامعة أسيوط- ع 34- يناير- .2010

459- حجوب سليمى- أبو الخير الإشبيلي وكتابه عمدة الطبيب في معرفة النبات- مجلة التراث العربي- إتحاد العرب بدمشق- ع85- يناير 2002.

460- محفوظ هند عبد الحليم- المسلمون وعلم النبات تراكم المعرفة وتطوير العطاء- مجلة الرافد- الشارقة عاصمة الثقافة الإسلامية- مايو - 2014.

461- محمود عبد الرزاق صالح- الخصائص الاجتماعية للمعتقدين بالسحر كعلاج (دراسة سوسيوأنتروبولوجية)- مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية- المجلد11- العدد2- مركز الدراسات الموصل- العراق- 2008.

462- المغراوي محمد- المغرب في العصر الموحدي: جدلية القوة و الأزمة- أعمال الندوة الوطنية "المجاعات والأوبئة في تاريخ المغرب"- منشورات كلية العلوم الإنسانية بالتنسيق مع للجمعية المغربية للبحث التاريخي الجديدة- الدار البيضاء- 2002.

463- الميساوي سهام الدبابي- وسام العريبي- خطاب الطعام في الثقافة الإسلامية- أعمال اليوم الدراسي بكلية الآداب والفنون والإنسانيات- منوبة- 15 فيفري- 2013.

464- نشاط مصطفى- من صعوبات البحث في الديموغرافيا التاريخية للمغرب الوسيط- الطاعون الأسود نموذجا- مجلة كلية الآداب وجدة- محور خاص عن الديمغرافيا التاريخية- منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة محمد الخامس- ع5- 1996.

465- النعسان محمد هشام- المسالك والممالك واختراق آفاق المعمور غرب الأندلس في جغرافية الإدريسي- أعمال المؤتمر الدولي المتنقل فيلا ريال ذي سانطو أنطونيو وقسطلة- نشر مؤسسة الإدريسي المغربية الإسبانية- ط1- 2011.

466- هاشم مختار- ديسقوريدس وكتابه- مجلة التراث العربي- إتحاد الكتاب العرب- دمشق- ع13-14- فيفري 1984.

467- الهلالي محمد ياسر- أثر القحط والمجاعات والأوبئة على الأنشطة الاقتصادية في المغرب الأقصى خلال أواخر العصر الوسيط- أعمال الندوة الوطنية "المجاعات و الأوبئة في تاريخ المغرب"- الأيام الوطنية العاشرة للجمعية المغربية للبحث التاريخي الجديدة: 25-26 أكتوبر 2002- سلسلة ندوات ومناظرات- ع 4- مطبعة النجاح الجديدة - الدار البيضاء-2002.

468- اليافي عبد الكريم- علماء العقاقير النباتية في الحضارة العربية الإسلامية- مجلة التراث العربي- إصدار اتحاد الكتاب العرب-دمشق- ع21- 1985.

469- اليافي عبد الكريم- المداواة والتغذية بالعقاقير النباتية في كتاب التيسير في المداواة والتدبير لأبي مروان عبد الملك بن زهر. مجلة اللغة العربية بدمشق-إصدار مجمع اللغة العربية- دمشق مج59- ج3- 1984.

470- يوسف شريف- السحر عند البابليين والمصريين والعرب قبل الإسلام- مجلة التراث الشعبي- المجلد9- ع6- دار الحرية للطباعة والنشر- بغداد- 1978.

471- إبراهيم سوزان وخليقة حمود غربي- الماء في الحديقة الإسلامية بين الوظيفة والدلالة الرمزية- مجلة الأنبار للعلوم للعلوم الزراعية- مج16- ع 1- 2018.

خامسا: الرسائل الجامعية (درجة ماجستير ودكتوراه):

472- بعارة شفيق أمين- الحديقة في العمارة الإسلامية- رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير غير منشورة- جامعة النجاح الوطنية- نابلس- فلسطين- 2010

473- بلمداني نوال- نظام الرعي في بلاد المغرب الأوسط خلال القرنيين (4 – 5هـ/ 10-11م)- رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه غير منشورة- في التاريخ الوسيط الإسلامي- جامعة وهران1- 2013-2014.

474- بن خيرة رقية- الآفات الاجتماعية في الأندلس بين القرنين الخامس والسادس الهجريين (5-6هـ/ 11-12م)- رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه غير منشورة- جامعة مصطفى اسطنبولي معسكر- 2016-2017م.

475- بن عميرة محمد- الموارد المائية وطرق استغلالها ببلاد المغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة الموحدين- إشراف موسى لقبال- رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه غير منشورة- جامعة الجزائر- 2004-2005.

476- بودالية تواتية- البيئة في الأندلس عصري الخلافة الأموية وملوك الطوائف- رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه غير منشورة- جامعة وهران 1- 2013-2014.

477- بولعراس خميسي- فن الحرب بالغرب الإسلامي خلال عصري المرابطين والموحدين- رسالة مقدمة لنيل دكتوراه غير منشورة- جامعة حاج لخضر- باتنة- 2013-2014.

478- حشاش توفيق سلمان فريح حشاش- الثغور الشامية في العهد العباسي الأول (132-232هـ/750-847م)- رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير غير منشورة- كلية الآداب في الجامعة الإسلامية- غزة- 2016.

479- حمزة حميد آمنة- الصيادلة والعشابون في الأندلس- رسالة مقدمة لنيل شهاة ماجستير غير منشورة- كلية الأداب- جامعة بغداد- 2007.

480- خلاوي قاسم مهاوي- تخطيط المناطق الخضراء داخل المدينة- أطروحة ماجستير مقدمة إلى مركز التخطيط الحضري والإقليمي- جامعة بغداد- 1985.

481- زغول جهاد غالب مصطفى- الحرف والصناعات في الأندلس حتى سقوط غرناطة- رسالة ماجستير غير منشورة- كلية الدراسات العليا في الجامعة الأردنية- 1994.

482- زيادة نادر فرج- الترف في المجتمع الأندلسي (92هـ-711م/ 668هـ-1269م)- رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير غير منشورة- كلية الآداب في الجامعة الإسلامية- غزة- 2010.

483- الشريد حورية- تطور المطبخ المغربي وتجهيزاته من عصر المرابطين إلى غاية العصر العثماني (دراسة تاريخية و أثرية)- رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه- جامعة الجزائر 2- معهد الآثار- السنة الجامعية- 2010-2011.

484- عباسي يحي أبو المعاصي محمد- الملكيات الزراعية وآثارها في المغرب والأندلس- رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه- كلية دار العلوم- جامعة القاهرة- 2000.

485- مزدور سمية- المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط- رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير- جامعة منتوري- قسنطينة- الجزائر- 2008-2009.

486- الهوبي محمد جمال محمود- أسباب النصر والتمكين للدولة الموحدية في عهد المنصور يعقوب بن يوسف الموحدي (580-595هـ/1184-1199م)-رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير غير منشورة- الجامعة الإسلامية- غزّة- 2017.

487- الهواري موسى- تقنيات الزراعة ببلاد المغرب الإسلامي إلى سقوط دولة الموحدين (من القرن 1-7م إلى القرن7-13م)- رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه غير منشورة- إشراف محمد بن عميرة- جامعة الجزائر 2- 2015-2016.

488- ياسين صالح ياسمين- المشاهد النباتية في الفن العراقي القديم- رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير غير منشورة- كلية الآدب- جامعة الموصل- 2006

سادسا: المقالات إلكترونية:

489- تقديم كتاب جامعة القرويين تمنح أول إجازة في الطب للباحث العابدين- مجلة فبراير- بحث منشور على موقع: https : //www. m.febrayer.com/554818.html

490- مسلمة المجريطي عالم رياضي فلكي- ص14- بحث منشور على شبكة الأنترت- تاريخ الإطلاع: 16-12-2016/ www.alukah.net

491- عبد الرحمن أروى- إعجاز الشفاء في الريق- أبحاث المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز في القرآن والسنة- الكويت- 2006. بحث منشورعلى موقع: www.eajaz.org

492- عبد القادر الجابري- لسعات العقارب- منشور على موقع: www .pharmacies .ma

493- علي أسعد وطفة- البنية الأسطورية للعقلية العربية- بحث منشورموقع: www.civicegypt.org

494- كامل الشيرازي- المفكر الجزائري أبو العباس البوني رائد علم الحروف والعلوم الباطينية- بحث منشور على موقع: https://elaph.com /Web/Culture/2010/12/621347.html

495- فريحات حكمت- الصرع بين الميثولوجيا والطب- بحث منشور على موقع: https//www.altibbi.com

496- النعيمي-حميد مِجْول أثر الأجرام السماوية بالإنسان بين الفلك والتنجيم- وحدة بحوث الفلك- جامعة بغداد/بحث مشور على موقع: www.maaber.org

497- هوكر جوزيف دالتون وهلكسي توماس هنري- تاريخ علم النبات- بحث منشور على الشبكة العنكبوتية من موقع: www . wikiwand .com - تاريخ الإطلاع: 25 مارس 2019.

قائمة المراجع الأجنبية:

498- Aissaoui Souad, Los Dimmies en Al- Andalus desde 1231 hasta 1232 (Mozàrabes y judios), Tesis doctoral, U. Oran 2, 2015-2016.

499- Aldo Milli, La Science Arabe et son rôle dans l'évolution scientifique mondiale, Réimpression anastatique, Leiden, 1966.

500- Lauret plastre, la Cene et la maladies transmissibles par la salive, fac-réflexion, n°, Septembre 1993.

501- Amdor Diaz Garcia, un Tratado Nazari Sobre Alimentos, Edicion, Traduccion, Estudio con Glossarios, Granada, Universidad de Granada, VI-VII, 1981.

502- Anónimo Andalusi, Kitab fi Tartīb Awqāt Al-Girāsa Wa-l-Magrūsāt, traducción y estudio con glosario de Angel C. López y López, Consejo Superior de Investigaciones Cientificas, Granada, 1990.

503- Anónimo Andalusi, Risāla Fi Awqāt Al-Sana, traducción y notas de Angeles Navarro, Consejo Superior de Investigaciones Cientificas, Granada, 1990.

504- Arié Rachel, l'Espagne musulmane au temps des Nasrides, éd, E. de Bocard, Paris, 1973.

505- Baltyl. et V. Caron, Risques biologiques et chimiques encourus par les fossoyeurs, Revue Grand Angle, juin 2012, n 130, Anp 26, vue 17-10-2017/www.rst-sante-travail. fr> TI-RST-TC-140

506- Blancou Jean, Les anciennes méthodes de surveillance et de contrôle de la rage animale, bulletin de l' Académie Vétérinaire de France, Paris, 1993.

507- Blanc Alain, Théophraste, Recherche sur les plantes, à l'origine de la botanique. Traduction de Suzanne Amigues, Revue des Etudes Greques, Tome 125, fascicule1, Janvier-Juin 2012.

508- Baudez Claude François, la douleur redemptice, L'autosacifice précolombien, Rive neuve, Marseille, France.

509- Braudel Fernand, civilisation materielle economie et capitalisme, XVe-XVIII siècle, les structures du quotidien, édition Armand Colin, Paris.1979.

510- Ben Derradji Alatou M.H, H. Megoura: La foresterie urbaine, l'environnement en Algérie, Ouvrage collectif, Laboratoire d'étude et de recherches sur le Maghreb et la Méditerranée, Université Montouri, Constantine, 2001.

511- Benfissa Kamar, Anne Marie Moulin et Koussay Dellagi, La Rage en Tunisie au XIXe siecle: recrudescence ou émergence ?, Gesnerus , 2007, Jacques morven.

512- Bolens Lucie, L'Andalousie du quotidien au sacré Xle- XIIIe siècles, Variorum Gower House, Great Britain, 1990.

513- Bolens Lucie, Les méthodes Culturales au moyen âge d'après les traités d'agronomies, tradition et technique, Genève, 1974, p.21/Lucie Bolens, Agronomes andalous au Moyen Age, Genève, Droz, 1981.

514- Borner Benoit et Strakenmann Victor, l'Epilepsie, des croyances populaires à la réalité de la pathologie, Faculté de Médecine de Genéve, juin, 2012.

515- Bouque A, Note sur la préparation du poison de fléches dans le Nord-Congo (brazzaville), 1967.

516- Boutammina Nas E., les Fondateurs de la botanique, édition books demand, 2017, tome 2.

517- Carabaza Julia Maria Bravo, Expiracion Garcia Sanchez, Arboles y Arbustos en AL-Andalus, Ed. C.S.I.C, Madrid, 2004.

518- Cabo Gonzalez Ana Maria, Caude Lanly, Ibn al-Baytar apports à la botanique et à la pharmacologie dans le Kitab al-Gắm, Revue Médiévales, Cultures et nourritures de l'occident musulman, n° 33, 1997.

519- Clerget Yves, la biodiversité des céréales et leur utilisation par l'homme, publié dans le bulletin de la Société d'Histoire Naturelle du Pays de Montbéliard, guérison au Maroc, l'Harmathan, Paris, Montreal,1996.

520- Delgado Jorge Lirola, El poder naval de Al-Andalus en la época del Califato Omaya, Universidad de Granada, 1993.

521- Duchemin J-B, Fournier P.E. Parole P, les puces et maladies transmises à l'homme, Revue médecine tropicale, Vol 66, n° 1, 2006.

522- El Bali Imad, Descripcion analisis y consecuencia que tuvo en la navegacion de la época, el optimo climatico en Edad Media, Univ. Politécnica de Catalunya, Barcelonatech, Facultad de Nautica de Barcelona, DNM Julio 2013.

523- El Faiz Mohamed, La révolution agricole dans l'Espagne musulmane est-elle mesurable?, Histoire et Mesure, N° 3-4, 1998.

524- Garcia Expiración, Julia Maria Carabaza, Studies on the agronomy of Al-Andalus, Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée (En ligne) http://journals.openedition.org/remmm/ 6465.

525- Golvin Lucien, le Magreb central à l'époque des Zirides, Arts et Métiers Graphiques, Paris, 1957.

526- Henriette Camps-Fabrer, Parure des Préhistoriques en Afrique du Nord, Imp officielle, Alger, 1962.

527- Lombard Maurice, Un Probème cartographié: le bois dans la Méditerranée musulmane (VIIe-XIe), Annales Economies, Sociétés, Civilisations, C .N.R .S, France, 14e année, N°2, 1959.

528- M. Le Lannou, Le role géographique de la malaria, Annales de géographie, N° 254, année 1936.

529- Lelclerc Lucien, Histoire de la Médecine arabe, Paris,1876.

530- Molins Maria Jesus, Existe una identidad mozarabe, in Existe identidad mozárabe? Historia, lengua y cultura de los cristianos de al- Andalus (siglos IX-XII), Col, Cas.

531- Meyerhof Max, Esquisse d'histoire de la pharmacologie et botanique chez les musulmans d'Espagne, Al-Andalus, Revista de las escuelas de estudios arabes de Madrid y Granada, T3, 1935.

532- Chantetemesse André et Borel Francois, hygienne internationale: Frontière et prophylaxie, Paris, 1907.

533- Dauchy Renée Claisse, Medicine traditionnelle au Maghreb, Rituels denvoûtement et de guérison au Maroc, l'Harmathan, Paris, Montreal, 1996.

534- Gines Juan Vernet, la Cultura hispano arabe en Oriente y Occidente, Ariel Historia, Barcelona, Ariel, 1978.

535- Gómez Carlos de Avellaneda Sabio, Patio de los naranjas: el sahn como imagen del paraiso, Congreso Internacional la Ciudad en al-Andalus y el Magreb, Fundación El legado andalusi, 1999.

536- Gratz Norman G., lutte contre la transmission de la peste, Revue manuelle de la peste Epidémiologie, répartition, surveillance et lutte. WHO/CSR/ 99.2,

537- Ibn ŷulŷul, Tratado OcTavo Mencionamos en éllo que Dioscóride no cita en sulibro; Lo que se utiliza y aprovecha en el arte de la medicina y lo que, aunque no porello descuidarme moscitarlo, si citarlo, si quieredios, ensalzadosea, editado y traducido por Ildefonso Garijo, Córdoba,1992.

538- Imamuddin, S.M, The Economic history of Spain under the Umayyads (711-1031 A.C), Dacca, 1963.

539- Jorquera Maria Carolina Larrea, El Papel en el Geidō Enseñanza praxis y creación desde la mirada de Oriente, Tesis Doctoral, Universitat Politècnica de València, junio 2015.

540- Kably Mehamed, Société, Pouvoir et Religion au Maroc à la fin du «Moyen-age» (XIVe-XVe siècle), préface de Claude Cahen, edition Maisonneuve et Larose, Paris, 1986.

541- Kenneth Walker, Histoire de la medecine, bruxelles, 1962.

542- Peinnado Laura Rodriguez, La producción textil en al-Andalus: origen y desarrollo, Anales de Historia del Arte Medieval, Complutense de Madrid, Vol. 22, 2011.

543- E. Provençal Levi, Histoire de l'Espagne musulmane, La conquête et l'émirat hispano-umiade (710-912), Maisonneuve et larose, Paris,1999.

544- Rábanos José Maria Soto, Pensamiento medieval hispanol: homenaje a Horacio Santiago-Otero, Consejo Superior De investigaciones Cientificas, Madrid, 1998.

545- Radi Saadia, Surnaturel et société (L'explication magique de la maladie et du malheur à Khénifra) centre Jacques Berque, Rabat, 2013.

546- Ricordel Joelle, La thériaque en débat dans les traités arabes, Revue d'Histoire de la pharmacie, N° 367, 2010.

547- Rondeau Anthony, Etude expérimentale sur divers poisons de fleches, Bulletins et Mémoires d'Anthropologie de Paris, IV°, T4 ,1893.

548- Ruas et Marie-Pierre, Regard pluriel sur les plantes de l'héritage arabo-islamique en France médiévale, dans Héritage arabo-islamiques dans l'Europe méditerranéenne, éditions La Découverte, Paris, 2015.

549- Rachel Arié, Historia de Espana (III) Espana musulmana (siglos VIII- XV), Labor,1982.

550- Sanchez Expiracion Garcia, Julia Carabaza Bravo, Flora Agricola y Forestal de Al-Andalus, Ministerio De Agricultura alimentacion y medio ambiento, Gobierno de espana, 2009.

551- Sallenava François Aubaile, L'agriculture musulmane aux premiers temps de la conquête: apports et emprunts; à propos de Agricultural innovation in early Islamic word de Andrew M.

552- Samso julio, El legado Cientifico Andalusi, Ministerio de Cultura, imprime Getafe, Madrid, 1994.

553- Sanchez Francisco Franco, Evolucion de la medicina en al-Andalus, Revue d'etudes andalouses, N°12, 1994.

554- Sauner-leroy Marie Hélène, Les traditions cullinaires de la Méditerranée: modéles, emprunts, permanences, in D. Albera, A. BLOK et Ch. Bromberger, dir., L'anthropologie de la Méditerranée, Paris, 2001.

555- Talmud Jérome, Une page médiévale de l'histoire de la pharmacie avec le Traité des poisons de Moïse Maïmonide (1204-2004): contribution à la commémoration du 800e anniversaire de sa mort, n°344, 2004.

556- Touwaide Alain, Dioscoride, Sa vie et son œuvre, le contenu et la méthode du Traité de matière médicale: John M. Riddle, Dioscorides on Pharmacy and Medicine, Revue d'histoire de la pharmacie, n° 276, 1988.

557- Triki Hamid, Famine et épidémies au Maroc aux XVIe et XVIIeS, Hespéris, 1978.

558- Triki Hamid, La cuestion del papel en el Occidente musulmán en la época medieval, Los Manuscritos Ārabes en Espana y Marruecos, Fundaciòn, Actas del Congreso International, Granada, El legado andalusi, 2005.

559- Yves Clerget, la biodiversité des céréales et leur utilisation par l'homme, publié dans le bulletin 2011 de la Société d'Histoire Naturelle du Pays de Montbéliard.

560- N. Salvador Miguel, El papel en España medieval: Tecnologia y economia, Actas de Las Jornadas sobre mineria y tecnologia en la Edadpeninsular, Madrid, 1996.

561- Watson, Journal d'agriculture traditionnelle et de botanique appliquée, 31e année, bulletin n°3-4, Juillet-décembre 1984.



فهرس الموضوعات

الفصل الثاني:

خبرة المجتمع الأندلسي بالنباتات النفعية في الممارسة العلمية والعملية

الفصل الثالث:

المعرفة الطبية والصيدلانية للعقار النباتي

الفصل الرابع:

السموم النباتية ومجالات استخداماتها، وكيفية التخلص من السموم بالأدوية النباتية

ملخص

الملخص: عالج موضوع أطروحتي "النباتات النفعية ومجالات استخداماتها ببلاد الأندلس خلال العصر الوسيط". استمد الموضوع أهميته وضرورة طرحه من خلال الثراء النباتي الطبيعي المتنوع والمتفرّد الذي تزخر به العدوة الأندلسية، فضلا عن دخول كتاب الحشائش للعالم اليوناني ديسقوريدس إلى الأندلس في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، حيث شكّل نقطة تحوّل في مجال الاهتمام بالأدوية المفردة.

تتضمن الدراسة تمهيدا وأربعة فصول؛ جاء التمهيد مُسلّطا الضوء على المؤثرات الجغرافية والطبيعية لبلاد الأندلس، مع ذكر ما تزخر به من التنوع البيولوجي، علاوة عن التوابل الطبية والعطرية التي اختصت بها، وعالجنا في الفصل الأول مسار تطور علم النبات في الحضارات الإنسانية بصفة عامة؛ والأندلس بصفة خاصة، وسلّطنا الضوء على مفاهيم لغوية واصطلاحات علمية للنبات، أما الفصل الثاني الموسوم بـ"خبرة المجتمع الأندلسي بالنباتات النفعية في الممارسة العلمية والعملية"، فسنتطرق فيه إلى بيان مدى احترام الأندلسيين لعالم النبات بصدق وأمانة عن طريق وضع هوية موثقة للنباتات التي وفدت عليهم.

وتضمن الفصل الثالث المعرفة النباتية للعلاج الطبي في بلاد الأندلس، ولكون هذا العنوان يستوعب كمّا وزخَمًا من الأمراض والنباتات العلاجية؛ علاجها وفق نظرية الأخلاط الأربعة اليونانية التي ترتكز عليها توازن الجسم كمًّا وكيفًا، تناولنا فيه عناصر هذه النظرية في جسم الإنسان وهي: الدم والبلغم والمرّة الصفراء والمرّة السوداء، كما تطرقنا فيه إلى الأمراض الوبائية بالأندلس، وطرق الوقاية والعلاج النباتي لها، وخصصنا الفصل الرابع من هذه الدراسة للسموم النباتية ومجالات استخداماتها.

لقد ساهمت المعرفة النباتية بالأندلس- عِلما وعَملا- في صناعة واقع جديد وآفاق واعدة من خلال الكشف عن استخداماتها، وتوظيفها في شتى المجالات، وقد صارت الثروة النباتية التي حَفِظتها الكتب الأندلسية رصيدا علميا وممارسة عملية جادة وفعالة في الماضي، ومجالا للبحث التاريخي في الحاضر وفي المستقبل.

الكلمات المفتاحية: الأندلس، علم النبات، ديسقوريدس، النباتات الطبية، الأخلاط الأربعة، القطن، الورق، الترياق، القنب الهندي، قصب السكر.

Résumé: Le sujet de cette thèse est l'étude historique des "plantes utilitaires et leurs domaines d'utilisation dans l'Espagne Musulmane (Andalousie)", Le sujet tire son importance et la pertinence de l'aborder à travers la richesse et la diversité de la flore de la Péninsule Ibérique, ainsi que l'introduction du traité de *MateriaMedica* de Dioscoride en Andalousie au IVe siècle de l'hégire, Xe siècle après JC

L'étude comprend une introduction et quatre chapitres; L'introduction met en lumière les influences géographiques et naturelles de l'Andalousie, et sa biodiversité, en plus de ses épices médicinales et aromatiques. Dans le premier chapitre, nous avons traité le développement de la botanique dans les civilisations humaines en général. Et l'Andalousie en particulier, et nous avons éclairé les concepts linguistiques et scientifiques des plantes.

Quant au deuxième chapitre, intitulé «L'expérience de la communauté andalouse sur les plantes utilitaires dans la pratique scientifique et pratique», nous discuterons de l'étendue du respect des Andalous pour le monde végétal en lui donnant une identité documentée. Le troisième chapitre comprent la connaissance botanique des traitements médicinaux dans les pays d'Andalousie, ainsi que la multitude de maladies et de plantes médicinales, ces maladies traités selon la théorie grecque des quatre humeurs, sur laquelle repose l'équilibre du corps, en termes de quantité et de qualité.

Le quatrième chapitre de cette étude est consacré aux phytotoxines et à leurs domaines d'utilisation.Les richesses végétales que les livres andalous nous ont préservées sont devenues un outil scientifique et un processus efficace à l'époque, ainsi qu'un terrain fertile pour la recherche historique dans le présent et le futur.

Mots clés: al-Andalus, Botanique, Dioscoride, les plantes médicinale, quatre humeurs, coton, papier, antidote, Cannabis, canne à sucre.

Abstract: The subject of this thesis is the historical approach of **"**Utilitarian plants and their fields of use in Muslim Spain (Andalusia)", The subject derives its importance and its need to approach it through the richness and diversity of the flora of the Iberian Peninsula, as well as the Introduction of the the book of *MateriaMedica* by the Greek savior **Dioscorides** in Andalusia in the 4th century AH, 10th century AD.

The study consists of an introduction and four chapters; The introduction highlights the geographical and natural influences of Andalusia, and the biodiversity it abounds, in addition to its medicinal and aromatic spices. In the first chapter, we dealt with the development of botany in human civilizations in general. And Andalusia in particular, and we shed light on the linguistic and scientific concepts of plants.

In the second chapter, entitled “The Andalusian Community's Experience on Utility Plants in Scientific and Practical Practice”, we will discuss the extent of Andalusian respect for the plant world, giving it a documented identity.

The third chapter includes the botanical knowledge of medicinal treatments in the countries of Andalusia, as well as the multitude of diseases and medicinal plants, these diseases treated according to the Greek theory of the four humors, on which the balance of the body is based, in terms quantity and quality.

The fourth chapter of this study is devoted to phytotoxins and their fields of use.

The vegetable richness that scientific books in Andalusia have preserved for us became a scientific tool and an effective process at the time and also a fertile field for historical research in the present and in the future.

Keywords: Andalus, Botanic , Dioscorides , medicinal plants, four humors, , cotton, paper, antidote, Sugar cane.

تمّ بحمد اللّه

وحسن عونه

الملخص

عالج موضوع أطروحتي "النباتات النفعية ومجالات استخداماتها ببلاد الأندلس خلال العصر الوسيط". استمد الموضوع أهميته وضرورة طرحه من خلال الثراء النباتي الطبيعي المتنوع والمتفرّد الذي تزخر به العدوة الأندلسية، فضلا عن دخول كتاب الحشائش للعالم اليوناني ديسقوريدس إلى الأندلس في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، حيث شكّل نقطة تحوّل في مجال الاهتمام بالأدوية المفردة. تتضمن الدراسة تمهيدا وأربعة فصول؛ جاء التمهيد مُسلّطا الضوء على المؤثرات الجغرافية والطبيعية لبلاد الأندلس، مع ذكر ما تزخر به من التنوع البيولوجي، علاوة عن التوابل الطبية والعطرية التي اختصت بها، وعالجنا في الفصل الأول مسار تطور علم النبات في الحضارات الإنسانية بصفة عامة؛ والأندلس بصفة خاصة، وسلّطنا الضوء على مفاهيم لغوية واصطلاحات علمية للنبات، أما الفصل الثاني الموسوم بـ"خبرة المجتمع الأندلسي بالنباتات النفعية في الممارسة العلمية والعملية"، فسنتطرق فيه إلى بيان مدى احترام الأندلسيين لعالم النبات بصدق وأمانة عن طريق وضع هوية موثقة للنباتات التي وفدت عليهم. وتضمن الفصل الثالث المعرفة النباتية للعلاج الطبي في بلاد الأندلس، ولكون هذا العنوان يستوعب كمّا وزخَمًا من الأمراض والنباتات العلاجية؛ علاجها وفق نظرية الأخلاط الأربعة اليونانية التي ترتكز عليها توازن الجسم كمًّا وكيفًا، تناولنا فيه عناصر هذه النظرية في جسم الإنسان وهي: الدم والبلغم والمرّة الصفراء والمرّة السوداء، كما تطرقنا فيه إلى الأمراض الوبائية بالأندلس، وطرق الوقاية والعلاج النباتي لها، وخصصنا الفصل الرابع من هذه الدراسة للسموم النباتية ومجالات استخداماتها. لقد ساهمت المعرفة النباتية بالأندلس- عِلما وعَملا- في صناعة واقع جديد وآفاق واعدة من خلال الكشف عن استخداماتها، وتوظيفها في شتى المجالات، وقد صارت الثروة النباتية التي حَفِظتها الكتب الأندلسية رصيدا علميا وممارسة عملية جادة وفعالة في الماضي، ومجالا للبحث التاريخي في الحاضر وفي المستقبل.

الكلمات المفتاحية:

الأندلس؛ علم النبات؛ ديسقوريدوس؛ النباتات الطبية؛ الأخلاط الأربعة؛ القطن؛ الورق؛ الترياق؛ القنب الهندي؛ قصب السكر.

نوقشت 23 جوان 2021

بتقدير مشرف جدا